

جامعة حلب  
كلية الآداب والعلوم الإنسانية  
قسم اللغة العربية

الاتجاهات الحديثة في الدرس البياني للقرآن الكريم

## Modern Approaches to study of Qur'anic Rhetorics

إعداد الطالبة  
إيمان عبد المنعم معاز

بإشراف الأستاذ الدكتور  
عيسى علي العاكوب

١٤٣٢ هـ  
٢٠١١ م

## فهرس الموضوعات

### المقدمة

- ٢٩-١ المدخل: إطلاعة على الدرّس البيانيّ القرآنيّ
- ١ - مفهوم الإعجاز والإعجاز البيانيّ للقرآن الكريم.....
  - ٨ - تقارب مفهومات البلاغة والبيان والنظم.....
  - ١٥ - الدرّس البيانيّ القرآنيّ والحاجة إليه.....
  - ٢١ - العلوم التي يحتاج إليها الدّارس البيانيّ.....

### ٩١-٣٠ الفصل الأوّل: الدرّس البيانيّ القرآنيّ القديم أصوله و أعلامه

#### أولاً: الأصول البعيدة للدرّس البيانيّ للقرآن:

- ٣٠ - الدرّس البيانيّ في صدر الإسلام.....
- ٣١ - درس بيانيّ للرّسول ﷺ.....
- ٣٤ - درس بيانيّ للصّحابة رضي الله عنهم.....
- ٣٧ - الدرّس البيانيّ في تفسير ابن عباس وشهرته.....
- ٣٩ - الدرّس البيانيّ بعد ابن عباس (التابعين).....

#### ثانياً : الدرّس البيانيّ القرآنيّ في عصر التّدوين:

- ٤٢ - عوامل الاشتغال بالدرّاسات القرآنية.....
- ٤٦ - دور المعتزلة في الدرّس البيانيّ.....
- ٤٩ - جهود اللغويين في الدرّس البيانيّ.....
- ٥٠ - أبو عبيدة (ت٢١٠هـ).....
- ٥٣ - الفراء (ت٢٠٧هـ).....

#### ثالثاً : أعلام الدرّس البيانيّ القرآنيّ القدماء:

- ٥٧ - الجاحظ (ت٢٥٥هـ).....
- ٦٣ - الرّماني (ت٣٨٤هـ).....
- ٦٧ - الخطابي (ت٣٨٨هـ).....
- ٧٢ - الباقلاني (ت٤٠٣هـ).....
- ٧٥ - الجرجاني (ت٤٧١هـ).....
- ٨٠ - الزمخشري (ت٥٣٨هـ).....



- ٨٤ - الدارسون البيانيون بعد الزمخشري.....
- ٨٩ خاتمة: نظرات في دراسات أعلام الدرس البيانيّ القدماء.....

### ١٢٠-٩٢ الفصل الثّاني: مؤلّفات الدرس البيانيّ القرآنيّ في العصر الحديث

- ٩٢ - نماء الدرس البيانيّ في العصر الحديث.....
- ٩٨ - أصناف المؤلّفات البيانيّة في العصر الحديث.....
- ١٠٠ - التّفاسير البيانيّة الشّاملة للقرآن الكريم.....
- ١٠٥ - الدرس البيانيّ لسور معيّنة من القرآن.....
- ١٠٧ - الدرس البيانيّ لموضوع قرآنيّ معيّن.....
- ١١١ - الدّراسات الفنّيّة (البلاغيّة والأدبيّة).....
- ١١٥ - الدرس البيانيّ في مصنّفات الإعجاز.....

### ١٩١-١٢١ الفصل الثّالث: أعلام الدرس البيانيّ المُحدثون ومناهج درسهم

- ١٢٢ - الأستاذ سيد قطب والتّصوير الفنّي.....
- ١٣١ - الأستاذ مصطفى صادق الرّافعي والانسجام الصّوتي.....
- ١٤١ - الأستاذ أمين الخولي والمنهج الموضوعي.....
- ١٤٧ - الدكتورة عائشة عبد الرحمن والمنهج اللغوي الإحصائي.....
- ١٥٤ - الدكتور عبد الله دراز والوحدة الموضوعيّة في القرآن.....
- ١٦٢ - الدكتور تمام حسّان و المنهج اللغوي (التّظهير والتّطبيق).....
- ١٧٢ - الدكتور حسن طبل وظاهرة الالتفات في أسلوب القرآن.....
- ١٨١ - الدكتور فاضل السّامرائي والمنهج المقارن.....

### ٢٤٥-١٩٢ الفصل الرّابع: الدرس البيانيّ القرآنيّ الحديث في فضاء المفردة القرآنيّة

- ١٩٢ - تمهيد.....
- ١٩٤ - أهمية النّظر في المفردات عند الدّارسين.....
- ١٩٦ - ملاعمة المفردة القرآنيّة لسياقها من حيث مادتها:
- ١٩٦ - التّرادف واستبعاده من القرآن.....
- ١٩٩ - تأكيد الفروق في دراسات المُحدثين.....
- ٢٠٩ - ملاعمة المفردة القرآنيّة لسياقها من حيث هيئتها:
- ٢١٠ - الاسميّة و الفعلية.....
- ٢٢٠ - التّعريف و التّنكير.....

- ٢٣٤ ..... - الإفراد والتثنية والجمع
- ٢٤١ ..... - التذكير والتأنيث

### الفصل الخامس: الدرس البياني القرآني الحديث في فضاء الجملة

- ٢٨٨ - ٢٤٦ ..... القرآنية
- ٢٤٧ ..... - العدول وقيمته في الدرس البياني للقرآن
- ٢٤٩ ..... ١- التقديم والتأخير
- ٢٦٢ ..... ٢- الحذف
- ٢٨٠ ..... ٣- أسلوب الالتفات

### الفصل السادس : الدرس البياني القرآني الحديث في فضاء الجمل

- ٣٣١-٢٨٩ ..... القرآنية (الأسلوب)
- ٢٨٩ ..... - الترابط بين الآيات
- ٢٩٨ ..... - التكرار
- ٣٠٥ ..... - الفواصل القرآنية
- ٣١٣ ..... - البحث في الصور الفنية
- ٣٢٧ ..... - البحث في ألوان البديع

- ٣٤٦-٣٣٢ ..... موازنة وتقييم
- ٣٥١-٣٤٦ ..... الخاتمة
- ٣٧٤-٣٥٢ ..... فهرس الآيات القرآنية
- ٣٧٥ ..... فهرس الأحاديث الشريفة
- ٣٩٥-٣٧٦ ..... فهرس المصادر والمراجع
- المقدمة باللغة الإنكليزية

## المُقدِّمة

الحمدُ لله خالق الإنسان معلِّمه البيان، والصلاة والسلام على أفصح الخلق لساناً، وأبلغهم بياناً، محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه الطَّيِّبين ومن تبع هداهم إلى يوم الدِّين. أما بعد:

فإنَّ من أحسن الكلام ما تناولَ كلامَ الخالق العظيم جَلَّ شأنه، وقد كُثرت الدِّراسات التي تناولت هذا الكلام العظيم وبحثت في الوجوه البيانية لإعجازه، إذ هو معجزةٌ بيانيةٌ خالدة ظَلَّت تتحدَّى الأبيناء وأهل اللِّسن على امتداد العصور.

وقد بدا لي أن أبحث في هذا الجانب البياني من جوانب الإعجاز القرآني؛ لما قدَّمه من تأملوه ودرسوه من بيانٍ لكثيرٍ من أسرارِ التَّركيب في التَّعبير القرآني. فهو جزءٌ من التفسير العامِّ تنصبُّ فيه العناية على بيان أسرار التَّعبير من النواحي الفنيَّة كالتَّقديم والتَّأخير، والحذف والذِّكر، والتَّعريف والتَّكثير، وإيثار لفظةٍ على أخرى، وما إلى ذلك مما يتعلَّق بكمال المعنى المعتمد على خصائص التَّراكيب، مضافاً إلى ذلك كلُّ مجالِي القوة البيانية القرآنية المعتمدة على معطيات ما عُرِف فيما بعد بعلم البيان، والتَّحاسين المعنوية واللفظية المعروفة في علم البديع. وكذلك ليكون هذا البحثُ دعوةً إلى وعي الجمالِ البيانيِّ القرآنيِّ، دعوةً أُقدِّمها إلى متذوقي البيان القرآنيِّ والنَّصِّ الأدبيِّ على العموم.

وقد وقف غيرُ قليلٍ من أهل العلم منذ القديم جهوداً مضنيةً لتفسير القرآن الكريم بيانياً، وقدَّموا للمكتبةِ القرآنيةِ أسفاراً ممتازة في هذا الميدان، ويكفي أن يذكرَ المرءُ منها آثار الرِّماني (ت-٣٨٤هـ) والباقلاني (ت-٤٠٣هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت-٤٧١هـ) والزَّمَخشَري (ت-٥٣٨هـ) والفخر الرازي (ت-٦٠٦هـ) والبيضاوي (ت-٦٨٥هـ)...

وقد شهد العصرُ الحديثُ اهتماماً بالغاً بالتفسير البيانيِّ للقرآن الكريم، وقدَّمت إنجازاتٌ طيبةٌ في هذا المجال، بحثت جوانب دقيقة من جوانب الإعجاز البيانيِّ للقرآن باستقصاءٍ وتعمُّق، بعد مرحلةٍ قلَّ فيها التَّصنيف البيانيِّ القرآنيِّ، وغلب عليه طابعُ التَّقليد والتَّكرار.

وسعى هذا البحثُ إلى تقديم تصوّرٍ دقيقٍ وشاملٍ نسبياً للاتجاهاتِ الحديثةِ في الدِّرس البيانيِّ للقرآن الكريم، سواءً في ذلك ما جاء في كتب التفسير المُتخصِّصة ككتب سيّد قطب، ومحمد علي الصَّابوني، وعبد الرحمن حبنكة الميداني، وما جاء في كتب الدِّرس البيانيِّ التي تناولت سوراً أو موضوعاتٍ قرآنيةً بعينها، إضافةً إلى ما وُجِد في دراساتٍ بلاغيَّةٍ (أدبية

وفنيّة) خاصّة تناولت الآيات القرآنية تناولاً أدبيّاً، وتلمّست الكثيرَ من الأسرار البيانيّة القرآنيّة، وأقامتها على أصولٍ فنيّة، وقدمت كشفًا بيانيّاً معمّقًا.

فميدانُ الدّرسِ البيانيّ كبيرٌ، ومجالُه زاخرٌ بالعلماء والباحثين، كلُّ يحاول أن يقدّم شمعةً صغيرةً ينضمُّ ضياؤها إلى الأنوار المتألّئة لإظهار بلاغة القرآن واستجلاء أسرار إعجازه.

وقد اعتمد البحثُ المنهج الاستقرائيّ التحليلي الذي يقوم على استخلاص ما عدّ في الدّرسِ البيانيّ الحديث أدلّةً للإعجاز البيانيّ في القرآن وأسراراً لبلاغة هذا الكتاب العزيز، وتصنيفها حسب مجال البحث البيانيّ ثمّ تحليلها لتحديد الاتجاهات العامّة المشتركة واستخراج القيم البيانيّة الإعجازيّة من النّصّ القرآنيّ في أحواله المختلفة كالتعريف والتّكبير، والتّقديم والتّأخير، والحذف والذّكر، والالتفات وغيرها. وإذا التقت الدّراساتُ أو تشابهت كان لابدّ من عقد المقارنات بين الأشباه والنّظائر؛ لنضع اليدَ على أنفسِ الجواهر في النّصّ القرآنيّ ونتبيّن أدقّ أسرارِ التّعبير في القرآن؛ التي تدعو إلى الإقرار بروعة البيان القرآنيّ، وبتأدية أساليبه للمعاني المقصودة أقوى أداء، مُعتمدين على المصادر البلاغيّة الغنية بالحديث عن الطّواهر التّركيبية في القرآن الكريم، إضافة إلى مجموعة من المصادر والمراجع التي تنطوي على ما يحتاج إليه البحث من مراجع بلاغيّة، وأسلوبية، ونقدية، وأدبية.

وقد قُسم البحث على مدخل، وستة فصول، أعقبها موازنة وتقييم، ثمّ خاتمة تلخّص أهمّ النتائج التي وصل إليها البحث.

المدخل بعنوان "إطلاقة على الدّرسِ البيانيّ القرآنيّ"، وقد اشتمل على توضيح مفهوم الإعجاز والإعجاز البيانيّ للقرآن، وعلى بيان تقارب مفهومات البلاغة والبيان والنّظم، ثمّ عرّف الدّرسَ البيانيّ مؤكّدًا ضرورته والحاجة إليه، لينتقل بعدها إلى الحديث عن العلوم التي يحتاج إليها المتصدّي للدّرسِ البيانيّ.

والفصل الأول بعنوان "الدّرسِ البيانيّ القرآنيّ القديم أصولُه وأعلامُه"، وقد بحث في الأصول البعيدة للدّرسِ البيانيّ، ورأى أنّها ترجع إلى عصر صدر الإسلام؛ فالرسول ﷺ تناول بعض آيات الذّكر الحكيم بالشرح والبيان، وعلى نهجه سار الصّحابة والتّابعون ﷺ، إذ راح بعضهم يبيّن معنى لفظةٍ أو آيةٍ، مما لم يجدوا بياناً له من الرسول ﷺ ويجتهدون في آرائهم بناءً على معرفتهم العميقة بلغة العرب وطرائقها في التّعبير. ثمّ أعقب ذلك حديثٌ عن الدّرسِ البيانيّ في عصر التّدوين أوضح كيف اتخذ الدّرسُ البيانيّ في ذلك العصر مهمّة الدّفاع عن القرآن الكريم لنفي ما أثاره المشكّكون من شكوك وأباطيل تتناول أساساً مصدره الإلهيّ.

ثمَّ كان حديثٌ عن أعلامِ الدَّرسِ البيانيِّ القدماءِ من لغويين ومتكلمين وبلاغيين وأدباءٍ مقدِّراً جهودهم التي نُظِرَ إليها على أنَّها حلقاتٌ في سلسلةٍ يُكْمَلُ بعضها بعضاً، ويضيف بعضها إلى بعضٍ، إلى أن وضحت معالمُ طريقِ الدَّرسِ البيانيِّ القرآنيِّ، وبانت الخيوطُ الأساسية في نسيجه، وغداً منهجاً واضحاً.

وكان الفصلُ الثَّاني بعنوان "مؤلَّفاتِ الدَّرسِ البيانيِّ القرآنيِّ في العصرِ الحديث"، وقد بيَّنَ البحثُ في هذا الفصلِ نماءَ الدَّرسِ البيانيِّ في العصرِ الحديث، وتوقَّفَ عند الأمور التي أدَّت إلى هذا النِّماء، ثم عرَّفَ بالمؤلَّفاتِ البيانيَّةِ مُصنِّفاً إيَّها تبعاً لنوعِ المؤلِّف.

ليأتي الفصلُ الثالثُ بعد ذلك فيتكلَّمُ على "أعلامِ الدَّرسِ البيانيِّ المُحدثين ومناهجِ درسهِم"، وقد انتقى البحثُ في هذا الفصلِ أبرزَ الدَّارسين البيانيين المُحدثين الذين كان لدرسهِم صِداه في الدِّراساتِ البيانيَّةِ القرآنيَّة، وكانت لهم آثارٌ واضحة في هذا الميدان. ويأتي في مقدمتهم سيِّد قطب ومصطفى صادق الرَّافعي والدكتورة عائشة عبد الرحمن والدكتور فاضل السَّمرائي وغيرهم. وجاء ههنا حديثٌ عن مناهجِ درسهِم والاتجاهاتِ العامَّة التي حكمت جهودهم والموجهاتِ الأساسية في كل اتجاه. ولا شكَّ في أنَّ لكلِّ مزاياه وإسهاماته في إغناء المنهجِ البيانيِّ وتوسيعِ آفاقه.

وحاولَ البحثُ بعد ذلك أن يلمَّ بمجالاتِ البحثِ التي تناولها الدَّارسون المُحدثون للقرآن الكريم في تحليلهم النُّصوصِ القرآنيَّة وفق المنهجِ البيانيِّ؛ فكان الفصلُ الرابع بعنوان "الدَّرسُ البيانيُّ القرآنيُّ الحديثُ في فضاءِ المفردةِ القرآنيَّة"، وقد عني البحثُ فيه بالتَّفريق بين الألفاظِ المُتقاربةِ الدَّلالة في القرآن، وبيانِ القيمِ التَّعبيرية في صيغِ الكلماتِ القرآنيَّة من اسميَّةٍ وفعليةٍ، وتعريفٍ وتذكيرٍ، وإفرادٍ وتثنيةٍ وجمعٍ، وتذكيرٍ وتأنيتٍ، ونحوها.

وكان الفصلُ الخامسُ بعنوان "الدَّرسُ البيانيُّ القرآنيُّ الحديثُ في فضاءِ الجملةِ القرآنيَّة"، وقد عني هذا الفصلُ بدراسةِ بعضِ ظواهرِ العدولِ في البنياتِ الشكليَّة للنَّصِّ القرآنيِّ و المعاني التي أدَّتْها في القرآن، وهي التَّقديم والتَّأخير، والحذف، والالتفات.

وحملَ الفصلُ السادسُ العنوان "الدَّرسُ البيانيُّ القرآنيُّ الحديثُ في فضاءِ الجملِ القرآنيَّة (الأسلوب)"، وتركَّزَت الدِّراسةُ فيه على التَّرباطِ بين الآيات، والتكرار، والفواصلِ القرآنيَّة، فبيَّنت بعض دلالاتها من خلال الآياتِ القرآنيَّة، إضافةً إلى البحثِ في الصورِ القرآنيَّة وألوانِ البديعِ القرآنيِّ، وبيانِ أثرها في المعنى إضافةً إلى الأثرِ الفنيِّ الذي تركته.

وجاء بعد ذلك موازنةٌ وتقييم، الغايةُ منها أن يوازنَ البحثُ بين جهودِ دارسيِّ البيانِ القرآنيِّ قديماً وحديثاً، ليبرزَ نواحي التَّقاربِ ونواحي الاختلافِ في التَّناولِ البيانيِّ

القرآنيّ عند الدّارسين القدماء والمُحدثين، وبيّن مجالي التّكرار والإعادة في تناول المُحدثين، ويُظهر مواطن الجِدّة ونواحي الإبداع والإضافة في تناولهم، ويؤكّد قابلية النّصّ القرآنيّ نفسه لفتح آفاق جديدةٍ للتّناول البيانيّ بحسب المُتأمّل أنّها موجودةٌ بالقوّة في هذا المَتْن، ولا تحتاج إلّا إلى قلوبٍ نُزعت عنها أفعالها، وأعينٍ تُبصر وآذانٍ تسمع.

وختمت الفصول الستة بخاتمة تلخّص أهمّ النّتائج التي انتهى إليها البحث.

وبعدُ، فلا بدّ في الختام من كلمةٍ شكرٍ لكلّ من أسدى إليّ معروفًا أو مدّ إليّ يدَ العون أو شحذَ همّتي وقوّى عزمي؛ امتنانًا لهم وإجلالًا لفضلهم.

الشّكرُ قبل كلّ شكرٍ لمانح العقلِ والقدرة سبحانه، ثمّ لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور عيسى علي العاكوب أستاذِ البلاغة والنقد في جامعة حلب وعضوِ مجمع اللغة العربية الذي واكب رحلةَ بحثي موجّهًا ومرشدًا ومحدّدًا لإطار البحث ومعالم طريقه، وقد بذلَ الغاية في التّوجيه، فجزاه الله كلّ خير، وبارك له بما تعلّم وعلم، وأبقاه نحرًا يستقي طلابُ العلم مما أفاض عليه المولى من علمٍ وسلوك.

وإنّه حقّ معلومٌ عليّ أنّ أتقدّم بجزيل الشكر للسادة الأساتذة أعضاء لجنة الحكم، الذين تفضّلوا بقراءة البحث وتصويب أخطائه ليرقّوا به نحو الكمال:

- الأستاذ الدكتور أحمد محمّد قدور أستاذ علوم اللغة العربية في جامعة حلب وعضو مجمع اللغة العربية.
- السيّد الدكتور هيثم غرّة مدرّس البلاغة في جامعة دمشق.
- السيّد الدكتور أحمد محمّد ويس مدرّس نظرية الأدب في جامعة حلب.
- السيّد الدكتور سمير معلوف مدرّس البلاغة في جامعة البعث.

والله سبحانه أسألُ أن يهديني سبلَ الرشاد، وأن يكونَ هذا البحثُ قد زوّدني بعلم ومعرفة يكونان عونًا لي في دراساتٍ أخرى.

والحمدُ لله الذي يسّرَ وأعان

إيمان معاز



This document was created with Win2PDF available at <http://www.daneprairie.com>.  
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.



## المدخل

### إطالةٌ على الدرس البيانيِّ القرآنيِّ

- مفهوم الإعجاز والإعجاز البيانيِّ للقرآن الكريم:

- الإعجاز لغةً وشرعاً:

الإعجازُ لغةً إثباتُ العَجَزِ. والعَجَزُ هو القُصُورُ عن فِعْلِ الشْيءِ. يُقال: عَجَزَ فلانٌ عن الأمر، إذا حاوله فلم يَسْتَطِعْهُ، ولم تَتَّسِعْ له مقدرتهُ وجهدهُ<sup>(١)</sup>. و"معجزةُ النَّبيِّ ﷺ: ما أعجزَ به الخَصْمَ عند التَّحَدِّي"<sup>(٢)</sup>. فالعجزُ ضد القدرة، وإذا ثبت الإعجاز، ظهرت قدرةُ المُعْجِز، ووضحت المعجزة.

والمعجزة شرعاً: "أمرٌ خارقٌ للعادة، مقرونٌ بالتَّحَدِّي، سالمٌ عن المعارضة"<sup>(٣)</sup>.

وفي المعجم الوسيط: "المعجزة أمرٌ خارقٌ للعادة يُظهِرُهُ اللهُ على يد النَّبيِّ تأييداً لنبوته وما يُعْجِزُ البشرَ أنْ يأتوا بمثله"<sup>(٤)</sup>.

فالمهمُّ في المعجزة أنْ تَفارِقَ المعتادَ من أفعال النَّاسِ، وأنْ تتجاوزَه، وإنْ كانت من جنس ما تعمل قدراتهم فيه.

١ - ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، نسَّفه وعلَّق عليه علي شيري، ط/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م: مادة عجز ج ٥٨/٩.

٢ - الفيروزآبادي، مجد الدِّين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق عبد الخالق السَّيد عبد الخالق، ط/١، مكتبة الإيمان، المنصورة، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م: ص ٤٤٢.

٣ - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، تعليق د. مصطفى ديب البغا، ط/٤، دار ابن كثير، دمشق وبيروت، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م: ج ٢/ ١٠٠١. وسالمٌ عن المعارضة: أي يسلم عن أن يعارضه أحد ويأتي بمثله، بعد تحدي المنكرين أن يأتوا بمثله، إن كانوا يزعمون أنه من فعل البشر.

٤ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، أشرف على طبعه عبد السَّلام هارون، مطبعة مصر، ١٣٨١هـ-١٩٦١م: ج ٢/٥٩١.

والمعجزاتُ على ضربين: ماديّة، وهي التي تدركها الحواس وتُشعر بها، ومعنويّة، وهي التي ينفرد العقل بمخاطبتها وإدراكها. وقد أيدَ الله نبيه محمداً ﷺ بمعجزات ماديّة كثيرة<sup>(١)</sup>، وخصّه كذلك بالمعجزة التي تفرّدت بكونها معجزةً باقيةً خالدة، أقامت الحجّة وكانت آية الإعجاز والتّحدّي، ألا وهي القرآن الكريم.

ولمّا كان القرآنُ الكريم معجزةَ الرسول ﷺ الباقية<sup>(٢)</sup> دون غيرها من المعجزات، ولمّا كان العربُ حينها قد بلغوا من الفصاحة والبيان ما بلغوه إذ كانوا كما يصفهم الجاحظ: "أكثرَ ما كانوا شاعراً وخطيباً، وأحكمَ ما كانوا لغةً، وأشدّ ما كانوا في البيان عدّةً، لهم القصيدُ العجيب، والرّجَزُ الفاخر، والخطبُ الطّوالُ البليغة، والقصارُ الموجزة، ولهم الأسجاعُ والمزدوجُ واللفظُ المنثور"<sup>(٣)</sup>، لمّا كان الأمر كذلك كان القرآنُ أوّل ما كان بالنسبة لهم معجزة في البلاغة وروعة البيان.

فعلى الرّغم من أنّ البلاغة كانت السّمة المائزة للعرب، وعلى الرّغم من أنّ القرآنَ نزل عليهم بلغتهم التي ألفوها، فقد عجزوا عن أن يأتوا بسورةٍ من مثله، رغم أنّهم رأوا فيه ألفاظاً كتلك التي عرفوها، ووجدوا فيه عباراتٍ كتلك التي تكلموا بها، وتأمّلوا معانيه فما وجدوا فيها ما يبدو مختلفاً كبيراً اختلافاً عمّا تداولوه، ومع ذلك لم يستطيعوا، مع شدة حرص بلغائهم على معارضته كما سنرى، أن يجاروه في بلاغته وروعة بيانه، بل أعياهم ذلك، فلم يملكوا إلّا الاعتراف بالعجز عن معارضته أو مجاراته في البلاغة والبيان.

١ - من المعجزات الماديّة لسيدنا محمد ﷺ نبع الماء من بين أصابعه، وانشقاق القمر، وغيرها.

٢ - القرآنُ معجزة باقية لأنّه معجزة قائمة بذاتها، وليست كمعجزات الأنبياء السّابقين والتي كانت مرتبطة بأشخاصهم ومتوامة مع ما هو سائدٌ في زمن كلّ منهم فحسب؛ فمعجزةُ سيدنا موسى "العصا"، قد زال أثرها من الوجود بزواله، ومعجزة سيدنا عيسى عليه السلام كانت منوطة بشخصه كإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى. يُنظر بتوسع التّفريق بين المعجزات الماديّة والعقليّة: السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن: ج٢/١٠٠١-١٠٠٤.

٣ - الجاحظ، عمرو بن بحر، رسائل الجاحظ، رسالة حجج النبوة، ضمن رسائل جمعها ونشرها السندوبي، ط/١، المطبعة الرّحمانية، مصر، ١٣٥٢هـ-١٩٣٣م: ص ١٤٤ ويُنظر ما بعدها.

### - إعجاز القرآن البياني :

إنّ مناحي الإعجاز القرآني متعدّدة متشعّبة، ولكنّ المنتبّع لها ولما ورد عن العلماء من آراء في هذا الصّدّد يجد أنّه: "رغم اختلاف مذاهب السلف من علماء المسلمين في بيان الإعجاز، وتعدّد أقوالهم في وجوهه، لم يكن إعجازه البلاغيّ موضع جدلٍ أو خلاف قطّ، بل كان الجدلُ في اعتباره الوجه في الإعجاز، أو القول بوجوده أُخرى معه<sup>(١)</sup>. وذلك لأنّ الإعجاز البيانيّ هو سمة بارزة في القرآن الكريم بأكمله، أمّا الأوجه الأخرى مثل أخبار الغيب، والإعجاز العلميّ، والإعجاز التشريعيّ وغيرها فربّما بدا الوجه منها في بعض الآيات ولاخ غيره في غيرها وهكذا..<sup>(٢)</sup>، وفي هذا السّياق يقول حازم القرطاجني: "وجه الإعجاز في القرآن من حيث استمرّت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحاء في جميعه استمراراً لا توجد له فترة، ولا يقدرُ عليه أحد من البشر"<sup>(٣)</sup>.

فالعلماء أجمعوا على إعجاز القرآن البيانيّ، وهو إعجازٌ فرض وجوده منذ أن تلا المصطفى، عليه الصلّاة والسّلام، في قومه ما تلقى من كلمات ربّه التي تحيّرت العرب في أمرها، فنسبتها حيناً إلى السّحر، وحيناً إلى الشّعْر: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ﴾<sup>(٥)</sup>. وما ذلك إلّا لدهشتهم من بلاغة هذا الكتاب، وشدّة تأثيره في النفوس.

١ - عبد الرحمن، د. عائشة "بنت الشاطي"، الإعجاز البياني للقرآن، ط/١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م : ص ٦٩.

٢ - يُنظر عتر، د. نور الدين، علوم القرآن الكريم، ط/٦، مطبعة الصباح، دمشق، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م: ص ٢٠٩.

٣ - القرطاجني، أبو الحسن حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، ط/٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م: ص ٣٨٩.

٤ - سورة المدثر : ٢٤.

٥ - سورة الأنبياء : ٥.

إنَّ هذا الإحساسَ بتأثير القرآن الكريم والعجبَ من أسلوبه وبيانه وأفكاره، قد سيطر على مَنْ آمَنَ به، وعلى مَنْ ظلَّ على كفره وعناده؛ إمَّا تمسكًا بدين الآباء، وإمَّا نضالًا عن أوضاع دينية واقتصادية واجتماعية لم يكن يريد لها أن تتغير<sup>(١)</sup>.

وتروي كتبُ السيرة الكثيرَ من الأخبارِ عمَّن كان الإعجازُ البيانيُّ سببًا في إسلامهم كقصة إسلام عمرَ بن الخطاب، وكذلك في حديث بيعة العقبة<sup>(٢)</sup>، حيث كان الإعجازُ البيانيُّ سببًا في إسلام أُسَيْدِ بنِ حُضَيْرٍ ثمَّ سعد بن معاذ ومن ورائه قومه بني عبد الأشهل. كما تُروى أقوالٌ من تأثروا بالقرآن الكريم، وأقروا بإعجازه، وإن استمروا على كفرهم وعنادهم، كالوليد بن المغيرة، وكان من أقدر الناسِ على الإحساسِ ببلاغةِ الكلام والحكمِ عليه، إذ قال في القرآن قولته المشهورة "والله إنَّ لقوله حلوة، وإنَّ أصله لعنقٌ، وإنَّ فرعه لجناةٌ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلَّا عُرِفَ أنَّه باطل"<sup>(٣)</sup>. ويريد بقوله: "وما أنتم بقائلين من هذا شيئًا" ما أرادوا أن يصفوا به القرآن بأنه سحرٌ، أو شعرٌ، أو أساطيرُ الأولين. فقد نفى الوليدُ عن القرآن كلَّ هذه الصقات، ولم يقل ذلك مختارًا ولا مؤمنًا بمحمد ﷺ وبما جاء به من ربِّه بل هو الحقُّ، ظهر له فلم يطق كتمانها.

وكان من بعض معانديهم مَنْ يلذُّ له استماعُ القرآن مُستترقًا، ليرضي فتنَةَ نفسه بهذا الإعجاز البيانيِّ، كما في قصة أبي سفيان بن حرب، وأبي جهل بن هشام، والأخنس

١ - يُنظر عبد الرحمن، د. عائشة، الإعجاز البياني: ص ٤٠.

٢ - ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري، السيرة النبوية، حقَّقها وضبطها مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التراث، بيروت-لبنان، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م: تُنظر القصة كاملة في "قصة إسلام عمر بن الخطاب": ج ١/٣٤٢-٣٤٣. و"قصة بيعة العقبة": ج ٢/٤٣٥-٤٣٨.

٣ - تُنظر القصة كاملة في سيرة ابن هشام: ج ١/٢٧٠-٢٧١. وتُنظر أيضًا في الجرجاني، عبد القاهر، الرسالة الشافية في الإعجاز، ملحق بـ "دلائل الإعجاز"، علَّق عليه محمود محمد شاكر، ط/٣، مطبعة المدني، القاهرة وجدة، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م: ص ٥٨١ وما بعدها. و"العنق": النخلة التي ثبت أصلها، وطاب فرعها إذا جُني. و(العنق)، رواية ابن إسحاق، وروى ابن هشام "إنَّ أصله لغدق" و(الغدق): الروي المخصب.

ابن شريق<sup>(١)</sup>. فقد أقرَّ المشركون، على الرغم من تحييرهم في صفة القرآن الكريم، بأنَّ له من السلطان على عقولهم وأفئدتهم ما لم يعهدوا له شبيهاً إلا في أخذة السحر ونفوذ الشعراء والكهَّان.

وكانت صفة الشعر أقرب ما تعلقوا به، ذلك أنَّ الشعرَ كان مجالَ تفوق العرب، وميدانهم إذا تجاروا في الفصاحة والبيان، لذلك حرص القرآن الكريم على أن ينفى عن المصطفى ﷺ هذه الشاعرية، لا ذمًّا للشعر كما ذهب الباقلاني في الفصل الذي عقده في "نفي الشعر من القرآن"<sup>(٢)</sup>، ولكن لأنَّ الشعرَ مظنةُ الالتباس بالمعجزة البيانية، نفاذاً في وجدان العربيِّ وسلطاناً على فؤاده وعقله ومكنون ضميره.

وأول ما نزل من ذلك آية "يس" المكية: ﴿وَمَا عَلَّمَاهُ الشَّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ \* لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup> ونصُّ الآية صريح في تحديد صفة القرآن وبيان مهمته ورسالته، وليس إعلاناً عن موقفٍ عدا للشرع. أمَّا الآياتُ المدنيَّة من سورة الشعراء المكية: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ \* أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ \* وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، والتي يحتجُّ بها بعضهم على ذمِّ الشعر، فهي تتحدَّث عن شيء من طبيعة الشعراء والموقف منهم، وتبيِّن أنَّ المقصود بالذمِّ، الشعراء المشركون الذين يُخضعون شعرهم لنزواتهم، ويهيئون في أودية الباطل، ويبتعدون عن الحقِّ. أمَّا من سواهم من الشعراء المؤمنين فقد استثناهم الذكر الحكيم من الحكم السابق لأنَّ الشاعِرَ المؤمنَ يعتقد ويعمل بمقتضى عقيدته، ويعمد بقوله لنصرة الحقِّ

١ - للاطلاع على القصة كاملة يُنظر: سيرة ابن هشام، ج ١/٣١٥-٣١٦.

٢ - يُنظر الباقلاني، محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، ط/٣، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م: ص ٥١ وما بعدها.

٣ - سورة يس : ٦٩-٧٠. ومن الآيات التي وردت في نفي كون القرآن شعراً: [الصافات: ٣٦-٣٧]، [الأنبياء: ٥]، [الطور: ٢٩-٣١]، [الحاقة: ٣٨-٤٣].

٤ - سورة الشعراء : ٢٢٤-٢٢٦.

الذي اعتنقه. ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾<sup>(١)</sup>.

هذا هو منهج الشعراء، وهو بلا ريب، منهجٌ يختلف عن منهج محمد ﷺ، فمحمد ﷺ "مبلغٌ، وليس شاعراً، لأنّ البلاغ يستدعي موقفاً إيمانياً، والشعر لا يترتب عليه موقف، لأنه في معظمه قولٌ من دون فعل"<sup>(٢)</sup>.

فالعربُ، مع كون البلاغة السّمة الشائعة المميزة لهم، تحيّرُوا أمام هذا الكتاب الكريم، وأدركوا من أسرار إعجازه البيانيّ ما دفعهم إلى وصف سحر بيانه وسلطانه على العقول والأفئدة بما لم يعهدوا له شبيهاً إلا في الشعر والسحر والكهانة، رغم إدراكهم بأنّه ليس شيئاً من ذلك كلّهُ، وما ذاك إلا لقناعتهم بما فيه من الفضل والمزيّة، وأنّه فوق ما عرفوا من كلام البشر.

وبالطّبع فإنّ إعجاز القرآن الكريم من هذا الوجه البيانيّ حجّةٌ على العرب، لأنّهم هم الذين يُدركون هذا المعنى فيه، والعربُ حجّةٌ على سائر النّاس، لأنّهم إذا رأوا أنّ أربابَ هذه اللغة وأدباءها قد قصر بهم الطوق عن تأليف مثله، أدركوا أنّه معجزٌ، وأنّه ليس ممّا يقدر عليه البشر<sup>(٣)</sup>. ويحمل قوله تعالى عنهم: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾<sup>(٤)</sup> دليلَ عجزهم، فلو كانوا على ما وصفوا به أنفسهم من القدرة على المجيء بمثل القرآن،

١ - سورة الشعراء : ٢٢٧. وقيل: يريد شعراء النبي ﷺ الذين ينتصرون له ويُجيبون المشركين عنه، كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رَوَاحَة. وقد قال فيهم النبي ﷺ "هؤلاء النّفَرُ أشدُّ على قُرَيْشٍ من نَضْحِ النَّبْلِ" يُنظر القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق، العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدّين عبد الحميد، ط/٣، مطبعة السّعادة، مصر، ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م : ج١/٣١. ونضح النَّبْلِ: الرّمي بها.

٢ - العاكوب، د. عيسى علي، التّفكير النقدي عند العرب، ط/٢، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، ودار الفكر، دمشق-سورية، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م : ص٤٨. ويُنظر ما قبلها.

٣ - يُنظر ما كتبه الباقلاني في إعجاز القرآن: ص٢٥١-٢٥٩. ويُنظر الجرجاني، الرّسالة الشافية: ص٥٧٥.

٤ - سورة الأنفال: من الآية ٣١.

لتجاوزوا الوعدَ إلى الوفاء بما ادَّعوا، فلما لم يُنجزوا ما وعدوا، عُلِمَ عجزهم وقصور باعهم.

وتروي كتبُ السيرة أنَّ قَلَّةً من النَّاسِ ممَّنْ أنسوا في أنفسهم قدرةً بلاغيَّةً حاولوا معارضةَ القرآن الكريم، لكنَّهم لم يأتوا إلَّا بالمدفوع السَّاقط الذي لا يمكن أن يُقاس بالقرآن فضلاً عن أن يجاريه. منهم مُسَيِّمَةُ الكَذَّابِ<sup>(١)</sup>، وطلّيحة بن خويّلد الأَسدي، و سَجَّاح بنت الحارث التَّميميَّة<sup>(٢)</sup>، وغيرهم<sup>(٣)</sup>.

وقد سجَّلَ القرآنُ هزيمَتَهُمُ النَّهائيَّةَ في باب البيان في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَآ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾<sup>(٤)</sup>.

ولعلنا نستطيع بعد هذا أن نخلصَ إلى أنَّ الإعجازَ البيانيَّ للقرآن الكريم كان من أبرز وجوه الإعجاز في هذا الكتاب الكريم، بل لعلّه بدا أعلاها وأقومها للبرهنة على كونه ليس من كلام البشر، وأنّه معجز في روعة البيان وبلاغة الخطاب كما هو معجز في المناحي العلميَّة، والأمور الغيبيَّة وغيرها من وجوه الإعجاز. فالقرآن الكريم كتابٌ عقيدةٌ

١ - تنبأ باليمامة في بني حنيفة في أواخر حياة النبي ﷺ و زعم أنَّ له قرآناً آخر يُوحى إليه من السماء، وقد جاء في قرآنه هذا فيما رِووا، قوله: "إنا أعطيناك الجماهر ، فصلُّ لربك وجاهر، ولا تطع كل ساحر...." وقد أطال الجاحظ في كتابه الحيوان في السخرية به وبقرآنه. وأورد الباقلائي بعض ما روي عنه في كتابه إعجاز القرآن: يُنظر ص ١٥٦-١٥٧.

٢ - تنبأت بعد وفاة الرسول ﷺ، وتزوَّجت مُسَيِّمَةَ، وكانت تزعم أنَّه يُوحى إليها.

٣ - هناك محاولات لمضاهاة القرآن الكريم تُنسب إلى ابن المقفع وأبي العتاهية وابن الرَّاوَندي وغيرهم، وأياً كان القول في صحَّة هذه المحاولات فإنَّ ما هو حقيقة لا يدانيها الشك أنَّ الأفقَ الجماليَّ القرآنيَّ كان مثلاً في الذهنِيَّة العربيَّة على مدى عدَّة قرون، وكان حافزاً على الارتقاء بنماذج البيان العربي جملة. يُنظر بتوسُّع حول من ادَّعى معارضة القرآن، وما عُوِّض به: الرَّافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، تحقيق محمد سعيد العريان، ط/٤، مطبعة الاستقامة، مصر، ١٣٥٩هـ-١٩٤٠م: ص ١٧٨-١٩٣.

٤ - سورة الإسراء : ٨٨.

وتشريع سماوي، ومواعظ وأخبار، وأوامر وزواجر،... إلّا أنّ ذلك لم يحل دون تميّز القرآن بوصفه منهلًا بلاغيًا، ونصًا أدبيًا راقياً.

والواقع أنّ دراستنا للقرآن الكريم لن نتناوله كتابًا تشريعيًا ولا أصلًا دينيًا، بل من حيث هو كتاب يقف في قمة البلاغة العربيّة، انطلاقًا من أسلوبه الذي عجز الفصحاء عن أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا؛ لنتعرّف بعض الأسرار الإعجازيّة في هذا الكلام العربيّ المبين، التي من أجلها كان القرآن الكريم بهذه المكانة العالية، التي لا ينالها أحدٌ، ولا يطمع فيها بشرٌ، مع أنه كلام من الكلام العربيّ المألوف والمعروف!.

### – تقاربُ مفهومات البلاغة والبيان والنظم:

بحث العلماء والأدباء الإعجازَ البيانيّ للقرآن الكريم على حسب تصوّرهم معناه، وقدموا دراساتٍ مهمّة، سُمّيت حينًا بالإعجاز البيانيّ، وأحيانًا بالإعجاز الفنيّ، أو بالإعجاز البلاغيّ، أو الأدبيّ، وأحيانًا أخرى بإعجاز النظم، وغيرها. وهي مصطلحات لا تتباعد كثيرًا في مدلولها، كما لا تتباعد في موضوعها، إذ إنّ موضوعها جميعًا البيان القرآنيّ. لذلك سنتناول في هذه الفقرة تعريف كلّ من البلاغة والبيان والنظم مشيرين إلى الفروق الدقيقة بينها، وإلى ارتباط نشأتها بالدراسات القرآنيّة والبحث في أسباب الإعجاز.

#### – البلاغة:

البلاغة في اللغة من "بَلَّغَ الشَّيْءُ، يَبْلُغُ بُلُوغًا وَبَلَاغًا: وَصَلَ وَانْتَهَى، وَقَوْلُهُمْ: 'بَلَّغْتُ الْغَايَةَ إِذَا انْتَهَيْتُ إِلَيْهَا وَبَلَّغْتُهَا غَيْرِي. وَمَبْلُغُ الشَّيْءِ مُنْتَهَاهُ. وَالْمُبَالِغَةُ فِي الشَّيْءِ الْإِنْتِهَاءُ إِلَى غَايَتِهِ. وَبِالْبَلَاغَةِ الْفَصَاحَةُ. وَرَجُلٌ بَلِيغٌ حَسَنُ الْكَلَامِ فَصِيحُهُ، يَبْلُغُ بِعِبَارَةٍ لِسَانِهِ كُنْهَ مَا فِي قَلْبِهِ"<sup>(١)</sup>.

١ – ابن منظور، لسان العرب، مادة بلغ: ج ٤٨٦/١. ويُنظر العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، الصناعاتين (الكتابة والشعر)، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل، ط/١، دار إحياء الكتب العربيّة، ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م: ص ١٥.



والبلاغة في الاصطلاح "تقع وصفاً للكلام والمتكلم" (١) فقط دون الكلمة لعدم السماع، "بلاغة الكلام مطابقتها لما يقتضيه حال الخطاب" (٢) مع فصاحة ألفاظه في "مفردتها ومركبها" (٣)، "وبلاغة المتكلم هي ملكة في النفس يقتدر صاحبها بها على تأليف كلام بليغ مطابق لمقتضى الحال مع فصاحته في أي معنى قصده" (٤).

"فالميزان الدقيق في البلاغة سؤق الكلام وفق مقتضى الحال، ومناسبة المقام. وكل إخلال بهذا الجانب إخلال بالصياغة الفنية، وتهوين من قدرها وقيمتها" (٥). فبقدر رعاية المقتضيات يرتفع شأن الكلام، ويرتقي صعداً إلى حيث يعجز الإنس والجن أن يأتوا بمثله، وتلك درجة الإعجاز.

وإذا بحثنا في نشأة علم البلاغة يتبين لنا أن علم البلاغة تكون حول البحث في أسباب إعجاز القرآن (٦)؛ إذ كان التعمق في قضايا البلاغة وسيلة لفهم القرآن الكريم والوقوف على وجوه إعجازه، ولم تكن أول الأمر فناً مقصوداً لذاته، إلا أن دراسة هذا الفن تطورت مع التقدم الزمني حتى أصبحت البلاغة فناً قائماً بذاته، وصارت مباحثها منحصرة في ثلاثة علوم: المعاني، والبيان، والبديع، بعد أن كانت مختلطة بعضها ببعض،

١ - العاكوب، د. عيسى علي، المفصل في علوم البلاغة العربية (المعاني - البيان - البديع)، منشورات جامعة حلب، مطبعة المدينة، دمشق، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م: يُنظر بتوسع تفصيل القول في بلاغة الكلام وبلاغة المتكلم ص ٤٨-٥٣.

٢ - مقتضى الحال هو ما يدعو إليه الأمر الواقع. أي ما يستلزمه مقام الكلام وأحوال المخاطب من التكلم على وجه مخصوص.

٣ - الهاشمي، السيد أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م: ص ٢٥.

٤ - الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ص ٢٧.

٥ - شيخ أمين، د. بكري، البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم المعاني)، ط/١، دار العلم للملايين، بيروت، مطبعة العلوم، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: ص ٤٤.

٦ - حويش، د. عمر الملا، تطور دراسات إعجاز القرآن وأثرها في البلاغة العربية، ساعد على نشره جامعة بغداد، مطبعة الأمة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م: ص ٣٨٦. ويُنظر ما بعدها.

ويُطلقُ عليها اسم "البيان"<sup>(١)</sup>. وهذا الاختلاط في علوم البلاغة يرجع إلى أن: "الذوق والفنَّ الرفيع، والبحث عن روعة التعبير كان رائدَ الدارسين القدماء، ولم يكن يشغل بالهم تفرُّعُ البلاغة وتعمُّدُ القواعد لها، وتقسيمُها إلى علومٍ و جزئياتٍ وفروع"<sup>(٢)</sup>.

فالهدفُ من البحث عن مظاهر البلاغة في النصِّ: "نقلُ ما في نفسِ المُتفَنِّ إلى المُتلقِّي بتأثير. وهذا النقلُ في وظيفتين واحدة دنيوية تتصلُ بفنِّ القول العربي، وأخرى دينية تتصلُ بالكشف عن الإعجاز القرآني، والبيان النبوي الشريف"<sup>(٣)</sup>.

وبناءً على ذلك يكون الدرسُ البلاغيُّ للقرآن الكريم درسًا لتعرُّفِ أسرار الإعجاز، سواء أسرارَ الدرس سيرَ علماء البلاغة البلغاء، فسبر الآيات القرآنية وتعمُّق فيها ليصل إلى سرِّ جمالها وروعة بيانها، أم حافظً على القواعد التي ترسّخت واستقرت في معظم الكتب البلاغية.

فالدَّرسُ البيانيُّ البلاغيُّ تراوحَ بين طريقة أرباب الفهم والذوق، وطريقة أرباب العلم والقواعد، والغاية من كلتا الطريقتين إبرازُ ما في كتاب الله من وجوه الجمال التي يمتازُ بها.

#### - البيان:

البيانُ في اللغة الظهورُ والوضوحُ، تقول: بانَ الشيءُ، يبينُ، إذا ظَهَرَ و اتَّضَحَ<sup>(٤)</sup>. و"البيانُ: الإفصاحُ مع ذكاءٍ. والبيِّنُ: الفصيحُ"<sup>(٥)</sup>.

- ١ - علم البيان في اصطلاح المتقدمين من أئمة البلاغة يُطلق على فنونها الثلاثة من باب تسمية الكلّ باسم البعض، وخصّه المتأخرون بالعلم الباحث عن المجاز والاستعارة والتشبيه والكناية. يُنظر عتيق، د. عبد العزيز، البيان العربي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م: ص ٧. ويُنظر الجويني، د. مصطفى الصاوي، مدارس البلاغة المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥م: ص ٧٢.
- ٢ - شيخ أمين، د. بكري، البلاغة العربية في ثوبها الجديد: ص ٤٦.
- ٣ - حمدي أبو علي، د. محمد بركات، كيف نقرأ تراثنا البلاغي، ط/١، دار وائل للنشر، عمان، ١٩٩٩م: ص ٢٥.
- ٤ - ابن منظور، لسان العرب: يُنظر مادة بيِّن ج ١/٥٦٢-٥٦٤.
- ٥ - الفيروزآبادي، القاموس المحيط: ص ١٠٠٩.

**والبيان في اصطلاح البلغاء أصولٌ وقواعد يُعرف بها إيرادُ المعنى الواحد بطرقٍ** يختلفُ بعضها عن بعضٍ في وضوحِ الدلالةِ على نفس ذلك المعنى (ولا بدّ من اعتبار المطابقة لمقتضى الحال دائماً)<sup>(١)</sup>.

فالبيانُ يبحثُ في الأسلوبِ خاصّةً، ومعلومٌ أنّ الفكرةَ الواحدةَ يمكنُ أدائها بأساليبٍ كثيرةً، وهذه الأساليبُ قد تكون في صورةٍ من صور التّشبيهِ أو المجازِ العقليّ، أو المجازِ المرسلِ أو الاستعارةِ أو الكناية. وهي مباحثُ علم البيان الذي تواضع عليه علماءُ البلاغةِ المتأخرون كالسّكاكي والقرويني.

أمّا عند علماء البلاغة القدماء فقد كانت كلمة "البيان" تدلُّ على ما تدلُّ عليه كلمة "البلاغة" وذلك عائداً إلى أنّ معنى البيان لدى البلاغيين هو: "المنطقُ الفصيحُ المُعربُ عمّا في الضمير" وهو ينطبق على علوم البلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبديع، لتعلّقها جميعاً بالبيان<sup>(٢)</sup>.

ونحن هنا ندرسُ البيانَ القرآنيّ، ولا نريدُ بالبيان العِلْمَ المعروفَ بهذا الاسم فقط، بل نريدُ البيانَ بمعناه الشّامِلِ المتسع، الذي لا يفرّقُ بين فنونِ البلاغةِ لأنّها كلّها تخدمُ النّصَّ القرآنيّ وتنبّه على مواطنِ القوّة والوضوح في الآية القرآنيّة، وتكشفُ عن العناصرِ الجماليّةِ فيها. وذلك لأنّ البيانَ، كما تقدّم، يُطلق على معنيين:

١- معنى أدبيّ واسع، يشملُ الإفصاحَ عن كلّ ما يختلجُ في النّفس من المعاني والفكرِ والأحاسيس والمشاعر، بأساليب لها حظّها الممتاز من الدقّة والإصابة والوضوح والجمال، وهو بهذا التعميم يجمع فنون البلاغة الثلاثة.

١ - الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ص ١٥٣. ويُنظر يموت، د. غازي، علم أساليب البيان، ط/١، دار الأصاله، بيروت-لبنان، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م: ص ٨٣-٨٤. إذ أورد الكثير من التعريفات للبيان، قد تختلف تعابير بعضها عن البعض الآخر لفظاً، إلّا أنّها تكاد تتفق في المعنى.

٢ - طبانة، د. بدوي، البيان العربي، (دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية)، ط/١، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٦م : ص ١١٢، و يُنظر ص ٥٠، ويُنظر يموت، د. غازي، علم أساليب البيان: ص ٧٨.

٢- معنى علمي ضيق، وهو التعبير عن المعنى الواحد بطريق الحقيقة أو المجاز أو الكناية كما سلف<sup>(١)</sup>.

ودرسنا للبيان القرآني يُقصد به المعنى الأول العام، مع الإشارة إلى أنّ المعنى الثاني داخل في إطاره، وضمن مفهومه.

ولابدّ لنا من التّويه بأنّ علم البيان بمعناه العلميّ وسيلةً إلى إدراك الإعجاز في القرآن الكريم. لأنّه العلم الذي: "يُعين على تأويل المُشْتَبِهَات من كلام الله، ويُبين ما جاء منه على التّمثيل والتّخييل، ويوضح المُراد من هذه الصور. وإنّ الجهل بهذا العلم يؤدي إلى الزلل في العقيدة والقول بالتّشبيه، فهو إذن علم دراسة الصّور وما تحمله من الأغراض، والمرامي، وعالم البيان هو الذي ينفذ من هذه الصور ويتجاوزها ليصل إلى المراد منها"<sup>(٢)</sup>.

وهكذا نجد أنّ للبيان بمعناه العلميّ أثره في خدمة النصّ القرآنيّ، إذ هو يشرح الأساليب المختلفة ويُجليها، ويبين فضل التعبير بكلّ أسلوبٍ منها. وهو من العلوم التي تولّى غراسها المسلمون في سبيل فهم كتابهم، والدّفاع عن قرآنهم، وكان نموّه بعد ذلك وتشعبُ مباحثه بتأثير الدّين، وبتوجيه المفكرين من حمّلتِه ورجاله.

ويؤكّد عبد القاهر الجرجانيّ شرفَ علم البيان وأهمّيّته، بقوله: "إنّك لا ترى علمًا هو أرسخ أصلًا، وأبسق فرعًا، وأعذب وردًا، وأكرم نتاجًا، من علم البيان، الذي لولاه، لم ترَ لسانًا يحوك الوشيّ، ويلفظ الدُّرّ"، والذي لولا تحفّيه بالعلوم، وعنايته بها، وتصويره إيّاها، لبقيت كامنةً مستورةً، ولما استتبنت لها يد الدهر صورةً، ولا استمرّ السرارُ بأهلّتها،

١ - الجندي، علي، فن التّشبيه، ط/١، مطبعة نهضة مصر، ١٩٥٢م : ج ١/١٧.

٢ - أبو موسى، د. محمد محمد، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشريّ وأثرها في الدّراسات البلاغية، ط/٢، دار التّضامن، القاهرة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م : ص ٢٥٣.

واستولى الخفاء على جملتها، إلى فوائد لا يدركها الإحصاء، ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء"<sup>(١)</sup>.

فعلم البيان ضروري للوقوف على أسرار الكلام، منظومه ومنثوره، ومعرفة ما فيه من تفاوت في فنون الفصاحة، وتباين في درجات البلاغة، كما أنه يساعد في الكشف عن الأسرار الإعجازية في القرآن الكريم.

### - النظم:

النظم في اللغة: استعملت العرب مادة "نظم" ومشتقاتها في معنى التأليف وما يرادفه، فقد جاء في لسان العرب: "النظم التأليف، نظمته ينظمه نظماً ونظاماً، ونظمه فانظم وتنظم. ونظمت اللؤلؤ: جمعته في السلك، والتنظيم مثله، ومنه نظمت الشعر ونظمته"<sup>(٢)</sup>. وجاء في القاموس المحيط: "النظم التأليف، وضمت شئ إلى شئ آخر"<sup>(٣)</sup>. فالمدلول الأصلي لمادة "النظم" هو الاتساق والتناسب بين الأجزاء؛ لأن نظم اللؤلؤ في الخيط يستوجب التناسب، وكذلك نظم الكلام يتطلب دقة الأحكام ووضع كل لفظة بجانب أختها.

والنظم في اصطلاح البلاغيين "التأليف والرصف والضم"<sup>(٤)</sup>. ويجيء بمعنى "الترتيب"، أي ترتيب الألفاظ في العبارة على حدو ترتيب معانيها في الذهن<sup>(٥)</sup>، لأن المعاني هي الأساس ثم تظهر في صور لفظية. وإن الحكم على جمال النظم يكون بحسب المعاني والأغراض.

١ - الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، علق عليه محمود محمد شاكر، ط/٣، مطبعة المدني، القاهرة وجدة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م: ص ٥-٦. والسرار بالكسر، اختفاء القمر في آخر ليلة في الشهر.

٢ - ابن منظور، لسان العرب، مادة نظم: ج ١٤/١٩٦.

٣ - الفيروزآبادي، القاموس المحيط: ص ٩٩٢.

٤ - ينظر العسكري، الصناعتين: ص ١٦١-١٦٢.

٥ - الجرجاني، دلائل الإعجاز: ص ٤٩ ويُنظر ما بعدها حتى ص ٥٦.

وبناءً على هذا، تقومُ فكرةُ النَّظْمِ على أُسسٍ ومعالمٍ من أبرزها عِلْمُ النَّحْوِ لأنَّ "معاني النَّحْوِ هي التي يتعلَّقُ بها الفكر، وهي تمثِّلُ العلاقاتِ بين معاني الكَلَمِ في النَّفْسِ، وإليها يستندُ ترتيبُ هذه المعاني في النَّفْسِ"<sup>(١)</sup>. يقول الجرجاني: "ليس (النَّظْمُ) إلَّا أن تضعَ كلامكَ الوضعَ الذي يقتضيه (علم النَّحْوِ)، وتعملَ على قوانينه وأصوله، وتعرفَ مَنَاهِجَه التي نُهَجَّتْ فلا تزيغ عنها"<sup>(٢)</sup>. كذلك يمزجُ عبدُ القاهر النَّحْوَ بما سمَّاه البلاغيون عِلْمَ المعاني. لأنَّ دراسةَ النَّظْمِ لا تقفُ عند أمر الصَّحَّةِ وعدمها بل تتعدَّاه إلى الجودة.

والنَّظْمُ من المفهومات التي كثر تداولها في الدِّراسات البيانيَّة حديثاً، وتُنسبُ نظريَّتهُ إلى عبد القاهر الجرجاني، مع كونه صلبَ دراسة الإعجاز عند الجاحظ وغيره من العلماء الذين تداولوا معاني هذه النظريَّة وأسسها وإن لم يُصرِّحوا باسمها.

وإنَّ قضيَّةَ الإعجازِ القرآنيِّ هي التي وجَّهت أنظارَ الباحثين إلى نظريَّةِ النَّظْمِ، لذلك كانت دراسة النَّظْمِ القرآنيِّ من صميمِ الدِّرسِ البيانيِّ للقرآن الكريم، فالدرسُ البيانيُّ يترجِّحُ بين الإمعان في المفردات والنَّظْمِ. وسنطالع في دراسات المحدثين دراساتٍ بحثت في البيانِ القرآنيِّ من حيث الصِّياغةُ الفنيَّةُ والنَّسقُ الذي يربطُ الكلمات بعضها ببعض، ودراساتٍ أكَّدت جماليَّةَ المفردةِ القرآنيَّةِ، وبحثت في معانيها والإيحاءات الخاصة بها دون الابتعاد عن السِّياق الذي وردت فيه المفردات.

وهكذا نجد أنَّ العلماء بذلوا جهوداً كبيرة لتعرِّف أسرار كتاب الله، فعلمُ البلاغة وما جدَّ فيها من فروع كانت من أجل الاهتمام إلى نواحي الحسن التي بانَّت في كلام الله وامتاز بها عمَّا دونه من كلام العرب، سواء من ناحية مقاصده ومعانيه أم من ناحية أساليب تأديتها والعبارة عنها.

ولذلك يجوزُ لنا أن نتكلَّم في الدِّرسِ البيانيِّ على البلاغة والنَّظْمِ وغيرهما من المفهومات التي تبحث في الإعجاز البيانيِّ للقرآن الكريم. وإعجازُ القرآنِ البيانيُّ ليس قاصراً على مفهوم عصرٍ معين، أو مقياسٍ عصرٍ ما، بل القرآنُ معجزٌ وفقَ أي ذوقٍ

١ - الجندي، د. درويش، نظرية عبد القاهر في النَّظْمِ، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٠م : ص ٥٣.

٢ - الجرجاني، دلائل الإعجاز : ص ٨١.

سليم أو مقياس فنيٍّ جماليٍّ صحيح، يتجدد عبر العصور، فهو معجزةٌ بيانيّةٌ لا تنتهي، تنقضي الأجيالُ والأحقاب، ولا ينقضي ما فيه من عجائب، بل قد تنقضي الدنيا كلّها ولما يحط الناس بتأويل كلِّ ما فيه، يقول تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾<sup>(١)</sup>.

## - الدرسُ البيانيُّ القرآنيُّ والحاجةُ إليه:

### الدرسُ البيانيُّ:

من المناهج التي انتهجها الدارسون في درس القرآن وتفسيره المنهجُ البيانيُّ، وهو المنهجُ الذي تدور مباحثه حول بلاغة القرآن الكريم في صورهِ البيانيّةِ من تشبيهٍ واستعارةٍ وكنايةٍ وتمثيلٍ ووصلٍ وفصلٍ وما يفرغُ عن ذلك من استعمالٍ حقيقيٍّ أو استخدامٍ مجازيٍّ أو استدراكٍ لفظيٍّ، أو استجلاءٍ للصورة، أو تقويمٍ للبنية، أو تحقيقٍ في العلاقات اللفظيّةِ والمعنويّةِ أو كشفٍ للدلالات الحاليّةِ والمقاليةِ<sup>(٢)</sup>.

ويعرفه الدكتور فاضل السامرائي بأنه: "بيانٌ لأسرار التّركيب في التّعبير القرآني، فهو جزءٌ من التّفسير العام تنصبُّ فيه العنايةُ على أسرار التّعبير من النّاحية الفنيّة كالنّقديم والتّأخير والذّكر والحذف واختيار لفظة على أخرى وما إلى ذلك مما يتعلّق بأحوال التّعبير"<sup>(٣)</sup>. ويُضافُ إلى ذلك كشفُ كمال المعنى المعتمد على خصائص التّراكيب، وكلِّ مجالٍ القوة البيانيّة القرآنيّة المعتمدة على مُعطيات ما عُرِف فيما بعد بعلم البيان والتّحاسين المعنويّة واللفظيّة المعروفة في علم البديع.

١ - سورة الأعراف : ٥٣.

٢ - الصّغير، د. محمد حسين علي، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط/١، بيروت-لبنان، ١٤٠٣-١٩٨٣م : ص ١٠٣.

٣ - السّامرائي، د. فاضل صالح، على طريق التّفسير البياني، النّشر العلمي جامعة الشارقة، الشارقة-الإمارات المتحدّة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م : ج ١/٧.

فالبحت عن مظاهر البلاغة العالية، وعن التفاوت في الدلالة على المعنى الواحد هو الميدان الذي يتحرك فيه الدرس البياني، ويسعى إلى الكشف عنه وتوضيحه. وهو موضوع التفاوت الذي عبّر عنه الرسول ﷺ بقوله: "إنكم تختصمون إليّ، وإنما أنا بشر، ولعلّ بعضكم ألحن بحجّته من بعض، فمن قضيت له من حقّ أخيه شيئاً فلا يأخذه، فإنّما أقطعُ به قطعةً من النار" (١).

فالتفاوت في انتقاء المعاني الجزئية التي يتألف منها الفكر المراد بيانه في الجملة، هو عمدة البلاغة وركن من أركان السحر البياني، وبهذا التفاوت يتفاضل الكتاب وتتمايز طبقاتهم ومراتبهم تمايزاً نشعر به ولكننا في أكثر الأحيان لا نعرف سببه؛ لأنّه راجع بالأكثر إلى فطرة الكاتب وحسن تخيله من جهة، وإلى إحاطته بالمعنى الذي يُراد بيانه ونسبته إلى غيره من المعاني التي تناسبه وتأتلف معه من جهة أخرى.

وقد شبّه الدكتور محمد عبد الله دراز البيان بالبنيان، وقال: "إنّ مثل صنعة البيان كمثل صنعة البنيان، فالمهندسون البناؤون لا يخلقون مادّة بناء لم تكن في الأرض، ولكنهم تتفاضل صناعاتهم، كذلك ترى أهل اللغة الواحدة يؤدّون الغرض الواحد على طرائق شتى، يتفاوت حظّها في الحُسْن والقبول، وما من كلمة من كلامهم، ولا وضع من أوضاعهم بخارج عن موادّ اللغة وقواعدها، لكنّ حُسْنَ الاختيار قد يعلو بالكلام حتى يسترعي سمعك، ويتلج صدرك، ويملك قلبك" (٢).

فالشأن إذن في الاختيار، الذي على حسبه يقع التفاوت في درجات الكلام وفي حظّه من الحُسْن والقبول، والقرآن الكريم انفراد في تأليف كلامه واختيار ألفاظه وارتقى إلى درجة تتجاوز طرائق العرب في التعبير وتصل إلى مرتبة الإعجاز.

١ - يُنظر الحديث في النسائي، الإمام أحمد بن شعيب، سنن النسائي، اعتنى به أحمد مستو، ط/١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م : ص ٨٣٧.

٢ - دراز، د. محمد عبد الله، النبأ العظيم "نظرات جديدة في القرآن"، ط/٨، دار القلم، الكويت، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦ : ص ٩٠.



وبناءً على ذلك، يبحثُ الدرسُ البيانيُّ في شيءٍ وراءَ صِحَّةِ اللفظ، أو صحة التركيب، أو صحة الوزن والقافية، إنَّه يدرسُ الأسبابَ والعواملَ المؤدِّيةَ إلى المتعة الفنِّية، وإحداثِ التأثيرِ في نفس القارئِ والسَّامع، ويضعُ يده على الخصائص التي تعرض في نَظْمِ القرآن الكريم فتجعله معجزاً يبهِّر الفصحاءَ ببلاغته وبيانه. ولا نكون مجوِّدين فيه "حتَّى تكون معرفتنا معرفة الصَّنَعِ الحاذق، الذي يعلم علمَ كلِّ خيطٍ من الإبريسم الذي في الدباج، وكلُّ قطعةٍ من القطع المنجورة في الباب المقطَّع، وكل أجرَّة من الأجرِّ الذي في البناء البديع" (١).

وشأنُ القرآن الكريم في ذلك شأنُ أيِّ أثر أدبيٍّ يتناوله الناس، إذ يفهمه كلُّ منهم بحسب درجته العقلية، ومعلومٌ أنَّه كلما ارتقى الأثرُ الأدبيُّ فصاحةً وجزارةً معنى ازدادَ التفاوتُ في قدرة النَّاسِ على تفهَمهم إيَّاه، لذلك تعدَّدت بالعلماء السُّبُل التي سلَّكوها إلى غايتهم، فنظر كلُّ منهم إلى النَّصِّ القرآنيِّ من زاوية، رأى من خلالها بعض دلائل الإعجاز، واهتدى إلى شيء من أسرارهِ قلَّ أو كثر، حسبَ عطاء الله له، وتبعاً لموهبته وصفاء فطرته، وعمق نظرتِه. وكلَّهم يعترفُ "بأنَّ ما خفي عليهم منه أكثرُ ممَّا فَطَنوا له، وأنَّ الذي وصفوه ممَّا أدركوه أقلُّ ممَّا ضاقت به عباراتهم، ولم تف به إشاراتهم" (٢).

فالدُّرسُ البيانيُّ إذن طريقةٌ لتحديدِ السُّرِّ في استعمالِ الأساليبِ التعبيرية بصيغها المختلفة في مواقف معينةٍ أو في وقائع خاصة، ولتوضيح مفهومات الآيات القرآنية في إطار اللغة والأسلوب، وللتعريف ببعض مواطن الإعجاز.

### الحاجة إلى الدرسِ البيانيِّ:

ليست الحاجةُ إلى تفسيرِ القرآن الكريم وتعليلِ أسرارِ سموه البيانيِّ راجعةً إلى أنَّه كتابٌ مبهمٌ يحتاج إلى إيضاحٍ وتعليل، بل تتجلَّى الحاجةُ إلى ذلك من وجوهٍ أخرى نُجمُها فيما يأتي:

١ - الجرجاني، دلائل الإعجاز : ص ٣٧.

٢ - دراز، النَّبأ العظيم : ص ١٠١.

١- تَفَاوُتُ الْمُسْلِمِينَ فِي فَهْمِهِمُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَإِدْرَاكِهِمْ مَعَانِيَهُ، وَتَفَاضُلُهُمْ فِي الْإِهْتِدَاءِ إِلَى دَلَالَاتِ كَلِمَاتِهِ؛ فَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، مَعَ أَنَّهُ نَزَلَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ وَعَلَى أَسَالِيبِ كَلَامِهِمْ وَهُمْ أَوْلُ مَنْ خُوِّطَ بِهِ، جَارٍ عَلَى أَسْلُوبِ يَصْلُحُ أَنْ تُخَاطَبَ بِهِ طَبَقَاتُ النَّاسِ كُلِّهِمْ عَلَى اخْتِلَافِ مَدَارِكِهِمْ وَتَفَاقَاتِهِمْ، وَطَبِيعِيِّ أَنْ: "الْمَعْجَزَةُ الْقُرْآنِيَّةُ لَا تَقَعُ مِنَ النَّاسِ مَوْقِعًا وَاحِدًا، لِاخْتِلَافِ مَدَارِكِهِمْ، وَتَبَايُنِ مَسْتَوَى تَفْكِيرِهِمْ، وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ فِي النَّاسِ مَنْ يَنْكَشِفُ لَهُ الْحَقُّ مِنْهَا لِأَوَّلِ نَظْرَةٍ فِي وَجْهِهَا، وَمَعَ أَيِّ آيَةٍ تَسْمَعُهَا أُذُنُهُ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَا يَهْتَدِي إِلَى مَوَاقِعِ الْحَقِّ مِنْ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ إِلَّا بَعْدَ زَمَنِ قَدْ يَقْصُرُ، وَقَدْ يَطُولُ"<sup>(١)</sup>.

فليس القرآنُ جميعُهُ في متناول العرب جميعًا، بل يفهمون القرآنَ كلُّ بحسبِ قابليته العلميَّة وثروته اللغويَّة، وقدرِ ما يتَّسَعُ له فكره، فالعاميُّ يدرك من المعاني ظاهرها ومن الآياتِ مُجْمَلَهَا، والمتعلِّمُ يستخرج منها المعنى الرَّائِعَ وبين هذا وذاك مراتب فهم شتى؛ تتفاوت بتفاوتِ مستوى تفكير النَّاسِ وقوةِ إدراكهم. "وإذا أراد القارئُ أن يستشفَّ منه ما وراء ذلك وينتهي في سبْرِ أَغْوَارِهِ إِلَى أَكْثَرِ مِمَّا فَهَمَهُ مِنْهُ بِطَبِيعَتِهِ وَفِكرِهِ، فَإِنَّ سَبِيلَهُ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُوعُ إِلَى فَهْمِ مَنْ هُمْ أَوْسَعُ مِنْهُ عِلْمًا وَأَغْزَرُ تَفَاقَةً وَفَهْمًا لِيَبْصُرُوهُ بِمَا وَرَاءَ الَّذِي انْتَهَى عِنْدَهُ عِلْمُهُ مِنْ دَلَائِلِهِ وَمَعَانِيهِ"<sup>(٢)</sup>.

٢- شَعُورُ الْإِنْسَانِ بِالْهَيْبَةِ أَمَامَ بَيَانِ الْقَصْدِ مِنَ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ، مِمَّا يَدْفَعُهُ إِلَى التَّوَقُّفِ عَنِ دَرَسِ الْقُرْآنِ لِيَأْمَنَ الْوُقُوعَ فِي الْخَطَأِ؛ فَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مُحَاطٌ بِسُورٍ مِنَ الرَّهْبَةِ وَالْجَلَالِ، يَمْنَعُ قَارِئَهُ مِنْ أَنْ يَسْرَعَ إِلَيْهِ بِالشَّرْحِ وَالتَّعْلِيلِ كَمَا يَشْرَحُ الْكُتُبَ الْآخَرَى. وَمَعْلُومٌ أَنَّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ آيَاتٍ كَثِيرَةً تَحْتَاجُ إِلَى تَفْسِيرٍ؛ فَهَنَّاكَ الْآيَاتُ الْمُحْكَمَاتُ، وَالْآيَاتُ الْمُتَشَابِهَاتُ، وَفِيهِ الْآيَاتُ الَّتِي يَحْتَاجُ تَفْسِيرَهَا إِلَى مَعْرِفَةِ سَبَابِ نَزُولِهَا، وَفِيهِ آيَاتُ الْعِبَادَةِ وَالتَّشْرِيحِ وَالْمَعَامَلَاتِ، وَفِي الْآيَاتِ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَالتَّرَاكِيْبِ وَالصُّوَرِ وَالْأَدَاءِ

١ - الخطيب، عبد الكريم، إعجاز القرآن (الإعجاز في دراسات السابقين)، ط/٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م : ص ٩٠.

٢ - البوطي، د. محمد سعيد رمضان، من روائع القرآن، ط/٥، مكتبة الفارابي، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م : ص ٨٤.

الفنيّ والنّفسيّ ما يحتاج إلى معرفة اللغة وإتقان فهمها والإلمام بعلمها وآدابها، ومعرفة الدّوق العامّ والخاصّ لهذه اللغة والمثل الأعلى للإبداع الأدبيّ<sup>(١)</sup>.

لذلك إذا أراد الإنسان أن يمكنَ علمه بمراد الله، فعليه أن يتوسّط إلى ذلك بما صنّف من تفاسيرٍ ودراسات في الشأن، وإنه من دون الاطلاع على دراسات من هم أكثرُ علمًا، للتعرف إلى ما تدلّ عليه ألفاظ القرآن الكريم وآياته وتراكيبه، لا يمكن الوصول إلى ما يحمله أسلوب القرآن المعجز من معانٍ وتعاليم، ولا ينال الإنسان بركة القرآن مهما بالغ في ترديد ألفاظه. لأنّ "بركة القرآن العظمى في تدبره وتفهمه، وفي الجلوس إليه والاستفادة من هدايته وآدابه، ثمّ الوقوف عند أوامره ومراضيه، والبعد عن مساخطه ونواهيه"<sup>(٢)</sup>. والله تعالى يقول: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٣)</sup> ويقول: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَنْ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾<sup>(٤)</sup>.

٣- أنّ من القرآن الكريم ما لا يُستوضح ما يحمله من دلالاتٍ ولا يُدرك علمه على أفضل وجه، إلّا ببيان العلماء؛ فالقرآن الكريم كتابٌ يحوي بين دفتيه مبادئ العقيدة والتّوحيد، كما يحوي مبادئ الشريعة وأحكام الحلال والحرام، ويشمل التّوجيهات الأخلاقية ومبادئ التّظيمات الاجتماعيّة، إلى جانب ما فيه من عبر الأمم الماضية والإخبار عن الغيبات ووجوه النقاش والحجاج. فلا جرم أنّه يتناول ذلك ويعالجه بأسلوبٍ من التّركيز والاختصار بما يضمن للقارئ الفهم الموجز الكليّ من ناحية، ويحمله على البحث والدّرس والوقوف على تفصيلات ذلك من ناحية أخرى<sup>(٥)</sup>. ذلك أنّ القرآن يجمع بين دقيق المعنى، وموجز اللفظ، وعموم الدّلالة وخصوصها، ومطلقها ومقيدها. وليس كلّ الذين سمعوه

١ - السيّد، د. السيّد تقي الدّين، نظرات في الأسلوب القرآني، هدية مجلة الأزهر المجانية لشهر ربيع

الآخر ١٤٢٨هـ الجزء الأول. والجزء الثاني، جمادى الأولى ١٤٢٨هـ : ج ٢/٤٦.

٢ - الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت-

لبنان، ١٤١٢هـ-١٩٩١م : ج ١/٤٧٦، ويُنظر ص ٤٧٤-٤٧٥.

٣ - سورة ص- : ٢٩.

٤ - سورة محمد : ٢٤.

٥ - البوطي، من روائع القرآن : ص ٨٤-٨٥. ويُنظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: ج ٢/١١٩٢.

فهموه جملةً وتفصيلاً، خلافاً لما ذهب إليه ابن خلدون الذي قال: "إن القرآن نُزِّلَ بلغة العرب، وعلى أساليبهم، فكانوا كلُّهم يفهمونه، ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه"<sup>(١)</sup>. فالقول بأنهم كلُّهم يفهمونه فيه تعميمٌ واسع<sup>(٢)</sup>، لأنَّ فهم كتاب الله لا يتطلَّب معرفة اللغة وحدها، بل يتطلَّب درجة عقلية تتفق ودرجة رقيِّ هذا الكتاب.

ولعلَّ ابن خلدون قد شعر أنَّ في تعميمه هذا شيئاً من المُجازفة، فذكر بعد عبارته السابقة بأسطر، أنَّ في القرآن مناحي في حاجةٍ إلى بيان، وقال: "كان النَّبيُّ ﷺ يُبينُ المَجْمَل، ويميّز النَّاسخ من المنسوخ، ويُعرِّفه أصحابه فعرّفوه، وعرّفوا سببَ نُزُولِ الآياتِ ومقتضى الحال منها منقولاً عنه"<sup>(٣)</sup>، وتلك الأمور، وغيرها من مواضع الحاجة إلى الإبانة، قد أحوجت منذ أول العهد الإسلامي إلى بيان القرآن وتفسيره.

٤- الرِّغبةُ في تعرّف أسرار بلاغة القرآن، والتَّنبُّه إلى مكامن الجمال الفنّي فيه؛ لعلَّ الغايةَ الأبرز للدرسِ البيانيِّ تتجلى في البحث في أسباب الإعجاز بوصفها مكتملة للإيمان بالنَّبِيِّ ورسالته، إذ كان القرآن آيته الكبرى، وقد شرح تلك الغاية أبو هلال العسكري في مقدمة الصَّناعتين<sup>(٤)</sup>، وذكرها عبد القاهر أيضاً في كتابيه "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز"، يقول في دلائل الإعجاز: "إنَّ الجهةَ التي منها قامت الحجة بالقرآن وظَهَرَت، وبانت وبهَرَت، هي أنَّه كان على حدِّ من الفصاحة تَقصُرُ عنه قُوى البشر، ومنتَهياً إلى غاية لا يُطَمَّح إليها بالفكر، وكان مُحالاً أن يعرفَ كونه كذلك إلّا من عرَفَ الشُّعر الذي هو ديوانُ العرب وعُنوانُ الأدب، والذي لا يُشكُّ أنه كان مَيِّدانَ القوم إذا تجاروا في الفصاحة والبيان، ثم بَحَثَ عن العِلَل التي بها كان التباين في الفضل"<sup>(٥)</sup>.

١ - ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، المكتبة التجارية، مطبعة مصطفى محمد، مصر، (د. ت): ص ٣٤٨.

٢ - أشار إلى عدم صحة هذا التعميم الأستاذ الخولي، أمين، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، الجزء العاشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م: ص ٢٠٦.

٣ - ابن خلدون، المقدمة: ص ٣٤٨.

٤ - العسكري، الصَّناعتين: يُنظر ص ١-٢.

٥ - الجرجاني، دلائل الإعجاز: ص ٨-٩.

فاقترانُ القرآنُ بالإعجاز، يستدعي الإحاطةَ بأسرار هذا الإعجاز والوقوفَ على دقائقه، ولا يتمّ ذلك إلا بتعرّف أساليبه وبما يمكن أن تنطوي وراء تعبيراته من معانٍ ومقاصد. والإنسانُ الذي ليس لديه اطلاع على المسلّمات اللغويّة، أو معرفة بأحكام اللغة وأسرارها، قد يصعب عليه أن يهتديَ إلى مواطن الإعجاز من غير دليل يأخذ بيده، ويبصره بأسرار التعبير القرآني<sup>(١)</sup>.

ومن هنا كانت أهميّة الدرس البيانيّ، إذ فيه كما يقول أحد دارسي القرآن: "بيانٌ لسرّ التعبير القرآنيّ، والأثر الذي يضيفه على النصّ بحيث صار القرآن معجزة خالدة يقف أمامه البلغاء في دهشةٍ وخشوع"<sup>(٢)</sup>.

وقد نستطيع بعد هذا أن نخلص إلى أنّ تفاوتَ الناس في فهم القرآن الكريم، والرّهبة والجلال المحيطين بآيات الله، وأسلوب القرآن الكريم المتّسم بالتركيز مع الاختصار، إضافة إلى الرّغبة في الاهتداء إلى أسرار الإعجاز القرآنيّ بأمتلّة يعيها القارئ ويفهمها، هي خلاصة الأسباب الدّاعية إلى دراسة بيان القرآن الكريم وتفسيره، وهي أسبابٌ لا تتنافى مع كونه قرآناً عربياً غير ذي عوج، ولا تتعارض مع ما هو مقررٌ ثابت من أنّ الله تعالى إنّما يخاطب عباده بما يفهمون.

### - العلوم التي يحتاج إليها الدّارسُ البيانيّ:

القرآنُ الكريمُ أقدسُ كتابٍ في حياة العرب والمسلمين، وفي دراسته وتفسيره "لمحّ لمحاسن النّكت، ودركٌ للطائف المعاني، وبصرٌ بغوامض الأسرار"<sup>(٣)</sup>، لذلك يجبُ ألا يُقدّم على تفسيره وتدارسه إلا من هيأ نفسه لهذا العمل الجليل.

١- لا بد من الإشارة إلى أنه سيكون أوضح في الحجة، وأبين في الاستدلال، لمن كان له بصر باللغة، ومعرفة بأحكامها.

٢- حسين، د. عبد القادر، أضواء بلاغيّة على جزء الذاريات، دار المنار، القاهرة، ١٩٩١م: ص ٤.

٣- الزمخشري، محمود بن عمر، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، اعتنى به ورثب حواشيه محمد السعيد محمد، ط/١، المكتبة التوفيقيّة، مصر، (د.ت): ج ٢٠/١.

وقد تحدّث السابقون من العلماء عن الشّروط التي يجب توافرها في الإنسان ليكون قادراً على التفسير<sup>(١)</sup>. وقرّر الزّمخشري ضرورة توافر أوصاف مهمّة في المفسّر بعضها يرجع إلى فطرته وجبليته وبعضها يحصل بالكسب والدّأب.

فالصّفات التي ترجع إلى الفطرة تدور حول الطّبع المسترسل والقريحة الوقّادة والنّفس اليقظي "فلا يكون المفسّر جاسياً ولا غليظاً جافياً"، ويجب أن تكون له قدرة على إبداع القول الجيد يعرف "كيف يرتّب الكلام ويؤلّف، وكيف ينظم ويرصّف". أما الصّفات المحصّلة بالكسب والدّأب فهي طول الممارسة، وإدمان المعاشية لعلوم اللّغة والأدب والفقه في أسرارها والتمرّس بأساليبها. ويخصّ الزّمخشري علمي المعاني والبيان وينبّه على ضرورة التّمهّل في ارتيادها والتّعب في التّنتقير عنها<sup>(٢)</sup>.

وإنّ الذي يتصدّى للتفسير البيانيّ يحتاج إلى ما يحتاج إليه المتصدّي للتفسير العامّ إلّا أنّ به حاجة أكثر إلى الأمور الآتية: "التبحّر في علم اللّغة، وفي علم التّصريف، وفي علم النّحو، وفي علوم البلاغة"<sup>(٣)</sup>.

وبعبارة موجزة "التبحّر في علوم اللّغة العربية" فلا تُغني المعرفة اليسيرة بل ينبغي للدارس البيانيّ أن يكون على اطلاع واسع في علوم اللّغة. جاء في (البرهان): "وليس لغير العالم بحقائق اللّغة ومفهوماتها تفسير شيء من الكتاب العزيز، ولا يكفي في حقه تعلّم اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين"<sup>(٤)</sup>.

فالقرآن نزل بلسان عربيّ مبين، ويتوقّف فهمه على شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع، لذلك ينبغي على الدارس البيانيّ كي يدرك أسرار الإعجاز "أن

١ - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن : يُنظر ج ٢/١٢٠٩ - ١٢١٢.

٢ - الزّمخشري، الكشّاف: ج ١/٢٢. ويُنظر أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزّمخشري: ص ٩٣. والتّنتقير: البحث، جاء في القاموس المحيط "انتقّر الشيء بحث عنه" : ص ٤١٩.

٣ - السامرائي، د. فاضل، على طريق التفسير البيانيّ : ج ١/٧.

٤ - الزركشي، بدر الدّين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/٢، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م: ج ٢/١٦٥.

يكون بصيراً باللغة خبيراً بفنون القول متمكناً، نقادةً يُجيدُ التمييزَ بين الأساليب، ولتلك الخبرة أصولها من الإلمام الواسع بالعربية، والشعر مع الموهبة الخاصة الفطنة..<sup>(١)</sup>. وفي هذا المعنى يقول ابن قتيبة: "إنما يعرفُ فضلَ القرآن من كثرةِ نظره واتّسع علمه، وفهم مذهبَ العرب وافتنانها في الأساليب، وما خصَّ الله به لغتها دون جميع اللغات؛ فإنه ليس في جميع الأمم أمةٌ أوتيت من العارضية والبيان، واتّسع المجال ما أوتيته العرب"<sup>(٢)</sup>. كما يتبع ذلك بقوله: "وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها طرقُ القول وماخذه. ففيها الاستعارة، والتّمثيل، والقلب، والتّقديم والتّأخير، والحذف، والتكرار، والكناية، وغيرها. مع أشياء كثيرة تراها في أبواب المجاز. وبكل هذه المذاهب نزل القرآن"<sup>(٣)</sup>. ومن ثمّ فإنّ المعرفة الواسعة والتبحّر في علوم اللغة من أحوج الأمور للدارس البياني، إذ ينبغي أن يعرف أبنية الكلم وموازينها وصيغها، لأنّ الكلمة المبهمة تتضح مادتها ومعناها بمصادرها ومشتقاتها.

أمّا النّحوُ فهو أوضح من أن تُبين أهميته في هذا الشأن، لأنّ المعنى يتغيّر ويختلف باختلاف الإعراب، فلا بدّ من معرفة وجوه الإعراب لتحديد المعنى المُراد من التّركيب بناءً على معرفة إعرابه. والواقع أنّ عدم معرفة قضايا النّحو العامّة، قد يُوقع في أخطاء فاحشة، وأنّ تغيّر الحركة قد يؤدّي إلى الكفر، فلو غيّرت الحركات في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>(٤)</sup> من فتحة إلى ضمة ومن ضمة إلى فتحة (الله - العلماء) لفسد المعنى وأصبح كفرةً.

"وقد حصر علماء العربية جهودهم الأولى في علم النّحو، لأنّ أوّل فساد سرى إلى العربية كان في الحركات المُسمّاة عند أهل النّحو بالإعراب، فاستتبّطت القوانين لحفظها، ولذلك كان النّحو وحده يُسمّى علم العربية، حتّى لقد كان النّعتُ بالأديب خاصّاً

١ - الباقلائي، إجاز القرآن: يُنظر ص ١١٣.

٢ - الدّينوري، ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم)، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٢م: ص ١٠.

٣ - المصدر السابق: ص ١٦.

٤ - سورة فاطر: من الآية ٢٨.

بالنحوي<sup>(١)</sup>. فالحاجة إلى علم النحو هي حاجة ماسّة، وكذلك معرفة ما تؤدّيه التّديرات المختلفة من اختلاف في المعاني، ولهذا "جاءت الإشارات النحوية ملازمة للدرس القرآنيّ آخذة بلحمة التّحديد الدلاليّ فيه"<sup>(٢)</sup>.

ومثّل ذلك يُقال في علوم البلاغة، فإنّها من أوج الأمور لمعرفة الفصاحة والأغراض التي يخرج إليها الكلام والفصل والوصل وأغراض التّقديم والتّأخير والحقيقة والمجاز وما إلى ذلك من أمورٍ تتعلّق بعلم البلاغة. يقول أبو هلال العسكريّ في مقدّمة كتابه مُشيرًا إلى أهميّة علوم البلاغة في معرفة إعجاز القرآن الكريم: "إنّ أحقّ العلوم بالتعلّم، وأولّاهما بالتّحفظ - بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه - علمُ البلاغة، ومعرفةُ الفصاحة، الذي به يُعرّف إعجازُ كتابِ الله تعالى". "وقد علمنا أنّ الإنسان إذا أغفلَ علمَ البلاغة، وأخلَّ بمعرفةِ الفصاحة لم يقعَ علمُه بإعجاز القرآن من جهةٍ ما خصّه الله به من حُسن التّأليف، وبراعةِ التّركيب، وما شحّنه به من الإيجازِ البديع، والاختصارِ اللطيف، وضمّنه من الحلاوة، وجلّله من رونقِ الطّلاوة، مع سهولةِ كلمه وجزّالته، وعذوبتها وسلاستها، إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها وتحيرت عقولهم فيها"<sup>(٣)</sup>.

فعلوم البلاغة (المعاني - البيان - البديع) إذن من أعظم أركان الدّرس البيانيّ، لأنّه لا بدّ فيه من فهم كتاب الله، ومراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وإنّما يُدرك بهذه العلوم.

ومن العلوم التي يجب أن يُلمّ بها الدّارس البيانيّ علومُ القرآن الكريم؛ كعلم أسباب النزول، وعلّم ناسخ القرآن ومنسوخه، وعلّم المطلق والمقيّد، وعلّم المحكم والمتشابه... إلخ. ونخصّ بالحديث هنا مجموعة من علوم القرآن نراها ذات صلة كبيرة بالدّرس البيانيّ القرآنيّ، وهي:

١ - طبّانة، د. بدوي، البيان العربي : ص ٤.

٢ - الجاسم، د. محمود حسن، تأويل النّصّ القرآنيّ وقضايا النحو، ط/١، دار الفكر، دمشق،

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م: ص ٨١.

٣ - العسكري، الصّناعتين : ص ١.



- علم القراءات، وهو علم يُعرف به كيفية النطق بالقرآن، وبالقرارات يترجّح بعضُ الوجوه المحتملة على بعض<sup>(١)</sup> لتواتر قراءة أو شهرتها أو شدوذها. جاء في تقريب النّشر: "إنّ تنوّع القراءات يقوم مقام تعدّد الآيات، وذلك ضربٌ من ضروب البلاغة، يبتدئ من جمال هذا الإيجاز، وينتهي إلى كمال الإعجاز. أضف إلى ذلك أنّ هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدّي إلى تناقضٍ في المقروء وتضادٍّ، ولا إلى تهافتٍ وتخاذل، بل القرآنُ كلّهُ على تنوّع قراءاته يصدّق بعضُهُ بعضًا، ويبين بعضُهُ بعضًا، ويشهد بعضُهُ لبعضٍ، على نمط واحد في علوِّ الأسلوب والتّعبير، وهدفٍ واحدٍ من سموِّ الهداية والتّعليم وذلك -من غير شك- يفيدُ تعدّد الإعجاز بتعدّد القراءات والحروف"<sup>(٢)</sup>.

ومعنى هذا أن القرآن يُعجزُ إذا قرئ بهذه القراءة، و يُعجزُ أيضًا إذا قرئ بتلك القراءة الثّانية، و يُعجزُ أيضًا إذا قرئ بتلك القراءة الثّالثة، وهلمّ جرًا. ومن هنا تتعدّد المعجزات بتعدّد تلك الوجوه والحروف!

- علم أسباب النزول: وهو من الدلائل المهمة على فهم المعنى، إذ إنّهُ يوضح إلى حدٍّ بعيدٍ مرامي الآية ومدلولها، ويزيل الإشكال الذي قد يكتنف بعض الآيات في تفسيرها ما لم تُعرف مناسبتها وسبب النزول لها. وقد أدرك علماء القرآن أنّ قدرة المفسر على فهم دلالة النّص لا بدّ أن تسبقها معرفة بالوقائع التي أنتجت هذا النّص، جاء في البرهان: "وهو من أعظم المعين على فهم المعنى، وكان الصّحابة والسلف يعتمدونه"<sup>(٣)</sup>. وقال الواحدي: "لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"<sup>(٤)</sup>. وأشار الدكتور نصر حامد أبو زيد إلى: "أنّ معرفة أسباب النزول ليست مجرد ولع برصد

١ - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن : ج ٢ / ١٢١١.

٢ - ابن الجزري، أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد، تقريب النّشر في القراءات العشر، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، ط/٢، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م: ص ٦٠-٦١.

٣ - الزركشي، البرهان في علوم القرآن : ج ٢ / ٢٠٢.

٤ - الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن : ج ٢ / ١٠٢.

الحقائق التاريخية التي أحاطت بتشكُّل النَّصِّ، بل تستهدف فهم النَّصِّ واستخراج دلالاته، فإنَّ العلم بالسَّبَب يورث العلم بالمُسَبَّب كما يقولون<sup>(١)</sup>.

فالعلمُ بسبب النزول مهمٌّ لإدراك المعنى واكتشاف الدلالة، ولكنَّ المعنى والدلالة لا يقفان عند حدود الوقائع، بل تكون النصوص قابلة للتعبير عن وقائع شبيهة، وتكون من ثمَّ قابلة لإعادة القراءة والتفسير والتأويل. وهذا ما أشار إليه الدكتور أبو زيد بقوله: "ومن الضروري الإشارة هنا إلى أنَّ سبب النزول يمكن، في بعض الأحيان، الدَّارسَ من القراءة الصحيحة للنص من ثم يجعله مقاربًا لاكتشاف الدلالة. وليس المقصود بالقراءة الصحيحة تصحيح النَّصِّ، بل المقصودُ التَّوجيه الصحيح لدلالة الألفاظ والعبارات"<sup>(٢)</sup>. ومن هنا فإنَّ معرفة قصة الآية والأسباب التي اقتضت نزولها أعونُ على دقة الفهم، وأقربُ إلى استلهاهم أرجح التأويل، وأصحَّ التفسير.

وينبغي على الدَّارس البيانيِّ مراعاة جملة من الأمور، ذكرها الدكتور فاضل السامرائي<sup>(٣)</sup>، والتزم بها أكثر داري البيانيِّ المحدثين، على نحو ما سنرى في الفصول القادمة وهي:

- **النَّظَرُ فِي السِّيَاق:** فإنَّ ذلك من ألزم الأمور للدارس عمومًا وللدارس البيانيِّ على الخصوص، فمن خلال السياق يتضح كثيرٌ من الأمور، ويتضح كذلك سبب اختيار لفظة دون أخرى وتعبير دون غيره، كما يتضح سبب التَّقديم والتأخير والذَّكر والحذف ومعاني الألفاظ المشتركة، ولا تكتسب الصُّورة قيمتها علوًّا أو دنوًّا من كونها استعارة أو

١ - أبو زيد، د. نصر حامد، مفهوم النص (دراسة في علوم القرآن)، ط/٤، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، الدار البيضاء-المغرب، ١٩٩٨م : ص ١٠٢.

٢ - المصدر السابق : ص ١٠٩.

٣ - السامرائي، على طريق التفسير البياني : يُنظر ج/١-١٢-١٣.

تشبيهاً أو كنايةً أو... وإنما تكتسب قيمتها من السياق<sup>(١)</sup>، "فدراسة الظاهرة معزولة عن السياق تؤدي إلى تحليل غير دقيق ونتائج مجانية للصحة"<sup>(٢)</sup>.

فالسِّيَاق من أهمِّ القرائن التي تدلُّ على المعنى، إذ إنَّ دلالة السِّيَاق تُرشد إلى تبين المجمل والقَطْع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوُّع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدَّالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾<sup>(٣)</sup> كيف تجد سياقه يدلُّ على أنه الدليل الحقيق<sup>(٤)</sup>.

- مراجعة المواطن القرآنية التي ورد فيها أمثال التعبير الذي يُراد تبيينه ليستخلص المعنى المقصود.

- مراجعة المواطن القرآنية التي وردت فيها المفردة التي يُراد تفسيرها واستعمالاتها ومعانيها ودلالاتها.

- أن يعلم أنَّ هناك خصوصيات في الاستعمال القرآني كاستعمال الرِّيح للشر، والرِّياح للخير، والغيث للخير، والمطر للشر، والعيون لعيون الماء، والصَّوم للصَّمت، والصِّيَام للعبادة المعروفة وغير ذلك.

- أن يسترعي نظره أيُّ تغيير في المفردة والعبارة ولو كان فيما يبدو له غير ذي بال، فإنَّه ذو بال، فإن وجد له تعليلاً فذاك وإلَّا فسيأتي من يبسر الله له تعليله وتفسيره كالإبدال في المفردة نحو: "يَطَهَّر" و"يَنْطَهَّر" و"يَذْكُر" و"يَنْتَذِر"، والذَّكر والحذف نحو "تَذْكُرُونَ" و"تَنْتَذِرُونَ" و"يَسْطَع" و"يَسْطَع" و"لا تَنْتَفِرُوا" و"لا تَفْرَقُوا"، وتغيير الصيغة

١ - نبهان، د. عبد الإله، بحوث في اللغة والنحو والبلاغة، ط/١، مطبعة اليمامة، حمص، سوريا، ١٩٩٥م: ص ٢٧٩.

٢ - صبح، د. خلدون سعيد، التَّقديم والتَّأخير في القرآن الكريم "بلاغة وإبلاغ"، ط/١، دار الينابيع، دمشق، ٢٠٠٢م: ص ٨.

٣ - سورة الدخان: ٤٩.

٤ - الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ج ٢/٢٠٠-٢٠١.

نحو "مغفرة" و"غفران"، و"عداوة" و"عدوان"، و"نخل" و"تخيل"، والإدغام والفتك نحو "من يرتد" و"من يرتدد" و"يشاقق" و"يشاقق" وما إلى ذلك. وكذلك الأمر بالنسبة إلى العبارة<sup>(١)</sup>.

- **إدامة التأمل والتدبر، وهما من أهم ما يفتح على الإنسان من أسرار ويهديه إلى معان جديدة.** جاء في البرهان: "أصل الوقوف على معاني القرآن التدبر والتفكير"<sup>(٢)</sup>، ولذلك أمر الله سبحانه بالتدبر في كتابه، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٤)</sup>، فمن أمعن في التدبر فتح الله عليه من كنوز المعرفة وعجائب الأسرار ما لم يكن منه على بال. يقول الإمام أبو حامد الغزالي (ت-٥٠٥هـ): "إنما ينكشف للرأسخين في العلم من أسراره بقدر غزارة علومهم، وصفاء قلوبهم، وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب، ويكون لكل واحد حد في الترقى من درجة إلى درجة أعلى منه. فأمّا الاستيفاء فلا مطمع فيه، ولو كان البحر مداداً والأشجار أقلاماً، فأسرارُ كلمات الله عز وجلّ لانهاية لها"<sup>(٥)</sup>.

- **أن يكون قد اطلع على جملة صالحة مما كتبه من تقدمه من مشاهير المفسرين ونظر في كتب علوم القرآن وكتب الإعجاز وكتب المتشابهة وتتاسب الآيات والسور وما إلى ذلك مما كتبت في أسرار التعبير القرآني، فإن فيها أسراراً بيانية وفنية بالغة الرفعة<sup>(٦)</sup>.**

١ - السامرائي، على طريق التفسير البياني: ج ١/١٣. ويُنظر القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، ط/٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ-١٩٨١م: ص ١٩٦-٢٠٦.

٢ - الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ج ٢/١٨٠.

٣ - سورة محمد: ٢٤.

٤ - سورة ص: ٢٩.

٥ - الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ط/١، دار القلم، بيروت، (د.ت): ج ١/٢٥٩.

٦ - السامرائي، على طريق التفسير البياني: ج ١/١٣. ويُنظر عتر، د. نور الدين، علوم القرآن الكريم: ص ٩٥.

وبالاستمداد من هذه الروافد، وإدمان دراستها، والنظر فيها، يكتسب الدارس الذوق، ويجدد في درسه لبيان القرآن الكريم.

- وأساس ذلك كله علم الموهبة، وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم، وإليه الإشارة بحديث "من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم"<sup>(١)</sup>. فالموهبة أساس كل علم وفن وصناعة، إذ بقدر ما أُوتي الفرد من موهبة يكون شأنه في العلم والفن، على ألا يعتمد على الموهبة وحدها بل عليه أن ينميها ويصقلها بكثرة الاطلاع والنظر والتدقيق والتأمل.

ومما تقدم، يبدو لنا مدى حاجة الدارس البياني إلى الدراسات التخصصية والفنون المتشعبة التي تمهد له الطريق ليكون عمله متمسماً بالدقة، وجهوده مقاربة للسداد. وعليه فإن جملة العلوم التي تقدم ذكرها ينبغي أن تشق طريقها في الدرس البياني مبيّنة له دون طغيان عليه، فلا ضرورة أن يكون الدرس البياني مشحوناً بها بمناسبة وغير مناسبة، بل المفروض أن تكون دلائل وأمارات يتوصل بها الدارس إلى فهم القرآن، وإبراز أسرارها، وتعليل إعجازها.

١ - يُنظر الحديث في الأصبهاني، الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٥/٥، الناشر دار الريان للتراث، القاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م: عبد الواحد بن زيد، ج٦/١٦٣. ويُنظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: ج٢/١٢١٢.

## الفصل الأول

### الدّرسُ البيانيّ القرآنيّ القديم: أصولُهُ وأعلامُهُ

#### أولاً- الأصولُ البعيدةُ للدّرسِ البيانيّ للقرآن:

إنّ دراسةَ الاتّجاهات الحديثة في الدّرس البيانيّ للقرآن الكريم -موضوع بحثنا- تقتضي النظرَ المُجملَ إلى أصول الدّرس البيانيّ، قبل دراسة هذه الاتّجاهات، خاصّة الأصول البلاغيّة البعيدة والدّراسات البيانيّة للقرآن الكريم في عصر التّدوين التي كانت الدّراسات الحديثة امتداداً لها. ونبدأ بـ :

#### - الدّرسُ البيانيّ في صدر الإسلام:

يوضح لنا استقراء المصادر العلميّة الأصليّة، خلوّ القرن الأوّل ومعظم القرن الثاني تقريباً من الدّراسات القرآنيّة التي تتصلّ بالإعجاز، والتي تهدف إلى الكشف عن هذا الإعجاز ووجوهه، فلم يتعرّض إلّا قليلاً من الصّحابة لقضيّة الإعجاز القرآنيّ. ولم يكن ذلك بالطّبع عن تقصيرٍ في حقّ دينهم، أو حقّ كتاب ربّهم، بل يرجع هذا الأمر إلى عاملين أساسيين:

**أولهما:** أنّ الأمّة الإسلاميّة، في مبدأ أمرها، لم يستهوها النّظرُ في مثل هذه القضايا العميقة والمسائل الدّقيقة؛ لجدّتها وسموّ مقصودها وارتفاع مستواها العلميّ والدينيّ عمّا هم عليه وقتئذٍ، خصوصاً وهم جميعاً يؤمنون ويدركون تماماً أنّ هذا القرآن هو معجزة الرّسول الأولى، التي أيّده الله بها لذا فهو ليس مجالاً للبحث.

**ثانيهما:** أنّهم كانوا ينظرون إلى القرآن الكريم نظرة إجلالٍ وتقديسٍ وتهيبٍ لمقامه وصون لذاته، لذلك لم يجعلوه هدفاً لإبداء الآراء أو مجالاً للجدل والخلاف. ومن هنا كان

كثيراً من الصحابة والتابعين، وتابعي التابعين، يتجنبون الدخول في مجال التفسير، ويرون أن مثل هذا العمل معناه القول بالرأي<sup>(١)</sup>.

فلعمق مثل هذه الدراسات وارتفاع مستواها من جهة، ثم إجلالاً وتهيباً لعظمة المعجزة الإلهية التي خص الله بها رسوله ﷺ من جهة أخرى. لم يتعرض لها إلا قليل من الصحابة والتابعين منذ عصر الرسول ﷺ إلى نهاية القرن الثاني الهجري. وكانوا يتصدون بحذرٍ لشرح لفظ غريب، أو بيانِ حكمة أو موعظة.

ويقول الأستاذ نعيم الحمصي: "إن المسلمين في عصر النبي ومن بعده من الخلفاء الراشدين كانوا ينظرون إلى القرآن الكريم نظرة تسليم ورضا على أنه كتابهم الديني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكانوا لا يطيلون النظر في دراسة مسائل الدين، ولا يثيرون قضاياها المتشابهة التي تبعث على الاختلاف في الرأي، وإنما كانوا يرجعون إليه في عامة أمورهم الدينية والمعنوية وكل ما يختلفون فيه من قضايا وآراء تعرض لهم في حياتهم، ويرونه المثال الأعلى في كل ما يحزبهم"<sup>(٢)</sup>.

إن هذه الأقوال لا تنفي وجودَ درس بيانيٍّ للقرآن الكريم في فترة صدر الإسلام، بل تدلُّ على تحرج الصحابة من خوض غمار التفسير؛ ولكن مع ذلك نُقل عنهم ما يصلح أن يكون أصلَ نشأة الدرس البياني للقرآن الكريم. لذلك سأحاول في هذه الفقرة أن أكتشف معالم الدرس البياني في تلك المرحلة، وأعطي الأمثلة والنماذج القرآنية، التي أبان معالمها وفسرها رسول الله ﷺ، ثم أُبين كيف ارتفع الحس البلاغي عند صحابته رضوان الله عليهم.

#### - درس بياني للرسول ﷺ:

لما كان القرآن الكريم ينزل على رسول الله ﷺ كان يقرؤه على صحابته ويوضح لهم أحكامه، وكانوا يفهمون أكثر معانيه لأنه نزل بلغتهم وسلك سبيلهم في التعبير، ولكن

١- العمري، د. أحمد جمال، مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري، دار المعارف، القاهرة، (د. ت): ص ٤٢-٤٣.

٢ - الحمصي، نعيم، فكرة إعجاز القرآن، ط/٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ-١٩٨٤م: يُنظر ص ٣٥.

إذا خفي عليهم شيءٌ منه كان النبي صلوات الله عليه يُبينه لهم مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وبما أن القرآن الكريم "أرفع أنماط البلاغة العربية دون استثناء فقد تعرّض الرسول الكريم في تفسيره إياه لتوضيح كثيرٍ من تشبيهاته وكناياته وذلك من البلاغة العلميّة في الصميم"<sup>(٢)</sup>.

وقد جمع السيوطي مجمل الروايات التي صدرت عن النبي ﷺ وتمّ بموجبها تفسير بعض النصوص القرآنيّة على شكل آيات منقطّعة ومجزّأة، ابتداءً من سورة البقرة واختتاماً بسورة الناس<sup>(٣)</sup>. ومن بيان الرسول ﷺ على سبيل المثال، ما جاء في صحيح البخاري: "عن عديّ بن حاتم قال: قلتُ يا رسول الله: ما الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ، أهما الخيطان؟ قال: إنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين، ثم قال: لا بل هما سوادُ الليلِ وبياضُ النهارِ"<sup>(٤)</sup>. متنقلاً بالمعنى من الحقيقة إلى المجاز.

وينحصرُ بيانُ الرسول ﷺ للقرآن الكريم في الأمور الآتية<sup>(٥)</sup>:

أولاً: بيانُ المُجمل في القرآن الكريم، وتوضيح المُشكّل، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وذلك حسب ما يقتضيه المقام، وقد مرّت الإشارة إلى ذلك في مثل الخيط الأبيض

١ - سورة النحل: ٤٤.

٢ - البيومي، د. محمد رجب، خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، الشركة المصرية للطباعة والنشر، مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م: ص ١٢٠.

٣ - يُنظر السيوطي، الإتيان في علوم القرآن: ج ٢/١٢٣٧-١٢٨٨.

٤ - يُنظر الحديث في البخاري، الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، مؤسسة الخدمات الطباعة، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م: باب قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾، حديث رقم (١٨١٧): ج ٢/٦٧٧.

٥ - يُنظر دوب، د. رابح، البلاغة عند المفسرين حتى القرن الرابع الهجري، ط/١، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٧م: يُنظر ص ٥٠-٥٢. و زغلول، د. الشّحات السيّد، من مناهج التفسير، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦م: ص ٥٨-٥٩.



والخيط الأسود، ومثل ذلك أيضاً، تفسير الظلم بالشرك، ومن تقييده ﷺ، تقييد "اليد" في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾<sup>(١)</sup> باليد اليمنى.

ثانياً: بيان معنى لفظ أو متعلقه، كبيان أن المراد بالمغضوب عليهم اليهود، و المراد بالضالين النصارى، وكبيان أن المراد بقوله تعالى: ﴿أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾<sup>(٢)</sup>، أنها مطهّرة من الحيض والبزاق والنخامة.

ثالثاً: بيان أحكام زائدة على ما جاء في القرآن الكريم، كبيان تحريم نكاح المرأة على عمّتها وخالتها، وبيان صدقة الفطر، وبيان ميراث الجدة، وغير ذلك.

رابعاً: بيان النسخ، كأن يبيّن الرسول ﷺ أن آية كذا نسخت بآية كذا، أو أن حكم كذا نسخ بحكم كذا، من ذلك قوله عليه الصلّاة والسلام: "لَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ"<sup>(٣)</sup>، فهو بيان منه أن آية الوصية للوالدين والأقربين منسوخ حكمها، وإن بقيت تلاوتها.

خامساً: بيان التأكيد، أي تأكيد الحكم وتقويته، من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: "لَا يَحِلُّ مَالٌ لِأَمْرِيٍّ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ"<sup>(٤)</sup>، فإنه جاء تفسيراً وتقويةً لقوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾<sup>(٥)</sup>.

فبيان الرسول ﷺ هو المصدر الثاني لتفسير القرآن الكريم، وذلك: "أن أحسن طرق التفسير أن يُفسر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكان فقد فُصِّلَ في موضع آخر، وما اختصر في مكان فإنه قد بُسِطَ في آخر؛ فإن أعيانك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة

١ - سورة المائدة: من الآية ٣٨.

٢ - سورة البقرة: من الآية ٢٥.

٣ - يُنظر الحديث في سنن ابن ماجه، ضبط نصّها أحمد شمس الدين، ط/٢، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م: باب "لا وصية لوارث"، حديث رقم (٢٧١٤)، ص ٤٣٩.

٤ - يُنظر الحديث في البيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي، السنن الصغير، حقّقه وخرّج أحاديثه عبد السلام عبد الشافي وأحمد قباني، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م: باب الغصب، حديث رقم (٢٢٣٠)، ج ١/٥٣٩.

٥ - سورة النساء: من الآية ٢٩.

للقرآن، وموضحة له<sup>(١)</sup>. فالرسول ﷺ كان يُبين ما يُشكل فهمه من معاني القرآن الكريم، ويوضح ما هو بحاجة إلى إيضاح وبيان. وبعد وفاته تصدّى صحابته ﷺ لهذه المهمة.

### - درسٌ بيانيٌّ للصحابة ﷺ:

سار الصحابة الكرام على طريقة الرسول ﷺ في التفسير، وترسموا خطاه في بيان ما أشكل فهمه، وبذلك راحت بذورُ الدرس البياني تنمو في تودة على يد الصحابة ﷺ. "ومع تحرّج بعضهم عن خوض غمار التفسير والقول في كتاب الله، ومع غلبة الطابع الديني على تفسير من لا يتحرّج منهم، فإننا نجدُ آثاراً لتفسير بعض الصحابة في العصر الأول"<sup>(٢)</sup>. من ذلك ما أخرجه أبو عبيد في الفضائل عن إبراهيم التيمي: "أنّ أبا بكر الصديق ﷺ سئل عن معنى قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾<sup>(٣)</sup> فقال: "أيُّ سماء تُظلّني، وأيُّ أرض تُقلّني، إنّ أنا قلتُ في كتاب الله ما لم أعلم"<sup>(٤)</sup>. وأخرَجَ عن أنس بن مالك ﷺ: "أنّ عمر بن الخطاب قرأ على المنبر ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾. فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبُّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: "إنّ هذا لهو التكلّف يا عمر"<sup>(٥)</sup>. فالصحابة كانوا يكتفون بفهم المعنى الإجمالي؛ إذ اكتفوا أنّ يفهموا من قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ أنّه تعدادٌ لنعم الله على عباده، وعدّوا البحث عن معنى كل فردٍ من أفراد تلك النعم من التكلّف.

١ - الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ج ٢/١٧٥.

٢ - دوب، د. رابح، البلاغة عند المفسرين: ص ٥٣.

٣ - سورة عبس: ٣١.

٤ - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: ج ١/٣٥٤.

٥ - الشاطبي، أبو إسحق، الموافقات في أصول الشريعة الإسلامية، خرّج أحاديثه ونقد آراءه عبد الله دراز، المكتبة التجارية، مطبعة الرحمانية، مصر، (د. ت): ج ١/٥٣-٥٤. والأبُّ: ما أنبتت الأرض ممّا يأكله الدّواب ولا يأكله النَّاس. وقول عمر: إنّ هذا لهو التكلّف محمول على أنّه أراد أنّ يعرف شكله وجنسه وعينه. يُنظر ابن كثير، إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م: ج ٤/٥٠٤.

ومن ذلك أيضاً، أنَّ عمرًا رضي الله عنه سأل عن معنى التَّخَوُّفِ في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾<sup>(١)</sup>، فأجابه رجلٌ من هذيل وفسَّر له الكلمة بقوله: "التَّخَوُّفُ عندنا التَّنْقِصُ، ثمَّ أنشد شاهداً عليه:

تَخَوُّفَ الرَّحْلِ مِنْهَا تَامِكًا قَرْدًا      كما تَخَوَّفَ عُوْدَ النَّبْعَةِ السَّفْنُ

فقال عمر: "يا أيُّها النَّاسُ تمسَّكوا بديوان شعركم في جاهليتكم، فإنَّ فيه تفسير كتابكم"<sup>(٢)</sup>.

إنَّ ما تقدَّم يدلُّ على إجماع بعض الصَّحابة عن تفسير الغريب في آيات الله حذراً من عدم إصابة صواب القول فيه، "فالمانع هنا، الإيمانُ القويُّ الذي يملأ النَّفسَ هيبةً، فتشعر بالعجزِ أمام بيان القصدِ من النَّصِّ القرآني"<sup>(٣)</sup>.

أمَّا بيان ما أشكل فهمه على النَّاسِ، ودعت الحاجة إلى تفصيله وتوضيح المراد منه، فقد بيَّنه الصحابة رضي الله عنهم. من ذلك تفسير أبي بكرٍ رضي الله عنه للكلاية في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾<sup>(٤)</sup>، فقد اختلف أهل التَّأويل في الكلاية فقال بعضهم هي ما خلا الوالد والولد، وقال أبو بكرٍ رضي الله عنه: "إنِّي قد رأيت في الكلاية رأياً، فإنَّ كان صواباً فمنَّ الله وحده لا شريك له، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله منه

١ - سورة النحل: من الآية ٤٧.

٢ - الشَّاطِبي، الموافقات: ج ١/٥٤. ويُنظر الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م: حديث رقم (٢١٦١٨)، ج ٧/٥٩١. وليس في هذه القصة ما يُعارض ما جاء عن عمر، عندما سئل عن معنى الأب؛ لأنَّ الآية في هذا الموضع يتوقَّف فهم معناها على معرفة معنى التَّخَوُّفِ؛ بخلاف الآية الأخرى، فإنَّ المعنى الذي يُراد منها لا يتوقَّف على معرفة معنى الأب.

٣ - زغلول، د. الشحات السيد، من مناهج التفسير: ص ٦٨.

٤ - سورة النساء: ١٢.

بريء؛ إنَّ الكلالَةَ ما خلا الولد والوالد. فلما استخلف عمر رضي الله عنه قال: *إِنِّي لأستحي من الله تبارك وتعالى أنْ أخالفَ أبا بكرٍ في رأيي رأه*<sup>(١)</sup>.

فإعمالُ الرأي في القرآن كان يتوقَّف على الحاجة إلى ذلك، فإذا لم تعد هناك حاجة وأصبح الأمر محصوراً في لفظة من ألفاظه، فإنَّ قوَّة العقيدة كانت تمنعهم من القول في ذلك، إضافة إلى أن الصحابة لم يتخذوا لآرائهم صفة الإلزام.

وقد عقدَ الطُّبري فصلاً في تفسيره "جامع البيان" بعنوان: *ذِكْرُ بعض الأخبار التي رُويت في الحضِّ على تفسير القرآن، ومن كان يُفسِّره من الصحابة*. ذَكَر فيه أنَّ الصحابة كانوا يتفهَّمون القرآن، ويفسِّرونه، وعجِب الإمام الطُّبري من أولئك الذين يتحرَّجون من تفسيره، وأفاض في الردِّ على فكرة التحرِّج من تفسير القرآن، ما دامت مقوِّمات التفسير ومؤهلاته وشروطه موجودة.

وقد أبان الطُّبري أنَّ الجهلَ بما في القرآن جهلٌ بالدين وأحكامه، وجهلٌ بما في القرآن من عبرٍ وعظات، فالقرآنُ أنزله الله ليفهمه المسلمون، ويتدبَّروه، ويتغطوا به، ويأتَمروا بأمره، وينتهوا بنهيه، وليس شيء من هذا ممكناً إلَّا إذا أدركوا معانيه، وفسَّروا آياته، لأنَّ الأمرَ بما هو غيرُ مفهومٍ مُحال، يقول في هذا: *"وفي حثِّ الله عزَّ وجلَّ عباده على الاعتبار بما في آي القرآن من المواعظ والبيِّنات قال لنبيه ﷺ: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾*<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: *﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾* *قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ*<sup>(٣)</sup>.

١ - يُنظر الحديث في الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن: حديث رقم (١٠٨٨١)، ج٤/٣٨١. ويُنظر تفسير ابن كثير: ج١/٤٧٠. والكلالة من تكلَّلَ نَسَبُهُ بِنَسَبِكَ، كَابْنِ الْعَمِّ وَشَبِيهِهِ، أَوْ هِيَ الْأُخُوَّةُ لِلْأُمِّ، أَوْ بَنُو الْعَمِّ الْأَبَاعِدُ، أَوْ مَا خِلا الْوَالِدَ وَالْوَالِدَةَ. أَوْ هِيَ مِنَ الْعَصْبَةِ مَنْ وَرِثَ مَعَهُ الْإِخُوَّةَ لِلْأُمِّ. يُنظر الفيروزآبادي، القاموس المحيط: ص٨٩٩.

٢ - سورة ص: ٢٩.

٣ - سورة الزمر: ٢٧-٢٨. ويُنظر الطُّبري، جامع البيان: ج١/٢٨-٢٩.

فلا يتوقّف فهمُ القرآنِ على الإحاطةِ بمعاني ألفاظِهِ فحسب، بل يحتاجُ الناظرُ فيه إلى إدراكِ أساليبِ العربِ وفنونِ كلامهم ليتمكّنَ بعد ذلك من فهمِ القرآنِ والوقوفِ على أحكامِهِ. والصحابةُ هم أهلُ الحجازِ وأصحابُ اللغةِ التي نزل بها القرآن، ولذلك قامَ الصحابةُ الذين لم يتحرّجوا من خوضِ غمارِ التفسيرِ بمهمةِ بيانِ ما خفي من القرآنِ الكريمِ على السائلين، والدّاخلين في الإسلام. وكانوا يعتمدون في بيانهم ذلك على ما ورد عن رسول الله ﷺ من تفسيرٍ، فإذا لم يُسعفهم ذلك رجعوا إلى الشعرِ العربيّ ليستعينوا به على تفسيرِ القرآنِ الكريمِ.

#### - الدرس البياني في تفسير ابن عباس وشهرته:

ومن أظهر مَنْ اشتهر بهذا اللون من التفسير من الصحابة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (ت ٦٨هـ)؛ وذلك لامتدادِ حياته إلى عصرِ التابعين، وسبق وفاة التسعة الكبار من الصحابة المشهورين بالتفسير<sup>(١)</sup>، ولرحيله في بلادٍ إسلاميةٍ كثيرةٍ، مما كان له أثرٌ كبيرٌ في تناقلِ تفسيره بين الناس في جميع البلاد الإسلامية، فحُفظ منه الكثير ودُوّنت معظم آرائه في كتب التفسير<sup>(٢)</sup>.

وقد ألف بعضُ الكاتِبين في تاريخ التفسير أن يجعلوا ابن عباس صاحبَ الرأْي الخاصِّ بتفسير القرآن تفسيراً لغويّاً يرجع فيه إلى شعر العرب، ذلك لأنّه لم يقتصر في تفسيره على المأثور والأخبار، بل كان يضيفُ إلى ذلك عنصراً لغويّاً في فهمِ معنى المفرد أو فهمِ سرِّ التركيب، ويستشهدُ على ذلك بالشعرِ الجاهليّ، ونُقِل عنه "الشعرُ ديوانُ العرب؛ فإذا خفي علينا الحرف من القرآن -الذي أنزله الله بلغة العرب- رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه"<sup>(٣)</sup>. والمناقشةُ الشهيرةُ التي جرت بينه وبين نافع بن

١ - وهم "الخلفاء الأربعة، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير".

٢ - يُنظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: ج ٢/١٢٢٨-١٢٣٠.

٣ - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: ج ١/٣٨٢. ويُنظر الطبري، جامع البيان: حديث رقم (٢٥٣٩٣)، ج ٩/١٩٢-١٩٣.

الأزرقي<sup>(١)</sup> حيث سأله عن كثير من ألفاظ القرآن الكريم ففسرها ابن عباس واستشهد على تفسيره لكل كلمة ببيت من الشعر، دليل واضح على الاتجاه اللغوي والحس البلاغي الراقي في تفسيره بجانب روايته للمأثور، "كما تنطق بأبلغ الدلالة على سعة محفوظه، وجودة تطبيقه، وله في ذلك فرائد تنفعنا في دراسة البذور الأولى للتفسير البياني"<sup>(٢)</sup>.

من أمثلة ذلك، ما روي عن عبد الله بن عمر: "أن رجلاً أتاه يسأله عن تفسير قوله الله عز وجل: ﴿أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾<sup>(٣)</sup>، فقال: اذهب إلى ابن عباس، فسأله ثم تعال أخبرني، فذهب فسأله، فقال: كانت السموات رتقا لا تمطر، وكانت الأرض رتقا لا تنبت، ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات، فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره، فقال: قد كنت أقول: ما يعجبني جراءة ابن عباس على تفسير القرآن؛ فالآن قد علمت أنه أوتي علماً"<sup>(٤)</sup>. إن هذا الشاهد من باب الكناية ولئن فات ابن عباس أن ينطق بهذه الكلمة فما فات مدلولها الصريح.

وتأويل ابن عباس لسورة النصر ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾<sup>(٥)</sup>، بأنها علامة أجل الرسول ﷺ من قبيل الكناية أيضاً، لأن مجيء النصر والفتح يدل على انتهاء الرسالة وتحقق غايتها، فما بعده إلا الأجل<sup>(٦)</sup>، وأيضاً هنا لم ينطق بلفظ الكناية لكنه أشار إلى مدلولها الصريح. ففي تفسير ابن عباس الدرس البلاغي والإشارات التطبيقية في مجال البيان، ولعلها كانت أساساً للنهج البياني الذي جاء بعد ذلك في التفسير.

١ - للاطلاع على هذه المناظرة وما جاء فيها يُنظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: ج ١/٣٨٢-

٤١٦، وعبد الرحمن، د. عائشة، الإعجاز البياني للقرآن: ص ٢٧٨ حتى ص ٥٠٧.

٢ - البيومي، د. محمد رجب، خطوات التفسير البياني: ص ١٧.

٣ - سورة الأنبياء: ٣٠.

٤ - يُنظر الحديث في الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: عبد الله بن عباس، ج ١/٣٢٠. ويُنظر السيوطي، الإتقان: ج ٢/١٢٢٩. ويُنظر الزرقاني، مناهل العرفان: ج ١/٤٨٣-٤٨٤.

٥ - سورة النصر: ١.

٦ - يُنظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: ج ٢/١٢٢٩.

وباستقراء ما في كتب التفسير من آراء لغوية لابن عباس<sup>(١)</sup>، و من حس بلاغي، واستشهاد حثيث بكلام العرب، يتأكد لنا أنه كان من أوائل من فسروا القرآن لغويًا وبيانيًا، وقد امتد تأثير مدرسته إلى جملة صالحه من خيرة العلماء ممن سلكوا طريقه وأصابوا فيه.

### - درس بياني للتابعين ﷺ:

التابعون هم الذين تتلمذوا على يد كبار الصحابة، وأخذوا عنهم منهجهم في التفسير، وقد صدر عنهم ما ينتمي إلى الدرس البياني بروحه ومرواه، دون تصريح بالمصطلح البلاغي أو المجازي الذي عُرف بعد ذلك.

وقد اتسعت دائرة التفسير في عصرهم لرحيلهم إلى أمصار مختلفة أصبحت مدارس للتفسير لها صبغتها ومميزاتها، كمدرسة مكة<sup>(٢)</sup>، ومدرسة المدينة، ومدرسة العراق. واتسم التفسير في هذه الفترة بالاستنباط، والاستدلال بالمأثور وبشواهد اللغة والشعر العربي، اعتمادًا على طريقة ابن عباس. ونختار مجاهدًا -تلميذ ابن عباس- من التابعين للاستشهاد ببعض ما قال نظرًا لكثرة ما روي عنه من التأويل الذي تصح نسبه إلى الدرس البياني. وقد اختلفت آراؤه في بعض المواضع عن آراء ابن عباس في الكلمة الواحدة باختلاف سياقها التركيبي اختلافًا يعتمد على الحس البياني لدى كل دارس يشرح الأساليب، ولا ضير في ذلك لأنه من الطبيعي أن يختلف رأي الدارس الواحد في تأويل المادة الواحدة إذا سيقت مساقين مختلفين، ونضرب لذلك مثلًا اختلافهم في تأويل مادة "فتن" في الآيات الآتية: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ\* مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً

١ - ينسب بعض الدارسين التفسير المعروف باسم "تنوير المقباس من تفسير ابن عباس" إلى ابن عباس، وفي نسبه إليه شك كبير عند الثقات وبخاصة إذا وضعنا في الاعتبار قول الإمام الشافعي: "لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث". يُنظر السيوطي، الإتيان في علوم القرآن: ج ٢/١٢٣٣.

والذهبي، د. محمد حسين، التفسير والمفسرون، القاهرة، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م: ج ١/٨١-٨٢.

٢ - كان أهل مكة أعلم الناس بالتفسير لوجود ابن عباس بينهم، وقد روى عنه مجاهد وعكرمة مولى ابن عباس وعطاء بن أبي رباح. يُنظر السيوطي، الإتيان في علوم القرآن: ج ٢/١٢٣٣.

٣ - سورة الصافات: ١٦١-١٦٢.

لَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرُ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ<sup>(١)</sup>، ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا  
وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿وَوَظَنَّا دَاوُودَ أَنْمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا  
وَأَنَابَ﴾<sup>(٣)</sup>.

فقد فسّر مجاهد ﴿فَاتَيْنَ﴾ في الآية الأولى بمضلين، وفسّر ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾ في  
الآية الثانية بمعنى لا تعذبنا بأيديهم. فيقولون: لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم هذا.  
وفسّر ابن عباس ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾ في الآية الثالثة بمعنى معذرتهم، كما فسّر ﴿فَتَنَّاهُ﴾ في الآية  
الرابعة بمعنى اختبرناه<sup>(٤)</sup>. "وهذا كله تفسير يستوحي الحسّ البيانيّ كلّ الاستيحاء"<sup>(٥)</sup>.

فالتابعون يركّزون على الجوانب اللغويّة لتوضيح ما دقّ وخفيّ من الآيات  
الكريمات، ولعلّهم أسهموا بذلك في الكشف عن الأسرار البيانيّة في القرآن الكريم.

وقد مضى جيلُ التّابعين حتى نهاية القرن الأوّل الهجريّ وبعده بقليل على هذه  
الوتيرة، فكانت الإشاراتُ البلاغيّةُ تبدو بوضوحٍ من خلال تفسيرهم آي الذّكر الحكيم،  
ولكن بدون تصرّيحٍ بالمصطلح البلاغيّ أو المجازيّ الذي عُرف بعد ذلك. واستمرت  
طريقة الرّجوع إلى الشّعْر الجاهليّ، للاستعانة به على فهم غريب القرآن، سائدةً إلى أن  
حدثت خصومةً مفتعلةً بين المتورّعين والفقهاء وأهل اللّغة، فأنكروا عليهم هذه الطّريقة  
وقالوا: إنّ فعلتم ذلك جعلتم الشّعْر أصلًا للقرآن<sup>(٦)</sup>، وكيف يجوز أن يُحتجّ بالشّعْر على  
القرآن وهو مذموم في القرآن الكريم والحديث الشريف.

١ - سورة الممتحنة: ٥.

٢ - سورة الأنعام: ٢٣.

٣ - سورة ص: ٢٤.

٤ - يُنظر الأصفهاني، الراغب الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد كيلاني،  
مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦١م: ص ٣٧١-٣٧٢.

٥ - البيومي، د. محمد رجب، خطوات التفسير البياني: ص ٣٠.

٦ - من هؤلاء الإمام النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، على  
هامش تفسير الطبري، ط/٢، دار المعرفة بيروت- لبنان، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م. إذ صرّح بذلك في مقدمة  
تفسيره. يُنظر ج ١/٦.



والحقُّ أن هذه الخصومة التي انبعثت في الأجيال المتأخرة لا تقوم على أساسٍ فنيٍّ ولا على قاعدةٍ علميةٍ سديدة. فالأمرُ ليس كما زعم أصحابُ هذا الرأي من جعلِ الشعرِ أصلًا للقرآن، بل هو في الواقع بيانٌ للحرفِ الغريبِ من القرآنِ بالشعر، لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(١)</sup>، ولهذا لم يتحرَّج الدارسون إلى يومنا هذا من الرجوعِ إلى الشعرِ العربيِّ للاستشهاد به على المعنى الذي يذهبون إليه في فهم كلام الله تعالى<sup>(٢)</sup>. فالرجوع في التفسير والدَّرس القرآنيَّ إلى لغة العرب رجوعٌ إلى المصدرِ الحقيقي دون نزاع.

وهكذا نجد أن الدارسين في الفترة الأولى في صدر الإسلام درسوا القرآن دراسةً من يعرفُ مناحي القولِ المختلفة في بيانه، وإن فاتهم الوقوف على المصطلحاتِ البلاغية التي هيأ لها تتابع الزمن فيما بعد، فإنَّ شيئاً من جوهر هذه المصطلحات لم يفتهم، ذلك أنَّهم عرفوا بفطرتهم مكانَ الإيجازِ والإطنابِ، وموضعَ الحقيقةِ والمجازِ.

١ - سورة يوسف: ٢.

٢ - الذهبي، د. محمد حسين، التفسير والمفسرون: ج ١/٧٦-٧٧.

## ثانياً- الدرس البياني القرآني في عصر التدوين:

لعلنا بعد ما تقدّم من دراسة الأصول البعيدة للدرس البياني للقرآن الكريم، والإشارة إلى مرحلةٍ مهمّةٍ يمرُّ عليها مؤرخو البيان معرضين، نستطيع أن نتكلّم على الدرس البياني للقرآن الكريم في عصر التدوين.

### - عوامل الاشتغال بالدراسات القرآنية :

مضى القرن الأوّل والثاني من تاريخ المسلمين، والإعجاز القرآني من الجلاء بحيث لا يُنزع فيه منازع، فالإعجازُ شيء يحسّونه في أنفسهم كأنه بعض فطرتهم. وبمضي الزمن، تغيّرت صورة المجتمع الإسلامي، وحمل التغييرُ معه فيما حمل شبهاتٍ تُوجّه إلى الإعجاز القرآني، ومطاعن تُصوّب إلى البلاغة القرآنية ذاتها، بعد أن غلبت العُجْمَةُ على الألسنة، وافترق الكثيرون إلى تلك الحاسّة التي أدرك بها أجدادهم ما في القرآن من بلاغة وإعجاز<sup>(١)</sup>.

وقد حاول خصوم الإسلام الحطّ من شأن القرآن وبلاغته وإعجازه، ووجّهوا له الشُّبهات والمطاعن، فاندفع الباحثون، في دراساتهم، إلى ردّها عن القرآن الكريم، وكانت طبيعة هذه الشُّبهات والمطاعن التي أوردوها تنحصر في جانبين؛ جانب يتعلّق بالمضمون، وجانب آخر يتعلّق بالشكل والأسلوب.

فأمّا الجانب الذي يتعلّق بالمضمون، فقد ردّ العلماء مزاعم بعض الملاحدة وأعداء الدّين بأنّ في القرآن تناقضاً، أو اختلافاً بين بعض معانيه وأفكاره، وكان هؤلاء الملاحدة قد ساقوا مجموعةً من الآيات توهم النّظرة السّطحيّة إليها ذلك الادّعاء. وقد تصدّى العلماء -في تلك المرحلة- لهؤلاء الخصوم، فكشّفوا ذلك الزيف وبيّنوا أنّه لا تناقض ولا اختلاف، وكيف يقع ذلك وقد مدح الله القرآن بنفي أي اختلاف أو تناقض فيه، بل إنّ انتفاء الاختلاف والتناقض في القرآن الكريم وجّه من وجوه الإعجاز.

١ - بركة، د. عبد الغني محمد سعد، الإعجاز القرآني "وجوه وأسرار"، ط/١، مطابع المختار الإسلامي، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م: ص ٥٠-٥١.

وكان من أبرز من تصدّوا لتلك الشبهة، القاضي أبو الحسن عبد الجبار الأسدآبادي (ت٤١٥هـ)، إذ يقول: "وأما كونه معجزاً بزوال الاختلاف عنه، والتناقض، على ما يقتضيه قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾<sup>(١)</sup>، فقد قال به: بعض مشايخنا المتقدمين؛ وذكر شيخنا أبو علي أنه يبعد في مَنْ يعلم الأشياء بعلمه ويحتاج فيما يأتيه من تأليف كتاب وغيره إلى استحضار العلوم أَنْ يَنْتَفي عن كلامه الطويل، وتأليفه الكثير، المناقضة، حتّى يستمرّ على طريقة الصّحّة. وذكر شيخنا أبو هاشم أنّ زوال الاختلاف والتناقض عن القرآن لو كان -فعل غير الله تعالى...- بعيداً، لأنّ العادة لم تجرِ بمثل ذلك في كلام العباد"<sup>(٢)</sup>.

ويمضي القاضي عبد الجبار في إعطاء نماذج أوردها ابن الرّاوندي المُلحد، فيبطلها، ويردّ عليها<sup>(٣)</sup>. بل إنّ القاضي عبد الجبار ألّف كتاباً خاصّاً في هذا الموضوع سماه "تنزيه القرآن عن المطاعن"<sup>(٤)</sup>، ردّ فيه التّهم التي كان يوجّهها أعداء الإسلام إلى القرآن كما تعرّض في كتبه الأخرى لكثير من هذه الشبهات وفنّدها وبينّ بطلانها. ومن ذلك مثلاً ما أورده حول قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾<sup>(٥)</sup>، يقول: "وربّما قيل في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾ كيف يصحّ ذلك ولا خير في النّار أصلاً؟ وجوابنا: أنّ المراد أيّهما أولى بأنّ يكون خيراً؟ وقد يقول الحكيم لغيره من العصاة: إنّ التّمسك بالطّاعة خيرٌ لك من المعصية، والمراد ما قد ذكرنا"<sup>(٦)</sup>.

١ - سورة النساء: ٨٢.

٢ - الأسد آبادي، القاضي أبو الحسن عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، قوّم نصّه أمين الخولي، ط/١، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م: ج١٦/٣٢٨.

٣ - المصدر السّابق: ج ١٦/٣٩٠ وما بعدها.

٤ - عرض في هذا الكتاب سور القرآن على ترتيبها، -لكنّه لا يستقصي جميع السورة ولا يعرض لكلّ آياتها-، وبينّ معاني ما تشابه من آياتها، مع بيان وجه خطأ فريق من الناس في تأويلها.

٥ - سورة الفرقان: ١٥.

٦ - الأسد آبادي، القاضي أبو الحسن عبد الجبار، تنزيه القرآن عن المطاعن، الناشر الشركة الشرقية للنشر والتوزيع، دار النهضة الحديثة، بيروت-لبنان، (د.ت): ص٢٩٠.

وممن تصدّوا لتلك الشبهات أيضاً، الشريف المرتضى (تـ٤٣٦هـ)، إذ كان في مجالسه عدّة وقفات، وفقّ فيها بين بعض الآيات، وبيّن انسجامها وترابطها، وبعدها عن أيّ اختلافٍ أو تناقضٍ، كما يزعم بعض أعداء الإسلام<sup>(١)</sup>. ومن هذه الوقفات نذكر على سبيل المثال، إجابته بدقةً بالغةٍ عن ما زُعم من الاختلاف والتناقض بين قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقَ عَصَاكَ فَلَمَّا رآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾<sup>(٣)</sup>. فالثُعْبَانُ الحيّة العظيمة الخلقة، والجَانُّ الصَّغِيرُ من الحيات، فكيف اختلف الوصفان والقصة واحدة؟ وكيف يجوز أن تكون العصا في حال واحدة بصفة ما عظم خلقه من الحيات وبصفة ما صغر منها؟!

وقد ذكر الشريف عدّة ردود، أولها أن الآيتين ليستا حديثاً عن قصة واحدة كما ظنّ المعترض بل هناك حالتان مختلفتان، إذ إنّ الحال التي جعلت العصا فيها بصفة الجان، كانت في ابتداء النبوة قبل أن يذهب موسى إلى فرعون والحال الثانية التي صارت العصا عليها ثعباناً كانت عند لقائه فرعون وإبلاغه الرسالة، والتلاوة يريد البيان القرآنيّ - تدلُّ على ذلك، فلا اعتراض. ولم يكتفِ الشريف بهذا القول الحاسم بل تابع استعراض جميع ما قيل على افتراض أن الموقف واحدٌ لم يتعدّد<sup>(٤)</sup>.

وأما الجانب الذي يتعلّق بالشكل والأسلوب، فقد ردّ العلماء الشبهات التي وُجّهت إلى أسلوب القرآن وطريقته في التعبير. وهذا الجانب هو جانبُ البلاغة القرآنيّة الذي يُعتبر الحديث فيه على غايةٍ من الأهميّة في تناول آيات القرآن الكريم. وإنّ الدّفاع عن هذا الجانب هو الذي دفع الجاحظ - على سبيل المثال - إلى أن يطيل القول في تشبيهات

١ - يشتمل هذا الكتاب على محاضرات أو أمالٍ، أملاها الشريف المرتضى في ثمانين مجلساً، تشتمل على بحوث في التفسير والحديث والأدب. يُنظر على سبيل المثال توفيقه بين مجموعة آيات زُعم أنّ فيها تناقضاً. الشريف المرتضى، علي بن الحسين، أمالي المرتضى "غرر الفوائد ودرر القلائد"، تحقيق محمد أبو الفضل، ط/٢، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م: ج ٢٢٨/١ - ٢٣١.

٢ - سورة الشعراء: ٣٢.

٣ - سورة القصص: ٣١.

٤ - تُنظر هذه الأقوال في الشريف المرتضى، أمالي المرتضى: المجلس الثالث، ج ٢٥/١ - ٢٧.

القرآن، وأن يردّ التّهمة التي وُجّهت إليها عن خفاء العلاقة بين المُشَبَّه والمُشَبَّه به. إذ راح يفصّل القول في فائدة بعض ما ورد في القرآن من تشبيهات، مبيّناً غايتها، وسرّ جمالها، ومنبّهًا على دقّة القرآن في التّشبيه بالخصائص المشهورة للمُشَبَّه به. كما دافع أيضًا عن بعض مجازات القرآن، وبيّن الغرض منها، لتكون سهلة في تناول العقول، فلا تكون لهم حجة على بيان القرآن<sup>(١)</sup>.

ولم تكن قضية ردّ الشّبّهات والمطاعن عن القرآن الكريم هي السبب فقط في التوجّه إلى الدّراسات البيانيّة، بل يُضاف إلى ذلك دخول غير العرب في الإسلام وهؤلاء لم يكونوا على دراية بأساليب العرب، ومعرفة بفنونهم في القول، لذلك ازدادت الحاجة إلى تعرّف الوجوه البيانيّة المعجزة للقرآن الكريم. يقول الأستاذ أمين الخولي: "بتمادي الزمن ودخول غير العرب في الإسلام، احتاج المسلمون إلى أن يتعرّفوا إعجاز القرآن، واضطروا إلى بحثٍ ودراسة ذلك، فصارت معرفة البلاغة أمرًا دينيًا كلاميًا يقرّر حجة الله في عقول المتكلّمين، كما يقول عمرو بن عبيد<sup>(٢)</sup>، ومن هنا كان اشتغال كثير من علماء الكلام والعقيدة بأبحاث بلاغيّة"<sup>(٣)</sup>.

ويُضاف إلى ذلك سبب آخر دفع العلماء للاشتغال بالدّراسات البيانيّة، وهو الوقوف على سرّ الجمال الفنّي في القرآن الكريم، وبيان ما يمتاز به من خصائص جعلته كتابًا يقف في قمة البلاغة العربيّة، وأسلوبًا عجز الفصحاء عن أن يأتوا بمثله رغم قرب أسلوبه من أساليب العرب في شعرهم ونثرهم. فعلى الرغم من "التّشابه الظّاهري بين أسلوب القرآن المعجز، وأساليب العرب في شعرهم ونثرهم، بقيت للقرآن ميزة جعلته

١ - للاطلاع على نماذج من دراسته راجع ما سيرد من كلامنا على معالم الدّرس البيانيّ عند الجاحظ، فيما بعد.

٢ - عمرو بن عبيد متكلّم معتزليّ (ت-١٤٢هـ)، يقول: "إنّ البلاغة أداة لتقرير حجة الله في عقول المتكلّمين... رغبة في سرعة استجابتهم، ونفي الشّواغل عن قلوبهم". يُنظر الجاحظ، أبو عثمان (عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د.ت): ج ١/٦٣.

٣ - دائرة المعارف الإسلاميّة أصدرها باللغة العربيّة أحمد الشنتناوي وإبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس، راجعها د. محمد مهدي علّام، دار المعرفة، بيروت-لبنان، (د.ت): ج ٤/٦٦.

المثل الأعلى للبلاغة العربية عند جماعة العلماء في الأدب والبلاغة، بل إنَّ بعضهم رأى أنَّ نظمَ القرآنَ خارجٌ على فنون القول عندهم، وعلى صنوف بلاغاتهم، ومن هنا نشأت دراسات البيان القرآني<sup>(١)</sup>.

وهكذا تفاعلت عوامل عدَّة في دفع مجموعة كبيرة من علماء الإسلام للاشتغال بالدراسات القرآنية، وقد تركَّز اهتمام هؤلاء على متابعة قضايا الإعجاز البياني، لأنَّه الوسيلةُ لدمج الحجج الواهية فيما وُجِّه إلى القرآن الكريم من شبهاتٍ ومطاعن في ألفاظه ومعانيه، وأحكامه وإعجازه. يقول الدكتور رابع دوب مؤكِّدًا أهمية الدراسات البيانية في الدفاع عن القرآن، وإظهار خصائصه الإعجازية: "وقف علماء الإسلام يجادلون أعداءه من أصحاب الملل، والعقائد الأخرى، ويناظرون المخالفين لهم في الرأي، وكانت هذه المهمة تحتم عليهم أن يعرفوا كتاب الله الذي هو مادة هذه العقيدة معرفة عميقة، ليردوا عنه شبه الخصوم من ناحية، وليُظهروا ما فيه من وجوه التفوق والرفعة التي جعلته معجزًا يتحدَّى الجميع أن يعارضوه، أو يأتيوا بسورة من مثله من ناحية ثانية"<sup>(٢)</sup>.

فالكلام على الوجه البياني للإعجاز تزامن مع ظهور الدراسات التي دارت حول بيان وجوه الإعجاز، وقد بدأت هذه الدراسات على صورة إشارات مبثوثة في كتب المفسرين والأدباء والمتكلمين، ثمَّ بدأت في القرن الثالث الهجري تأخذ شكلًا منظمًا، هدفه تأكيد مناحي الإعجاز البياني في القرآن الكريم.

#### - دور المعتزلة في الدراسات البيانية:

كان المعتزلة من أسبق الفرق الإسلامية إلى دراسات الإعجاز البياني، إذ تداخلت هذه الدراسات عندهم مع أغراض علم الكلام، دفاعًا عن الدين، وحمايةً للعقيدة. وقد أسهمت مدرسة المعتزلة في خدمة القرآن الكريم، لأنَّها كانت تتمثل في الفكر الإسلامي الطبقة المتقفة الواعية المدافعة عن الإسلام، فقد كان منها علماء الكلام المتبحرون، وأدباء

١ - العمري، د. أحمد جمال، مفهوم الإعجاز القرآني: ص ٢٦٧.

٢ - دوب، د. رابع، البلاغة عند المفسرين: ص ٤٥٧.

أببناء، وأئمة في النحو، وأعلام في التفسير، وعلى أيديهم وبين أفكارهم نشأ الاهتمامُ ببلاغة القرآن، إذ راح هؤلاء يلفتون الأنظارَ إلى الوجه البيانيّ للإعجاز القرآنيّ، وتابعهم في ذلك معظم الذين تناولوا وجوه الإعجاز، فأخذوا بكلامهم، وأيدوا وجهة نظرهم، وإن كان اللاحقون قد وسّعوا وأسهبوا في هذا الميدان البيانيّ<sup>(١)</sup>.

واستند القائلون بهذا الرأي -سبق طائفة المعتزلة إلى دراسات الإعجاز البيانيّ- إلى أن أقدم الآراء التي وصلت إلينا حول هذا الموضوع كان صاحبها أبو إسحاق النّظام (تـ ٢٣١هـ) شيخ المعتزلة، وعقلهم المفكر، حيث قال مقالته المشهورة، التي عُرفت في تاريخ الفكر الإسلاميّ باسم "الصّرفة"<sup>(٢)</sup>، وخالفه فيها، إضافة إلى أهل السّنة، المعتزلة أنفسهم وعارضوه، و"أقاموا من أنفسهم دعاءً لإعجاز القرآن البيانيّ"<sup>(٣)</sup>. فالتّصديّ لإبطال القول بالصّرفة أدّى إلى البحث عن وجوهٍ بديلةٍ لتكون دليلاً على الإعجاز القرآنيّ، وكان إبرازُ ما اشتمل عليه القرآن من روعة الاتّساق، وبديع النّظم، وسحر البيان هو الوجه الذي اعتمده الدّارسون.

وقد توسّع المعتزلة في دراساتهم القرآنيّة في فهم الجانب البلاغيّ بوجهٍ عامٍّ والجانب المجازيّ بوجهٍ خاصٍّ، وكان الدّافع إليه خدمة أغراضهم الاعتزاليّة، والدّفاع عن

١- العمري، د. أحمد جمال، مفهوم الإعجاز القرآنيّ: ص ٢٧١. والقول بسبق طائفة المعتزلة إلى دراسات الإعجاز البيانيّ للقرآن جاء استناداً إلى آراء بعض العلماء والباحثين، (القدماء)، ونذكر منهم الخطابي في رسالته "بيان إعجاز القرآن"، و(المُحدثين)، ونذكر منهم الرافعي في كتابه "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية". ويُنظر ما كتبه الجويني، د. مصطفى الصّاوي، منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، ط/٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م: ص ٧٠ وما بعدها حتى ص ٧٥.

٢- أي أنّ الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها، فكان هذا الصّرف خارقاً للعادة، وبهذا يكون الصّرف هو المُعجز لا القرآن نفسه.

٣- العمري، د. أحمد جمال، المباحث البلاغيّة في ضوء قضيّة الإعجاز القرآنيّ (نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري)، مطبعة المدني، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م: ص ٢٩. و يُنظر مجموعة من الدلائل على بطلان فكرة الصّرفة، وكيف كانت سبباً في البحث عن أسرار القرآن البيانيّة، المصدر نفسه: ص ٣٠-٣٢. ويُنظر أيضاً العمري، مفهوم الإعجاز القرآنيّ: ص ٢٥٨-٢٥٩.

آرائهم ومعتقداتهم<sup>(١)</sup>، وكان المبدأ الأعلى للتفسير عند المعتزلة المبدأ اللغوي، إذ كانوا يحرصون على الرجوع إلى لغة العرب والشعر القديم، للاستشهاد بهما على ما يسوقون من وجوه التأويل، إضافة إلى عناية معظم الدراسات القرآنية الاعتزالية بالجانب البلاغي من الناحيتين النظرية والتطبيقية<sup>(٢)</sup>. حيث كان بروز الدرس البلاغي فيها ظاهرة تلفت النظر، ذلك أن أكثر دراساتهم في البيان القرآني قامت حول الأسلوب في الآية، وتتبع المعاني وتقليبها على وجوهها ليصلوا إلى الوجه الذي يرضي ذوقهم. وهذا راجع إلى أن الجدل الذي كان قائماً بينهم وبين أعداء الإسلام يتطلب منهم الافتتان في أساليب القول، ويتطلب منهم امتلاك قدرة بلاغية عالية؛ تمكنهم من إبطال ورد كل الشبهات التي أوردها المشككون والطاعنون في القرآن الكريم، ولاسيما ما يتعلق بإعجازه البياني، وكذلك في الآيات المتشابهات التي قد يوهم ظاهرها أن فيها تناقضاً<sup>(٣)</sup>.

وهكذا كان من نتيجة الجدل الطويل الذي دار بين المعتزلة وغيرهم من أصحاب الفرق والطوائف الأخرى حول المجاز وسائر ألوان الدرس البلاغي أن أقبل العلماء على دراسة كثير من أشكال التعبير والصور البيانية في القرآن الكريم، واستفادوا كثيراً من تحديدات المعتزلة لمصطلحاتها، وإيضاحهم لكثير من خصائصها ومميزاتها<sup>(٤)</sup>.

فللمعتزلة إذن أثر كبير في ميدان الدرس البياني والبلاغي، لأنهم طائفة من الناس مزودون بكثير من الأدوات التي تجعلهم أهلاً لمعالجة هذه القضايا والمسائل<sup>(٥)</sup>.

- 
- ١ - قصاب، د. وليد، التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري، دار الثقافة، الدوحة- قطر، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م: يُنظر ص ٦.
  - ٢ - الذهبي، د. حسين، التفسير والمفسرون: ج ٣٧٦/١. ويُنظر فيه عناوين الكثير من الدراسات القرآنية الاعتزالية: ج ٣٨٦/١ - ٣٩١.
  - ٣ - دوب، د. رابح، البلاغة عند المفسرين: ص ٥٥٢.
  - ٤ - قصاب، د. وليد، التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة: ص ٣٧١.
  - ٥ - المرجع السابق: ص ٥. ويُنظر حمدي أبو علي، د. محمد بركات، كيف نقرأ تراثنا البلاغي: ص ١٣.



### - جهود اللغويين في الدرس البياني :

كان للغويين جهودهم في الدراسات البيانية للقرآن الكريم، إذ برزت على أيديهم - في القرن الثاني - محاولات شتى لتدوين التفسير في صور كثيرة اختلفت باختلاف العلماء ومذاهبهم.

فالنحويون طُبعت كتبهم باسم "معاني القرآن"، مثل كتب "معاني القرآن" للكسائي (تـ١٨٩هـ)، والفرّاء (تـ٢٠٧هـ)، والأخفش الأوسط (تـ٢١٥هـ)، والزجاج (تـ٣١١هـ). واتسمت كتبٌ أخرى بتناول معاني كلمات القرآن المفردة على ضوء الشعر القديم وكلام العرب، ورُتبت هذه الكتب حسب سور القرآن أو حسب حروف الهجاء. ومن هذه الكتب، كتاب "غريب القرآن" لأبي عبيد القاسم بن سلام (تـ٢٢٤هـ)، ولابن سلام الجمحي (تـ٢٣٢هـ)، ولابن قتيبة (تـ٢٧٦هـ)، وغيرهم. وتخيّر بعضهم جوانب معيّنة في اللفظ القرآني، ووجهوا إليها عنايتهم اللغوية، مثال ذلك، كتاب "لغات القرآن" للأصمعي (تـ٢١٦هـ)، و"المصادر في القرآن" للفرّاء، وكتاب "الجمع والتنثية" له أيضاً. ووجه بعضهم عنايته للأسلوب القرآني، والمعاني، والنظم وصلته بالمعنى واللفظ، وهؤلاء استرعت اهتمامهم فنون التعبير في القرآن، ومن هؤلاء أبو عبيدة (تـ٢١٠هـ) في كتاب "مجاز القرآن" والجاحظ (تـ٢٥٥هـ) في كتاب "نظم القرآن"، وابن قتيبة في كتاب "مشكل القرآن"، مع تفاوتٍ بينهم في القيمة والتناول، كل حسب مذهبه<sup>(١)</sup>.

ويبدو أنّ هذا النشاط العلمي للغويين كان سبباً وجيهاً في وضع قواعد البلاغة القرآنية، وبسط مباحثها، وبذلك فتح اللغويون الباب أمام الباحثين في أسلوب القرآن ولغته، فلم ينفرد المعتزلة بدراسة إعجاز القرآن دون غيرهم من المسلمين، بل صار القرآن

١ - سلام، د. محمد زغلول، أثر القرآن في تطور النقد العربي، ط/٣، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م؛ يُنظر بالتفصيل ص ٣٥-٣٦ وما بعدهما. وللتوسع حول الكتب المؤلفة في معاني القرآن ومشكله ومجازه يُرجع إلى ابن النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست، المطبعة الرحمانية، مصر، (د.ت): ص ٥١-٥٢.

الكريم بنظمه ومعانيه محور دراسات وأبحاث علماء الإسلام من متكلمين ولغويين ومفسرين وأدباء يدافعون عنه، وينافحون عن حجة نبوة الرسول محمد ﷺ<sup>(١)</sup>.

وهكذا تطوّرت الدّراسات البيانيّة للقرآن الكريم من تسجيل الآراء وبثّ الملحوظات بين تضاعيف المصنّفات إلى وضع الدّراسات. وسننتحدث في الصّفحات القادمة عن أول ما يطالعنا في آخر القرن الثاني من دراساتٍ للقرآن، لا تخلو من المعالم البيانيّة، والوقفات البلاغيّة الذّوقية، وتتمثّل في:

-الدّراسات اللغويّة: ويضطلع بها أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتاب "مجاز القرآن".

-والدّراسات النّحويّة: ويضطلع بها أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء في كتاب "معاني القرآن". لننتقل بعد ذلك إلى الدّراسات البيانيّة لأسلوب القرآن الكريم في القرن الثّالث، ويبدوها الجاحظ في كتاب "نظم القرآن".

### - أبو عبيدة :

وضع أبو عبيدة، معمر بن المثنى، في الدّرس القرآنيّ مؤلّفه "مجاز القرآن" الذي يُعدّ أقدم مؤلّف عربيّ حفظه التّراث في بيان ما يحتاج من القرآن إلى بيان، وهو كتاب مهمّ يبحث في لغة القرآن وأسلوبه، ويفصّل القول في "كيفية التوصل إلى فهم المعاني القرآنيّة، باحتذاء أساليب العرب في الكلام، وسننهم في وسائل الإبانة عن المعاني"<sup>(٢)</sup>. إذ كان يحرص على "تأكيد أسلوب القرآن وفنون التّعبير فيه بأساليب العرب وفنونهم فيذكر في ختام كلّ كلامٍ له (أنّ العرب تفعل هذا)"<sup>(٣)</sup>. وقد توسّع أبو عبيدة في مدلول لفظة المجاز، إذ أراد بها معناها الأوسع وهو الممرّ والطّريق، ولم يعبّر بالمجاز ما هو قسيم

١ - العمري، د. أحمد جمال، مفهوم الإعجاز القرآني: ص ٥٢.

٢ - طبانة، د. بدوي، البيان العربي: ص ١٠.

٣ - السيد، السيد تقي الدين، نظرات في الأسلوب القرآني: ج ٢/٦٠.

الحقيقة بل عنى بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية<sup>(١)</sup>، وسائر التصرفات اللغوية وما يجوز في اللغة. "فمجاز القرآن يقصد به أبو عبيدة (المعبر) إلى فهمه"<sup>(٢)</sup>، لذلك يطلقه على كل أسلوب يوصل إلى فهم المعنى سواء تضمن حذفاً، أو إضماراً أو تقديماً، أو تأخيراً أو غير ذلك.

ويتبع أبو عبيدة في تناوله لآيات القرآن الكريم نظاماً يكاد لا يحيد عنه. فهو أولاً يوضح معاني ما في الآية من ألفاظ يرى حاجة في تفسيرها، فيشرحها شرحاً لغوياً مبيّناً استعمالاتها في صور مختلفة، ثم يأتي بالشاهد عليها وغالباً ما يكون شاهده من الأدب العربي شعراً كان أو نثراً.

ولم يكتفِ أبو عبيدة بتوضيح ما في الآية من ألفاظ، بل يستطرد أحياناً فيشرح الألفاظ الغريبة التي يتضمنها الشاهد الذي يأتي به<sup>(٣)</sup>. ثم يتطرق للفنون البلاغية ينبه عليها، ولكنه لا يزيد على أن يذكر اسم الفن فقط، مثلاً: وهو تشبيه، أو كناية دون أن يقدم تحليلات أو آية تفصيلات عنها.

فأبو عبيدة صرح ببعض الفنون البلاغية وخرج عليها بعض الآيات القرآنية، لكنه لم يكن دقيقاً في بعض الأحيان، بل كان يخلط فيما بينها، من ذلك مثلاً قوله في بيانه لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾<sup>(٤)</sup>: "لا تمسك عما ينبغي لك أن تبذل من الحق، وهو مثل وتشبيه"<sup>(٥)</sup>. فالصورة في هذه الآية

١ - يُنظر ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، الإيمان، تحقيق ومراجعة لجنة من العلماء بإشراف الناشر، المكتبة القيمة للطباعة والنشر، القاهرة، (د. ت): ص ٨٨-٨٩.

٢ - الجويني، مصطفى الصاوي، مناهج في التفسير، الناشر منشأة المعارف، الإسكندرية، (د. ت): ص ٧٨. ويُنظر معاني المجاز التي أوردها عند أبي عبيدة بالتفصيل: ص ٧٦-٧٧.

٣ - حويش، د. عمر الملا، تطور دراسات إعجاز القرآن: ص ١٣٧-١٣٨.

٤ - سورة الإسراء: ٢٩.

٥ - أبو عبيدة، معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تحقيق محمد فؤاد سزكين، ط/٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١ هـ-١٩٨١ م: ج ١/٣٧٥. وللتوسع في قضية الخلط بين الفنون البلاغية، يُنظر العمري، د. أحمد جمال، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني: ص ٧٦-٨١.

أقربُ إلى الكناية من التشبيه أو المثل، لأنَّ الله سبحانه وتعالى كنى بها عن البخيل والمسرف.

ومن إشاراتِه في مجازِه للكناية، ما قاله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾<sup>(١)</sup>، قال: "أي فأصبح نادماً، والعرب تقول ذلك للنادم: أصبح فلانٌ يقلِّب كفيه نداماً وتلهفاً على ذلك وعلى ما فاته"<sup>(٢)</sup>. فهذا تخريج كنائي واضح، لأنَّ تقليب الكفين إنما هو كناية عن صفة هي الندم والتحسّر<sup>(٣)</sup>.

ونجد في كتاب أبي عبيدة درساً بلاغياً هاماً في المجاز اللغوي الاستعاري، من ذلك على سبيل المثال قوله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾<sup>(٤)</sup>: "مجازه فجرّبوا وليس من ذوق الفم". وعلى هذا تكون الاستعارة للتبعية. وأشار أيضاً إلى الاستعارة المكنية في عدة مواضع أسند فيها فعل الأدميين إلى غيرهم. من ذلك قوله: "ومن مجاز ما جاء من لفظ خبر الحيوان والموات على لفظ خبر الناس، قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾<sup>(٦)</sup><sup>(٧)</sup>، فأبو عبيدة اكتفى بالإشارة إلى الاستعارة المكنية الواردة في هاتين الآيتين من غير تفصيل أو توضيح.

وخلاصة القول: إنَّ ما اهتدى إليه أبو عبيدة من السمات والخصائص البيانية، وما رده من كلمات الكناية والتشبيه والمثل والاستعارة مع سعة شمولها إذ ذاك وما حفل به كتابه من اللغة والنحو، يمثل التيار اللغوي مع قليل من آثار البحث البياني. وبذلك يعدّ

١ - سورة الكهف : ٤٢ .

٢ - أبو عبيدة، مجاز القرآن: ج ١/٤٠٤ .

٣ - المطعني، د. عبد العظيم، المجاز في اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع "عرض وتحليل ونقد"، ط/٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م: ج ١/٥٦ .

٤ - سورة الأنعام : من الآية ٣٠ .

٥ - سورة الإسراء: من الآية ٣٦ .

٦ - سورة يوسف: ٤ .

٧ - أبو عبيدة، مجاز القرآن: ج ١/١٠-١١ .

أول خطوة في الدراسات البيانية التي ألفت حول القرآن، وتناولته حسب ترتيب المصحف<sup>(١)</sup>، وحاولت إبراز القيم الجمالية المعجزة فيه.

### - الفراء :

عاصرَ أبا عبيدة، عالمٌ آخر هو الفراء، الذي ألفَ كتابًا حول البيان القرآني، وإن كان كتابه أقرب إلى علم النحو، من موضوعات علوم البلاغة. بيد أن الفراء لم يُغفل العناصر الجمالية التي تنطوي عليها الآيات القرآنية.

شرح الفراء في كتابه هذا ما في آيات القرآن الكريم من الغريب، متناولًا الآيات بحسب ترتيبها في المصحف، شروحًا لغوية ونحوية، مبيّنًا أوجه القراءات المختلفة للآية ووجوه إعرابها، مرجحًا ما يراه مناسبًا من الوجوه التي ذكرها.

والملاحظة البارزة التي نلاحظها في منهجه اهتمامه الشديد بالقراءة، والذي يستدعي منطقيًا الاهتمام بالصنعة النحوية في النصّ القرآني، إذ إنَّ الاهتمام بضبط أواخر الكلمات إنما يقصد أساسًا إلى المعنى، فعلى المعنى يدور ضبط الكلمة، و"الالتفات من النحويين إلى إعراب القرآن التفاتٌ موجهٌ أولًا وقبل كل شيء لخدمة معنى القرآن وتجليته"<sup>(٢)</sup>.

وإذا كانت السمة النحوية واللغوية هي الغالبة في كتاب الفراء، وهذا أمرٌ طبيعي، لأنه كان إمامًا من أئمة النحو الكوفيين في عصره، فإنَّ المسائل البلاغية والنظرات البيانية

١ - ذهب إلى ذلك الخطيب البغدادي، يُنظر الخطيب البغدادي، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد، ط/١، مكتبة الخانجي، القاهرة، والمكتبة العربية بغداد، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م: ج١٣/٢٥٢-٢٥٨. ويُنظر سلام، أثر القرآن في تطور النقد الأدبي: ص٥٠. ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض الباحثين يعدّ الفراء أول من تعرّض لتفسير القرآن حسب ترتيب المصحف، نذكر منهم ابن النديم، يُنظر الفهرست: ص٩٩، و أمين، أحمد، ضحى الإسلام، ط/٣، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م: ج١/٢٤١.

٢ - الجويني، د. مصطفى الصاوي، من مناهج التفسير: ص٥٠.

كانت كذلك واضحةً في كتابه، وهو ما يهمننا في هذا البحث، إذ نسعى إلى إبراز الجوانب البلاغية التي توصل إليها الفراء وحلّها، وعرضها في صورة تعكس الإعجاز البياني في أسلوب القرآن الكريم.

ففي كتابه "معاني القرآن" الكثير من ملامح الدرس البياني، والوقفات الجمالية أمام الأسلوب القرآني. ومن المفاهيم البلاغية التي تعرّض لها الكناية، والتشبيه، والمجاز، والاستعارة. ونأخذ مثالاً على طريقتيه في التناول البياني، ما يقوله في إبراز الصورة البيانية في قوله عزّ وجلّ: ﴿كَمَثَلِ الْحَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾<sup>(١)</sup>: "والسفر واحد الأسفار، وهي الكتب العظام، شبه اليهود ومن لم يسلم، إذ لم ينتفعوا بالتوراة والإنجيل، وهما دليلان على النبي ﷺ، بالحمار الذي يحمل كتب العلم ولا يدري ما عليه"<sup>(٢)</sup>. فهنا نجد الفراء قد شرح الغريب، ثم وضّح أركان التشبيه، والعلاقة بين المشبه والمشبّه به، ووجه الشبه. وإنّ هذا التوضيح وإن كان يُعتبر محاولة جديدة في فهم التشبيه، وخطوة متقدمة عن فهم أبي عبيدة له، وهو الذي لم يُشر إليه غير إشارات عابرة، باعتباره مجازاً<sup>(٣)</sup>، إلّا أنّه لم يتناول هذا التشبيه بالتحليل كما لو تناوله واحد من العلماء المعنيين بأساليب الكلام. بل إنّ الفراء قد يُغفل بعض الفنون البلاغية، فلا يلتفت إليها، ولا تحظى منه بأية إشارة. فمثلاً حين يتعرّض لتفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، يقول: "ضربه مثلاً لمن اتخذ من دون الله ولياً أنّه لا ينفعه ولا يضرّه كما أنّ بيت العنكبوت لا يقبها حراً ولا برداً، والعنكبوت أنثى. وقد يذكرها بعض العرب"<sup>(٥)</sup>. فالفراء قد مرّ على هذه الآية، وكأنّه لم يهزه ما تضمنته من تشبيه بديع، مثل الله سبحانه وتعالى به عمل المشركين

١ - سورة الجمعة: ٥.

٢ - الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، حقّق الجزء الأول والثاني أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ١٩٥٥م، وحقّق الجزء الثالث عبد الفتاح شلبي وراجعته علي النجدي ناصف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م: ج٣/١٥٥.

٣ - سلام، د. محمد زغلول، أثر القرن في تطور النقد: ص٥٧.

٤ - سورة العنكبوت: ٤١.

٥ - الفراء، معاني القرآن: ج٢/٣١٧.

الذين يتخذون لهم آلهة من دونه لا يدفعون عنهم ضرراً أصابهم، ولا يجلبون لهم نفعاً فقرن عملهم هذا بعمل العنكبوت، تلك الحشرة الضعيفة التي تجهد نفسها في بناء بيت لا يدفع عنها غائلة، ولا يقيها حرّاً ولا برداً<sup>(١)</sup>.

وتعرّض الفراء في كتابه أيضاً لبعض الأبحاث حول أسلوب القرآن؛ فتكلّم على الاستفهام وخروجه أحياناً إلى معانٍ أخرى، يقول في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>: "على وجه التعجب والتوبيخ، لا على الاستفهام المحض أي [ويحكم كيف تكفرون]"<sup>(٣)</sup>. وقال في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمْتُمْ فَقَدْ اهْتَدَوْا﴾<sup>(٤)</sup>: "وهو استفهام ومعناه أمر. ومثله قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾<sup>(٥)</sup>؟ تأويله: انتهوا"<sup>(٦)</sup>. وقد تعقب المفسرون من بعده هذا الموضع "أسلمتم" وحملوا الاستفهام فيه على الأمر. كما قال الفراء، وبعضهم أضاف إليه التهديد، ومعاني أخرى مجازيه مبنوثة في تصانيفهم<sup>(٧)</sup>.

وتكلّم الفراء كذلك على الالتفات، الذي يسمّيه الانتقال من مخاطبة الشاهد إلى الغائب، وذكر التقديم والتأخير، والحذف، ونبه على ألوان أخرى من الرخص في القول، وتحول بعض الألفاظ عن معانيها، فتكلّم على "البعض يُراد به الكلّ"، و"الإخبار عن الواحد بالاثنتين"، أو الجمع، أو استعمال اللفظ في معنى الضد<sup>(٨)</sup>.

١ - حويش، د. عمر الملا، تطور دراسات إعجاز القرآن: ص ١٢٦.

٢ - سورة البقرة: من الآية ٢٨.

٣ - الفراء، معاني القرآن: ج ١/٢٣.

٤ - سورة آل عمران: من الآية ٢٠.

٥ - سورة المائدة: من الآية ٩١.

٦ - الفراء، معاني القرآن: ج ١/٢٠٢.

٧ - نذكر منهم الزمخشري، الكشاف: يُنظر ج ١/٤٠١، والقرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، اعتنى به وصحّحه هشام سمير البخاري، ط/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م: يُنظر مج ٢: ج ٤/٤٥.

٨ - الفراء، معاني القرآن: يُنظر على سبيل المثال ج ١/٢٣٠-٢٣١، وكلامه على الإخبار عن الواحد بالاثنتين: ج ٣/٧٨، وكلامه على التكرار: ج ٣/٢٨٧.

ولا نفوتنا الإشارة إلى أنّ الذي يميّز كتاب الفراء من كتاب أبي عبيدة، عنايته بالناحية الموسيقية في نظم القرآن، فقد نبّه الفراء إلى أهمية الإيقاع في آيات القرآن، وفواصل الآيات، وأشار إلى العلاقة الوطيدة بين وحدة الإيقاع في الآية والسورة أو الآيات المتجاورة، ووضّح أنّ الفاصلة هي الوصلة الموسيقية، أو القفل الذي يتركز عنده النغم ولهذا فالقرآن يوليها أهمية خاصة، وكان إلى جانب ذلك يقارن هذه الفواصل بما عرف عند العرب من أوزان الشعر، ويشير إلى أنّ القرآن يعدل أحياناً عن لفظٍ إلى آخر للتوافق الموسيقي في نظمه، وهو بهذا العدول لا يخرج عن أساليب العرب وفنون القول عندهم، وخاصة في الشعر، الذي يشابه ما في نظمه من توافق وانسجام ما يراعيه أسلوب القرآن<sup>(١)</sup>.

وقد تابع العلماء الاهتمام بما نبّههم عليه الفراء فأخذوا يبحثون في موضوع التألف في الآيات، وروعة الفاصلة أو رأس الآية ومدى إحكامها وارتباط المعنى بها ارتباطاً وثيقاً. وهكذا يتبين لنا أن كتاب "معاني القرآن" كتاب تفسير لغوي؛ فيه اللغة وفيه النحو وفيه القراءة، ولكنه يتناول بالإضافة إلى ذلك الأسلوب القرآني، ويهتم بإبراز أسرار الجمال في التعبير القرآني.

والخلاصة: أن ما أتى به كلٌّ من أبي عبيدة والفراء يؤكد لنا حضور الدرس البياني في الدراسات اللغوية القرآنية منذ أواخر القرن الثاني الهجري، في تفاسير تناولت سور القرآن بالترتيب. وحاولت أن تصل عن طريق اللغة، وعن طريق البلاغة إلى مواطن الإعجاز. وإنه وإن كان الدرس البياني في هذين الكتابين ومضاتٍ سريعةً خاطفةً أو مأت إلى خصائص بيانية وظواهر بلاغية لم تتحدّد مدلولاتها في ذهن أيّ منهما أو أيّ من اللغويين والنحويين المعاصرين لهما إلا أنّ الرواد حسبهم أن يضعوا مناراتٍ على الطريق وما عليهم من شيء إن هم لم يدركوا كلّ شعابه وتعرّجاته<sup>(٢)</sup>. وعليه فإنّ ما اهتدى إليه أبو عبيدة والفراء يمثل خطوة تالية متقدّمة على ما سبقها في الدرس البياني للقرآن الكريم.

١ - الفراء، معاني القرآن: يُنظر كلامه على الناحية الموسيقية ج٣/٢٢٤.

٢ - يُنظر المطعني، المجاز في اللغة والقرآن الكريم: ج٢/٦٤٧ و٦٦١-٦٦٢.



### ثالثاً - أعلام الدرس البياني القرآني القدياء:

تصدى الباحثون القدياء للكشف عن وجوه البلاغة القرآنية، وعن أسلوب القرآن الكريم، في التصوير والتعبير، وبذلوا جهوداً مشكورة، وقاموا بمحاولات كثيرة لإبراز البلاغة القرآنية، والكشف عن مواطن الإعجاز.

وليس يهمننا في هذا البحث أن ندرس آراء الباحثين القدياء في الإعجاز البياني كاملةً مستوفاة، فذلك ما لا يتسع له كتاب برأسه، ولكننا سنحاول أن نقتطف مما كتبوه نماذج للدرس البياني بما ينبئ عن اتجاه صاحبها ومنهجه في الدرس البياني؛ لنبين كيف ساعد هؤلاء الباحثون على إبراز الأسلوب القرآني في مستواه البياني الرائع، ولنشير إلى جهدهم الأدبي البلاغي الذي كان ذا أثر مهم في التوجه للدرس البياني في العصر الحديث. وأول من يطالعنا من هؤلاء الأعلام:

#### - الجاحظ :

الجاحظ من العلماء الأوائل الذين تتبّعوا أسرار الإعجاز البياني، ولفقوا إلى دقائقه، واعتنوا ببعض المباحث المتعلقة بالإعجاز البياني. وذلك بما ضرب من أمثلة قرآنية على ما يريد من فنون البلاغة وأساليب البيان. إذ أطال في الاستشهاد بآيات القرآن الكريم، ووقف عند كثير من آياته محللاً شارحاً، ومهتدياً إلى أسرار كانت أسس البلاغة العربية.

وقد خصّ الجاحظ كتاب الله بمؤلفات مهمة، أهمها كتابه "نظم القرآن"<sup>(١)</sup>، وهو مما كتبه للفتح بن خاقان، وعنوانه يشير إلى أن الجاحظ اتّجه إلى الدرس البلاغي "احتجاجاً لنظم القرآن"، وأنه توخّى العلاقات بين الآيات بعضها ببعض، والكلمات بعضها

١ - ضاع هذا الكتاب فيما ضاع من تراث العلماء خلال موجات الفتن التي كانت تجتاح المجتمع الإسلامي من وقت لآخر، و يُجمع مترجمو الجاحظ على أن له كتاباً آخر هو "آي القرآن" وهو شيء آخر غير "نظم القرآن"، ولكن د. زغلول سلام في حديثه عن "نظم القرآن" يذكر ما يدل على أن "آي القرآن" جزء منه. يُنظر بالتفصيل: سلام، د. زغلول، أثر القرآن في تطور النقد العربي: ص ٧٨.

ببعض، ولم يصل إلى أيدينا كتاب "نظم القرآن" ولو وصل لكان مصدرًا أصيلًا للدراسات البيانية القرآنية. بيد أننا نجد في مصنفاته الأخرى، مثل: "الحيوان" و"البيان والتبيين" و"حجج النبوة" بعض النقول، وبعض الآراء التي تشير إليه، وتعين في تحديد مفهومه للإعجاز والبلاغة القرآنية. لذلك سنعتمد عليها في توضيح مذهبه البياني.

### - معالم الدرس البياني في دراسات الجاحظ :

استند الجاحظ في إبراز الإعجاز البياني للقرآن الكريم إلى مجموعة من العناصر البلاغية، وأطال الحديث عن عناصر بعينها وهي اللفظ القرآني والصور البيانية القرآنية:

#### - اللفظ القرآني:

تأمل الجاحظ ألفاظ القرآن الكريم وتحدث عنها حديثاً لم يُسمع من أحد قبله، وذلك لإحساسه العميق بقيمة الدرس اللغوي، "وخطورة استعمال اللغة، لما تحمله من شحنات معنوية، ينبغي التفتن لها قبل أن ترسي في مكانها من العبارة المقولة"<sup>(١)</sup>. ونتيجة لتأمله وتعمقه، أدرك مجموعة من الحقائق سجلها في مصنفاته، فهو يقرر أن القرآن الكريم قد أولى المفردة القرآنية عناية خاصة واختارها بدقة فائقة ليبدل على المعاني. ويذكر أنه قد يشترك لفظان أو مفردتان في المعنى لكن أحدهما أدق من الآخر في الدلالة على المراد. والقرآن يراعي الفروق بين الألفاظ، فلا يأتي بالألفاظ المتقاربة الدلالة دالاً على معنى واحد بل يأتي بها للدلالة على معانٍ مختلفة، وبقدر الدقة في إصابة المعنى يكون الفرق بين ألفاظ الناس في كلامهم وألفاظ القرآن. وقد أشار إلى هذه الدقة المتناهية في نظم القرآن، بقوله: "وقد يستخفُّ الناسُ ألفاظاً ويستعملونها وغيرها أحقَّ بذلك منها، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن (الجوع) إلّا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناسُ لا يذكرون السَّغْبَ، ويذكرون الجوع في حالة القدرة والسَّلامَة، وكذلك (المطر) لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلّا في موضع الانتقام، والعامَّةُ وأكثرُ الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر، وذكر الغيث. ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنه

١- الجويني، مصطفى الصاوي، مناهج في التفسير: ص ١٩٣، وينظر منهج الجاحظ اللغوي في ذوق النص القرآني حتى ص ٢٣٣.

إذا ذَكَرَ الأبصارَ لم يقلِ الأسماعَ، ... والجاري على أفواه العامة غير ذلك لا يتفقون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال<sup>(١)</sup>.

هذا بعض قول الجاحظ، ومعناه أنَّ ألفاظ اللغة مهما كانت صحيحة ليست ممّا يساق سوقاً دون اختيار، وإنّما تحسن الكلمة في موضع وتساء في سواه، لمزية واضحة يتطلّبها الحسّ الفنّي في التعبير. وهذا الرأْيُ هو حصيلة النظر في التعبير القرآنيّ والإحساس الأدبيّ به.

ومن لطائف ما ذكره الجاحظ من خصائص إعجازيّة لألفاظ القرآن الكريم، من حيث النّظم، أنّ بعض الألفاظ تأتي متلازمة، "لا تكاد تفرق، مثل: الصّلاة والزكاة، والجوع والخوف، والجنة والنار، والرّغبة والرّهبة، والمهاجرين والأنصار، والجن والإنس"<sup>(٢)</sup>.

#### - الصّور البيانيّة القرآنيّة :

لم تكن العناصر البيانيّة متميّزة أو محدّدة، في عصر الجاحظ، لذلك لن نجد تحديداً واضحاً للمصطلحات، بل يختلط بعضها ببعض، فهو يُطلق المجاز على كلّ الصّور البيانيّة. إذ لم يذكر تخصيصاً للاستعارة أو التشبيه، وقد يقرن بين المجاز وبين التشبيه، وقد يقصد به فنّ الاستعارة. يتّضح ذلك من خلال كتابه "الحيوان"، حيث عنون أحد أبوابه "باب آخر في المجاز والتشبيه". وهو في قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله عزّ اسمه: ﴿أَكْأَلُونَ لِلسُّحْتِ﴾<sup>(٤)</sup> وقد يقال لهم ذلك، وإن شربوا بتلك الأموال الأنبذة، ولبسوا الحلل، وركبوا الدّواب. ولم ينفقوا منها درهماً واحداً في سبيل الأكل. وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَيُّجِبُ

١- الجاحظ، البيان والتبيين : ج ١/١٢.

٢- الجاحظ، البيان والتبيين : ج ١/١٢.

٣- سورة النساء : ١٠.

٤- سورة المائدة : من الآية ٤٢. والسُّحْت: الحرام، أي كلّ ما لا يحلّ كسبه.

أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا»<sup>(١)</sup> فهذا كَلْمٌ مختلف، وهذا كَلْمٌ مجاز. ثم يقدم شواهد من الشعر على الاستعمال المجازي لكلمة أكل<sup>(٢)</sup>.

فالجاحظ يتتبع التعبير المجازي بالأكل، فهي مرّة بمعنى ظلم، وأخرى بمعنى غصب، وثالثة بمعنى اغتاب إلى غيرها من المعاني. وهو في مفهومه هذا للمجاز، لا يفرق بين أنواعه المختلفة، فكلمة قد عدل به عن معناه الأصلي إلى معنى آخر فيه تحوير مجاز. فالمجاز في مفهومه "قسيم للحقيقة"<sup>(٣)</sup>، مقابل لها، وهو بهذا أول بياني، يحاول أن يزن الكلام بمفهوماته تقرب من التحديد شيئاً فشيئاً<sup>(٤)</sup>.

والجاحظ وإن اختلفت عنده مُسميات الصور البيانية، واختلط بعضها ببعض، فهو يتعمق في بيان هذه الصور، ويشرحها شرحاً وافياً في كثير من الأحيان، ليوضح الغرض القرآني في التعبير<sup>(٥)</sup>. من ذلك مثلاً تحليله للتشبيه الذي اعترض عليه بعض المعترضين، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَآتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ \* وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾<sup>(٦)</sup>. يقول: "فرعموا أن هذا المقال لا يجوز أن يضرب لهذا المذكور في صدر هذا الكلام، لأنه قال: ﴿وَآتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ فما يشبه حال من أُعطي شيئاً فلم يقبله - ولم يذكر غير ذلك<sup>(٧)</sup> - بالكلب الذي إن حملت عليه نبخ وولّى ذاهباً، وإن تركته شدّ

١ - سورة الحجرات : من الآية ١٢ .

٢ - الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط/١، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م: ج ٥/٢٥-٢٨.

٣ - كان المجاز لدى أبي عبيدة يتسع للحقيقة والمجاز معاً.

٤ - البيومي، د. محمد رجب، خطوات التفسير البياني: ص ٧٧.

٥ - سلام، د. زغلول، أثر القرآن في تطور النقد: يُنظر ما كتبه حول خصائص التشبيه في دراسات الجاحظ، ص ٩٢. ويُنظر العمري، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني: ص ١٠٠.

٦ - سورة الأعراف : ١٧٥-١٧٦.

٧ - أي لم يذكر من حال المشبه في الآية غير صورة عرض الآيات وعدم قبولهم إيها.

عليك ونبح. مع أن قوله يلهث لم يقع في موضعه، وإنما يلهث الكلب من عطش شديد، وحر شديد، ومن تعب، وأما النباح والصياح فمن شيء آخر. قلنا له: "إن قال: ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا﴾ فقد يستقيم أن يكون الراد لا يُسمى مكذَّباً، ولا يُقال لهم كذَّبوا إلا وقد كان ذلك منهم مراراً، فإن لم يكن ذلك فليس ببعيد أن يشبّه الذي أوتي الآيات والأعاجيب، والبرهانات والكرامات، في بدء حرصه عليها، وطلبه لها بالكلب في حرصه وطلبه، فإن الكلب يُعطي الجِدَّ والجُهدَ من نفسه في كلِّ حالةٍ من الحالات، وشبّه رفضه وقذفه لها من يديه، وردّه لها، بعد الحرص عليها، وفرط الرغبة منها بالكلب إذا رجع ينبح بعد اطرادك له، وواجب أن يكون رفض قبول الأشياء الخطيرة النفيسة، في وزن طلبها والحرص عليها، والكلب إذا أتعب نفسه في شدّة النباح مقبلاً إليك، ومدبراً عنك لهث واعتراه ما يعتريه عند التعب والعطش<sup>(١)</sup>.

فالجاحظ وإن حلَّ هذه الصورة القرآنية، المحدّدة في الاصطلاح البلاغيّ تشبيه تمثيليّ، على أنها من المثل القرآني، إلا أنه بذل في توضيح هذا التشبيه، واستخراج وجه الشبّه جهداً كبيراً، وبيّن الغرض منه، ليجعله سهلاً في تناول العقول، وليكشف عن بعض ما التبس على الناس من غموضٍ دفع إلى التساؤل عن وجه الشبّه، لافتاً الانتباه إلى دقّة القرآن في التشبيه بالخصائص المشهورة للمُشبّه به.

ومن معالم الدرس البيانيّ عند الجاحظ حديثه عن الإيجاز، أو الجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، ويضرب لذلك مثلاً، قوله تعالى في وصف خمر أهل الجنة: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾<sup>(٢)</sup> فيقول: "وهاتان الكلمتان قد جمعتا جميع عيوب خمر أهل الدنيا". وقوله عزّ وجلّ حين ذكر فاكهة أهل الجنة: ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾<sup>(٣)</sup> جمع بهاتين الكلمتين جميع تلك المعاني. [وهذا كثير قد دللتك عليه، فإن أردته فموضعه

١ - الجاحظ، الحيوان: ج ٢/١٦-١٧. ويُنظر دفاعه عن التشبيه برؤوس الشياطين الوارد في قوله تعالى: ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥]، الحيوان: ج ٦/٢١١-٢١٣.

٢ - سورة الواقعة: ١٩.

٣ - سورة الواقعة: ٣٣.

مشهوراً<sup>(١)</sup>. ونبه الجاحظ أيضاً على النظم الموسيقي والوزن في القرآن الكريم، بتقديمه دراسة تحليلية للألفاظ مقترنة أو منفردة. وبحديثه عن التلاوم بين الألفاظ، وفي بنية اللفظة نفسها، وعن تناسب الألفاظ مع الأغراض، يقول: "ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ، ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء"<sup>(٢)</sup>. فالجاحظ في سياق كلامه عن اللفظ تصدى لوزن القرآن الكريم، وتحدث طويلاً فيه لينفي عنه وزن الشعر<sup>(٣)</sup>.

ومُجمل القول في الجاحظ أنه: "قد ألم في كتبه بالأساليب البيانية من تشبيه واستعارة وكناية وحقيقة ومجاز، ولكنه لم يوردها في تعريفات اصطلاحية، وإنما جاء تعريفه لها والدلالة عليها عن طريق الأمثلة والنماذج لا عن طريق القواعد البلاغية"<sup>(٤)</sup>. وقد رأينا مظاهر من اضطراب المصطلحات البيانية فيما أورده بما ينبئ عن تداخل مفاهيمها عنده، إذ أوردها بمعانيها الواسعة غير المحددة، كما أن عرضه جاء مجزئاً ومفرقاً ولم يكن متفرغاً للقرآن كله، بل لبعض من آياته.

وإن المقارنة بينه وبين من تقدموه تظهر أنه كان بلا شك أقدرهم على إدراك أسرار البلاغة القرآنية، وأكثرهم اهتداءً عن طريق النماذج إلى شتى العناصر أو الأساليب البيانية، مع الإشارة إلى أن القصد من تفصيله للصور البيانية القرآنية "الحجاج الديني" ومحاولة تسفيه آراء أصحاب الظاهر من المفسرين واللغويين<sup>(٥)</sup>، مستنداً إلى نصوص أدبية يُثبت بها عربية التعبير القرآني. فنظرات الجاحظ البيانية الذوقية في القرآن الكريم معظمها يدور حول مسائل دفاعية عن النظم القرآني، وقد انتفع بها من جاء بعده، وأخذت بنصيبها الكبير من البلاغيين ودارسي البيان القرآني معاً.

١ - الجاحظ، الحيوان: ج ٣/٨٦.

٢ - الجاحظ، الحيوان: ج ٣/٣٩.

٣ - الجويني، من مناهج التفسير: يُنظر ما كتبه حول اهتمام الجاحظ بالنظم الموسيقي في القرآن، ص ٢٣٣-٢٤٥.

٤ - عتيق، د. عبد العزيز، في البلاغة العربية (علم المعاني، البيان، البديع)، منشورات جامعة حلب، (د. ت): ص ٢٠٥.

٥ - العمري، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني: ص ١٠٠.

## - الرّمانيّ :

حدّد الرّمانيّ (٣٨٤هـ) مفهومه للإعجاز القرآنيّ في رسالته "النكت في إعجاز القرآن" وهي رسالة أدبية بلاغية قيّمة. تفرّغ فيها للنظر في إعجاز القرآن من جهة البلاغة، بعد أن قرّر في فاتحتها أنّ إعجازه يظهر من سبع جهات، هي: ترك المعارضة مع توفرّ الدواعي وشدة الحاجة، والتحدّي للكافة، والصّرفة، والبلاغة، والأخبار الصّادقة عن الأمور المستقبلية، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة.

وقسم الرّمانيّ البلاغة على ثلاث طبقات: عليا، وهي التي تقصر قوى البشر عن إدراكها، فيقع عندها الإعجاز وتتمثّل ببلاغة القرآن، وما دون هذه البلاغة فهو ممكن، كبلاغة البلغاء من النّاس، وطبقة دنيا، وطبقة ثالثة وسطى بين الطبقتين العليا والدنيا. ثمّ توسّع في الكلام على البلاغة القرآنيّة، فأرجعها إلى عشرة أبواب، ذكرها بابًا بابًا، وتكلّم في أثناء عرضها على أثر كلّ منها في النّفس، وعن أيّ طريق تتسلّل إليها. وقدّم في كلّ باب الكثير من الشّواهد القرآنيّة، مُشيرًا إلى أسرارها البلاغية، وموازنًا أحيانًا بينها وبين ما أثر عن العرب في مثل معناها. وتلك الأبواب منها ما يختصّ بالمعاني والصّور البيانيّة، وهي الإيجاز، والتّشبيه، والاستعارة، والمبالغة، وحسن البيان. ومنها ما يختصّ بالجوانب اللفظيّة، وهي التّلاؤم، والفواصل، والتّجانس، والتّصريف، والتّضمين. ويطول القول بنا لو تابعناه في كلّ ما كتب، ولكننا نشير إلى ما يُنبئ عن منهجه في بابي الإيجاز والاستعارة، مبرزين قيمة آرائه فيهما.

### -الإيجاز:

جعل الرّمانيّ مبحث الإيجاز، فاتحة موضوعاته، وقد عرفه بقوله: "الإيجازُ تَقْلِيلُ الكلام من غير إخلالٍ بالمعنى" ووضّح ذلك بقوله: "وإذا كان المعنى يمكن أن يُعبّر عنه بألفاظ كثيرة، ويمكن أن يُعبّر عنه بألفاظ قليلة، فالألفاظ القليلة إيجازٌ"<sup>(١)</sup>، ثمّ كشف عن طبيعته ودواعيه البلاغية، وقسمه قسمين: إيجاز حذّف، وإيجاز قيصر؛ فإيجاز الحذف

١ - الرّمانيّ، علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق د. محمد زغلول سلام، و د. محمد خلف الله، دار المعارف، مصر، (د.ت): ص ٧٠.

يكون "بإسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام" وإيجاز القصر  
"بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف".

ولم يقتصر الرّماني في توضيح إيجاز الحذف على بيان أنّ الحذف يكون فيه للاختصار كما قال سابقوه، بل أوضح علته البلاغية حين عرض لحذف الأجوبة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنْ قُرءْنَا سِيرَتِ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾<sup>(١)</sup> كأنه قيل: لكان هذا القرآن، وقوله تعالى: ﴿وَسِيَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾<sup>(٢)</sup> كأنه قيل: حصلوا على النعيم المقيم الذي لا يشوبه التّغصيص والتكدير. قائلًا: "وإنما صار الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر لأن النفس تذهب فيه كلّ مذهب، ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمّنه البيان، فحذف الجواب من قولك: "لو رأيت عليًا بين الصّقين أبلغ من الذكر لما بيّناه"<sup>(٣)</sup>.

ويرى الرّماني أنّ الإيجاز بالقصر دون حذف أغمض من الإيجاز بالحذف، وإن كان الحذف غامضًا، للحاجة إلى العلم بالمحذوف. ويمثّل لإيجاز القصر بقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾<sup>(٤)</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾<sup>(٦)</sup>. ولكي يدلّل الرّماني على روعة التعبير القرآني، يعقد موازنة بين قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ والحكمة الجاهلية "القتل أنفى للقتل". ويقول: إنّ بينهما تفاوتًا في البلاغة والإيجاز. وذلك يظهر من أربعة أوجه: أنه أكثر في الفائدة، وأوجز في العبارة، وأبعد من الكلفة بتكرير الجملة، وأحسن تأليفًا

١ - سورة الرعد : ٣١ .

٢ - سورة الزمر : ٧٣ .

٣ - الرّماني، النكت في إيجاز القرآن: ص ٧١ .

٤ - سورة البقرة : ١٧٩ .

٥ - سورة المنافقون : ٤ .

٦ - سورة فاطر : ٤٣ .



بالحروف المتلائمة. ويمضي الرّمانيّ في الموازنة بما لا يدع مزيداً من القول حول الآية الكريمة وعلوّ قدرها في هذا الباب. وعنه أخذ اللاحقون ولم يضيفوا شيئاً<sup>(١)</sup>.

وفي حديثه عن الإيجاز يتحدّث عن مقابله وهو الإطناب، "الذي يكون في تفصيل المعنى وما يتعلّق به في المواضع التي يحسن فيها ذكر التفصيل"، ويوازن بينه وبين التّطويل، الذي هو عيٌّ وعيبٌ "لأنّه تكلفٌ فيه الكثير فيما يكفي منه القليل"<sup>(٢)</sup>.

ويختّم الرّمانيّ حديثه بملحوظةٍ دقيقةٍ، وهي أنّ الإيجازَ والإطنابَ من الأمور النسبيّة التي لا يمكن ضبطها بمقاييس ثابتة، بل يعودُ الأمرُ فيها إلى طبيعة المعاني التي يعبرُ عنها، وإلى المقاماتِ والأحوال التي يُساقُ الكلام فيها.

وهكذا نجد أنّ الرّمانيّ في محاولته دراسة الإعجاز القرآنيّ، قد قام بجهدٍ مشكور في التّصنيف البلاغيّ. فعرّف الإيجاز، وكشف عن دواعيه البلاغيّة، وميّز أقسامه وصوره، ممّا دفع بعضُ الباحثين إلى القول عنه: "إنّ الرّمانيّ قد صورَ الإيجاز تصويراً نهائياً، لم يضيف إليه البلاغيون التّالون شيئاً"<sup>(٣)</sup>.

#### - الاستعارة:

الاستعارة هي ثالث البحوث البلاغيّة التي وقف عندها الرّمانيّ، وعرّفها بقوله: "الاستعارةُ تعليقُ العبارة على غير ما وُضِعَتْ له في أصل اللّغة على جهة النّقل للإبانة"<sup>(٤)</sup>. وبعد أن أوضح الرّمانيّ مفهوم الاستعارة عنده، وأشار إلى الدّاعي البلاغيّ لاستعمالها، بدأ في استعراض فيضٍ من الشواهد القرآنيّة، وراح يُحلّلها تحليلاً رائِعاً، قائماً

١ - نقل عنه هذه الموازنة العسكري، الصّناعتين: ص ١٧٥، و الخفاجي، ابن سنان عبد الله بن محمد، سرّ الفصاحة، تعليق د. عبد المعتال الصعيدي، ط/١، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م: ص ٢٤٥.

٢ - الرّماني، النكت في إعجاز القرآن: ص ٧٢.

٣ - ضيف، د. شوقي، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، مصر، ١٩٦٥م: ص ١٠٤.

٤ - الرّماني، النكت في إعجاز القرآن: ص ٧٩.

على بيان قوة الإعجاز وأسرارها، و إبراز أثر الاستعارة في المعنى وما حققته من بيان لا تؤديه الحقيقة.

ومن الآيات التي تعرّض لها بالتحليل، نذكر على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(١)</sup>، يقول الرّمانيّ في تحليلها: "حقيقته فَبَلَّغَ ما تُؤْمَرُ به، والاستعارة أبلغ من الحقيقة، لأنّ الصّدع بالأمر لا بدّ له من تأثير كتأثير صدع الزّجاجة، والتبليغ قد يصعب حتّى لا يكون له تأثير، فيصير بمنزلة ما لم يقع، والمعنى الذي يجمعهما: الإيصال، إلّا أنّ الإيصال الذي له تأثير كصدع الزجاجة أبلغ"<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَاشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾<sup>(٣)</sup>، يقول الرّمانيّ: "أصل الاشتغال للنّار، وهو في هذا الموضع أبلغ، وحقيقته كثرة شيب الرّأس، إلّا أنّ الكثرة لمّا كانت تتزايد تزايداً سريعاً صارت في الانتشار والإسراع كاشتعال النار. وله موقع في البلاغة عجيب، وذلك أنّه انتشر في الرّأس انتشاراً لا يُتلافى كاشتعال النار"<sup>(٤)</sup>.

نلاحظ أنّ الرّمانيّ لم يهتمّ بتحديد المشبّه، و المشبّه به، والجامع بينهما، وما إلى ذلك مما يدخل ضمن إجراء الاستعارة، بل اهتمّ بإبراز المعنى النّفسيّ للاستعارة، ليُوصل التأثير النّفسيّ الإعجازيّ للقرآن. وهكذا يمضي الرّمانيّ في ذكر الكثير من شواهد الاستعارة في القرآن الكريم ويحلّلها بما يكشف عن أثر الاستعارة في المعنى وقوتها في إيابنته، وأثرها النّفسيّ.

وعلى هذا النهج سار الرّمانيّ في الأبواب الأخرى الثمانية، للبلاغة عنده، فلم يخرج عن موضوع الإعجاز فيما عرض له من أبواب البلاغة. وبدا ذلك واضحاً في حرصه الشّديد على أن يقدّم لكلّ بابٍ من أبواب البلاغة العشرة، شواهد من القرآن

١ - سورة الحجر : ٩٤ .

٢ - الرّمانيّ، النكت في إعجاز القرآن: ص ٨٠ .

٣ - سورة مريم : ٤ .

٤ - الرّمانيّ، النكت في إعجاز القرآن: ص ٨١-٨٢ .

الكريم<sup>(١)</sup>، وأن يلمح بذوق مرهفٍ ما فيها من أسرارٍ ونكتٍ بلاغيةٍ، بالإضافة إلى ما قدّمه من موازونات بين النصوص القرآنية وما قيل في معناها من كلام العرب كلّمًا وجد إلى ذلك سبيلًا.

### - الخطابي :

كان الخطابيّ (ت٣٨٨هـ) معاصرًا للرّمانيّ، وهو ممّن جمعوا بين الكلام في البلاغة وعلم الكلام. خصّص رسالته "بيان إعجاز القرآن"، لشرح فكرة الإعجاز البلاغيّ للقرآن الكريم، والرّدّ على المطاعن التي أثارها الملاحدة حول بلاغته.

بدأ رسالته بالإشارة إلى ما سبقَ به من محاولاتٍ لبيان إعجاز القرآن الكريم، لم تحقّق في رأيه - قدرًا كافيًا من المعرفة بهذا الموضوع، وذلك لتعذّر معرفة وجه الإعجاز وصعوبة الوقوف على كفيّته. أمّا الإعجازُ نفسه فهو ثابتٌ للقرآن الكريم، "والأمرُ في ذلك أبينُ من أن يحتاج إلى أن ندلّ عليه بأكثر من الوجود القائم المستمر على وجه الدّهر"<sup>(٢)</sup>. ثمّ عمدَ إلى شرح فكرة الإعجاز بالنّظم، إيضاحًا للإعجاز من جهة البلاغة الذي قال به الأكثرون من علماء أهل النّظر قبله غير أن أكثر القائلين بهذا الوجه "قد جروا في تسليم هذه الصّفة للقرآن على نوعٍ من التّقليد وضربٍ من غلبة الظنّ دون التّحقيق له وإحاطة العلم به"<sup>(٣)</sup>.

فهو لا يرضى إلّا بأن نصل إلى العلة في سموّ القرآن على غيره في بلاغته، لذلك راح يعرض وجهة نظره في بلاغة الكلام عمومًا وفي إعجاز القرآن بصفة خاصّة

١ - تجدر الإشارة إلى تفاوت قدرة الرّماني في تطبيق الألوان البلاغية على القرآن، وإيراد الشواهد والأمثلة عليها. فبينما أكثر من إيراد الشواهد عند حديثه عن التشبيه والاستعارة والإيجاز، بدأ حديثه عن الأقسام الأخرى عامًّا. يُنظر قصاب، د. وليد التراث النقدي والبلاغي عند المعتزلة: ص١٤٥-١٤٦.

٢ - الخطابي، حمّد بن محمد، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق د. محمد زغلول سلام، و د. محمد خلف الله، دار المعارف، مصر، (د. ت): ص١٩.

٣ - الخطابي، بيان إعجاز القرآن: ص٢١-٢٢.

فيقول: إنَّ أقسامَ الكلامِ المحمود ثلاثةٌ حسب تفاوتها في مراتب البلاغة؛ فمنه البليغ الرّصين الجزل وهو أعلى طبقات الكلام، ومنه الفصيح القريب السّهل وهو أوسطه وأقصده، ومنه الجائز الطّلق وهو أدناه وأقربه، وقد حازت بلاغة القرآن من كلِّ قسم من هذه الأقسام حصّة، ومن كلِّ نوع من أنواعها شعبة، فاننظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع بين صفتي الفخامة والعدوبة<sup>(١)</sup>.

### - الدّرس البيانيّ عند الخطّابيّ:

نقف على الدّرس البيانيّ للقرآن الكريم عند الخطّابيّ في محاولته دفع شبهات أثارها المشكّكون في بلاغة القرآن، إذ نجد في ردّه عليهم ملاحظاً دقيقة تدلُّ على إعجاز القرآن البيانيّ، وتلقي أضواءً على مواطن البلاغة القرآنيّة.

من ذلك مثلاً دفاعه عن قوله تعالى حكاية لكلام إخوة يوسف: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾<sup>(٢)</sup>، إذ يقول ردّاً على ما قاله المشكّكون: "إنّما يُستعمل مثل هذا في فعل السباع خصوصاً "الافتراس" يقال: افتراسه السبع. هذا هو المختار الفصيح في معناه، فأما "أكل" فهو عامٌّ لا يختصُّ به نوع من الحيوان دون نوع. ويردُّ الخطّابيّ قائلاً: فأما قوله تعالى: ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ فإنّ الافتراس معناه في فعل السبع "القتل" فحسب، وأصلُّ "الفرس" دقُّ العنق، والقومُ إنّما ادّعوا على الذئب أنّه أكله أكلاً، وأتى على جميع أجزائه وأعضائه، فلم يترك مفصلاً ولا عظماً، وذلك أنّهم خافوا مطالبته أبيهم إياهم بأنّ باقٍ منه، يشهد بصحة ما ذكروه، فادّعوا فيه الأكل، ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة. والفرسُ لا يعطي تمام هذا المعنى، فلم يصلح على هذا أن يعبرَ عنه إلّا بالأكل"<sup>(٣)</sup>.

١ - الخطّابي، بيان إعجاز القرآن: ص ٢٣-٢٤ بتصرف.

٢ - سورة يوسف: من الآية ١٧.

٣ - الخطّابي، بيان إعجاز القرآن: ص ٣٧ بتصرف. ويُنظر نماذج أخرى من ص ٣٨ حتى ص ٤٦.

فالخطابيّ أوضح أنّ اللفظ القرآني قد وقع مطابقاً تماماً للمعنى المراد، فلا يسدّ غيره مسدّه فيه. ثمّ يستطرّد مورداً الكثير من الشواهد العربية، التي تدلّ على أنّ استعمال لفظ "الأكل" شائع في السباع وغيرها. بعد أن أثبت أنّ لفظ "الأكل" هو المتعيّن في هذا المقام، نظراً لادّعاء إخوة يوسف أنّ الأمر ليس أمر قتلٍ فحسب، بل قتلٌ والتهامٌ لكلّ أجزاء الجثة حتّى لا يُطالبوا بالدليل على صدقهم.

ويميضي الخطابيّ، يورد الشبهات التي أثارها الملاحدة حول بعض الآيات القرآنية، ويدافع عنها بما يكشف عن وجه الحق في البلاغة القرآنية.

ومن معالم الدرس البيانيّ عند الخطابيّ حديثه عن الفروق اللغويّة بين الألفاظ المتقاربة الدلالة، وعن الحذف والتكرار في القرآن الكريم:

#### - الفروق اللغويّة بين الألفاظ القرآنيّة :

جعل الخطابيّ الألفاظ المفردة عمود البلاغة، وذلك إذ يقول: "إنّ عمود البلاغة وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعاً الأخصّ الأشكل به، الذي إذا بدّل مكانه غيره جاء منه إمّا تبدّل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإمّا ذهاب الرّونق الذي يكون معه سقوط البلاغة"<sup>(١)</sup>.

وهو يُطالعنا بنظراتٍ دقيقة في الفروق اللغويّة عندما دافع عن أسلوب القرآن الكريم، إذ اعتبر الدقّة في اختيار الألفاظ الملائمة للمعنى المقصود ركناً أساسياً في تحقيق بلاغة الكلام، وشرح وجهة نظره هذه قائلاً: "إنّ في الكلام ألفاظاً متقاربة في المعاني، يحسب أكثرُ الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب، والأمر فيها عند علماء اللغة بخلاف ذلك، لأنّ لكلّ لفظة منها خاصيّة تتميّز بها عن صاحبها في بعض معانيها وإن كانا قد يشتركان في بعضها"<sup>(٢)</sup>.

١- المصدر السابق: ص ٢٦.

٢- الخطابي، بيان إعجاز القرآن: ص ٢٦. ويُنظر بالتفصيل حتى ص ٣٢.

وقد لمح فروقاً دقيقة في الدلالة، في ألفاظٍ قرآنيّةٍ جرت معاجمنا وكتب المفسّرين عندنا على القول بترادفها مع "ألفاظٍ أخرى في معناها" مثل: العلم والمعرفة، والحمد والشكر، والبخل والشح، والنعت والصفة، وغيرها. فمثلاً في تفريقه بين كلمتي (العلم) و(المعرفة)، يبيّن أنّهما تتفقان في معنى وتختصّ كلّ منهما بمعنى، يقول: "تقول عرفت الشيء إذا كان مرادك هو الإثبات الذي يرتفع معه الجهل. وهو يقتضي مفعولاً واحداً، وعلمت يقتضي مفعولين كقولك: علمت زيدا عاقلاً. ولذلك صارت المعرفة تستعمل خصوصاً في توحيد الله تعالى وإثبات ذاته، فتقول: عرفت الله. ولا تقول: علمت الله. إلّا أنّ تضيف إليه صفةً من الصفات فتقول: علمت الله عدلاً، وعلمته قادراً... ونحوها من الصّفات"<sup>(١)</sup>.

ويمضي الخطّابيّ يستعرض عدداً كبيراً من الألفاظ، مورداً الفروق الدّقيقة في استعمال هذه الألفاظ، ومشيراً إلى أنّ لكلّ منها مكاناً لا تُغني فيه لفظة أخرى. ممّا يدلّ على بعد نظره، ويؤكد نظريّته في أهميّة اختيار اللفظ ووضعه الموضع الذي يتطلّب به تماماً. وتلك -ولاشكّ- مهمّة عسيرة تعجز قوى البشر عن الوفاء بها، ولا يتحقّق ذلك إلّا في القرآن الكريم.

#### - الحذف والتكرار في القرآن الكريم:

تكلم الخطّابيّ على أسلوب الحذف والتكرار في القرآن الكريم، في رده على ما أثاره الملاحدة حول ما في القرآن الكريم من الحذف (الاختصار)، والتكرار. يقول: "وأما ما عابوه من الحذف والاختصار في قوله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتَى﴾<sup>(٢)</sup>، فإنّ الإيجاز في موضعه. وحذف ما يُستغنى عنه من الكلام نوعٌ من أنواع البلاغة. وقد جاز حذف الجواب في ذلك وحسن، لأنّ المذكور منه يدلّ على المحذوف والمسكوت عنه من جوابه، ولأنّ المعقول من الخطاب عند أهل الفهم كالمنطوق به. والمعنى: ولو أنّ قرآناً سيّرت به الجبال أو قطعت

١- المصدر السابق: ص ٢٦-٢٧.

٢- سورة الرعد: من الآية ٣١.

به الأرض أو كلمّ به الموتى لكان هذا القرآن. وقد قيل<sup>(١)</sup>: "إنّ الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر، لأنّ النفس تذهب في الحذف كلّ مذهب، ولو ذكر الجواب لكان مقصوراً على الوجه الذي تناوله الذكر".

ثمّ انتقل للردّ على ما عابوه من التكرار. فبيّن الدواعي البلاغية التي تقتضي التكرار، وطبّق وجهة نظره تلك على ما في القرآن الكريم من تكرار. من ذلك مثلاً تكرار قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾<sup>(٢)</sup> في سورة الرحمن، يقول الخطابي في بيان الداعي لتكرار هذه الآية: "إنّ الله سبحانه خاطب بها الثقلين من الإنس والجن، وعدّد عليهم أنواع نعمه التي خلقها لهم، فكلمّا ذكر فصلاً من فصول النعم جدّد إقرارهم به واقتضاءهم الشكر عليه". ومن ذلك أيضاً تكرار قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّيَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾<sup>(٣)</sup> في سورة المرسلات، يقول: "وكررّ قوله ﴿وَيْلٌ لِّيَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ لأنّه ذكر أحوال يوم القيامة وأهوالها، فقدمّ الوعيد فيها، وجدّد القول عند ذكر كلّ حال من أحوالها، لتكون أبلغ في القرآن، و أكد لإقامة الحجة والإعذار، ومواقع البلاغة معتبرة لمواضعها من الحاجة"<sup>(٤)</sup>. وهكذا يربط الخطابي دائماً بين استحقاق الكلام لوصف البلاغة وبين اقتضاء المقام له، فالكلام البليغ ما وافق ما يقتضيه الحال وتدعو إليه المقامات.

وختّم الخطابي رسالته بدراسةٍ طريفةٍ نقدٍ فيها ما روي من أقوال ادّعى أصحابها أنّهم يعارضون بها القرآن، فبيّن إسفافها وتفاهتها، وأنّها سخافات لا يصحّ أن توضع في ميزان.

وهكذا يتبيّن لنا أنّ جهد الخطابي في موضوع الإعجاز البياني، يعدّ إضافة قيّمة لما سبق به، إذ ألقى أضواءً على مواطن البلاغة القرآنية، وردّ على شبهات الطاعنين فيها، وكشف عن حقيقة ما زعم أنّه معارضات للقرآن الكريم، وأبان ما بها من خلل، فكان لما أتى به قيمته في المباحث البيانية القرآنية المبكرة.

١ - يشير بذلك إلى ما قاله الرماني. الخطابي، بيان إعجاز القرآن: ص ٤٧.

٢ - سورة الرحمن : ١٣. وقد تكرّرت في إحدى وثلاثين آية من هذه السورة.

٣ - سورة المرسلات : ١٥. وقد تكرّرت في عشرة آيات من هذه السورة.

٤ - يُنظر الموضوع في الخطابي، بيان إعجاز القرآن: ص ٤٧-٤٩.

## - الباقلائي :

أفرد الباقلائي (ت٤٠٣هـ) لدراسة إعجاز القرآن كتابًا خاصًا به سمّاه "إعجاز القرآن"<sup>(١)</sup> بدأه بعرض الآراء التي ارتضاها وجوهًا لإعجاز القرآن الكريم وهي:

١- إخباره الصادق عن الغيوب.

٢- إخباره عن قصص الماضين وسير الأمم الخالية على الرغم من أمية الرسول ﷺ.

٣- نظمه البديع، وتأليفه العجيب، وبلاغته المتناهية، التي يعجز البشر عن محاكاتها.

وقد ركّز الباقلائي شرحه على الوجه الأخير فتحدّث عن جمال نظم القرآن حديثًا طويلًا مُسهبًا. وهو يرى أنّ الإعجاز لا يُستفاد مما تضمّنه القرآن الكريم من وجوه البديع<sup>(٢)</sup>، لأنّ هذه تُستفاد بالتعلّم، والتدرب، وأنّ القيمة الحقيقية لهذه الألوان البلاغية هي فيما تمّد به الأسلوب من جمال. يقول: "لا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من البديع، الذي ادّعوه في الشعر ووصفوه فيه، وذلك لأنّ هذا الفنّ ليس فيه ما يخرق العادة، ويخرج عن العرف، بل يمكن استدراكه بالتعلّم والتدرب به، والتصنّع له"<sup>(٣)</sup>. فالبديع في حدّ ذاته غير معجز، وإنما المعجز هو الصّورة الباهرة التي وُجد عليها في القرآن وأنساقه مع سائر النظم القرآني اتّساقًا عجيبًا ورائعًا.

## - الدرس البيانيّ عند الباقلائي :

يحصّر الباقلائي وجوه الإعجاز البيانيّ في عشرة أقسام<sup>(٤)</sup>؛ بعضها يرجع إلى القرآن في جملته، وبعضها يرجع إلى بعض أساليبه، وبعضها يرجع إلى مفرداته،

١ - درس الباقلائي الإعجاز القرآني في كتب ثلاثة، هي: كتاب إعجاز القرآن، كتاب الانتصار لنقل القرآن، كتاب التمهيد، وأقرب هذه الكتب إلى الدرس البيانيّ للقرآن الكتاب الأول، أمّا الكتابان الآخران، فقد خصّصهما في الغالب، للجدل والمناقشة، وأصول الدّين، وتوضيح العقيدة على مذهب الأشاعرة.

٢ - مصطلح "البديع" يشمل عند الباقلائي كلّ المباحث والفنون البلاغية، أي أنّه يضمّ مباحث علوم البلاغة الثلاثة (البيان، والمعاني، والبديع).

٣ - الباقلائي، إعجاز القرآن: ص ١١١.

٤ - يُنظر الباقلائي، إعجاز القرآن: ص ٣٥-٤٧.



وبعضها يرجع إلى حروفه. ثم يتناولها تفصيلاً، لكنه لم يلتزم النسق نفسه في الكلام عليها، بل جمع من كل جزء جزءاً، وتكلم عليها في مناسبات متفرقة.

وكان يحرص في شرح هذه الوجوه وتفصيل القول فيها على بيان مخالفة البيان القرآني لكلام البشر، وهذه هي القضية الأساسية التي شغلت الباقلاني على امتداد صفحات الكتاب. وهو في سبيل إثبات هذه القضية يعتمد إلى تحليل بعض النماذج الأدبية الرائعة التي اتفق الجميع على بلاغتها، ليبين ما فيها من عيوب تعبيرية، ويحلل في مقابل ذلك آيات وسوراً من القرآن، يبين ما فيها من بلاغة وإعجاز. وقد سلك الباقلاني في دراسته التحليلية البيانية للقرآن الكريم إحدى طريقتين، إما أن يختار آيات متفرقة من السور، وإما أن يتناول سورة كاملة.

فالطريقة الأولى في دراسة الباقلاني، هي تحليله لآيات مختارة من السور القرآنية، ليلفت الأنظار إلى بلاغة النصّ الكريم. من ذلك مثلاً تحليله، في مجال اختيار الكلمات، لقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادُلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ\* وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾<sup>(١)</sup>، يقول: "وجه الوقوف على شرف هذا الكلام أن تتأمل موقع قوله تعالى: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾، وهل تقع في الحسن موقع قوله: (ليأخذوه) كلمة؟ وهل تقوم مقامها في الجزالة لفظة؟ وهل تسد مسدّه في الأصالة نكتة؟ لو وضع موضع ذلك "ليقتلوه"، أو "ليرجموه"، أو "لينفوه"، أو "ليطردوه"، أو "ليهلكوه"، أو "ليذلوه"، ونحو هذا، ما كان ذلك بديعاً ولا بارعاً، ولا عجيّباً ولا بالغاً".

ثم يقول الباقلاني: "فانقدّ موضع هذه الكلمة وتعلم بها ما تذهب إليه من تخيير الكلام، وانتقاء الألفاظ، والاهتداء إلى المعاني، فإن كنت تقدر أن شيئاً من هذه الكلمات التي عددناها عليك أو غيرها، يقوم مقام هذه اللفظة، لم تَفُ على غرضنا من هذا الكتاب، فلا سبيل لك إلى الوقوف على تصاريف الخطاب، فافزع إلى التقليد، واكف نفسك مؤونة

التفكير. وإن فطنت؛ فانظر إلى ما قال من ردّ عجز الخطاب إلى صدره بقوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ ثم ذكر عقيبها العذاب في الآخرة، و أتلاها تلو العذاب في الدنيا على الإحكام الذي رأيت<sup>(١)</sup>. فالباقلاني في هذا الموضوع يعلل ويحلل ويسلك مسلك أهل مذهبه الكلامي في الأخذ والردّ، وقد أتضح إحساسه بالبلاغة القرآنية في تفضيله كلمة (ليأخذوه) عما سواها من الكلمات. إلا أنه في أكثر المواضع، كما يلحظ في كتابه، يحشد الكثير من الجدل الكلامي والنصوص الطوال من الشعر والنثر، فهو كما يقول عنه الدكتور البيومي: "قد وجّه حديثه البياني في كتابه على منهج المتكلمين، وهو ما يجعل تفسيره في أكثره مكتئفاً ببعض القضايا الذهنية، مصبوغاً بصبغة الجدل والردّ، ولكننا لا ننكر ألمعيته في إدراك مزايا الألفاظ وخصائص المعاني، بل نقول إنه عبّر عن إدراكه بلغة فنه، فكان الباحث النظار، لا الأديب المدقق"<sup>(٢)</sup>.

فما كتبه الباقلاني عن الألوان البلاغية التي تضمنها النظم القرآني، يُنبئ عن محاولته إثبات سمو النصّ القرآني وإعجازه، غير أنه فيما تناوله من أنواع هذا البديع، بمعنى البلاغة، لم يلتزم منهج الرّماني في الاستشهاد بالقرآن، بل قدّم مع الشواهد القرآنية شواهد من الشعر والنثر، وربما بدأ بتقديم هذه الشواهد من كلام البشر، ثم عقب عليها بقوله: "ونظير ذلك في القرآن.. أو "ومثله في القرآن.."

وتأخذ عليه الدكتورة عائشة عبد الرحمن هذا المنهج بقولها: "إنّ هذا التّظهير والمماثلة، مما ينبو عنه حسّ من يدرك أنّ الإعجاز البياني لا يحتمل وجود المثل والنظير"<sup>(٣)</sup>.

والطريقة الثانية في دراسة الباقلاني، هي تحليله بعض السور القرآنية الطويلة نسبياً تحليلاً متكاملاً، وبيان ما فيها من جمال اللفظ والمعنى في حدود البلاغة والبديع. كما صنع بسورتي غافر وفصلت، باعتبار السورة وحدة فنية موضوعية، إذ أخذ يعرض آيات

١ - الباقلاني، إعجاز القرآن: ص ١٩٧-١٩٨.

٢ - البيومي، د. محمد خطوات، خطوات التفسير البياني: ص ١٤٠.

٣ - عبد الرحمن، د. عائشة، الإعجاز البياني: ص ١٠١.

السورة الواحدة منتقلاً بين معانيها، ومحاولاً الربط بين أجزائها، وهو اتجاه شامل يتعدى الكلمة في الآية والآيات إلى بناء السورة جميعها حيث تنهض عملاً أدبياً مستقلاً في ذاته. فقد حاول الربط بين الآيات المتتالية، حيث يعقد مناسبة ما بين السابقة واللاحقة، تجعل تسلسل المعاني منسجماً واضحاً. ثم يشرح مواطن الجمال فيها، ويكشف عما قد يخفى على القارئ العادي، متابِعاً السورة من مطلعها، متقلِّباً مع معانيها، "فكان التحليل بذلك نموذجاً لاختلاط العلوم الأدبية، من نقدٍ وبلاغةٍ وأدبٍ، بالعلوم القرآنية، وبعلم الكلام". كما أنه "نموذجٌ لتمرّس علماء الكلام بالفنون البلاغية والأدبية ورهافة حاستهم الأدبية، ودربة ذوقهم الفني"<sup>(١)</sup>. وبهذا يكون الباقلاني قد "أسهم مع غيره من دارسي القرآن الكريم في تأصيل الدرس البياني الذي خرج من التحسس الانطباعي إلى التدوُّق الرفيع المؤسس على نظريات واضحة تؤيد مذهب أهل السنة والجماعة في الإعجاز البياني للقرآن الكريم"<sup>(٢)</sup>.

وهكذا نجد أنّ الباقلاني، كان رائداً في جوانب تفرّد بها حين رأى أنّ الإعجاز لا يُستفاد من صور البديع وألوان البلاغة منفردة، بل يُستفاد من النظم ككلّ متميّز بخصائص لا يشاركه فيها غيره، وحين أثبت أنّ القرآن الكريم لا يتفاوت في بلاغته مهما اختلف أسلوب عرضه، وحين نظر إلى السورة ككلّ متكاملٍ مترابطٍ يحقّق غايةً محددة.

### - الجرجاني :

يُعدُّ عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) من أبرز الدارسين للبيان القرآني، عرض نظريته في الإعجاز بطريقةٍ تغاير ما كتبه السابقون، إذ كانت دراساته البلاغية في مجملها تنطلق من إحساسٍ عميقٍ بأنّ قضية الإعجاز يجب أن تحتلّ المقام الأول في اهتمامات العلماء، وأنّ إدراك الإعجاز القرآني لا يتأتى إلّا بدراسة متأنية واعية

١ - العمري، د. جمال أحمد، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني: ص ٢٢٧.

٢ - دوب، د. رابع، البلاغة عند المفسرين: ص ٥٥١.

لخصائص التعبير، التي تجعل بعضه يعلو بعضاً حتى يصل إلى درجة تتقطع عندها الآمال في معارضته، وهي درجة الإعجاز.

جعل الجرجاني نظم القرآن وجهاً يعلو على كل الوجوه الأخرى في إعجازه، وبنى عليه كل آرائه، بل لقد جعله محور تأليفه وتصانيفه التي خصصها لدراسة البلاغة العربية عامّة، والبلاغة القرآنيّة خاصّة<sup>(١)</sup>. وقد فصل القول في النظم، وعرضه عرضاً مستفيضاً، مبيّناً مقوماته وأصوله، وانتقل به من حيز الألفاظ إلى حيز المعاني، بعد أن كانت الغلبة لدولة اللفظ<sup>(٢)</sup>.

ودرس عبد القاهر في مجال تطبيقه لنظريّة النظم، الكثير من الموضوعات منها: التقديم والتأخير، والحذف، والخبر الاسميّ والفعلّي، وتعريف الخبر وتكثيره، والفصل والوصل، ومزايا "إن"، ومسائل "إنّما" وغيرها من الأبواب التي أطلق عليها المتأخرون علم "المعاني". وفي تطبيقه لفكرة النظم في تعدّد الأساليب درس أبواب: الاستعارة، والتشبيه، والتّمثيل، والكنائية، والحقيقة والمجاز، وصلة المحسنات البديعية بالمعنى، وغير ذلك ممّا له صلة بإثبات أنّ الحسن يعود إلى الخصائص التي يتضمّنها النظم، وأنّها هي التي تجعل الكلام يعلو بعضه بعضاً حتى يصل إلى درجة الإعجاز.

ومضى عبد القاهر، يوضّح الأسباب والمظاهر، التي يمتاز بها نظم عن نظم، ليجعل منها مقاييس مطردة، ويستنبط منها القوانين والقواعد التي يُستعان بها على فهم الجزئيات، وإدراك الأمور التفصيليّة، ولتكون أضواءً يهتدي بها الناقد للكلام في التعرف إلى ما فيه من أسرار الجمال.

١ - أهمّ مؤلفات الجرجاني في البلاغة القرآنية: "دلائل الإعجاز" و "أسرار البلاغة" و "الرّسالة الشافية" إضافة إلى شرحه على كتاب "إعجاز القرآن" لأبي عبد الله الواسطي (ت-٣٠٦هـ)، أحدهما الشرح الكبير "المقتصد" والآخر الشرح الصغير، واسمه "الصغير". يُنظر حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، عني بتصحيحه وطبعه محمد شرف الدين بالنقاي، ط/٤، جامعة استانبول، ١٣٦٠هـ-١٩٤١م: ج١/١٢٠.

٢ - يُنظر الجرجاني، دلائل الإعجاز: ص ٣٩ وما بعدها. ويُنظر بالتفصيل الجندي، د. درويش، نظرية عبد القاهر في النظم: ص ٣١-٣٣.

ولسنا هنا في مجال استعراض آرائه حول الموضوعات التي درسها، بل سنكتفي بنماذج من تحليله لبعض النصوص القرآنية، واستنباطه لما تضمنته نظمها من خصائص بوأتها مرتبة الإعجاز.

من ذلك مثلاً دراسته، لقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>، إذ شرح الآية شرحاً بيانياً وضّح ما يعنيه بالنظم توضيحاً بارعاً، قال فيها: "إن شككت، فتأمل هل ترى لفظةً منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأُفردت، لأدّت من الفصاحة ما تؤدّيه وهي في مكانها من الآية؟ قل: "ابلعي" واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وما بعدها، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها.

وكيف بالشك في ذلك، ومعلوم أنّ مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض، ثمّ أمرت، ثمّ في أن كان النداء "بيا" دون "أي"، نحو "يا أيتها الأرض"، ثمّ إضافة "الماء" إلى "الكاف"، دون أن يقال: "ابلعي الماء" ثمّ أنّ أتبع نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها، نداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها، ثمّ أنّ قيل: "وغيض الماء" فجاء الفعل على صيغة "فعل" الدالة على أنه لم يغيض إلا بأمر أمير، وقُدرة قادر، ثمّ تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ ثمّ نكر ما هو فائدة هذه الأمور، وهو: "استوت على الجودي"، ثمّ إضمار "السفينة" قبل الذكر، كما هو شرطُ الفخامة والدلالة على عظم الشأن، ثمّ مقابلة "قيل" في الخاتمة "بقيل" في الفاتحة؛ أفترى لشيء من هذه الخصائص التي تملوك بالإعجاز روعة وتُحضرك عند تصوّرها هيبّة تحيط بالنفس من أقطارها تعلّقاً باللفظ من حيث هو صوت مسموع، وحروف تتوالى في النطق؟ أم كلّ ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب"<sup>(٢)</sup>.

١ - سورة هود : ٤٤ .

٢ - الجرجاني، دلائل الإعجاز: ص ٤٥-٤٦ .

فالجرجاني في تحليله يركّز على اتّساق المعاني، ويبين أنّ سرّ الجمال الفنّي المعجز في الآية ليس مردّه إلى الألفاظ من حيث هي كلمات مفردة، بل إلى الطّريقة التي صيغت بها هذه الألفاظ، والأسلوب الذي نظمت به هذه الآية.

ومن ذلك أيضاً تحليله للآيات التي استشهد بها في باب اللفظ والنّظم، وإن كانت هذه الشّواهد قليلة بالقياس إلى الشّواهد الشعريّة، إذ نجد تحليلاً وافياً لدقائق بلاغيّة رائعة. من ذلك مثلاً تحليله لقوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾<sup>(١)</sup>، يقول: "إذا أنت راجعت نفسك وأدكيت حسّك، وجدت لهذا التّكثير وأن قيل: "على حياة"، ولم يقل: "على الحياة"، حسناً وروعةً ولطفَ موقعٍ لا يُقادرُ قدره، وتجدك تعدّم ذلك مع التّعريف، وتخرج عن الأريحيّة والأنس إلى خلافهما. والسبب في ذلك أن المعنى على الازدياد من الحياة لا الحياة من أصلها، وذلك لا يحرصُ عليه إلّا الحيّ، فأما العادم للحياة فلا يصحُّ منه الحرصُ على الحياة ولا على غيرها"<sup>(٢)</sup>.

فالجرجاني يربط جمالية النّصّ القرآنيّ بالسّياق، ومناسبة المقام للمقال. ويمثّل هذا التّحليل، "الذي يمزج بين الذّوق والقاعدة"<sup>(٣)</sup>، يمضي ليبور نظريته في النّظم تلك التي جعلها موضع الإعجاز القرآنيّ.

كما أنّه حلّل بعض الصّور البيانيّة في كتابه "أسرار البلاغة" الذي خصّصه لتوضيح عناصر التّصوير وأدواته<sup>(٤)</sup>، بعد أن وضّح في كتابه "الدلائل" أنّ جمال هذه الأنواع لا يرجع إلى حسن ألفاظها بل لأنها صورٌ للمعاني، من ذلك مثلاً، تحليله لقوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾<sup>(٥)</sup>، يقول: "التّفجير، للعيون

١ - سورة البقرة : ٩٦.

٢ - الجرجاني، دلائل الإعجاز : ص ٢٨٨.

٣ - العمري، د. أحمد جمال، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني: ص ٢٤٥.

٤ - الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر، ط/١، دار المدني، جدة، ١٤١٢هـ-١٩٩١م. يُنظر على سبيل المثال تحليله لقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ

يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْجَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥] : ص ١٠١-١٠٣.

٥ - سورة القمر : ١٢.

في المعنى، وأوقعَ على الأرض في اللفظ، وقد حصل بذلك معنى الشُّمول. وذلك أنه قد أفاد أنَّ الأرضَ قد كانت صارت عيوناً كُلُّها، وأنَّ الماء قد كان يفور في كلِّ مكانٍ منها. ولو أُجْرِيَ اللفظ على ظاهره فقيل: "وفَجَّرْنَا عيونَ الأرض، أو العيون في الأرض"، لم يُفد ذلك ولم يَدُلَّ عليه، وكان المفهوم منه أنَّ الماء قد كان فار من عيونٍ متفرِّقةٍ في الأرض، وتجنَّس من أماكن منها<sup>(١)</sup>. فهو يُظهر دور الصُّور البيانيَّة، من خلال ربطها بالصِّياغة الفنِّية لا بالنظر إليها على أنَّها ألفاظ مفردة، في إبراز المعاني وإضفاء الجمال على النَّصِّ.

وعلى هذا النحو يمضي عبد القاهر في تحليله للصور البيانيَّة القرآنيَّة، ولكن ما نسجله على الجرجانيَّ أنه في دلائل الإعجاز، لم يكثر من الشواهد القرآنيَّة إكثاراً يعضد به ما يعرض له من قضيَّة النِّظم القرآنيِّ، إذ طغى الاستشهاد بالشعر وغيره على ما يجب أن يكون الموضع الأول في الاعتبار، إذ المجال مجال القرآن، وإذا كان (الجرجانيُّ) يعرض أنماطاً من الأدب الرفيع لتوضيح ما يعنيه من دلائل الإعجاز فليس لهذه الأنماط أن تربي وتزيد حتَّى تصبح الاستشهادات القرآنيَّة بإزائها ذات حيز قليل<sup>(٢)</sup>! وهذا ما جعل البعض يأخذ عليه أنه لم يهتمَّ، في مجال تطبيقه لفكرة النِّظم، بالنَّصِّ القرآنيِّ، بل كان اختياره في الغالب لشواهد من غير القرآن الكريم<sup>(٣)</sup>. ولعلَّ السَّبب في ذلك "أنَّ اهتمامه الأوَّل كان منصباً على بيان المقياس الذي نقيس به سموَّ الكلام، وإثبات أنَّه المقياس الوحيد الذي نتبين به جوانب الفضل والمزيَّة فيه، ومن ثمَّ يمكننا أن نصلَّ بأنفسنا إلى ما في القرآن الكريم من بلاغةٍ معجزةٍ"<sup>(٤)</sup>.

١ - الجرجاني، دلائل الإعجاز: ص ١٠٢. ويُنظر تحليله لقوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]، المصدر نفسه: ص ١٠٠-١٠١.

٢ - البيومي، خطوات التفسير البياني: ص ٢٢٧.

٣ - يُنظر ما كتبه عرفة، د. عبد العزيز عبد المعطي، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، ط/١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م: ج ١/٦٥٨.

٤ - بركة، الإعجاز القرآني "وجوهه وأسراره": ص ٢٠٤.

وعلى الرغم مما أخذ عليه فإن أثره في مجال الدرس البياني للقرآن الكريم كان واضحاً، فقد سار على نهجه الكثيرون من دارسي البيان القرآني، واستفادوا من دراساته في الكشف عن أسرار الإعجاز القرآني. وقد عبّر عن ذلك الشيخ محمد الفاضل بن عاشور بقوله في كتابه "التفسير ورجاله"، عن عبد القاهر الجرجاني ما نصّه: "وقد أتى عبد القاهر في كتابه فعلاً من بيان المعاني وضبط مراجع اختلاف طرق التعبير عنها وبيان الصور البلاغية في إفادة المعنى بالتركيب ما قوم به هيكلاً فنّ المعاني، وجعل كتابه كما أراده من اسمه (دلّائل) على أوجه الإعجاز يهندي بها الناظر، لا استقصاءً لما لا يمكن استقصاؤه من أوجه الإعجاز بالتفصيل، فانفتح بهذا الوضع الجليل باب كان مغلقاً في وجه متعاطي التفسير وهو بيان الوجه البلاغي المعجز من كل تركيب قرآني"<sup>(١)</sup>.

وتبعاً لما أسلفنا فقد لقيت آراء عبد القاهر ما هي أهلّ له، من قبول العلماء الذين تلقوها عنه، إذ رأينا من اتّجه إلى الجانب التطبيقي فيها، وعلى رأسهم الإمام الزمخشري في تفسيره العظيم "الكشاف" الذي كان ثمرة اشتغال العلماء بآراء عبد القاهر وإيمانهم بها.

### - الزمخشري :

لم يدرس الزمخشري (ت-٥٣٨هـ) قضية الإعجاز البياني دراسةً نظريّة، توصل قواعدها، وتبرز حدودها كما فعل غيره ممّن سبقه من العلماء، ولم يؤلّف كتاباً في البلاغة القرآنية، بل اتّجه بهميته كلّها إلى الجانب التطبيقي، ودرس النصّ القرآني دراسةً تكشف عن الأسرار والدقائق البلاغية التي يتضمّنهما نظمه المعجز، وذلك من خلال تفسيره للقرآن الكريم الذي سمّاه "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، وقدّم فيه صورة رائعة لتفسير القرآن من الناحية البيانية، أشاد به حتى أهل السنّة على الرغم من اعتزال مؤلفه.

١ - ابن عاشور، محمد الفاضل، التفسير ورجاله، ط/٢، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٧٢م: ص ٧٣.



وقد تأثر الزمخشري بالجرجاني، واعترف بفضلته وعلمه<sup>(١)</sup>، وطبق رأيه الجمالي في إعجاز القرآن تطبيقاً عملياً، وعلى نطاق واسع يشمل سور القرآن جميعها<sup>(٢)</sup>. يقول عن دور علم النظم في الكشف عن أسرار الجمال القرآني: "وهذه الأسرار والنكت لا يبرزها إلا علم النظم، وإلا بقيت محتجبة في أكامها"<sup>(٣)</sup>.

ولم تقف جهود الزمخشري عند حدّ تطبيق آراء عبد القاهر في تفسيره، بل وصل هذا التطبيق بكثير من آرائه التي تدلُّ على ما كان يتمتع به من حسٍّ أدبيٍّ، وتذوق جمالي أثبت قدرة المقاييس البلاغية على الكشف عمّا في الأسلوب القرآني من خصائص وسمات هي سرٌّ إعجازه.

وجاء جهد الزمخشري في حديثه عن العناصر البلاغية، موزعاً في تفسيره كلّها، ومن هنا احتاج الكشف عن آرائه البلاغية إلى جهدٍ يستخلصها من مواضعها في الكتاب، ويضمُّ كلَّ جزءٍ إلى ما يكمله، ويجعل منه وحدة تمثل اتجاه الزمخشري في فهمه للأُمور<sup>(٤)</sup>.

وقد جعل الزمخشري الحوار سبيله في التّوضيح فهو يقول: إن قلتَ كذا فالجوابُ كذا. "وهذه الطريقة تقع العقل وترضيه ولكنها تبعث على الإيجاز في مواضع تتطلّب

١ - يُنظر إشارة الزمخشري إلى فضل الجرجاني في تفسيره، الكشاف: ج ٤/٤٢٤.

٢ - الجويني، د. مصطفى الصاوي، منهج الزمخشري في تفسير القرآن: ص ٢١٩. وعتيق، د. عبد العزيز، علم البيان: يُنظر ما كتبه حول تفسير الكشاف، وأنّه خير تطبيق على كلّ ما اهتدى إليه عبد القاهر من قواعد المعاني والبيان: ص ٢٨-٢٩. و ضيف، د. شوقي، البلاغة تطور وتاريخ: يُنظر مجموعة من الأمثلة التي أوردها ليبين أنّ الزمخشري كان يبحث الإعجاز القرآني في ضوء ما قرّره عبد القاهر الجرجاني: ص ٢٢٢-٢٤٣.

٣ - الزمخشري، الكشاف: ج ٤/١٤٣.

٤ - للأستاذ الدكتور محمد أبو موسى، دراسة قيّمة، بعنوان "البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدّراسات البلاغية" نهضت بهذا العبء الكبير.

البسط والامتداد<sup>(١)</sup>. ولكنه مع ذلك قد أتجه إلى البسط في بعض الآيات الكريمة التي تحتاج إلى بسطٍ وتفصيلٍ.

وسنكتفي بذكر نموذجٍ من تحليل الزمخشري لبعض آيات القرآن الكريم، لمعرفة أسلوبه في الكشف عن الإعجاز البياني من خلال تفسير آيات القرآن الكريم، لأننا سنطالع في دراستنا لدراسات الدارسين البيانيين المحدثين الكثير من تحليلاته، وذلك لكثرة اعتمادهم على تفسيره (الكشاف).

من ذلك مثلاً تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ\* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ\* وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(٢)</sup>، يقول: "وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكرم، والكريم: صفة لكل ما يرضي ويُحمد في بابه، يُقال: وجه كريم، إذا رُضي في حسنه وجماله، وكتاب كريم: مرضي في معانيه وفوائده. وقال: "حَتَّى يَشُقَّ الصُّفُوفَ مِنْ كَرَمِهِ" أي: من كونه مرضياً في شجاعته وبأسه، والنبات الكريم: المرضي فيما يتعلّق به من المنافع. ﴿إِنَّ فِي﴾ إنبات تلك الأصناف ﴿لَآيَةً﴾ على أن مُنبِتَهَا قَادِرٌ على إحياء الموتى، وقد علم الله أن أكثرهم مطبوعٌ على قلوبهم غير مرجوٍ إيمانهم. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ في انتقامه من الكفرة ﴿الرَّحِيمُ﴾ لمن تاب وآمن وعمل صالحاً. فإن قلت: ما معنى الجمع بين "كم" و "كل"، ولو قيل كم أنبتنا فيها من زوج كريم؟ قلت: قد دل "كل" على الإحاطة بأزواج النباتات على سبيل التفصيل، و "كم" على أن هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة، فهذا معنى الجمع بينهما، وبه نبه على كمال قدرته. فإن قلت: فما معنى وصف الزوج بالكريم؟ قلت: يحتمل معنيين: أحدهما: أن النباتات على نوعين نافع وضار، فذكر كثرة ما أنبت في الأرض، من جميع أصناف النباتات النافع، وخلق ذكر الضار. والثاني: أن يعم جميع النباتات نافعة

١ - البيومي، خطوات التفسير البياني: ص ٢٣٥. ومما تجدر الإشارة إليه أننا قد رأينا هذا البسط والامتداد عند الجرجاني الذي كان يتعرّض للآية البليغة - التي يستشهد بها - فيبسطها بسطاً كاشفاً، ويطلب في تحليلها، وذلك لأنه لم يتعرض لتفسير القرآن آية آية، بل كان صاحب قضية يبسطها مستعيناً على إيضاحها بآيات قرآنية، أمّا الزمخشري فيتعرض لتفسير القرآن آية آية، فهو مضطرٌ إلى الإيجاز.

٢ - سورة الشعراء: ٧-٩.

وضارّة ويصفهما جميعاً بالكرم، وبيّنه على أنه ما أنبت شيئاً إلّا وفيه فائدة لأنّ الحكيم لا يفعل فعلاً إلّا لغرضٍ صحيحٍ ولحكمةٍ بالغةٍ، وإنْ غفل عنها الغافلون ولم يتوصّل إلى معرفتها العاقلون. فإنّ قلت: فحين ذكر الأزواج ودلّ عليها بكلمتي الكثرة والإحاطة، وكانت بحيث لا يحصيها إلّا عالم الغيب، كيف قال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً﴾، وهلا قال آيات؟ قلت: فيه وجهان. أن يكون ذلك مشاراً به إلى مصدر أنبتنا فكأنه قال: إن في الإنبات لآيةً أي آية، وأن يُراد: أن في كلّ واحدة من تلك الأزواج لآية<sup>(١)</sup>.

تلك هي طريقة الزمخشري في إبراز إعجاز القرآن البياني، يطيل الوقوف عند الآيات التي تكشف له وجوهاً، من روائع البيان وعجيب النظم، في تقديم كلمة على كلمة، أو اختيار كلمة دون أخرى، أو حرف مكان آخر، ويفصل القول في الفروق الدقيقة المميّزة بينها، ويشير من خلالها إلى المعاني الثابتة، وهو كثير التقلّب بالألفاظ القرآنية من الحقيقة إلى المجاز، إذا كان المعنى الحقيقيّ يختلف عن نظريّات المذهب الاعتزاليّ وصميم أفكاره.

ومما تجدر الإشارة إليه، أنّ كلّ من جاء بعده من الدارسين -حتّى من أهل السّنة- استفادوا من تفسيره فوائد كثيرة، ربّما كانوا لا يلتفتون إليها لولاه، إذ أوردوا في دراساتهم ما ساقه الزمخشريّ في كشّافه من ضروب الاستعارات، والمجازات، والأشكال البلاغية الأخرى، واعتمدوا على ما لفت الانتباه إليه من نكات بلاغية، تكشف عما دقّ من براعة نظم القرآن وحسن أسلوبه. فتفسيره كان بحق، كما قيل عنه: "خير تفسير في العربية يتحدّث في بلاغة القرآن، وإعجازه وسرّ نظمه، وروعة أدائه"<sup>(٢)</sup>.

١ - الزمخشري، الكشاف: ج ٣/٣٣٩-٣٤٠.

٢ - شيخ أمين، د. بكرى، التّعبير الفني في القرآن الكريم، ط/١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٤م: ص ١١١-١١٢.

### – الدارسون البيانيون بعد الزمخشري :

انقطع الجانب التطبيقي التحليلي في الدرس البياني، بعد تفسير الكشاف، وتفرعت دروب الدارسين لما أتى به الجرجاني؛ فمنهم من رأى أن محاولة الجرجاني في "دلائل الإعجاز" تحتاج إلى إعادة ترتيب وتحرير وتهذيب<sup>(١)</sup>، نذكر منهم الفخر الرّازي (٦٠٦هـ) ، الذي ألف كتابه "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز"<sup>(٢)</sup>، واتخذ في درسه لقضية الإعجاز البياني للقرآن الكريم، طريقاً معاكساً للزمخشري، إذ وجّه همته إلى إثبات أن إعجاز القرآن في بلاغته، ثم انتقل مباشرة إلى دراسة الضوابط التي تجعل الكلام بليغاً، وتجعل بعضه يعلو بعضاً في الفصاحة والبيان، تماماً كما صنع أستاذه عبد القاهر، حين جعل همّه الأكبر أن يعطينا المقياس الذي نقدّر به مرتبة التعبير في الفصاحة، وترك لنا أن نطبق هذا المقياس على ما لدينا من صور التعبير.

"غير أن الرّازي في محاولته ضبط آراء أستاذه وقع في خطأ أفسد ما حاول إصلاحه، فأراء عبد القاهر على ما بها من توزّع في مواطن معالجتها، وإطناب في محاولة الإقناع بها، كانت تُساق في أسلوب أدبي يخاطب الوجدان والذوق، ويُبرز أسرار جمال التعبير بأسلوب رقيق شفاف. أمّا الرّازي فقد أحال الأمر إلى مجال الجدل المنطقي، وتتبع لما توجهه القسمة العقلية للأمور، دون اعتبار لما تتضمنه النصوص فعلاً من جوانب سموّ والتّميز. ومن هنا تتابعت تقسيماته للموضوعات إلى عشرات الأبواب ومئات الفصول، وأمثالها من القواعد والتّنبّهات التي يضلّ القارئ في تتبعها"<sup>(٣)</sup>. "غير ملتفت إلى

١ – عبد الرحمن، د. عائشة، الإعجاز البياني للقرآن: ص ١١٦.

٢ – للرازي تفسير كبير يُسمّى "مفاتيح الغيب"، لم نتوقّف عنده، لأنّه أشبه ما يكون بموسوعة في علوم القرآن، وعلم الكلام، وعلوم الكون والطبيعة، إذ إنّ هذه المناحي هي التي غلبت عليه، حتى كادت تُقلل من أهمية الكتاب كتفسير للقرآن. وقد أبرز فيه الجانب البياني للقرآن، إلّا أنّه في إبرازه له يظلّ يستنرد بطريقة التّفريع والتّوليد، واستنباط المعاني الدّقيقة، والاستدلال العقلي عليها. ولهذا عرضنا لكتابه "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز"، لأنّه خصّص هذا الكتاب لدراسة إعجاز القرآن، واقتصر فيه على بحث الجوانب البلاغية فقط.

٣ – يُنظر بركة، الإعجاز القرآني "وجوهه وأسراره": ص ٢٢٢.

جمالِ النَّصِّ وروعةِ الأسلوب، بل أصبحت القواعدُ الجافةُ مجالَ تأمله وموضعَ اهتمامه<sup>(١)</sup>.

وعندما أراد الرَّازي أن يوردَ شيئاً من التَّطبيق العمليِّ لهذا الحشد الحاشد من القواعد، لم يزد على أن لخصَّ رسالةً للزمخشري في وجه إعجاز سورة الكوثر، استأثرت بخمس صفحات فقط من كتابه<sup>(٢)</sup>. ولكن تبقى لكتابِ الرازي شهرته، نظراً لما امتاز به من السَّعة والإحاطة والشُّمول، على الرَّغم من كون الوجهة الكلامية هي السَّمة البارزة فيه.

ومنهم من اكتفى بما وجّه إليه الجرجاني من دراسة البلاغة طريقاً لفهم الإعجاز ودلائل عليه، فاستقلَّ بالبحث البلاغيِّ بعيداً عن قضية الإعجاز، كما عزل البلاغة عن معاني النَّحو التي قرر الجرجاني، بحق، أنها داخلة في بلاغة النَّظم. وإمام هذه المدرسة السَّكاكي (ت ٦٢٦هـ)، الذي جعل البلاغة في كتابه "مفتاح العلوم" علماً يحصل، وصنعة تضبط بقواعد منطقيّة<sup>(٣)</sup>. "وقد استمدَّ السَّكاكي مادته العلميّة من كلام عبد القاهر والزمخشري، ولكنه عجز عن المحافظة على الروح الأدبيّة لأنّه حاول أن يلخص، والمشتغلون بالبلاغة يفهمون أن تلخيص التحليلات البلاغيّة يفسدها"<sup>(٤)</sup>. ولذلك كان حظُّ القرآن من "مفتاح العلوم" وشروحه، بضع شواهد قرآنيّة سيقّت مع حشدٍ من شواهد وأمثلةٍ أخرى من قول البشر<sup>(٥)</sup>.

١ - البيومي، خطوات التفسير البياني: ص ٢٥٨.

٢ - يُنظر الرازي، الإمام فخر الدين، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق د. بكرى شيخ أمين،

ط/١، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ١٩٨٥م: ص ٣٧٥-٣٨٠.

٣ - يُنظر ما كُتب حول جمود البلاغة على يد السَّكاكي، والذي أدى إلى غياب الجانب التّذوقي التّحليلي، في عبد الرحمن، د. عائشة، الإعجاز البياني للقرآن: ص ١١٦-١١٧. والعمرى، د. أحمد جمال، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني: ٣٢٣-٣٢٤.

٤ - أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ص ٣٨.

٥ - يُنظر فصل الاستعارة في السكاكي، أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، ط/١، المطبعة الأدبية، مصر، ١٣١٧هـ: ص ١٩٦-٢٠١، نجد أنه لم يورد شاهداً قرآنياً واحداً، ويُنظر غيره من فصول الكتاب.

ومنهم من قدّر حاجة هذه المباحث البلاغية إلى أن تُلتمسَ لها الشواهد القرآنية<sup>(١)</sup>، ونذكر منهم، ابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤هـ) في كتابه "بديع القرآن"، -والبديع عنده بمعنى البلاغة-، الذي نسّقه في مائة وعشرين باباً، كان من الممكن أن تتداخل وتتضام لتصل إلى عددٍ معقولٍ. ولا بدّ لنا من وقفة يسيرة عند هذا الكتاب لنصل به حلقات الدرس البياني.

تحرّى ابن أبي الإصبع في الأبواب التي عدّها، الاستشهاد بالقرآن الكريم، وإن كان في الغالب، قد اكتفى في أكثر هذه الأبواب بأن يذكر المصطلح البديعي للباب، ثمّ يتبعه بالشاهد أو الشواهد القرآنية، دون تفصيلٍ لبيان وجه القوة أو سرّ البلاغة فيه.

من ذلك على سبيل المثال، ما كتبه تحت عنوان (باب الفرائد)، يقول: "وهو مختصّ بالفصاحة دون البلاغة، لأنه عبارة عن إتيان المتكلم في كلامه بلفظةٍ تنتزّل منزلة الفريدة من حب العقد، وهي الجوهرة التي لا نظير لها، تدلّ على عظم فصاحته، وقوة عارضته، وجزالة منطقته، وأصالة عربيّته، بحيث تكون هذه اللفظة إذا سقطت من الكلام عزّت على الفصحاء غرابتها، فقد جاء من ذلك في الكتاب العزيز غرائب لا يقع مثلها لمخلوق، وهي من الكثرة بحيث يعسرُ حصرها. ومنها قوله تعالى: ﴿الآن حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾<sup>(٣)</sup>: فألفاظ هذه الجملة كلّها من هذا الباب، وأجزّلها قوله "استيسسوا" وأفصحها قوله سبحانه: "خلصوا نجياً"، وقلّ أن تجتمع الفصاحة والبلاغة في جملة من هذا الباب إلّا في هذه الجملة، فإنّ هاتين اللفظتين تضمّنتا مع الفصاحة الإيجاز، وهو أعلى ضروب البلاغة"<sup>(٤)</sup>.

والواقع أنّ وقوف ابن أبي الإصبع عند هذه الألفاظ والجمال في كتاب الله يدلّ على ذوق بصيرٍ، ونحن نأخذ عليه "أنّه قد أحسن الاختيار إلّا أنّه لم يُحسن التحليل، فإنّنا

١ - عبد الرحمن، د. عائشة، الإعجاز البياني للقرآن: ص ١١٦.

٢ - سورة يوسف: من الآية ٥١.

٣ - سورة يوسف: من الآية ٨٠.

٤ - ابن أبي الإصبع، عبد الواحد بن عبد العظيم، بديع القرآن، تحقيق حفني محمد شرف، ط/١، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٧م. (د. ت): ص ٢٨٧.

نجده قد مرَّ بقوله تعالى: ﴿خَلَّصُوا نَجِيًّا﴾ مكتفياً بعبارات الاستحسان العامة التي تصلح لكل قول جميل، وكان الأولى أن يبحث في الآية كيف صورَّ قوله تعالى: ﴿خَلَّصُوا نَجِيًّا﴾ تجمع أخوة يوسف حائرين يتناجون فيما عسى أن يصنعوه بعد أن وقعوا في مأزق يصعب تخطيه، مُظهرين من الاهتمام والقلق والحيرة ما يوحي به الموقف الضائق، وقد أحكموا تلخيصه في قوله "خَلَّصُوا نَجِيًّا"<sup>(١)</sup>.

وإذا كان قد أجمل القول في محاسن هذه الآية، فنحن نراه قد فصل القول في تحليل بعض الآيات بعيداً عما ألف من ترددات المحسنات والاستكثار بالمصطلحات. من ذلك مثلاً ما جاء في تعليقه على قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾<sup>(٢)</sup>، فقد قال: "وهذه الفريدة أعجب من كل ما تقدّم، فإن لفظة (خَائِنَةَ) بمفردها سهلة مستعملة كثيرة الجرّيان على الألسن، فلما أضيفت إلى (الأعين) حصل لها من غرابة التركيب ما جعل لها في النفوس هذا الموقع بحيث لا يُستطاع الإتيان بمثلهما، ولا يكاد يقع ذو فكر سليم وذهن مستقيم على شبهها، وأشبه ذلك في الكتاب العزيز لا تدخل تحت الحصر"<sup>(٣)</sup>.

فكتاب "بديع القرآن"، ورغم ما أخذ عليه، "كتاب فريد في بابه، لأن مؤلفه جاء في فترة سبقها نضج في الدراسات البيانية وتنوعها، فحاول المؤلف أن يفيد من جهود سابقه، وأن يجعل كتابه تطبيقاً لآيات القرآن على ما عرفه من فنون البيان والبديع"<sup>(٤)</sup>.

وتعاقبت بعد ابن أبي الإصبع شروحٌ وحواشٍ تبحث البيان القرآني بحثاً مُتقلاً بالحدود والتعريفات والتفريعات، أبعدت المتلقي عن لمح سرّ البيان وذوق الأسلوب وروح النص. "رجال البلاغة إذا عرضوا النصّ القرآني أغرقوا معناه في تيار الاعتراضات والدفع والأخذ والجذب والشّد. ورجال التفسير إذا عرضوا له أيضاً تركوه إلى ما قيل عنه

١ - البيومي، د. محمد، خطوات التفسير البياني: ص ٢٦٥-٢٦٦ بتصرف.

٢ - سورة غافر: ١٩.

٣ - ابن أبي الإصبع، بديع القرآن: ص ٢٨٨.

٤ - طبانة، د. بدوي، البيان العربي: ص ٢٧.

من شروح السابقين فأحاطوها بالنقاش والتقرير والتصويب مما هو إلى المماحكة اللفظية أقرب وأصق<sup>(١)</sup>.

وهكذا توارت قضية الإعجاز القرآني عن الميدان البياني، في فيض الشروح والمختصرات والحواشي على متن "مفتاح العلوم" للسكاكي الذي سيطر على الدراسة البلاغية. إذ راح الباحثون، سيراً على طريق الرّازي-، يتبارون داخل دائرة مغلقة، لا نجد في ثناياها غير تلخيص كتاب، ثم إعادة شرح للتلخيص، فحاشية على الشرح، ثم تعليق على الحاشية، إلى آخر هذه السلسلة العقيمة التي لا تتضمن -على الرغم مما بها من جهد عقلي خارق، وقدرة مذهلة على الجدل والحجاج- شيئاً مما كانت البلاغة أحوج ما تكون إليه، لتؤدي دورها الأصيل في صقل المواهب وتنمية الملكات القادرة على الإحساس بجمال التعبير القرآني، وتذوق محاسنه<sup>(٢)</sup>.

وتمضي قرون والإعجاز البياني يدور في هذا النطاق من القوالب التقليدية والعبارات المضخمة حتى كانت النهضة الحديثة، وأحسن روادها بما آل إليه البحث البياني من جمود، فأسرعوا إلى بعث التراث العريق، وعادوا إلى تناول قضية الإعجاز البياني، برؤية جديدة، وبعقلية يلتقي فيها القديم العريق، بالجديد المبدع. على نحو ما سنرى في الفصول القادمة، إن شاء الله.

١ - البيومي، خطوات التفسير البياني: ص ٢٨١.

٢ - يُنظر بركة، عبد الغني، الإعجاز القرآني "وجوهه وأسراره": ص ٢٢٣.



## - نظرات في دراسات أعلام الدرس البيانيّ القداماء:

بعد أن تعرّفنا ملامح الدرس البيانيّ، عند الدارسين القداماء، وعرضنا لطائفة من أقوالهم وتحليلاتهم، ورأينا اهتمام الأدباء وأهل اللغة بإبراز مزايا النظم القرآنيّ وأسلوبه، ومحاولتهم الردّ على الشبّهات التي أُثيرت حول أسلوب القرآن، ونظمه، وبلاغته. سنلقي على ما قالوه وقدموه، نظرة سريعةً فاحصةً. إذ إنّ الهدف من استعراض آراء العلماء في هذا الموضوع، مع مراعاة التسلسل التاريخيّ في عرضها<sup>(١)</sup>، الوقوف على تطوّر هذه الدراسة ومدى تأثر العلماء بعضهم ببعض.

**فالجاحظ،** أكد الإعجاز البيانيّ للقرآن الكريم، وفطن إلى أنّ لألفاظ القرآن الكريم ميزةً أزيد على غيرها من حيث النظم، وخصّص كثيراً من مباحثه في كتبه، لتفصيل القول في جمال العبارة، واستخراج ما فيها من مجاز وتشبيه بمعانيهما الواسعة غير المحدّدة.

والرّمانيّ، تابع السّير، وأرجع البلاغة إلى عشرة أبواب، قد تبوّأ القرآن فيها القمّة، وأتى في دراسته بتحليل تطبيقيّ، موازناً في بعض الأحيان، بين النصوص القرآنيّة وبين ما أثير عن العرب في معناها.

ثمّ تابعنا المسيرة مع الخطّابي الذي عدّد وجوه الإعجاز القرآنيّ، وفصل القول في الإعجاز البلاغيّ، لأنّه -من بينها- المطرّد في كل أجزاء القرآن الكريم، وحاول جاهداً أن يصل إلى مقاييس واضحة لبلاغة الكلام مؤكّداً أنّ القرآن الكريم في الذروة منها، ثمّ تناول ما أثير من شبّهات حول البلاغة القرآنيّة فردّها عليها، مركزاً على دحض ما زعم من أنّ بعض ألفاظ القرآن لم تقع موقعها، وأنّ غيرها كان أحقّ منها بمكانها.

وجاء بعده الباقلاني، الذي رأى أنّ إعجاز القرآن يعود إلى نظميه ككلّ متميّز بخصائص لا يشاركه فيها غيره، كما سجلنا له أيضاً تأكّيده أنّ القرآن الكريم لا يتفاوت

١ - مع الإشارة إلى أننا لم نستعرض جهود جميع العلماء، لضيق المقام، ونلفت إلى ما كان من بعضهم من جهود في هذا المجال كابن قتيبة في كتابه "تأويل مشكل القرآن" والشريف الرضي في كتابه "تلخيص البيان في مجازات القرآن" والبيضاوي والنسفي وغيرهم.

في بلاغته مهما اختلف الموضوع الذي يتناوله أو اختلف أسلوب عرضه للموضوع، وهذا أمرٌ خارجٌ عن طوق البشر، ثم نوّهنا بنظرته إلى السورة القرآنية ككلٍّ متكاملٍ مترابط، يُعالج أغراضاً محدّدة، ويحقّق غايةً معيّنة، مما جعل الباقلاني في كل ذلك ملهمًا لمن تبعه من الدارسين.

ثمّ جاء عبد القاهر الجرجاني الذي يُعتبر صاحب نظرية النظم بحق، (إن لم يكن الأول في الاهتمام إليها فهو الأول في إرساء دعائمها، وإبراز ملامحها، والإقناع بها). التي أراد من ورائها بيان المقياس الذي نصل به إلى أسرار القرآن البيانية المعجزة. وقد انتفع بما جاء به دارسون كثيرون، وأفادوا من تحليلاته وتعليقاته.

وكان من أبرزهم الزمخشري، الذي قام بالجانب التطبيقي لنظرية النظم التي أرسى عبد القاهر دعائمها، فجاء تفسيره "الكشاف" خير تفسيرٍ تحدّث في بلاغة القرآن، وإعجازه وسرّ نظمه، وروعة أدائه.

ثمّ تبعه الرّازي الذي كان كتابه "الإيجاز في دراية الإعجاز" محاولةً لضبط القواعد التي بثّها عبد القاهر في كتبه؛ غير أنّه قد سلك طريقاً جديدة في تحقيق غايته، إذ أسرف في التّفنّين والضّبط، حتّى أحال الأمر إلى مجالٍ للجدل المنطقي، وتتبع لما توجبه القسمة العقليّة من أقسام، دون نظر إلى جوانب السّمو والتميز في النّصوص ذاتها، وأسرف في التّقسيمات. ومما زاد في خطر هذا الاتّجاه أنّه ظل طوال قرونٍ مسيطراً على عقول الباحثين ففي إطاره كانوا يتنافسون على نحو ما سبق أن بيّنا.

وقد نستطيع أن نخلص من جملة ما تقدّم، إلى أنّ الدّارسين القدامى قد شغلوا أنفسهم بمسائل كثيرة هي أبعد ما تكون عن الجوّ الفنيّ المحض. فكتبهم لم تقتصر على دراسة الإعجاز البيانيّ عن طريق البلاغة وحدها، بل أدخلت في أحيانٍ كثيرة دراساتٍ كلاميّةٍ وحججاً منطقيّةً لإثبات الإعجاز والرّدّ على منكريه. فلم يُتَح لهم شغفهم بالتبويب والتّقسيم فرصةً لإدراك الخصائص العامّة المشتركة التي يصدر عنها كتاب الله في تصويره وتعبيره فيهزّ النفوس، ويحرّك المشاعر.

وقد كان لبعض الدارسين الفضل في الكشف عن دقائق البيان القرآني وجماله، من ذلك مثلاً، ما جاء عند الرماني الذي التزم بالشواهد القرآنية لإظهار بلاغة القرآن، إذ كان همه أن يقدم لكل باب شواهد القرآنية، وأن يلمح بذوق ما فيها من نكت بلاغية، وهذا نفتقده في أكثر الكتب التي تناولت إعجاز القرآن من جهة البلاغة بعد الرماني، ما عدا قلّة منهم كابن أبي الإصبع المصري الذي سار في "بديع القرآن" على نهج الرماني في تقديم الشاهد القرآني، إلا أنه لم يتوسّع في التحليل.

ولم يفصل أحد من هؤلاء الأعلام القول بالإعجاز البياني - باستثناء تفسير الزمخشري - في سورة بعينها إلا ما كان من الباقلاني في تحليل سورتين غافرتي وفصلت. أمّا ما عداه فقد جاء درسهم البياني مجزئاً ومفرقاً ولم يكن منفرغاً للقرآن كلّ بل لبعض من آياته.

ومما نلاحظه أيضاً أن أصحاب هذه الدراسات نهجوا فيها منهجاً موضوعياً جديداً يعتمد اعتماداً كبيراً على أسلوب الموازنة بين النصوص المأثورة وبين الأسلوب القرآني. فالباقلاني مثلاً يخرج في كتابه عن الدراسة القرآنية إلى دراسات للشعر، إذ أسهب في المقارنة بين شعر وشعر، ومقصد الكتاب إعجاز البيان القرآني. وعبد القاهر الجرجاني "حشد كتاب (دلائل الإعجاز) بشواهد من الشعر حتى شغلت القارئ عن آيات القرآن التي عقد الكتاب لأجلها ولإبراز ما فيها من إعجاز"<sup>(١)</sup>. وتحليله لبعض النصوص القرآنية التي ساقها في تضاعيف دراسته القيمة يكشف بعمق عن أسرار القرآن الكريم ولطائفه، وكم كنا نودّ لو أنه طبّق هذا المنهج التحليلي على القرآن كلّ أو على معظم آياته وسوره.

ونختم بالقول: إنّ الدارسين القدماء أسسوا لدراسة البيان العربي عامّة، والبيان القرآني خاصّة، بما استخرجوه من القرآن الكريم من فنون بلاغية وبيانية رائعة، استقت من معينها معظم الدراسات البيانية الحديثة، وأفادت الكثير منها.

١ - يُنظر حسين، د. عبد القادر، القرآن والصورة البيانية، ط/١، دار المنار، القاهرة، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م: ص ٣١.

## الفصل الثاني

### مؤلفات الدرس البياني القرآني في العصر الحديث

#### - نماء الدرس البياني في العصر الحديث :

كان عصر النهضة مرحلة البعث الشامل للأمة الإسلامية، استفادت فيه الأمة من غفوتها، ونفضت عنها الكثير من المعوقات، التي تشل حركتها وتبدد طاقتها. وقد ضببت هذه المرحلة تاريخياً بحلول القرن الثالث عشر الهجري، حينما انطلقت الأصوات في البلاد العربية والإسلامية داعيةً إلى التجديد في تفسير القرآن الكريم، وطرح ما هو جديد على الساحة الثقافية والأدبية من خلال تفسير القرآن.

فالتجديد، في عصر النهضة، لم يقتصر على الأدب والفنون بعامّة، بل إن النهضة الأدبية العربية وجّهت أنظار الباحثين إلى مقالات جديدة في عناصر الجمال الفني القرآني، إذ راح الدارسون، وبالنهل من النقد والفنون، يحاولون دراسة النصوص القرآنية على أصول تمكن الدارس من فهم النصّ والتعمق في تحليله، للوصول إلى أدقّ خصائصه. وهكذا بُعثت من جديد كتب عبد القاهر الجرجاني وأعلام المدرسة القديمة، التي يتسم منهجها في البحث باستلهاج النصوص الأدبية أسرارها، وعرض خواطر العلماء ونظراتهم في تلك النصوص بأسلوب مشرق، يستهوي المتلقي ويرضي حسّه وعقله، ويضع يده على مواطن جمال النصّ، ويفصح عن سرّ سموه<sup>(١)</sup>.

كما ظهرت المؤلفات البلاغية واضحة المعالم محدّدة الاتجاه، وامتازت الدراسات البيانية للقرآن الكريم بما يُبرز هذا الوضوح ويؤكدّه، وكثرت الدراسات واستفاضت

١- بركة، عبد الغني، الإعجاز القرآني وجوهه وأسراره: يُنظر ص ١٢٧. والصغير، د. محمد علي، المبادئ العامة لتفسير القرآن: ص ١٤٦.

البحوث التي تحاول كشف البيان القرآني، واستجلاء مواطن السحر المعجز في كتاب الله. فقد تطوّر الدرس البياني، في تلك المرحلة، وتأثر بالمعارف المختلفة، إضافة إلى أنه لم يعد وقفاً على رجال الدين وحدهم، بل تجاوزهم إلى غيرهم ممن أوتوا سعةً في الأفق ونفاذاً في الإدراك وعمقاً في المعرفة والفكر، وبدأ الجانب العقلي يغلب على الجانب النقلّي. إذ تدخل الفهم الشّخصي في الدرس القرآني، وتّضحت ثقافة كلّ دارسٍ بجلاءٍ في درسه.

ولعلّ ذلك يرجع إلى أنّ: "طبيعة الأمور بمرور الزمن، ومران الفكر، وتقدّمه، وعمله المستمر، يمكن أن ينتقل بنا من فترة الاعتماد على المنقولات المروية فقط إلى ما يُسمّى بالتفسير العقلي، أو الاجتهاد حول النصوص لاستنباط المعاني. وبالنسبة للقرآن الكريم فالأمر محكوم بضوابط اللغة وإيحاءاتها وبلاغتها"<sup>(١)</sup>.

ومن هنا ازدادت محاولات الدرس البياني للقرآن الكريم مرتبطةً باللغة وبمقاصد الشريعة، ومستعينةً بالمعارف المختلفة والمأثورات المنقولة والعلوم المتنوعة. ولأنّ الأخذ بما قدّم من دراسات والاقتصار عليه في هذه المرحلة؛ توقّف عند الكثير من آيات القرآن وسوره، "وكفّ عن التدبّر في القرآن على المستوى العلمي والعقلي والحضاري لكلّ جيلٍ من الأجيال اللاحقة"<sup>(٢)</sup>.

وقد اجتمعت دواعٍ مختلفة أدّت إلى نشاط هذه الدراسات البيانية، نذكر منها الآتي:

- ما أثير من شبّهات حول الصياغة القرآنية، إذ أثار بعض الطّاعنين، نقلًا عن دارسي أوروبا ومستشرقها، شبّهات حول الصياغة القرآنية، "وكان هؤلاء قد حفظوا ألفاظ المعاجم، ثم حاولوا أن يقرؤوا القرآن الكريم في ضوءها بعيدًا عن موهبة التّدوق الأدبيّ

١ - عبد الغفار، د. السيّد أحمد، التفسير ومناهجه والنص وتفسيره، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،

٢٠٠٠م: ص ١٤٩.

٢ - يُنظر المصدر السابق: ص ١٥٠ وما بعدها.

وملكته المطبوعة، فلم يُنَحِّ لهم فهم هذه الصِّيَاغَة فَعَادُوا بِاللَّائِمَة عَلَيْهَا، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعُودُوا بِاللَّائِمَة عَلَى أَنْفُسِهِمْ حَيْثُ تَكَلَّفُوا مَا لَا يَحْسُنُ<sup>(١)</sup>.

- القول بوجود فروق بين الآيات المكيّة والمدنيّة<sup>(٢)</sup>، إذ راح بعضُ المُستشرقين يتحدثُ عن أسلوب الآياتِ المدنيّةِ وأسلوب الآياتِ المكيّةِ، لِيُوجِدَ فروقاً موهومةً تدعوهُ إلى القولِ بتأثير أهل الكتاب في الأسلوبِ المدنيّ للقرآن! وممّا فضح ادعاء هؤلاء أنّهم ذكروا آياتٍ مكيّةً على أنّها من الآياتِ المدنيّةِ ثمَّ خرجوا بنتيجتهم الزائفة، فهدموا بذلك ادعاءهم، وقَدَّمُوا الدليلَ على أنّهم مُغرِضون<sup>(٣)</sup>.

- كثرة التّأويلات للنصوص القرآنيّة المُجانبة للصحة، من قبل أصحابِ الفرقِ الإسلاميّةِ والمذاهبِ الكلاميّةِ؛ الذين عمَدوا إلى بعض التّأويلاتِ الفاسدة، والتّفاسيرِ البعيدة، ليستخرجوا من القرآن، حججاً تؤيّدُهم وتتنصرُ رأيهم وتروّج لدعوتهم<sup>(٤)</sup>؛ اعتماداً على أنّ اللّغة العربيّة تتميِّزُ بأساليبها المتنوّعة، ومن هذه الأساليب ما هو واضحُ المعنى ظاهرُ الدّلالة، ومنها ما يُراد به غير ظاهره، وتحتاجُ دلالتَهُ إلى نظرةٍ ورويّةٍ<sup>(٥)</sup>.

وأمام المُغرِضين والمُحرِّفين تصبِحُ كلُّ الأساليبِ في حاجةٍ إلى فهمٍ عميقٍ ونظرٍ صادق، وهو موقفٌ يختصُّ بهم، ولا يختصُّ بأساليبِ اللّغة. من الأمثلة على ذلك، تأويل

١ - البيومي، د. محمد رجب، خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم: ص ٣٢٩ بتصرف.

٢ - من الفروق الموهومة ما يدعيه نولدكه وبعض المُستشرقين، أنّ السُّور المكيّة يلعب فيها الفنُّ والخيال دوراً أكبر من دور العقل والمنطق. يُنظر نقض هذا الفرق في الجويني، د. مصطفى الصاوي، المنظور الأدبي للنصّ القرآني، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦م: ص ٢٢١ وما بعدها.

٣ - البيومي، د. محمد رجب، خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم: ص ٣٣٠.

٤ - زغلول، د. الشحات السيد، من مناهج التفسير: يُنظر ص ١٢١.

٥ - الأساليب القرآنيّة التي ليست في حاجة إلى تأويل من الناحية اللغوية تسمّى (المُحكّم)، والأساليب القرآنيّة القابلة للتأويل من الناحية اللغوية تسمّى (المُتشابه). يُنظر الزرقاني، مناهل العرفان: ج ٢/١٦٨-١٧٠. وللتوسّع في معنى التأويل وأنواعه وضرورته (كظاهرة لغوية في الأسلوب العربي): يُنظر عبد الغفار، د. السيد أحمد، التفسير ومناهجه والنصّ وتفسيره: ص ٢٦٤ حتى ص ٢٨٥. ويُرجع لكتابه النصّ القرآني بين التفسير والتأويل، ط/٢، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨م. وللتفريق بين التفسير والتأويل يُنظر أيضاً الجاسم، تأويل النصّ القرآني وقضايا النحو: ص ٢٠-٣٩.

بعض الفرق الإسلامية لكثيرٍ من الأسماء الواردة في القرآن الكريم بأنّها أسماء أشخاص، من ذلك مثلاً: "ما ادّعاه البعضُ من أصحاب الفرق من أنّه أي "بيان بن سمعان" - وهو شخصٌ - مُسمّى في القرآن، حيث زعموا أنّه المرادُ بقوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾<sup>(١)</sup>. إنَّ لفظ "البيان" الوارد في القرآن الكريم ظاهرٌ معناه، ودلالته واضحةٌ، ولكنّه من الترهات التي قالت بها غلاة الفرق، وممن اشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا.

ومن ذلك أيضًا، ما تقوله البيانية في تفسير قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾<sup>(٢)</sup>، إذ أرادوا به عليًا فهو الذي يأتي في الظل. وواضحٌ أنّ هذا الاتجاه في التفسير لا يفهم من الألفاظ ما تدلُّ عليه بحال، إذ إنّ هذه الألفاظ لا تدلُّ على هؤلاء الأشخاص<sup>(٣)</sup>. ويمدنا ابن تيمية بنماذج كثيرة من هذه التفاسير والتأويلات<sup>(٤)</sup>، يكفينا أن نقول فيها وفي ما شابهها، كما قال الجرجاني: "وما يُغني وضوح الدلالة من لا ينظر فيها، وإنَّ الصُّبحَ ليملاً الأفق، ثم لا يراه النائم ومن قدَّ أطبق جفنه"<sup>(٥)</sup>.

١ - آل عمران: من الآية ١٣٨. تُنظر هذه القصة في الشَّاطبي، الموافقات: ج ٣/٣٩١، وقد ذكر الشهرستاني: "أنّه بيان بن سمعان النهدي صاحب فرقه (البيانية) من غلاة الشيعة". يُنظر الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، المِلل والنحل، تحقيق محمد سعيد الكيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م: ج ١/١٥٢.

٢ - سورة البقرة: من الآية ٢١٠.

٣ - ينظر نماذج من تفاسير الفرق الإسلامية، في زغلول، د. الشحات، من مناهج التفسير: ص ١٦٤-١٦٥.

٤ - يُنظر ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق فواز أحمد زمرلي، ط/٢، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م: ص ٧٧-٨٠. وراجع أمثلة أخرى لانتهاج الشيعة وغيرهم من الفرق طريق المجاز والإشارة في تفسير القرآن: الشَّاطبي، الموافقات: ج ٣/٣٩٢-٤٩٤.

٥ - الجرجاني، دلائل الإعجاز: ص ٤٥٥.

ونظراً للأسباب المتقدمة، ولرغبة بعض الدارسين الذاتية<sup>(١)</sup> في توضيح أسرار كتاب الله المعجز، وللدور الكبير الذي قام به أساتذة البيان العربي في قاعات البحث العلمي في الجامعات العربية<sup>(٢)</sup>، الذين أحيوا المنهج اللغوي و البياني في فهم النصّ القرآني وتفسيره بعيداً عن الأمور الدينية وخلافات المذاهب والفرق الإسلامية ونشطوا في تحليل النصوص القرآنية تحليلاً يكشف عن روائع الإعجاز وأسرار البيان القرآني؛ كثر الدرس البياني في العصر الحديث؛ واتسع مجال الدراسة البيانية للقرآن الكريم، وامتدّ على نحو حميد. حتى إن: "منهج البحث البياني لم يعد مقصوراً على الدفاع عن القرآن والتماس وجه إعجازه من طريق بيانه، بل أصبح ضرورة يحسها المسلم من جهة فهم معانيه، ولا يتم هذا الفهم إلا بتعرف أساليبه، وما يمكن أن ينطوي وراء تعبيراته من المعاني والمقاصد"<sup>(٣)</sup>.

ولا ننسى أيضاً ما قدّم ويقدم من أحاديث إذاعية وتلفزيونية<sup>(٤)</sup>، تدور حول المعاني القرآنية، وتسهب في توضيح الفروق الدقيقة فيما بينها، وتنصّ على أن الغرض الأول من أغراض التفسير - قبل بيان الأحكام والعقائد والأخلاق - هو النظر في القرآن الكريم، "من حيث هو كتاب العربية الأكبر، وأثرها الأدبي الأعظم، فهو الكتاب الذي أخلد العربيّة،

١ - تُنظر إشارات الدارسين إلى رغبتهم في تعرف أسرار الإعجاز البياني للقرآن الكريم في مقدمات كتبهم، يُنظر مثلاً: قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، ط/١١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤م: ص٧-١٠. والسامرائي، د. فاضل صالح، التعبير القرآني، ط/٣، دار عمار للنشر، عمان: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م: ص٧-٨. وغيرهم

٢ - يُنظر بتوسّع الكلام على دور الدراسات الجامعية في تطوّر الدرس البياني في البيومي، خطوات التفسير البياني: ص٣٣١-٣٣٣.

٣ - طبانة، د. بدوي، البيان العربي: ص١٩.

٤ - قدّمت أحاديث إذاعية، حول إعجاز القرآن البياني، للأستاذ أمين الخولي، وأحاديث تلفزيونية للدكتور السامرائي، وأحاديث للدكتور محمد راتب النابلسي، ولا يزال يُقدّم الكثير من هذه الأحاديث.



وحمى كيانها، وخذل معها، فصار فخرها، وزينة تراثها، وتلك صفة للقرآن يعرفها العربي مهما يختلف به الدين، أو يفترق به الهوى<sup>(١)</sup>.

فلابد إذن من الدرس الأدبي للقرآن الكريم في مستواه البياني الفني، وفاء بحق هذا الكتاب العظيم، بل "يجب أن يسبق الدرس الأدبي البياني كل غرض، ويتقدم كل مقصد، ثم لكل ذي غرض أو صاحب مقصد أن يعمد إلى ذلك الكتاب، فيأخذ منه ما يشاء ويرجع إليه فيما يريد من تشريع، أو اعتقاد، أو أخلاق، أو إصلاح اجتماعي أو غير ذلك"<sup>(٢)</sup>.

وهكذا يتبين لنا أن مواقف المغرضين عرباً وغير عرب، وكثرة التأويلات المذهبية، والرغبة الذاتية في الكشف عن أسرار كتاب الله المعجزة، دفعت العلماء الحريصين على كتاب ربهم إلى دراسة القرآن الكريم، دراسة الباحث عن القصد من وراء الألفاظ، المتعمق في الصور والأساليب القرآنية، لا دراسة المحكم هواه وأغراضه المذهبية واتجاهاته المبتدعة.

١ - الخولي، أمين، مناهج تجديد: ص ٢٢٩-٢٣٠. ويُنظر عبد الرحمن، د. عائشة "بنت الشاطئ"،

التفسير البياني للقرآن، ط/٤، دار المعارف، مصر، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م: ج ١/١٥.

٢ - الخولي، أمين، مناهج تجديد: ص ٢٣٠.

## - أصناف المؤلفات البيانية في العصر الحديث :

لا يخفى أنّ الإعجازَ البيانيَّ للقرآن الكريم بحرٌ متلاطمٌ من الأسرار والعلوم، ولا يستطيع باحثٌ أن يُجلبه تجليّةً كاملةً مهما أُوتي من صفاء الفطرة، وِنفاذِ البصيرة، وِغايةٍ ما يحقّقه أن يضيفَ لبنةً إلى صرحٍ شامخ. وذلك لأنّ القرآنَ الكريمَ محورٌ لكثيرٍ من علوم العربية التي لم تنشأ إلّا لخدمته، ولم تُعرف إلّا من أجله، كما أنّهُ موضع اهتمام العلماء والأدباء مهما تقدّمت العلوم، وتطوّرت اللغات، وتلوّنت الأساليب<sup>(١)</sup>.

ومن هنا كثرت الأبحاثُ والدراساتُ التي تُعنى بالقرآن الكريم، وتتناول خصائصه ومزياه التي كان بها نصّاً مُعجزاً، فقد أُلفت في إعجازه البيانيّ كتبٌ مستقلةٌ، ووردت مباحثه في المؤلفات اللغويّة والبلاغيّة. وكلّها تحاول عبر دراسة الآيات القرآنيّة وتحليلها، الكشفَ عن أسراره البيانيّة، والتدليل على مواطن إعجازه.

فالقرآنُ الكريم يعرضُ الأحكامَ، ويحكي القصصَ، وينقلُ الحياةَ بألوانها وحالاتها المختلفة في لوحاتٍ فنيّةٍ، أداته في نقلها الكلمة، والدّارسُ البيانيُّ ينقلُ مرّةً أخرى الحياةَ والفكر<sup>(٢)</sup>، ويوضّحُ طريقةَ النصِّ القرآنيِّ في ذلك النّقل، ويكشفُ عن الأسبابِ والعِللِ التي أدّت إلى هذه الطّريقة في التعبيرِ والتّصويرِ، وما تتطوي عليه من خصائص لغويّة وأساليب بيانيّة وما إلى ذلك.

وإنّ اعتمادَ الدّرسِ البيانيِّ على المنهج التّحليلي لتعليل الظواهر المدروسة أدّى إلى تنوّع طرائق الدّارسين في التّناول البيانيِّ، واختلافها باختلاف ثقافة الدّارس وإمكاناته ومدى تقديره لسير المعنى في النصِّ القرآنيِّ. وذلك لأنّ وسائل التّدوّق الفنّي والعلمي، ليست لدى جميع النّاس على مستوى واحد، بل تختلف من شخصٍ لآخر، باختلاف اطلاع وسعة أفق كلّ منهم.

١ - يُنظر بركة، عبد الغني، الإعجاز القرآني وجوهه وأسرارُه: ص ٣٩.

٢ - خليل، د. السيد أحمد، دراسات في القرآن، دار المعارف، مصر، ١٩٧٢م: ص ١٥.

وبناءً على هذا، اتخذت دراسة إعجاز القرآن البياني صوراً مختلفةً، وتوّعت الجهات في دراسة جوانب هذا الإعجاز، واختلفت سبل الدارسين في تجلية ملامح البيان القرآني المعجز، فأخذ الدرس البياني عدّة مناحٍ عند الباحثين، وتجلّى في مؤلّفات كثيرة من تفاسير شاملة، وكتب تناولت سورة بعينها، أو موضوعاً معيّناً من الموضوعات القرآنيّة، وكتب دراساتٍ فنيّة (بلاغية وأدبية)، إضافة إلى كتب الإعجاز القرآني التي لم تخل من التطرّق إليه.

وسنعرّف في الفقرات القادمة المؤلّفات البيانيّة في العصر الحديث، محاولين تصنيفها تبعاً لنوع المؤلّف الذي قدّمه الدارس، مع الإلماح إلى طرائق بعض الدراسات في التناول البياني، من خلال التعريف بنموذجين من كل نوع من تلك الأنواع.

ولا أدعي أنني سوف أستقصي كلّ ما قدّم من دراساتٍ للقرآن في إعجازه البياني<sup>(١)</sup>، وألم بكل أطرافها، لأنّ ذلك أمرٌ لا يمكن لأحدٍ أن يدّعيه لنفسه - على ما أعتقد - ولا يمكن لباحثٍ أن يفهم حقه، وذلك لكثرة ما قدّم من دراساتٍ مع امتداد الزمن واتساع رقعة البلاد الإسلاميّة، لكن ما لا يدرك كلّهُ لا يُترك جُلّه، فقصدتُ إلى الإلمام على غير سبيل الاستقصاء التام<sup>(٢)</sup>.

١ - قدّمت دراسات كثيرة، في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، في الإعجاز البياني للقرآن، تناولها الباحثون فيها بالدرس البياني سوراً وموضوعات قرآنية كثيرة. يضيق المجال للحديث عنها، لأنّ عددها لا يُستهان به. وللإطلاع على عناوينها، يُنظر الجبوسي، د. محمد عبد الله، كشّاف الدراسات القرآنية في الرسائل الجامعية، ط/١، دار الغوثاني، دمشق، سورية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م. وهذا الكتاب، عملٌ معجمي، يُعدّ إضافة قيّمة إلى مكتبة الدراسات القرآنية، إذ يُعرّف بما صدر من دراسات، ويسهّل الاطلاع عليها من خلال الفهارس المتنوّعة المُلحقة بنهاية الكشّاف.

٢ - لا تقتصر الدراسات البيانيّة التي رجعنا إليها على ما ورد من دراسات في هذا الفصل، بل سنتوقف عند دراسات أخرى في الفصول اللاحقة.

## ١ - التفاسير البيانية الشاملة للقرآن الكريم:

يتجلى الدرس البياني للقرآن الكريم على نحوٍ شامل، في كتب التفسير البياني، التي تتناول السور القرآنية جميعها، وتقدم درساً بيانياً وافياً، تعرض من خلاله الجوانب الجمالية الفنية في أسلوب القرآن الكريم، وقد يكون هذا الدرس موجزاً في بعض الأحيان - إذا ما قارناه بالمصنّفات البيانية الأخرى، لكن يُحمد له أنه يبحث عن الجمال الفني في القرآن، ويربطه بالكمال الموضوعي الذي يتجلى فيه.

إن أمثال هذه التفاسير البيانية الشاملة للقرآن الكريم، كانت قليلةً في الدراسات البيانية القرآنية القديمة، وذلك لأن أغلب الدراسات في تلك المرحلة كانت تهتم باللفظ المفرد، وبالجملة، وتتمحور حول التركيب، ولم تتخط ذلك إلى العمل الأدبي برمته، حتى ظل النقد جزئياً ولم يبلغ مرحلة تقويم النصوص كأعمال أدبية متكاملة، إلا في الدراسات الحديثة<sup>(١)</sup>.

ويأتي في طليعة هذه التفاسير: "في ظلال القرآن" للأستاذ سيد قطب، الذي عرف بمنهجه في هذا التفسير قائلاً في مواضع متفرقة في مقدمته: "كلُّ ما حاولته ألبأ أغرق نفسي في بحوث لغوية أو كلامية أو فقهية تحجب القرآن عن روعي وتحجب روعي عن القرآن، وما استطردت إلى غير ما يوحيه النص القرآني ذاته من خاطرة روحية أو اجتماعية أو إنسانية... وكذلك حاولت أن أعبر عما خالج نفسي من إحساس بالجمال الفني العجيب في الكتاب المعجز ومن شعور بالتناسق في التعبير والتصوير"<sup>(٢)</sup>.

وهو تفسيرٌ يجمع إلى جمال العبارة دقة التصوير، وإلى رشاقة الأسلوب سلامة التعبير، يُعنى بالصورة الأدبية للقرآن، ويترصد قضاياه الجمالية، في التشخيص والتمثيل،

١ - يموت، د. غازي، علم أساليب البيان: ص ٥٨.

٢ - يُنظر قطب، سيد، في ظلال القرآن، ط/٤، دار الشروق، القاهرة، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م: المقدمة، ج/١١-١٨.

والإدراك الحسي، ويخلص من وراء ذلك إلى كشف تناسق القرآن، وتحقيق توافقه في النظم والتأليف<sup>(١)</sup>.

ومما تجدر الإشارة إليه، أنّ لمحات سيد قطب في فهم الأسلوب القرآني، وخصائص التعبير القرآني، ثمّ خواطره الذوقية وانطباعاته النفسية دائرة كلّها في فلك هداية القرآن وتوجيهات مبادئه التي راح يبسطها ويقربها من نفوس المؤمنين، لعلّ الله ينفع بها ويهدي، إذ الهدى حقيقة القرآن، والهدى طبيعته ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾<sup>(٢)</sup>.

فسيد قطب قدّم في تفسيره، الذي راعى فيه تفسير السور القرآنية مرتبة تبعاً لترتيبها في المصحف الشريف، تجربته الذاتية مع النصّ القرآني من خلال النهج الجديد الذي نهجه فيه، وإنّ هذا النهج قد يكون بعيداً عن تحقيق المسائل والقضايا العلمية، ولكنه لا مسّ حاجة في نفوس كثيرين من الناس وهي التطلع إلى الكشف عن وجدانيات القرآن وأسراره وتبسيطها وتقريبها للأفهام بعيداً عن التأمّلات العلمية والفكرية العويصة<sup>(٣)</sup>. فمنهج سيد قطب في تفسيره يحثّ الدارسين على استخلاص الجمال الفني في كتاب الله بأنفسهم والاستمتاع به بوجدانهم.

ومن التفاسير البيانية: "التفسير الحديث" للأستاذ محمد عزّة دروزة: وقد ذكر في مقدّمته المنهج الذي سار عليه في تفسيره، من شرح للكلمات والتعابير الغريبة وغير الدارجة كثيراً، وشرح لمدلول الجملة شرحاً إجمالياً، وإشارة موجزة إلى ما روي في مناسبة نزول الآيات، مع التنبيه على الجمل و الوسائل التّدعيمية<sup>(٤)</sup>، والاهتمام ببيان ما بين

١ - الصغير، د. محمد علي، المبادئ العامة لتفسير القرآن: ص ١٢٥.

٢ - سورة الإسراء: ٩. ويُنظر قطب، في ظلال القرآن: ج ١/١٥.

٣ - البوطي، د. محمد سعيد رمضان، من روائع القرآن: ص ١٩١.

٤ - يُقصد بالجمل والوسائل التّدعيمية ما أُريد به تدعيم الرّسالة القرآنية ومبادئها المحكّمة، مثل القصص ومشاهد الحياة الأخروية ومشاهد الكون ونواميسه، والترغيب والترهيب، ونحو ذلك.

آيات السور من ترابط، وعطف الجمل القرآنية بعضها على بعض سياقاً أو موضوعاً، كلما كان ذلك مفهوم الدلالة، لتجلية النظم القرآني والترابط الموضوعي فيه<sup>(١)</sup>.

وقد رتب السور في تفسيره تبعاً لترتيب نزولها؛ لأن هذا الترتيب في رأيه يتسق مع المنهج الذي يعتقد أنه الأفضل لفهم القرآن وخدمته، إذ بذلك يمكن متابعة السيرة النبوية زمنًا بعد زمن، كما يمكن متابعة أطوار التنزيل ومراحلها بصورة أوضح وأدق.

- و"صفوة التفاسير" للأستاذ محمد علي الصابوني، الذي أشار إلى سبب تسميته بهذا الاسم، قائلاً: "أسميتُ كتابي "صفوة التفاسير"، لأنه جامعٌ لعيون ما في التفاسير الكبيرة المفصلة<sup>(٢)</sup>، مع الاختصار والترتيب، والوضوح والبيان، وكلّي أملٌ أن يكونَ اسمه مطابقاً لمسماه، وأن تستفيدَ منه الأمة الإسلامية، بما يوضح لها السبيل الأقوم، والصرراط المستقيم"<sup>(٣)</sup>.

وقد سلك في تفسيره المنهج الآتي: أولاً، بين يدي السورة، وهو بيانٌ إجماليٌّ للسورة وتوضيحٌ مقاصدها الأساسية. ثانياً، المناسبة بين الآيات السابقة والآيات اللاحقة. ثالثاً، اللغة مع بيان الاشتقاق اللغوي والشواهد العربية. رابعاً، سبب النزول. خامساً، التفسير. سادساً، البلاغة. سابعاً، الفوائد واللطائف.

فتفسيره إذن يجمع خلاصة ما قاله أئمة المفسرين بأسلوب مبسّط، وإيضاحات جيدة مع العناية بالجوانب اللغوية والصور البيانية والنكات البلاغية. بأسلوب يتفق وروح العصر الحديث؛ لخلوه من الحشو والتطويل، وبعده عن التعقيد والتكلف، مع إبراز ما في القرآن من روعة الإعجاز والبيان.

١ - يُنظر كلامه على منهجه بالتفصيل في دروزة، محمد عزّة، التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨١هـ-١٩٦٢م: ج ١/٦-٨.

٢ - التفاسير التي استمدت منها هي: تفسير الطبري، الكشاف، القرطبي، الألويسي، ابن كثير، البحر المحيط وغيرها.

٣ - الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، ط/١، دار القلم العربي، حلب، ودار النُمير، دمشق، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م: ص ٢٠.

- و "معارج التفكير ودقائق التدبر" للأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: وهو تفسيرٌ تدبريٌّ للقرآن الكريم، وفق منهج كتابه "قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل"، الذي جمع فيه أربعين قاعدة من قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ملتزماً في تفسيره، قدر استطاعته، بمضمون القواعد التي فتح الله بها عليه، مع اعترافه بأن التزامها التزاماً دقيقاً وشاملاً عسيرٌ جداً، بل قد يكون بالنسبة إلى متدبرٍ واحدٍ متعذراً.

وقد تابع تدبر السور على ما ذكر العلماء بعلوم القرآن الكريم، من ترتيب نزولها، لا على وفق ترتيبها في المصاحف؛ لأنه رأى "أن ما ذكره المختصون بعلوم القرآن الكريم، من ترتيب نزول، هو في معظمه حق، أخذاً من تسلسل البناء المعرفي التكاملي، وتسلسل التكامل التربوي"<sup>(١)</sup>. وكان يبدأ تفسيره للسورة ببحث حول نزولها، ثم يقدم نص السورة وما فيها من فرشيات القراءات<sup>(٢)</sup>، ويذكر ما جاء في السنة حولها، ثم يبين موضوع السورة ودروسها، لينتقل بعد ذلك إلى التدبر التحليلي لهذه الدروس، ويختتم تفسيره للسورة بملحق يوجز فيه البلاغيات في السورة، بعد تفصيله لها أثناء تحليله. من ذلك على سبيل المثال، ما ذكره من بلاغيات حول سورة التكاثر: ﴿الْهَآكُمُ النَّكَآثُرُ \* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ \* كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ \* ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ \* كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ \* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ \* ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ \* ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾<sup>(٣)</sup> أشار إليها في نهاية تفسيره لها؛ بقوله: "في سورة التكاثر اختيارات بلاغيةٌ تُثير الإعجاب، منها اللطائف الآتية:

الأولى: الكناية عن البعث، بالتعبير عن الفاصل بين الموت والبعث للحياة الأخرى، بأنه زيارةٌ للقبور، وليس إقامةً دائمة.

الثانية: استعمال حرف "لو" بمعنى الرغبة والرضى، وهي عند علماء العربية بمعنى التمني والترجي، وهذان لا يلبقان بمقام الله عز وجل.

١- الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، معارج التفكير ودقائق التدبر، ط/١، دار القلم، دمشق،

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م: ج ١/٦.

٢- المقصود بفرشيات القراءات: الكلمات المفروشة (المنتشرة) في سور القرآن الكريم، والتي تختلف القراء فيها في اللفظ.

٣- سورة التكاثر: ١-٨.

الثالثة: تأكيد تحقُّق عِلْم اليقين، وعِلْم عَيْن اليقين، وعِلْم حَقِّ اليقين، مستقبلاً، بمؤكِّداتٍ مُتعدِّدة، اللام الواقعة في جواب قسم محذوف، نون التوكيد الثقيلة.  
الرابعة: الدقة في استعمال الكلمات لتأدية المعاني المرادة (زُرْتُم - سَوْف - ثُمَّ - لَوْ - عَيْن اليقين - النَّعِيم) <sup>(١)</sup>.

فهو يوجز في نهاية تفسيره لكلِّ سورة ما جاء فيها من ألوان بلاغيَّة، وصور بيانيَّة، ودقائق تعبيرية.

ومن التفسير البيانيَّة الحديثة، "التفسير الوجيز" <sup>(٢)</sup> للدكتور وهبة الزحيلي، و "أيسر التفسير" للدكتور أسعد محمد حومد، ويمكن أن يُصنَّف معها "البيان في تفسير القرآن" للسيد أبي القاسم الموسوي الخوئي <sup>(٣)</sup>، مع أنَّ الخوئي لم يتجاوز في هذا التفسير تفسير سورة الفاتحة، وذلك لأنَّه حدَّد فيه منهجاً لتفسير القرآن؛ وهو "تفسير القرآن بالقرآن وفهم الآية من أختها، بل فهم الكلمة القرآنيَّة الواحدة من مختلف مواقعها في هذه الآيات".  
وبيَّن أنَّ هذا المنهج هو منهجٌ نموذجيٌّ ينبغي أن "يترسَّمه كلُّ دارسٍ معاصرٍ يستهدف فهم القرآن فهمًا ذاتيًّا منبعه القرآن" <sup>(٤)</sup>.

## ٢- الدرسُ البيانيُّ لسورٍ معيَّنة من القرآن:

ومن الدِّراسات البيانيَّة التي قدَّمها الدَّارسون المحدثون دراساتٍ انطلقت من وحدة السورة القرآنيَّة، وطبَّقت المنهج البيانيَّ على سورةٍ طويلةٍ أو مجموعةٍ سورٍ قصار،

١ - الميداني، معارج التَّفكُّر ودقائق التَّدبُّر: ج ١/٦٨٤.

٢ - وهو تفسير يقتصر على بيان الآية إجمالاً، وعلى سبب نزولها إن وُجد، مع التزام أدقِّ ما توصَّلت إليه كتب التفسير، القديمة منها والحديثة، وما أحاطت به من التفسير المنسجم مع أصول اللغة العربية. يُنظر الزحيلي، د. وهبة، التفسير الوجيز على هامش القرآن العظيم، ط/١، دار الفكر، دمشق-سورية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م: المقدمة.

٣ - يُنظر الصغير، د. محمد علي، المبادئ العامة لتفسير القرآن: ص ١٦٢.

٤ - الخوئي، السيد أبو القاسم الموسوي، البيان في تفسير القرآن، ط/٢، منشورات دار العلم للإمام السيد الخوئي، النجف الأشرف، مطبعة العمال المركزية، بغداد، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م: يُنظر ص ١٠-١٤.



واستنبطت ما استطاعت استنباطه من وجوه البلاغة في تلك السُّور، واهتدت إلى الكثير من مناحي الحسن وأسرار الإعجاز فيها. نذكر من هذه الدراسات: "دراسة تحليلية لسورة الأحزاب"، للدكتور محمد أبي موسى، "سورة الرحمن وسور قصار" للدكتور شوقي ضيف، و"النظم القرآني في سورة الرعد" للدكتور محمد بن سعد الدبل، و"البلاغة القيّمة لآيات القرآن الكريم جزء عم" للدكتور محمد عبد القادر حسين، و"أضواء بلاغية على جزء الذّاريات" له أيضًا، و"شرح جزء الشورى" و"جزء قد سمع" و"جزء تبارك" و"جزء عم" وسورة "الزمر" وسورة "الأحزاب" وسورة "الأحقاف" وسورة "الذّاريات" للأستاذ عفيف طبّارة، و"دراسة أدبية لنصوص من القرآن" للأستاذ محمد المبارك. ومن هذه الدراسات أيضًا ما جاء في دراسة الدكتورة عائشة عبد الرحمن "التفسير البياني" من درُس بيانيّ لسُور بأكملها، وكذلك في دراسة الدكتور فاضل صالح السامرائي "على طريق التفسير البياني"، وغيرها. وسنعرّف دراستين من هذه الدراسات، هما:

- "سورة الرحمن وسور قصار، عرض ودراسة"، للدكتور شوقي ضيف:

تناول الدكتور شوقي ضيف في هذا الكتاب بالتحليل إضافةً إلى سورة الرَّحْمَن، مجموعةً من السُّور القرآنية، هي: (الفاتحة- الإخلاص- العصر<sup>(١)</sup>- الملك- التّكوير- الأعلى- الشّمس- الماعون- الفلق) وجميع هذه السُّور تتناول أصول العقيدة الإسلامية وبعض مبادئ الإسلام الخلقية والاجتماعية. وقد بسط الدكتور ضيف دراسته لهذه السُّور من خلال آيات الذّكر الحكيم، بحيث كان يتخذ من الآية نورًا يهديه إلى مضمونها العام في القرآن، ويحاول بقدر ما يستطيع عرضه ووصفه، وقد استعان على ذلك بكثيرٍ من كتب التفسير؛ كتفسير الطبري والزمخشري والفخر الرّازي والقرطبي وابن كثير والبيضاوي

١ - نُشر للدكتور شوقي ضيف دراسة لسور (الفاتحة- الإخلاص- العصر)، في صحيفة الأهرام سنة

١٣٨٩ هـ في شهر رمضان.

وأبي حيان والألوسي والشيخ محمد عبده، وغيرهم. وأشار إلى أن ما توصل إليه في هذه الدراسة لا يعدو أن يكون غرفةً صغيرةً من ينبوع القرآن العظيم<sup>(١)</sup>.

- "دراسة أدبية لنصوص من القرآن"، للأستاذ محمد المبارك:

يُعدّ هذا الكتاب دراسة لاستجلاء بعض الأسرار البلاغية في القرآن، وإبراز مواطن الجمال في الأسلوب القرآني. إذ تضمّن هذا الكتاب دراسة لسورة العاديات، وسورة الحاقة، وآيات من سورة النمل، وسورة يوسف<sup>(٢)</sup>.

وتقوم طريقة المبارك في الدرس البياني على تلخيص الفكرة العامة للسورة أو النصّ، ثم بسط ما تضمّنته من أفكار، وكشف ما بين هذه الأفكار من صلة، وربطها بما تضمنه القرآن من مفاهيم وأفكار. و عرض معاني الآيات والأفكار التي تضمّنتها السورة -موضوع الدراسة- عرضاً مباشراً دون أن ينقل أقوال المفسرين. ثمّ عرض الطريقة الأدبية أو فنّ التعبير عن تلك المعاني والأفكار، كالوصف والقصص والمثل المضروب، مع بيان خصائص هذا الفنّ وانسجامه مع الموضوع في النصّ -موضوع الدراسة-، لينتقل بعد ذلك إلى دراسة الآيات من حيث تركيبها وجملها ومفرداتها، وما لهذه التراكيب والألفاظ من خصائص أدبية بارزة؛ سواء من جهة أداء المعنى وحسن التعبير عنه وقوّته ودقّته، أم من جهة اللفظ وجرسه ونغمته، وما لذلك كلّ من صلة بالفكرة المعروضة والفنّ الأدبيّ الذي عُرضت الفكرة عن طريقه<sup>(٣)</sup>.

١ - ضيف، د. شوقي، سورة الرحمن وسور قصار "عرض ودراسة"، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م: يُنظر كلامه على منهجه: ص ١٠-١١.

٢ - نشر الأستاذ محمد المبارك في عام (١٩٦٠م) رسالة اشتملت على بعض الدراسات الأدبية المتعلقة بالقرآن بعنوان "من منهل الأدب الخالد" ضمّنتها تفسير سورة العاديات تفسيراً أدبيّاً، ودراسة الناحية القصصية من سورة يوسف. يُنظر المبارك، محمد، من منهل الأدب الخالد "دراسة تحليلية أدبية لنصوص من القرآن"، ط/٢، دار الفكر، دمشق، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م. ثمّ أعاد طبع هذه الرسالة وأضاف إليها تفسير سورة الحاقة وبعض آيات من سورة النمل، بعنوان "دراسة أدبية لنصوص من القرآن".

٣ - المبارك، محمد، دراسة أدبية لنصوص من القرآن، دار الفكر، دمشق، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م: يُنظر كلامه على منهجه: ص ٤-٥.

فالمبارك يركّز في درسه البيانيّ على فكرة النَّصِّ، وهدفه، والجوّ الذي يثيره، وأسلوب التعبير وفنّه، والأسلوب اللفظيّ. ومما جاء في دراسته، نذكر ما أورده حول لفظة "الحاقة"، إذ تحدّث عن جدتها، ولفت النظر إلى جمال المدّ فيها قائلاً عن أوائل سورة الحاقة: "تتكرّر فيها كلمة (الحاقة)، وهي الكلمة الجديدة التي تعبّر هنا عن يوم القيامة والحساب، وتكرر فيها هذه القاف المُشدّدة التي تفرّع السّمع قرعاً، والمسبوقه بالمدّ الطويل المُمهّد لها، والمُبْرز لِشِدَّتِها، والمختومة بالهاء التي تتطّفى عندها شدّتها"<sup>(١)</sup>.

وهكذا يربط بين الجمال الموسيقيّ والفكرة، ويرى أنّ الموسيقى تساعد على جلاء الفكرة في الآيات. وعلى هذا النهج، من العناية بالنظرة الشاملة التي تربط بين الجوانب الفنيّة ودلالة الموقف يمضي الأستاذ محمّد المبارك في دراسته البيانيّة الأدبيّة للسور القرآنيّة.

### ٣- الدرسُ البيانيُّ لموضوع قرآنيٍّ معين:

ظهرت إضافة إلى ما تقدّم من دراساتٍ، دراساتٍ اتّجه أصحابها إلى الدرس البيانيّ القرآنيّ لموضوعٍ معيّنٍ من الموضوعات التي تحدّث عنها القرآن الكريم، وذلك بأنّ تجمع الآيات الخاصّة بالموضوع الواحد جمعاً إحصائياً مستفيضاً يُشكّل وحدة موضوعيّة متكاملةً، ثمّ يقوم الدّارس بنفسيرها والتعمق في دراستها<sup>(٢)</sup>.

والغاية من السير على هذا المنهج اطلاق المتلقّي على أسرار كتاب الله ميوبةً ممنهجةً، والكشف عن مراد الله في الموضوع الواحد. من الدّراسات التي سارت وفق هذا

١ - المبارك، دراسات أدبية لنصوص من القرآن: ص ٣٠.

٢ - نادى الإمام محمد عبده بفكرة التفسير الموضوعيّ والأدبيّ مخطّطاً ومطبّقاً لها في تفسير "جزء عمّ"، وتابع جهده تلميذه محمد رشيد رضا، إلّا أنّ المؤصل الحقيقي لهذا المنهج في الدرس البيانيّ هو الأستاذ أمين الخولي. يُنظر الجويني، د. مصطفى الصّاوي، المنظور الأدبيّ للنصّ القرآني: ص ٦. ويُنظر عبده، الإمام محمد، تفسير جزء عمّ، ط/٣، مطابع الشعب، مصر، (د. ت). وستحدث عن منهج الأستاذ أمين الخولي في الدرس البيانيّ القرآني في الفصل القادم، إن شاء الله.

المنهج، نذكر دراسة الأستاذ سيد قطب في كتابه "مشاهد القيامة في القرآن"، الذي أكد فيه أن طريقة التصوير "أجمل طرائق التعبير وأفضلها في الفن والدين"<sup>(١)</sup>، وبهذه الطريقة - بحسب رأيه - تناول القرآن مشاهد القيامة التي استعرضها في كتابه. وقد استعرض سيد قطب في هذا الكتاب خمسين ومائة مشهد، موزعة في ثمانين سورة، معظمها من السور المكيّة.

ومنها أيضاً دراسة الدكتور تَمَّام حَسَّان في كتابه "البيان في روائع القرآن"، بعنوان "بنو إسرائيل في القرآن الكريم". وسنعرّف بدراستين سارتا وفق هذا المنهج، وإن لم تتعمقا فيه على نحوٍ واسع. هاتان الدراستان هما:

- ما جاء في كتاب "المنظور الأدبي للنص القرآني"، للدكتور مصطفى الصاوي الجويني، من دراسة عن موضوع "النفاق" بعنوان: "القرآن يفضح المنافقين"<sup>(٢)</sup>. تحدّث فيها عن سلوكهم ومظهرهم، وتصوير القرآن لنفسياتهم، وحكم القرآن عليهم، وأحصى كلّ آيات النفاق الواردة في القرآن الكريم؛ مفسراً بعض الآيات ومبيّناً سبب نزولها. ثم انتقل إلى مواضيع أخرى؛ وهي: الميثاق في القرآن<sup>(٣)</sup>، والهجرة في القرآن<sup>(٤)</sup>. وهو في هذين الموضوعين اكتفى بإيراد العناوين، والآيات القرآنية الواردة حول هذا العنوان مُلقياً باليسير من الضوء عليها، مع إمام بكلّ جزئيات الموضوع. فهو مثلاً في موضوع الهجرة، يتحدّث عن الهجرة بأسبابها المتعدّدة؛ من هجرة في سبيل الله أو تهديد للأنبياء بالإخراج، وغير ذلك. ويختم بموضوع "عناصر الطَّبِيعَة في القرآن"، مورداً فقط أسماء هذه العناصر دون أن يذكر الآيات القرآنية في هذا الموضوع.

- 
- ١ - قطب، سيد، مشاهد القيامة في القرآن، ط/١٥، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م: ص ٨.
  - ٢ - الجويني، مصطفى الصاوي، المنظور الأدبي للنص القرآني: ص ٢٣ - ٥٤.
  - ٣ - الجويني، مصطفى الصاوي، المنظور الأدبي للنص القرآني: يُنظر ص ٥٥ - ٥٧.
  - ٤ - المصدر السابق: يُنظر ص ٥٧ - ٧٤.

إنَّ ما قدَّمه الجويني في هذه الدِّراسة هو نماذجٌ من الدِّرس البيانيِّ الموضوعيِّ بعضُها متكاملٌ تقريباً، كما في حديثه عن موضوع "النَّفاق"، والآخر يدرِّب القارئَ على التَّحليل، ويعنيه على استخراج الموضوعات فقط، دونَ أنْ يعرضَ له درساً أو تحليلاً معمقاً.

#### - "الإعجاز القرآني، سور ألم"، للدكتور محمد عادل القليلي:

يعدُّ هذا الكتاب من الدِّراسات التي تناولت موضوعاً معيناً؛ درسَ الباحثُ فيه ستاً من السُّور التي تتصدَّرها الحروف المقطَّعة "آلم"، ألف لام ميم، وهي: (البقرة- آل عمران- العنكبوت- الرُّوم- لقمان- السَّجدة). وكان محورُ دراسته الكشفَ عن الموضوع الواحد الذي تدور حوله زمرة سور "آلم" بكاملها، على الرِّغم ممَّا يبدو من خلافٍ في معاني هذه السُّور وموضوعاتها الفرعية -لمن يقرؤها- لأوَّل وهلةٍ، دون تدبُّرٍ أو إمعانٍ.

لقد اعتبرها الدكتور محمد عادل القليلي وحدةً كاملةً متكاملةً؛ وذلك بإيحاءٍ من افتتاحها جميعاً بنفس الحروف "آلم". ومن دراسته لمعاني السُّور الست "زمرة آلم"، وإيحاءٍ من رأيٍ وجيهٍ أورده ابن كثير في تفسيره للحروف "آلم" اكتشف أنَّ الموضوع العامُّ الذي تدور حوله هذه الزمرة الكريمة من السور هو "التَّلاؤم"، أي التَّوافق والتَّوازن. ووضَّح ما عناه بالتَّلاؤم، وكيف تجلَّى في هذه السُّور القرآنيَّة.

وأبرز ما عالجه من موضوعات التَّلاؤم، في الأبواب الثلاثة التي قسم عليها كتابه، هو الآتي:

- التَّركيب والتَّحليل والتَّلاؤم، وأكَّد فيه أنَّ الموضوعَ الأساسي الذي بُنيت عليه سور "آلم" معرفةُ الله تعالى، عن طريق التَّحليل والتَّركيب<sup>(١)</sup>؛ وفيه تحدَّث عن الأصلِ

١ - القليلي، د. محمد عادل، الإعجاز القرآني "سور ألم"، ط/١، دار الجبل، بيروت، ١٤١٧هـ-

١٩٩٧م: يُنظر ص ٩-١٦.

الثلاثي لكلمة التلاوم، وطبق عملية التركيب على أحرفها الثلاثة<sup>(١)</sup>، و أورد التراكيب التلاومية التصنيفية الاصطفائية<sup>(٢)</sup>.

- التلاوم الكوني، وتحدث فيه عن تحديّ الناس بتركيب كائن حي، وانتهى إلى أنّ التلاوم في الأحياء جميعاً، وبخاصّة في جسم الإنسان، يدلُّ دلالة قاطعة على الله الحكيم القدير العليم الرحيم<sup>(٣)</sup>.

- التلاوم في التشريع الإسلاميّ، وتوسّع فيه في الحديث عن أمرين: أو لهما، التلاوم الكائن فعلاً بين تعاليم الدين الإسلاميّ الحنيف. وثانيهما، التلاوم الذي تخلفه التعليمات الإسلامية من صلاة وصيام وزكاة وغيرها في نفس المؤمن وفي حالة المجتمع. وضرب الأمثلة على كل ذلك<sup>(٤)</sup>.

ويتبيّن لنا مما جاء في دراسة الدكتور القلقيلي، أنّ دراسته أقرب إلى الناحية الفكرية الموضوعية منها إلى البيانية، إلّا أنّه في بحثه للتلاوم الواجب على الإنسان أن يُحدثه في نفسه وفي مجتمعه بملء إرادته واختياره، استرشاداً بتركيب حروف (ألف-لام-ميم) الثمانية<sup>(٥)</sup>، تطرّق للدّرس البيانيّ، ووقف عند أمورٍ بيانيةٍ مهمّة، جديرة بالنظر والتأمّل. ولهذا عدّنا كتابه من كتب الدّراسة البيانية في العصر الحديث.

١ - المصدر السابق: ص ١٩ وما بعدها.

٢ - ممّا أوردته من التراكيب التصنيفية الاصطفائية؛ تصنيف الأماكن في هذه الأرض بحسب شرفها، وتصنيف الأزمنة أيضاً حسب شرفها. و أشار إلى أنّ الله اصطفى منها أشرفها، وذكر الآيات من سور "آلم" التي ذكرت ذلك. يُنظر القلقيلي، الإعجاز القرآني "سور آلم": ص ٢٦-٢٨.

٣ - القلقيلي، الإعجاز القرآني "سور آلم": يُنظر ص ٥١-٥٦.

٤ - القلقيلي، الإعجاز القرآني "سور آلم": يُنظر الكثير من الأمثلة بالتفصيل ص ٦٢-٦٩.

٥ - هذه التراكيب هي: "الألم- الأمل"، "ملاً- لمأ"، "ملاً- مال"، "مال- لام" مخصّصاً لكل زوج من هذه الأضداد باباً للحديث عنه، وموضّحاً حدوث التلاوم والتوازن بين طرفيه، من خلال الآيات القرآنية مع أمثلة من الحياة اليومية. يُنظر القلقيلي، الإعجاز القرآني "سور آلم": ص ١١١ وما بعدها.

#### ٤- الدراسات الفنيّة "البلاغية و الأدبية":

لبلاغة القرآن الكريم أثرٌ كبيرٌ فيما أُلف من كتبِ البلاغة العربية قديماً، فمنه اقتبست تلك الكتبُ الكثيرَ من أمثلتها، وامتدَّ هذا الأثر إلى العصر الحديث؛ إذ قُدِّمت في هذا العصر دراساتٌ بحثت إعجاز القرآن البياني، من خلال الحديث عن العناصر البلاغية، وبيان مواطنها في القرآن أو من خلال معالجتها لناحية معيّنة من مناحي البلاغة، عمدَ مؤلفوها إلى الكشف عنها، وإبانة معالمها، من خلال استخلاص وإحصاء ما ورد منها في القرآن الكريم، فكان القرآن لديهم كلُّه شواهد من سورهِ الطّوال إلى أقصر آيةٍ من آياته. وهدفهم من ذلك إثباتُ أنّ ما عُرف في أدب العرب من فنون الجمال وقعَ مثله في القرآن الكريم على صورةٍ أجمل و أروع ممّا شهدوه وعرفوه.

وإنّ هذه الدراسات، وإن وقفت، القليل منها، عند حدِّ الدّراسة النظرية وإيراد الشواهد القرآنية على العنصر البلاغيّ موضوع الدّراسة، لكنّها بصورةٍ عامّة لم تغفل الجانبَ البيانيّ القرآنيّ، وأسهمت في الكشف عن المضامين البلاغية القرآنية المعجزة.

نذكر من هذه الدّراسات: "التّقديم والتّأخير في القرآن الكريم، بلاغة وإبلاغ" للدكتور خلدون صبح، و"الفصل والوصل في القرآن" دراسة أسلوبية للدكتور منير سلطان، "بلاغة العطف في القرآن الكريم"، دراسة أسلوبية، للدكتور عفت الشرقاوي، و"أسلوب التّوكيد في القرآن الكريم" لمحمد حسين أبو الفتوح، "جماليات المفردة القرآنية" للدكتور أحمد زكريا ياسوف، وهو رسالته للماجستير بإشراف الأستاذ الدكتور نور الدين عتر، تناول فيه الجوانب الجمالية للمفردة القرآنية بصورةٍ عامّة، و"دراسات فنيّة في القرآن الكريم" للدكتور أحمد ياسوف أيضاً، و"أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية" للدكتور حسن طبل، وغيرها.

وسنعرّف دراستين من هذا النوع؛ الأولى، تناولت بلاغة القرآن من مناحي بلاغية كثيرة، وهي دراسة الدكتور أحمد بدوي، "من بلاغة القرآن"، والثانية، تناولت موضوعاً بلاغياً معيّناً، وهي دراسة الأستاذ محمد شكري أحمد الفيومي، "إعجاز البيان في القرآن، الاستفهام".

- "من بلاغة القرآن" للدكتور أحمد بدوي:

يعدُّ هذا الكتاب مرجعًا غنيًّا خصبًا، نهل منه معظم الدارسين المعاصرين<sup>(١)</sup>، وأغنى -في بعض الأحيان- عن الرجوع إلى المصادر الثمينة الخصبة التي خلفها السلفُ في هذا الميدان، ككتاب "إعجاز القرآن" للباقلاني، و "دلائل الإعجاز" و "أسرار البلاغة" للجرجاني، و "الإتقان" للسيوطي، وغيرها. وذلك لأنَّ الدكتور أحمد بدوي قد بذلَ فيه جهدًا ملحوظًا في جمع آراء السلفِ وخواطرهم، وعرضها عرضًا مصنفًا مرتبًا مضيفًا إليها بعض الأبحاث الجديدة. واستخرجَ من القرآن الكريم عددًا من الموضوعات فبيّن كيف عُرضت في القرآن في مختلف سورته، وتحدّث عن خصائصها الفكرية والأدبية. وقد قسم كتابه على بابين؛ الباب الأول لدراسة البلاغة في اللفظ والأسلوب، والباب الثاني لدراسة المعاني، وقد جاء الباب الأول، الذي تجلّى فيه درسه البياني، في أربعة فصول، على النحو الآتي:

الفصلُ الأولُ، ألفاظُ القرآن. وتحدّث فيه عن البلاغة والنظم، وتخيّر اللفظ، والفاصلة، والغريب، والمعرب، والزائد.

الفصلُ الثاني، الآيةُ القرآنية. وناقش فيه الكثير من الموضوعات، نذكر منها التقديم والتأخير، الذكر والحذف، التعريف والتكثير، التوكيد، والتكرار، وغيرها من

١- نذكر من الدارسين المعاصرين الذين نهلوا من كتاب "من بلاغة القرآن"، الدكتور بكرى شيخ أمين في كتابه "التعبير الفني في القرآن"، والدكتور راجح دوب في كتابه "البلاغة عند المفسرين"، و الدكتور حمدي بركات في كتابه "الآية التفسيرية"، الذي أحال عليه لإيضاح وترسيخ فكرة الآية التفسيرية في القرآن، فقال: "ولإيضاح ما تقدّم اقرأ في كتاب الدكتور أحمد بدوي "من بلاغة القرآن" ص ٢٧-٤٢، لتتسّخ لديك فكرة الآية التفسيرية في القرآن الكريم، وتزداد معرفة بما في هذا البحث من دقائق ولطائف، نقودك إلى تربية الذوق، وتهذيب الطبع، واتساق التراكيب، وقوة المنطق، وتماسك الحجة، كتابةً وتعبيرًا ونقدًا واستدراكًا وفنّ قول، واقتدار على التأليف في محيط العربية وخدمة كتابها الأكبر القرآن الكريم. يُنظر حمدي أبو علي، د. محمد بركات، الآية التفسيرية وموقعها من البيان القرآني والبلاغة العربية، ط/١، دار وائل للنشر، عمان، ١٩٩٩م: ص ٣٦. والصفحات التي أحال عليها تتضمن قراءة أدبية متذوقة للآيات من سورة البقرة ٨-٢٠، وحديثًا عن المنهج الأدبي في درس القرآن الكريم.



موضوعات البلاغة، مقدّمًا الكثير من النماذج التطبيقية لأسرار الإعجاز البياني في تلك الموضوعات.

الفصل الثالث، السورة. تحدّث فيه عن كلّ ما يتعلّق بالسورة القرآنية، فتحدّث عن اسمها وموضوعاتها وصلّات الوثيقة التي تربط آية بآية، ووجه الترابط القوي بين الأغراض المختلفة في السورة الواحدة، واستشهد لذلك بالكثير من الآيات القرآنية، كما تحدّث أيضًا عن هدف السورة وفتحها وخاتمتها.

الفصل الرابع، أسلوب القرآن. وأورد فيه ما يتسمّ به الأسلوب القرآنيّ من الفخامة والقوة والجلال، والتّصوير، والانسجام الموسيقيّ، والهدوء ونحوها من الصّفات، مُستشهدًا على كل ذلك بالآيات القرآنية.

وقد قدّم الدكتور أحمد بدوي إضافةً إلى تحليله الفنّي البيانيّ للكثير من الآيات القرآنية في تضايف دراسته للفنون البلاغية في القرآن الكريم، قراءةً أدبيّةً مُتذوّقةً لمجموعة آيات من سورة البقرة، من الآية [٨] حتى الآية [٢٠]. نذكر بعض ما جاء فيها، لنبيّن كيف فهم الألفاظ القرآنية، وكيف لفت الانتباه إلى ما تحمله من خصائص بيانيّة معجزة.

يقول في تحليله لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>: "ألا ترى في اختيار كلمة الناس وعمومها، عدم مجابهة المنافقين بتعيينهم، وفي ذلك سترٌ عليهم، وإغراءٌ لهم بالإقلاع عن نفاقهم، ذلك أنّهم، ماداموا لم يُعيّنوا، من المتوقع أن يُصنّغوا إلى القرآن، فربّما انصرفوا عن غيهم، إذا استمعوا إلى تصوير حال ضلالهم" و "خصّ الإيمان بالله وباليوم الآخر، لأنّ الإيمان بهما يجمع كلّ ما يجب الإيمان به، من كلّ ما يصل الإنسان بربه، أو يصله بالناس، واختار في الرّدّ عليهم الجملة الاسميّة في النفي، ليدل بها على استقرار هذا النفي وثباته<sup>(٢)</sup>.

١ - سورة البقرة: ٨.

٢ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٣٧٠هـ-١٩٥٠م: ص٢٨-٢٩.

وعلى هذا النحو يمضي الدكتور بدوي في تحليله لألفاظ القرآن، المختارة بدقة موحية، ولجملة المتسقة مع بعضها، والتي قُدِّمَ فيها ما قدم وأُخِّرَ ما أُخِّرَ، وذُكِرَ ما ذُكِرَ، وحُذِفَ ما حُذِفَ، واستُعْمِلت صيغة دون أخرى لاعتبارات نفسية دقيقة، وليكون النهج القرآني الذي يصل بين الآيات خير نهج يؤثر في النفس الإنسانية.

- كتاب "إعجاز البيان في القرآن، الاستفهام"، للأستاذ محمد شكري أحمد

الفيومي:

قدّم المؤلف في هذا الكتاب بعد حديثه عن مكانة الاستفهام في اللغة العربية، وعن الإعجاز البياني للقرآن الكريم، إحصاء<sup>(١)</sup> يتناول ما يأتي:

- أساليب الاستفهام في القرآن الكريم.

- أدوات الاستفهام وأهم أغراضه.

- الموضوعات التي يكثر فيها الاستفهام.

معللاً كثرة ورود الاستفهام في سور دون غيرها، ومحدداً السور الخالية من الاستفهام<sup>(٢)</sup>، والسور التي قلَّ فيها الاستفهام<sup>(٣)</sup>. ومن خلال الإحصاء الذي قدّمه، والاحتمالات التي ارتأها لتعليل كثرة أو قلّة ورود أسلوب الاستفهام في السور القرآنية، تبين له أنّ الاستفهام مرتبطٌ من حيث الكثرة والقلّة بالموضوعات، لا بالسور "طولها وقصرها"، ولا بأماكن النزول "المكي والمدني". وأن أكثر أساليب الاستفهام كانت مرتبطة بموضوع اليوم الآخر، فهو محك الإيمان ومختبر العقيدة.

١ - الفيومي، محمد شكري أحمد، إعجاز البيان في القرآن "الاستفهام"، ط/١، دار القلم، دبي، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م: يُنظر الجدول الذي قدّمه وحصر فيه آيات الاستفهام ص ٢٤٠-٢٤٥.

٢ - أكثر السور الخالية من الاستفهام، السور القصار في الأجزاء الثلاثة الأخيرة في القرآن الكريم. يُنظر الفيومي، إعجاز البيان في القرآن "الاستفهام": ص ٢٤٦.

٣ - الفيومي، إعجاز البيان في القرآن "الاستفهام": يُنظر ص ٢٤٦-٢٥٠.

وكان للمؤلف وقفات تحليلية، بيّن فيها معاني بعض الآيات التي اشتملت على الاستفهام، مبيّناً أنّ الاستفهام يمثّل جانباً كبيراً من الآيات، وأنّ القرآن استوعب جميع الأدوات، وتبع نهجاً خاصاً في الإجابة عن الاستفهام. ومؤكداً النسق القرآني المتميز على سائر الأساليب العربية.

ومن الكتب التي قدّمت درساً بيانياً للقرآن الكريم من الناحية الأدبية، أو من ناحية الأسلوب وطريقة التعبير، واقتصرت في الغالب على موضوع بيانيّ معيّن، نذكر الكتب الآتية: "التصوير الفني" للأستاذ سيد قطب. و"الصورة الفنية في المثل القرآني، دراسة نقدية وبلاغية"، للدكتور محمد حسين علي الصغير، وهو رسالته للدكتوراه، جمع فيه آيات الأمثال آية آية فكانت واردة في سبعة وخمسين موضعاً من القرآن يتراوح الموضع الواحد منها بين الآية الواحدة إلى ثماني عشرة آية. وقام بعد ذلك بإخضاع علمي النقد والبلاغة لمفهوم هذه الآيات. و"الفن القصصي في القرآن الكريم" للدكتور محمد خلف الله. و"الوصف في القرآن الكريم" للدكتور يونس جاسم وهو رسالته للدكتوراه بإشراف الدكتور صبحي الصّالح. و"الصورة الأدبية في القرآن الكريم" للدكتور صلاح الدين عبد التّواب، و"وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم" للدكتور عبد السلام الرّاعب.

## ٥- الدرسُ البيانيُّ في مصنّفات الإعجاز:

ألقت في العصر الحديث الكثير من الكتب التي بحثت الإعجاز القرآني ووجوهه وعرضت لعلوم القرآن الكريم، وإنّ معظم هذه الكتب على الرّغم من كثرة الموضوعات التي تحدّثت عنها لم تخلُ من تناول مجموعة من الآيات القرآنية بتحليل يتّسم بالطابع البياني، ويُعلّل الظاهرة اللغوية أو البلاغية، ويلفت الانتباه إلى الحكمة من مجيئها على هذا النحو، وإثارها دون غيرها، في النصّ القرآني.

وإنّ الجانب التّطبيقيّ في هذه الكتب - على أهمّيته - قليلٌ بالقياس إلى ما جاء في المؤلّفات التي أُفردت لدراسة الجانب البيانيّ، كما أنّه يأتي غالباً لتوضيح جانب من الجوانب البلاغية التي يمتاز بها القرآن الكريم، أو للتدليل على السّمات الفنية الجمالية التي

يَتَّسِمُ بِهَا النَّظْمُ الْقُرْآنِيُّ، وَقَدْ يُفْرَدُ الْبَاحِثُونَ فِي بَعْضِ هَذِهِ الْكُتُبِ فِقْرَةً، أَوْ فَصْلًا لِلدَّرْسِ الْبَيَانِيِّ، وَتَحْلِيلِ بَعْضِ النَّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ. نَذَكُرُ مِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ، الْكُتُبَ الْآتِيَةَ: "إِعْجَازُ الْقُرْآنِ وَالْبَلَاغَةُ النَّبَوِيَّةُ" لِلْأَسْتَاذِ مُصْطَفَى صَادِقِ الرَّافِعِيِّ، "الْمُعْجَزَةُ الْكُبْرَى" لِلْأَسْتَاذِ مُحَمَّدِ أَبُو زَهْرَةَ، "الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَالذَّرَاسَاتُ الْأَدْبِيَّةُ" لِلدَّكْتُورِ نُورِ الدِّينِ عَتَرَ، وَ"عِلْمُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ" لَهُ أَيْضًا، وَ"الْمُعْجَزَةُ الْخَالِدَةُ" لِلدَّكْتُورِ حَسَنِ ضِيَاءِ الدِّينِ عَتَرَ، وَ"مَبَاحِثُ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ" لِلدَّكْتُورِ صَبْحِيِّ الصَّالِحِ، وَ"الْقُرْآنُ وَنُصُوصُهُ" لِلدَّكْتُورِ عَدْنَانَ زَرْزُورِ، وَ"النَّبَأُ الْعَظِيمُ، نَظَرَاتٌ جَدِيدَةٌ فِي الْقُرْآنِ" لِلدَّكْتُورِ مُحَمَّدِ عَبْدِ اللَّهِ دِرَازِ، وَ"مِنْ رَوَائِعِ الْقُرْآنِ" لِلدَّكْتُورِ مُحَمَّدِ سَعِيدِ رَمْضَانَ الْبُوطِيِّ وَ"التَّعْبِيرُ الْفَنِّيُّ فِي الْقُرْآنِ" لِلدَّكْتُورِ بَكْرِيِّ شَيْخِ أَمِينِ، وَغَيْرِهَا.

وَسَنَعْرِفُ بِكُتَابَيْنِ مِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ الَّتِي تَحَدَّثَتْ عَنْ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ بِشَكْلِ عَامٍّ، وَأَفْرَدَتْ قِسْمًا لِلدَّرْسِ الْبَيَانِيِّ. هُمَا:

- كِتَابُ "مَبَاحِثُ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ"<sup>(١)</sup> لِلدَّكْتُورِ صَبْحِيِّ الصَّالِحِ:

نَهَجَ الدَّكْتُورُ صَبْحِيُّ الصَّالِحِ، فِي تَبْيِيقِ هَذِهِ "الْمَبَاحِثِ" نَهْجًا طَرِيفًا مَبْتَكِرًا، إِذْ جَعَلَهُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَبْوَابٍ تَتَرَادَفُ هِيَ وَفُصُولُهَا تَرَادَفًا مُتَسَلِّسًا مُنْطَقِيًّا. الْبَابُ الْأَوَّلُ، أَفْرَدَهُ بِفُصُولِهِ الثَّلَاثَةَ لِلْقُرْآنِ وَالْوَحْيِ، فَأَسْهَبَ فِي تَفْسِيرِ ظَاهِرَةِ الْوَحْيِ لِأَنَّهَا تَوَطَّنَةُ طَبِيعِيَّةٌ بَيْنَ يَدَيْ هَذِهِ الدَّرَاسَةِ الْقُرْآنِيَّةِ، كَمَا أَسْهَبَ فِي وَصْفِ تَنْجِيمِ الْقُرْآنِ وَأَسْرَارِهِ. وَالْبَابُ الثَّانِي، انْتَقَلَ فِيهِ إِلَى تَارِيخِ الْقُرْآنِ، فَوَصَفَ فِي فُصُولِهِ الثَّلَاثَةِ جَمْعَ الْقُرْآنِ وَكُتَابَتِهِ، وَرَدَّ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ شُبُهَاتِ الْمُسْتَشْرِقِينَ وَ"الْمُسْتَعْجِمِينَ". وَالْبَابُ الثَّلَاثُ، قَصَرَهُ بِفُصُولِهِ الثَّمَانِيَّةِ عَلَى "عِلْمِ الْقُرْآنِ" وَقَدْ اسْتَعْرَقَ هَذَا الْبَابُ أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ الْكِتَابِ، وَدَارَتْ فُصُولُهُ حَوْلَ الْعِلْمِ

١ - ظَهَرَ هَذَا الْكِتَابُ بِطَبْعَتِهِ الْأُولَى عَامَ ١٩٥٨م، وَكَانَ يَضُمُّ سِلْسَلَةً مِنَ الْمَحَاضِرَاتِ الْجَامِعِيَّةِ، تُعَالَجُ أَدَقَّ الْمَبَاحِثِ الْقُرْآنِيَّةِ بِأَسْلُوبٍ عِلْمِيٍّ بَسِيطٍ. وَقَدْ أُعِيدَ طَبْعُ هَذَا الْكُتُبِ مِنَ الطَّبَعَاتِ، يَكَادُ كُلُّ بَحْثٍ فِيهَا يَكُونُ جَدِيدًا، إِنْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا أُلْحِقَ بِهِ مِنْ زِيَادَاتٍ فِي صَوْغِ عِبَارَاتِهِ بِأَسْلُوبٍ مَنْقَحٍ أَكْثَرَ أُنَاقَةً وَإِشْرَاقًا. يُنْظَرُ الصَّالِحِ، د. صَبْحِيِّ، مَبَاحِثُ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ، ط/١٥، دَارُ الْعِلْمِ لِلْمَلَائِينِ، بَيْرُوت-لُبْنَانَ، ١٩٨٣م: ص ٥.

القرآنية الصّميمة بروح في البحث جديد. من هذه العلوم، علم "الناسخ والمنسوخ"، وعلم "أسباب النزول" وعلم "المكي والمدني".

أمّا الباب الرَّابع -الذي تجلّى فيه درسه البياني- أفردته للتفسير اعتناءً به وإعظماً لشأنه، وضمّ إليه أقرب البحوث شبيهاً به وهو "الإعجاز"، لأنّه لا يكاد يتصوّر تفسيراً للقرآن جديراً أن يؤخذ به إلّا أن يكون الجانب البياني بارزاً فيه لاستجلاء مواطن السحر المعجز في كتاب الله. وتتبع في هذا الباب نشأة التفسير وتطوره، وأوضح كيف يتيسر تفسير القرآن بالقرآن، وربط هذا كلّه بالمفهوم الفني الحديث للإعجاز مُحاولاً بثّ الحياة في مصطلحات البلاغة القديمة لدى حديثه عن التشبيه والاستعارة والكناية وأنواع المجاز، وردّ سحر القرآن -بالمقام الأول- إلى إيقاعه الداخلي، وخصّ هذا الإيقاع بفصلٍ جديدٍ، قد يكون موجزاً إلّا أنّه كافٍ لتكوين فكرة صالحة عن استجماع القرآن كلّ مزايا النثر والشعر بأسلوبٍ فذٍّ عجاب.

- كتاب "من روائع القرآن" للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي:

عرّف الدكتور البوطي كتابه بأنّه تأملاتٌ علميّةٌ وأدبيّةٌ في كتاب الله عزّ وجلّ، يوضّح من ورائها بعض ما ينطوي عليه هذا الكتاب الكريم من روعة البيان وإعجازه، ومدى تأثيره في مختلف العلوم التي تزخر بها المكتبة العربيّة. ويبيّن أنّ المهمّ من دراسة الإعجاز القرآنيّ أن يصلّ منها القارئ إلى ما يدرك معه "أنّ صياغة هذا الكتاب ليست ممّا من شأنه أن يخضع للطاقة الإنسانيّة، وأنّ معانيه ليست ممّا قد يأتي بمثلّه الفكر الإنساني" (١).

وقد قسم البوطي كتابه على ثلاثة أقسام؛ القسم الأوّل، يتناول خلاصةً لتاريخ القرآن وعلومه. والقسم الثّاني، يتناول دراسةً موجزةً لمنهج القرآن وأسلوبه، والقسم

١ - البوطي، من روائع القرآن: ص ٧.

الثالث، يتناول نماذج من النصوص القرآنية في بعض مواضيعه<sup>(١)</sup>، لتكون تطبيقاً للدراسات النظرية التي تناولتها أبحاث القسم الثاني.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن الدرس البياني التطبيقي في كتاب البوطي لم يقتصر على القسم الثالث فقط، بل ورد أيضاً في القسم الثاني من الكتاب؛ إذ تحدث في هذا القسم عن أسلوب القرآن، وألقى نظرة عامة على خصائصه، وعددها بإيجاز، ثم انتقل إلى الكلام على إعجاز القرآن، فعرّفه وعدّد وجوهه و أورد دليل إعجازه البلاغي، وتوسّع في بيان مظاهر إعجازه البياني، محللاً الكثير من الآيات القرآنية، ومبيّناً سرّ الإعجاز فيها، ومقرراً أن مصدر الإعجاز القرآني بمظاهره المختلفة، "لا يمت إلى هذا الضعف البشري بأيّ سبب، فكل من المعنى واللفظ في القرآن مرآة للأخر، ولا يرى أحدهما تابعا والآخر متبوعاً، بل يرى أنهما متطابقان منسجمان متلازمان، لا اختلاف بينهما ولا تفاوت. ولا يمكن إبدال كلمة من القرآن بأخرى تنوب عنها تماماً، ولو استطاع أحد ذلك لأبطل الإعجاز، وإن عجز عنه كان ذلك دليل الإعجاز"<sup>(٢)</sup>.

فالدكتور البوطي كان مهتماً في درسه البياني التطبيقي، ببيان أن الإعجاز بالمضمون والشكل معاً، وكان حريصاً على عرض معظم المسائل والبحوث المتعلقة بإعجاز القرآن البياني.

ولا يقتصر اهتمامه بالدرس البياني على كتابه "من روائع القرآن"، بل يتعداه إلى أكثر كتبه، إذ نجد على سبيل المثال في كتيب له بعنوان "منهج تربوي فريد في القرآن"، بعض التأمّلات الدالة على حرصه على إدراك أسرار القرآن البيانية. يقول في تأمله لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَبْلُغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا

١ - المواضيع التي تناولتها دراسته التطبيقية هي: الإلهيات، درس نصاً من سورة الرعد [٨-٤١].  
الوصف، درس نصاً من سورة غافر [١٠-٢٠]. المبادئ والإنسانيات، درس نصاً من سورة الإسراء [٢٣-٢٩]. القصص، درس نصاً من سورة هود [٣٥-٤٩]. الحجاج والنقاش، درس نصاً من سورة النمل [٥٩-٦٦].

٢ - البوطي، من روائع القرآن: يُنظر ص ٦٧ وما قبله.

قَوْلًا كَرِيمًا<sup>(١)</sup>: "لو حُذفت هذه الكلمة (عندك) من الآية، لاختفى منه أعظمُ عوامل التأثيرِ فيها، إنها كلمةٌ واحدةٌ، ولكنها تفيضُ بشحنةٍ هائلةٍ من العواطفِ المُثيرة، إذ هي تصوّر للمخاطب حالةَ والديه، وقد انتهيا من الضعفِ والشيخوخةِ إلى أن غدا كلُّ منهما يعيش في كنفه، وفي ظلالِ عطفه ورعايته، بعد أن كان هو الذي يعيش في كنفهما، وفي ظلالِ عطفهما ورعايتهما"<sup>(٢)</sup>.

فالدكتور البوطي أراد من هذه التأمّلات أن يتذوّقَ المتلقّي السموَّ الرَّائعَ في البيانِ القرآني، ويدركَ أنّ في القرآنِ الكريمِ الكثير من الأمثلة على إعجازه البيانيّ والتي تؤكد أنّ هذه المعجزة التي تصوّرت كلامًا يُنلى ليست ممّا يصوغه بشر.

وبعد، فقد سَعينا فيما مضى إلى أن نعرّف المؤلفات البيانيّة في العصر الحديث، وقد حاولنا تصنيفها تبعًا لنوع المؤلف -والحقّ أن ما يحدّد هذه التصنيفات، لا يعدو أن يكون الغالب عليها، فليست هناك سمات فاصلة بين تلك الدّراسات - وعرضنا لنماذج من بعضها، واكتفينا بذكرِ عناوين البعض منها، لنُدلّلَ على أنّ التّأليف في الحقلِ البيانيّ، يزيد يومًا بعد يومٍ حتّى ليكاد يربو على ألوانِ الدّرسِ القرآنيّ الأخرى قاطبةً.

وبعد تلك الجولة بين أصناف الدّراسات البيانيّة الحديثة، تبين لنا ما يأتي:

١- اتّساع نطاق الدّرس البيانيّ للقرآن الكريم اتّساعًا عظيمًا، وعدم اقتصاره على علماء الدّين والمتكلّمين.

٢- تطوّر الدّرس البيانيّ من الحالة الفطريّة إلى دراسات علمية منمّطة، ابتعدت في الأغلب عن التّعميم، ومالت إلى التّخصيص.

١ - سورة الإسراء: ٢٣.

٢ - البوطي، د. محمد سعيد رمضان، منهج تربوي فريد في القرآن، ط/١، مكتبة الفارابي، دمشق - سورية، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م: ص ٧٣-٧٤.

٣- اتّجاه أنظار الدّارسين نحو جزئيات النّصّ القرآنيّ وعناصر الجمال فيه ضمن إطار الوحدة الموضوعيّة أو وحدة السّورة القرآنيّة، لتبيان مناحي القوة والجمال، وتعريف أسرار الإعجاز.

٤- تدرّج الدّراسات من تسجيل ما اهتدي إليه عفوّاً من الفنون البيانيّة في النّصّ القرآنيّ إلى محاولة إحصاء ما ورد منها في القرآن الكريم.



## الفصل الثالث

### أعلام الدرس البياني المحدثون ومناهج درسهم

انطلاقاً من اتساع نطاق الدرس البياني في العصر الحديث وتعدُّد مجالاته، وبعد استقراء الدراسات البيانية للقرآن الكريم في هذا العصر، في الفصل السابق، كان اختياراً للمناهج إجراءً ضرورياً، وقد قام الاختيارُ على أساسٍ يتحرَّى التَّوَعُّعَ في طرائق التَّنَاقُلِ البيانيِّ، ويُعنى بالطَّابع الخاصِّ الذي يغلبُ على دراسةِ الدَّارسِ البيانيِّ.

ويرجع التَّوَعُّعُ في طرائق التَّنَاقُلِ إلى أنَّ إدراكَ أسرارِ الجمالِ في التَّعبيرِ، ليس الشَّأنُ فيه كالعلومِ المضبوطةِ بقواعد لا تختلف، بل إنَّ أمرَ الجمالِ في الكلامِ أدقُّ وأخفى، حيث لا ميزان له إلا القرائح والأذواق<sup>(١)</sup>. وأشار الجرجاني إلى هذا الأمر قائلاً: "اعلم أنَّه لا يصادفُ القولُ في هذا الباب موقِعاً من السَّامعِ، ولا يجدُ لديه قَبُولاً، حتَّى يكون من أهلِ الذَّوقِ والمعرفةِ، وحتَّى يكون ممَّن تحدَّثه نفسه بأنَّ لما يُومئُ إليه من الحُسنِ واللُّطفِ أصلاً، وحتَّى يختلفُ الحالُ عليه عند تأمُّلِ الكلامِ، فيجد الأريحيَّةَ تارةً، ويَعْرِى منها أُخرى"<sup>(٢)</sup>. فوسائلُ التَّنَاقُلِ الفنِّيِّ والعلميِّ ليست على مستوى واحد لدى جميع النَّاسِ، بل تختلف من شخصٍ لآخر باختلاف ثقافة الدَّارسِ وإمكاناته ومدى تقديره لسير المعنى في النَّصِّ القرآنيِّ، وكلَّها تودِّي في نهاية الأمر إلى الإتيانِ بمعاني النُّصوصِ، في حدود اللغة ومقاصد النَّصِّ وثوابت الشريعة.

وبناءً على هذا، اتَّخذت دراسةُ إعجازِ القرآنِ البيانيِّ صوراً مختلفةً، وتمايزت أساليبُ الدَّارسين، وتعدَّدت بهم السبلُ التي سلَّكوها إلى غايتهم، إذ عبَّر كلُّ باحثٍ من خلال نمطٍ يختلف عن الآخر، وكان لكلِّ دارسٍ منهجه وطريقته الخاصَّة به.

١ - بركة، عبد الغني، الإعجاز القرآني "وجوهه وأسرارُه": ص ٣٩.

٢ - الجرجاني، دلائل الإعجاز: ص ٢٩١.

ومن بين الدّارسين الكثيرين، والمناهج المتنوعة وقع الاختيارُ على مجموعةٍ من الأعلام لتتعرّف مناهجهم في الدّرس البيانيّ، ونبين المجالات البارزة التي كانت محطّ اهتمامهم في دراساتهم، و التي أرادوا من ورائها تجلية أسرار الإعجاز البيانيّ، وتقريب أساليبه إلى أذهان الناس. وقد برزت المجالات في دراسات الدّارسين على النحو الآتي: **سيد قطب**، تمثّل دراساته، المنطلقة من المنهج الذاتيّ، نموذجًا للاهتمام بالتصوير الفنّيّ، الذي كان له، في رأيه، دورُ الرّيادة في النّصّ القرآنيّ. **ومصطفى صادق الرّافعيّ**، يُعنى بالنّاحية الموسيقية (الانسجام الصّوتي)، والتّوافق العجيب بين نظم القرآن ومعانيه، والأساذ أمين الخوليّ يمثّل الدّعوة إلى التّجديد في الدّرس البيانيّ، بتصنيف القرآن وفق موضوعات. أمّا تلميذته الدكتورة عائشة عبد الرّحمن بنت الشاطي، فقد غلب على دراستها المنهج اللغويّ الإحصائيّ، والدكتور عبد الله دراز يؤكّد الوحدة الموضوعية في النّصّ القرآنيّ، والدكتور تمام حسان تتسم دراسته بالطابع اللغويّ، منطلقًا من التّنظير إلى التّطبيق، والدكتور حسن طبل يهتمّ بأسلوب الالتفات في النّصّ القرآنيّ ويحاول إحصاء كلّ ما جاء منه في الآيات القرآنية، أمّا الدكتور فاضل السّامرائيّ فإنّه يركّز على مواضع التّشابه والاختلاف في النّصوص القرآنية مقارنةً ومعللاً.

وفيما يأتي عرضٌ وتعريفٌ بالدارس ومنهجه في الدّرس البيانيّ من خلال حديثنا عن المجالات التي ركّز عليها في درسه:

### - الأستاذ سيد قطب و التّصوير الفنّيّ:

بسط الأستاذ سيّد قطب درسه البيانيّ للقرآن الكريم في ثلاثة كتب: "التّصوير الفنّيّ في القرآن" وقد صدر عام (١٩٤٤م) و"مشاهد القيامة" صدر عام (١٩٤٦م)، وهما دراستان أدبيّتان بيانيّتان لنصوص القرآن الكريم أطال الحديث فيهما عن الصّورة الفنّيّة في القرآن، و"في ظلال القرآن" الذي صدر عام (١٩٥٢م) وهو كتاب في التفسير، فضلًا عمّا جاء من تلميحاتٍ وتطبيقاتٍ حول الإعجاز القرآنيّ وبيانه في كتابه "النقد الأدبيّ".

يقرّر سيّد قطب في كتابه مشاهد القيامة أنّ: "هذا الكتاب المعجز الجميل، هو أنفُسُ ما تحتويه المكتبة العربيّة على الإطلاق، فلا أقلّ من أن يُعاد عرضه، وأن تُردّ إليه جدّته، وأن يُستفدّ من ركام التفسيرات اللغويّة والنحويّة والفقهية والتاريخية والأسطورية أيضاً! وأن تُبرز فيه الناحية الفنيّة، وتُستخلص خصائصه الأدبيّة، وتُنبّه المشاعر إلى مكان الجمال فيه"<sup>(١)</sup>. ولهذا كانت كتبه تدورُ حول القرآن ونظمه وأسلوبه والوجوه الكثيرة التي تدلُّ على ربانيّة مصدره. وكان الجانبُ البارزُ في كتاباته جانبَ التّصوير الفنيّ في القرآن، "حتى ارتبط اسم التّصوير الفنيّ في القرآن باسم سيّد قطب"<sup>(٢)</sup>.

يقول في كتابه التّصوير الفنيّ: "إنّ لهذا الكتاب العظيم لخصائص مشتركة، وطريقة موحّدة، في التّعبير عن جميع الأغراض. هذه الطّريقة الموحّدة، هذه القاعدة الكبيرة، هي (التّصوير الفنيّ)"<sup>(٣)</sup>. فقد وجد سيّد قطب أنّ التّصوير هو الأداة المفضّلة للتّعبير في كتاب الله، لذلك راح يتحدث عنها بأسلوبٍ محبّب يستهوي النفوس، ويهديها إلى جمال القرآن. يقول: "التّصوير هو الأداة المفضّلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصّورة المحسّنة المتخيّلة عن المعنى الذّهنيّ، والحالة النفسيّة، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النّمودج الإنسانيّ والطبيعة البشريّة". "وإذا ما ذكرنا أنّ الأداة التي تصوّر المعنى الذّهنيّ والحالة النفسيّة، وتشخص النّمودج الإنسانيّ أو الحادث المرويّ، إنّما هي ألفاظٌ جامدة، لا ألوان تصوّر، ولا شخوص تعبّر، أدركنا بعض أسرار الإعجاز في القرآن"<sup>(٤)</sup>. فالقرآنُ في منظور قطب صورٌ تتحرّك، وأشخاصه كائنات لها فاعليّة مستمرّة.

وقد مضى سيّد قطب في الفصول التي تلي فصل (التّصوير الفنيّ) في كتابه "التّصوير الفنيّ في القرآن" يذكر الدليل إثر الدليل على صحّة نظرته، وسلامة فكرته،

١ - قطب، سيّد، مشاهد القيامة في القرآن: ص ٩.

٢ - مسلم، د. مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، ط/٣، دار القلم، دمشق، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م: ص ١٠٧.

٣ - قطب، سيّد، التّصوير الفنيّ في القرآن: ص ٣٢-٣٣.

٤ - المصدر السابق: ص ٣٤-٣٥.

فَعَقَدَ فَصْلًا لِلتَّخْيِيلِ الْحَسِّيِّ وَالتَّجْسِيمِ، وَفَصْلًا لِلتَّنَاسُقِ الْفَنِّيِّ، وَثَالِثًا لِلْقِصَّةِ فِي الْقُرْآنِ، ثُمَّ عَرَضَ بَعْضَ النَّمَاذِجِ الْإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي تَنْطِقُ بِهَا الْآيَاتِ.

فَقَدْ كَانَ قُطْبٌ يَلْحَقُ فِي دِرَاسَاتِهِ عَلَى تَأْكِيدِ أَنَّ التَّصْوِيرَ هُوَ عِمَادُ الْبَيَانِ الْقُرْآنِيِّ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِزِينَةٍ، بَلْ لَا يَقُومُ الْمَضْمُونُ الْفِكْرِيُّ مِنْ غَيْرِ هَذَا التَّصْوِيرِ، فَهُوَ وَسِيلَةٌ إِيضًا وَتَأْثِيرٌ مَعًا، وَيُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ يَكْفِي لِبَيَانِ فَضْلِ التَّصْوِيرِ أَنْ "تَنْصُورَ الْمَعَانِي فِي صُورَتِهَا الذَّهْنِيَّةِ التَّجْرِيدِيَّةِ، وَأَنْ تَنْصُورَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فِي صُورَتِهَا التَّصْوِيرِيَّةِ". وَلَا شَكَّ أَنَّ الطَّرِيقَةَ الثَّانِيَّةَ تَنْقُلُ الْمَعَانِي وَالْحَالَاتِ النَّفْسِيَّةِ "بِطَرِيقَةٍ تُخَاطَبُ الْحَسَّ وَالْوُجْدَانَ، وَتَصِلُ إِلَى النَّفْسِ مِنْ مَنَافِذِ شَتَّى، مِنَ الْحَوَاسِ بِالتَّخْيِيلِ، وَمِنَ الْحَسِّ عَنْ طَرِيقِ الْحَوَاسِ، وَمِنَ الْوُجْدَانِ الْمَنْفَعَلِ بِالْأَصْدَاءِ وَالْأَضْوَاءِ، وَيَكُونُ الذَّهْنُ مَنْفَذًا وَاحِدًا مِنْ مَنَافِذِهَا الْكَثِيرَةِ إِلَى النَّفْسِ، لَا مَنْفَذًا الْمَفْرَدِ الْوَحِيدِ"<sup>(١)</sup>.

وَشَمَلَ التَّصْوِيرَ فِي مَفْهُومِ سَيِّدِ قُطْبِ كُلِّ الْأَسْلُوبِ الْقُرْآنِيِّ مِنْ تَخْيِيلٍ وَتَصْوِيرٍ "تَحْوِيلٍ" وَتَجْسِيمٍ وَرَسْمٍ مَشَاهِدٍ. يَقُولُ عَنِ التَّجْسِيمِ مَصْرَحًا بِاسْمِهِ: "وَظَاهِرَةٌ أُخْرَى تَتَضَحَّ فِي تَصْوِيرِ الْقُرْآنِ، وَهِيَ "التَّجْسِيمُ": تَجْسِيمُ الْمَعْنَوِيَّاتِ الْمَجْرَدَةِ، وَإِبْرَازُهَا أَجْسَامًا وَمَحْسُوسَاتٍ عَلَى الْعُمُومِ، وَإِنَّهُ لِيَصِلُ فِي هَذَا إِلَى مَدَى بَعِيدٍ، حَتَّى لِيَعْبُرَ بِهِ فِي مَوَاضِعِ حَسَّاسَةٍ جَدِّ الْحَسَّاسِيَّةِ، يَحْرُصُ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ عَلَى تَجْرِيدِهَا كُلِّ التَّجْرِيدِ، كَالذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ وَصِفَاتِهَا"<sup>(٢)</sup>. فَالتَّجْسِيمُ جِزْءٌ مِنَ التَّصْوِيرِ، لِأَنَّهُ يَنْقُلُ الْمَجْرَدَ إِلَى الْمَجَالِ الْمَحْسُوسِ، وَمِنَ الْأَمْثَلَةِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي قَدَّمَهَا قُطْبٌ عَلَى التَّجْسِيمِ، نَذَرَ الْآيَةَ الَّتِي تَوْضَحُ حَالَةَ تَرْعُزِ الْعَقِيدَةِ، وَعَدَمِ اسْتِقْرَارِ الْإِنْسَانِ عَلَى يَقِينٍ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾<sup>(٣)</sup>، يَقُولُ سَيِّدُ قُطْبٍ مُؤَكِّدًا أَهْمِيَّةَ الْكَلِمَةِ الْمُجَسِّمَةِ: "إِنَّ الْخَيَالَ لِيَكَادُ يَجَسِّمُ هَذَا "الحرف" الَّذِي يَعْْبُدُ اللَّهُ عَلَيْهِ هَذَا الْبَعْضُ مِنَ النَّاسِ، وَإِنَّهُ لِيَكَادُ

١ - قُطْبٌ، سَيِّدٌ، التَّصْوِيرُ الْفَنِّيُّ: ص ١٩٥.

٢ - الْمَصْدَرُ السَّابِقُ: ص ٦٣.

٣ - سُورَةُ الْحَجِّ: ١١.

يتخيّل الاضطراب الحسيّ في وقتهم، وهم يتأرجحون بين الثبات والانقلاب! وإنّ هذه الصورة لترسم حالة التزعزع بأوضح ممّا يؤديه وصف التزعزع، لأنّها تنطبع في الحسّ، وتتصلّ منه بالنفس<sup>(١)</sup>. نلاحظ أنّ سيّد قطب استثار في تحليله الخيال، وإنّ هذه الإثارة للخيال وسيلة تحفيزيّة تجعل المتلقّي يرسم في خياله صورة ماديّة للحالة الذهنيّة يدرك معها جمال البيان القرآنيّ. وقد اعتمد هذه الطريفة -طريفة إثارة الخيال- في أغلب دراساته التحليليّة. من ذلك على سبيل المثال تحليله لقوله تعالى: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾<sup>(٢)</sup>، إذ يقول: "تلك الصوورة السّاخرة الهازئة: صورة العجل يُدخَلُ في القلوب إدخالاً، ويحسّر فيها حسراً، حتّى ليكاد يُنسى المعنى الذهنيّ الذي جاءت هذه الصوورة المجسّمة لتؤدّيّه، وهو حبُّهم الشّديد لعبادة العجل"<sup>(٣)</sup>.

وقريبٌ من هذا توضيحه للحالة النفسيّة المعنويّة -حالة التضايق والضجر والهرج- المجسّمة بحركة جنمانيّة، في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(٤)</sup>. يقول قطب: "فالأرض تضيق عليهم، ونفوسهم تضيق بهم كما تضيق الأرض، ويستحيل الضيق المعنويّ في هذا التّصوير ضيقاً حسيّاً أَوْضَحَ وَأَوْقَع، وتتجسّم حالة هؤلاء الذين تخلّفوا عن الغزو مع الرسول، فأحسّوا بهذا الضيق الخانق، وندموا على تخلفهم ذلك الندم المخرج، حتّى لا يجدون لهم ملجأ ولا مفرّاً، ولا يطيقون راحةً إلى أن قبل الله توبتهم"<sup>(٥)</sup>. فسيّد قطب يقدّم توضيحاً للصورة الفنيّة، ويبرز البعد النفسيّ للتجسيم، لكنه لا يهتمّ بتقرير لون الاستعارة أو وجه الشبه وما شاكل ذلك، مما يطرأ على لسان كتب الأقدمين، الذين توقّفوا عند

١ - قطب، سيد، التّصوير الفني: ص ٤٢.

٢ - سورة البقرة: ٩٣.

٣ - قطب، سيد، في ظلال القرآن: ج ١/٩١.

٤ - سورة التوبة: ١١٨.

٥ - قطب، سيد، التّصوير الفني: ص ٦٩. والثلاثة هم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع. تُنظر قصتهم كاملة في تفسيره، في ظلال القرآن: ج ٣/١٧٢٨-١٧٣٢.

جمالية التجسيم والتصوير، وأبدوا تأملاتهم في قدرة المفردة المستعارة على إبراز المعاني الذهنية في صورٍ حسية مؤثرة، وقدموا هذا الجهد تحت عنوان التشبيه أو الاستعارة.

ومما يُعدّ أصالة في كتبه تلك الوقفات الرائعة على البيان القرآنيّ في كلماتٍ لم ينتبه القدامى إلى تجسيمها، من ذلك مثلاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾<sup>(١)</sup>، يقول سيد قطب: "في هذا التعبير تجسيم للمعنى. وأي تعبير ذهني عن اللّجاجة في الخطيئة ما كان ليُشعّ مثل هذا الظلّ الذي يَصوّر المجترح الآثم حَبِيسَ خطيئته: يعيش في إطارها، ويتنفس في جوّها، ويحيا معها ولها"<sup>(٢)</sup>. فالقرآن يقدم أفكاراً محسوسة، ويُبَعدها عن التجريد الذهنيّ لأجل التأثير بأقصى فاعليّته.

وينحي سيّد قطب، في سياق الأمثلة التي يسوقها لتوضيح طريقة التصوير في القرآن، باللائمة على السابّقين الذين صرفوا جهدهم عن استخراج عناصر الجمال في التعبير القرآنيّ، يقول: "انظر إلى التعبير الجميل في قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾<sup>(٣)</sup>، هذا التعبير الذي يرسم صورةً حيّةً للخزي في يوم القيامة، ويصوّر هؤلاء المجرمين شخوصاً قائمةً يتملأها الخيال، وتكاد تبصرها العين لشدة وضوحها وتسجيل هيئتها "ناكِسُو رُؤُوسِهِمْ" وعند من؟ "عِنْدَ رَبِّهِمْ" فيخيل للسامع أنّها حاضرة لا متخيّلة.. هذه الصّورة للهول لا تساوي من باحث في البلاغة إلّا أن يقول: "وأصل الخطاب أن يكون لمعيّن، وقد يترك إلى غير معيّن، وهو في القرآن كثير كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾. وتستمرّ التّعابير المتداولة عن قوم إلى قوم آخرين حول هذا الشاهد وأشباهه من القرآن الكريم. وتطوى تلك الصورة الفنّية الحيّة وتنتهي عند علماء البلاغة إلى القول: "تفطيعاً لحالهم التي تناهت في الظهور"<sup>(٤)</sup>.

١ - سورة البقرة: ٨١.

٢ - قطب، في ظلال القرآن: ج ١/٨٦. ويُنظر ما أورده الدكتور أحمد زكريا ياسوف حول دراسة سيد قطب، في كتابه جماليات المفردة القرآنية، ط/٢، دار المكتبي، دمشق ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م: ص ١١٤.

٣ - سورة السجدة: ١٢.

٤ - قطب، سيد، التصوير الفني: ص ٢٨.

ومن الوقفات الرائعة لسيد قطب في كشفه عن جمال البيان القرآني، ربطه المعنى بأصوات الكلمات، معتمداً على الخيال والرأي الذاتي على الأغلب. من ذلك مثلاً ما جاء في تأمله للآية: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيَبْطُنَّ﴾<sup>(١)</sup>، إذ يرى أنّ الصورة الصوتية رسمت الحركة المعنوية، حركة التبطئة، "بجرس العبارة كلها، وبجرس (لِيَبْطُنَّ) خاصة، وإنّ اللسان ليكاد يتعثر، وهو يتخبط فيها، حتى يصل ببطءٍ إلى نهايتها"<sup>(٢)</sup>.

فسيد قطب في تحليله هذا، لفتَ نظرنا إلى إسهام التشكيل الصوتية في نقل المعنى للنفس، إلا أنه لم يعتمد علم الدلالة، أو علم الأصوات، أو دقة الفروق في دراسة المفردات، بل اعتمد المنهج الذاتي الوجداني، الذي يترك المعيار الجمالي للنفس والتصور. وكثيراً ما نجد قطباً، في درسه البياني، يربط بين الصورة السمعية (الإيقاع الموسيقي)، والحالة النفسية المطلوبة في الآية. من ذلك ما جاء في بيانه لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ\* وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾<sup>(٣)</sup>، يقول: "تسمع كلمة (يَصْطَرِحُونَ) في هذه الآية، فيخيل إليك جرسها الغليظ، غلظ الصّراخ المختلط المتجاوب من كلِّ مكان، المنبعث من حناجر مكتظة بالأصوات الخشنة، كما تلقي إليك ظلّ الإهمال لهذا الاصطراخ الذي لا يجد من يهتمُّ به أو يلبيه. وتلمح من وراء ذلك كلّ صورة العذاب الغليظ الذي هم فيه يصطرخون"<sup>(٤)</sup>.

ومنه أيضاً ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾<sup>(٥)</sup>، يقول: "الجو كلّهُ يُسرُّ وراحة ونعيم، والألفاظ مختارة،

١ - سورة النساء: ٧٢ .

٢ - قطب، سيد، التصوير الفني: ص ٧٨.

٣ - سورة فاطر: ٣٦-٣٧.

٤ - قطب، سيد، التصوير الفني: ص ٧٩. ويُنظر له أيضاً، مشاهد القيامة في القرآن: ص ١١٧-١١٨.

٥ - سورة فاطر: ٣٤.

لتنسق بجرسها وإيقاعها مع هذا الجوّ الحاني الرَّحِيم، حتى "الحزن" لا يُتَّكأ عليه بالسكون الجازم، بل يُقال "الحزن" بالتَّسْهِيلِ و التَّخْفِيفِ"<sup>(١)</sup>.

نستشفّ مما تقدّم رهافة حسّه، وإدراكه لدقائق فنّيّة في بنية الكلمات، وذلك من خلال المُصطلحين اللذين يظلُّ يردّدهما في كتبه، وهما الإيقاعُ والجرسُ.

وإلى جانب اهتمام سيّد قطب بالتصوير و آفاقه، الذي يكون في نظره سحر القرآن الفنيّ المُرادف لإعجازه. يعتقد بأن تكرار القرآن أكثر قصصه وبعض معانيه، في صورٍ مختلفة هو ضربٌ من الإعجاز. وقد توصل إلى هذا الأمر من خلال دراسته للكثير من المشاهد المُتقاربة المتكرّرة، في كتابه "مشاهد القيامة في القرآن". يقول في ذلك: "والعجيبُ حقاً أنّ تعدّد هذه المشاهد -وأساسها واحد- لم يُنشئ نوعاً من التكرار. فكلُّ مشهدٍ يختلفُ عن سابقه في كليّاته أو جزئياته. وذلك لونه من الإعجاز شبيهة بالإعجاز في خلق الملايين من النَّاس، كلّهم ناس، ولكن لكلِّ سحنةٌ وسمّة، في هذا المتحف الإلهي العجيب"<sup>(٢)</sup>!

"ففي كلّ تكرار صورة تختلف اختلافاً يسيراً أو كبيراً، وتنفي وهم التكرار بلا قصد إلّا التكرار. وإن يكن للتكرار غرضه في صدد الدّعوة. ولكنّه مع هذا يسير مع الجمال الفنيّ بالتنويع الملحوظ"<sup>(٣)</sup>.

ومن المواضع التي لمح فيها سيد قطب التنويع الفنيّ في التكرار، التنويع في وسائل إطالة عرض المشهد القرآنيّ. إذ بيّن هذه الوسائل بنماذج قرآنية محلّلة؛ من هذه الوسائل التي ذكرها:

"أ- الإطالة، باللفظ المخيل للتكرار، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمَآ نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾<sup>(٤)</sup>، فالخيال

١ - قطب، سيد، في ظلال القرآن: ج٥/٢٩٤٥. ويُنظر قطب، مشاهد القيامة في القرآن: ص١١٧.

٢ - قطب، سيد، مشاهد القيامة في القرآن: ص١٠.

٣ - قطب، سيد، التصوير الفني: ص١٠٩.

٤ - سورة النساء: ٥٦.



هنا يظل يستعرض المشهد المروّع، ويكرّر العملية المفزعة، وكلما زاد فزعاً وارتياحاً، زاد إقبالاً على التكرار، ذلك أن الهول يشدّ إليه النَّفس ويوثقها، كلما همّت منه بالفرار!

ب- الإطالة بالنَّسق اللفظي، كالتفصيل بعد الإجمال، مع عرض الأجزاء بالتفصيل، مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ<sup>(١)</sup>، فهو -أولاً- أجمل العذاب: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وقطع السياق، ليستريح المشاهد، ويأخذ نفسه ويستعد للتفصيل. ثم بدأ التفصيل بعد الإجمال، فذكر عملية التعذيب من أول مرحلة، وعلى مهل ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ...﴾.

ج- الإطالة بتفصيل الحركات وتعدُّدها، وبالتكرار الذي تخيله الألفاظ معاً، مثل قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴿كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾<sup>(٢)</sup>، فهذا مشهدٌ عنيف صاخب، حافل بالحركة المنكررة يظل الخيال يكرّر هذه الصورة من أولى حلقاتها إلى آخرتها، حتى يصل إلى حلقة الخروج ثم الرد العنيف ﴿كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾، ليبداً العرض من جديد<sup>(٣)</sup>.

وتابع سيّد قطب تعداد هذه الوسائل، مؤكداً أنه لا تكرر في المشاهد بل هو من قبيل التنويع (تنويع العذاب لأهل النار في الأمثلة المتقدمة)، وموضحاً أنّ في هذا التكرار تلويناً أسلوبياً، وتنويعاً في الأداء الفني، لإبراز الحقائق الدنيوية واستيفائها، ولتحقيق التأثير في المتلقّي. فالهدف إذن تحقيق الغرض الدنيوي والتأثير النفسي.

١ - سورة التوبة: ٣٤-٣٥.

٢ - سورة الحج: ١٩-٢٢.

٣ - قطب، سيد، التصوير الفني: ص ١١٣-١١٤. ويُنظر تفصيله في بقية الوسائل حتى ص ١١٦. ويُنظر بتوسّع درسه لهذه المشاهد في كتابه "مشاهد القيامة في القرآن": ص ٢٥٧-٢٥٨.

وعلى هذا النحو مضى سيد قطب في درسه البيانيّ محاولاً أن يقدم صورة واضحة للجمال الفنّي القرآنيّ، لأنّه رأى أنّ إعجاز القرآن أو سحره -في تعبير "سيد قطب"- قائمٌ على الإبداع في العرض والجمال في التّسيق، والقوّة في الأداء، وهي تتمثّل أو تنبعث في ثلاثة أرباع القرآن من استعماله طريقة "التّصوير الفنّي"<sup>(١)</sup>. فالأساس في كلّ الدرس البيانيّ الذي قدّمه سيد قطب هو التّصوير الذي سيطر على كلّ تحليلاته، والذي شمل في منظوره كلّ الصّور الفنّيّة، كما شمل أيضاً الإيحاء النّفسيّ.

فسيّد قطب كان رائداً من رواد العصر الحديث في إبراز قاعدة أساسيّة عامّة من الأساليب البيانيّة للقرآن الكريم، ألا وهي "التّصوير الفنّي" وكانت مؤلّفاته في هذا الميدان ولا تزال ثروة أدبيّة كبيرة ومنهلًا ينهلُ منه رواد الأدب والراغبون في تذوق أدب القرآن وأسلوبه وإدراك أسرار إعجازه.

---

١ - لا يستثني سيد قطب من هذه الطّريقة إلّا مواضع التّشريع، وبعض مواضع الجدل، وقليل من الأغراض الأخرى التي تقتضي طريقة التّقرير الذّهنيّ المجرد. وهي، في رأيه، محصورة فيما يوازي ربع القرآن.

## - الأستاذ مصطفى صادق الرافعي و الانسجام الصوتي<sup>(١)</sup>:

خصَّص الأستاذ مصطفى صادق الرافعي كتابه "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"، لدراسة قضية الإعجاز، فتناول جوانبها المختلفة، وأدلى برأيه في كل ما يتعلَّق بها من بحوث وقضايا، وقد أفادَ كثيراً من الرُّواد الذين سبقوه كالجاحظ، والباقلاني، والجرجاني، وغيرهم ممَّن كتبوا في إعجاز القرآن البياني<sup>(٢)</sup>، مُعمِّقاً لما قدَّموه ومضيفاً إليه.

وقد أشار الرافعي في صدر كتابه إلى أنه "سيقول في القرآن الكريم ممَّا يتعلَّق بلغته ويتصلُّ ببلاغته، ويكشف عن أوجه الإعجاز في ذلك"، بيد أنه لا بدَّ له من صدرٍ يبتدئ به "القول في تاريخه وجمعه وتدوينه وقراءته، حتَّى تكون هذه سبباً إلى الكلام في لغته و بلاغته، ثمَّ إعجازه في اللغة والبلاغة، لأنَّ بعض ذلك يريد بعضه"<sup>(٣)</sup>.

ومضى الرافعي فابتدأ كتابه بفصلٍ مطوَّل في تاريخ القرآن، فتحدَّث عن جمعه وتدوينه، وترتيب آياته وسوره، وقراءته، وطرق أدائه، ثمَّ انتقل إلى لغة القرآن، وناقشَ قضية ورود بعض ألفاظٍ غير عربية فيه، ثمَّ أورد تفسيراً ارتضاه لما رويَ من أن القرآن نزل على سبعة أحرف، ليتناول بعد ذلك مفردات القرآن من جهة تضمَّنه لما سُمِّي "غرائب القرآن"، ونفى أن يكون معنى الغرابة أن بعض كلماته مُنكرة أو نافية أو شاذة، فالقرآن منزَّه عن ذلك كله، بل اللَّفظة الغريبة هي التي تكون "حسنةً مستغربةً في التَّأويل، بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر النَّاس"<sup>(٤)</sup>. ثمَّ تحدَّث عن تأثير القرآن في اللغة،

١ - الأستاذ مصطفى صادق الرافعي، لم ينل من التَّعليم الرَّسميِّ أكثر من مستوى الشَّهادة الابتدائية، بسبب ما أصيب به من علةٍ أفقدته السَّمع، وأقعدته عن مواصلة الدِّراسة، ولكنه عوّض ما فاتته بإقباله على كتب الأولين، وتراثهم العقلي والديني والأدبي. وقد ترك تراثاً ضخماً، يضمُّ إلى جانب مئات المقالات التي خاض بها المعارك الفكرية الكثير من الكتب، منها: "وحي القلم"، "تحت راية القرآن"، وغيرها من الكتب القيِّمة.

٢ - كنَّا نود لو ذكر الرافعي في هوامش صفحات الكتاب المصادر والمراجع التي اعتمدَ عليها، لكنَّه كان في الغالب يتجاهل هذه الناحية و يهمل ذكرها.

٣ - الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص ١١-١٢.

٤ - المصدر السابق: ص ٥٧.

وعن الجنسيّة العربيّة في القرآن، وأوردَ بحثًا عمّا تضمّنه القرآنُ من آدابٍ وقيم، وعمّا تضمّنه أيضًا من علوم، موضحًا أنّ ما تضمّنه القرآن من ذلك جاء بأسلوبٍ معجزٍ، يتيحُ لكلِّ عصرٍ أن يفسّرَه بمقدار ما وصل إليه عقله من معرفةٍ بحقائق الكون، وأسرارِ الخلق، مهما تطاول الزمن، ليكون شاهدًا على صدق هذا الكتاب، وأنّه إلهيُّ المصدر.

وبعدَ عرضِه لهذه الأمور كلّها انتقلَ إلى هدفه الأصيل، وهو الإعجازُ البيانيُّ للقرآن الكريم. وقد بدأ ببيانِ معنى الإعجاز، ثمّ أشار إلى منهجه في دراسة الإعجاز قائلاً: "ونحن الآن قائلون فيما هو الإعجازُ عند علمائنا (رحمهم الله) وما وضعوه فيه من الكتب؛ ثمّ ما هو حقيقتهُ عندنا، ثمّ نبسط الكلامَ فضلًا من البسط في إعجازِ القرآن بأسلوبه وبيانه مما يُماسُّ اللغّةَ ويستطرقُ إليها". وأردفَ ذلك بقوله: "ولسنا ندعي أننا أشرفنا على الأمد، وأوفينا على مُعجزة الأبد، فإنّ هذا أمرٌ ضيقٌ كثيرٌ الالتواء لمن تلمّس جوانبَه، واقتحم مصاعبه"<sup>(١)</sup>.

ثمّ أخذَ الرَّافعي في عرضِ آراء العلماء السّابقين في الإعجاز ومناقشتها، وانتهى به المطاف إلى أنّ ما سبق به من دراسات حول الإعجاز لا يفي بالغرض، ويترك فراغًا ويحاولُ هو أن يسدَّ هذا الفراغ، وأنّ يقدّم الرّأي الذي يراه صحيحًا في الإعجاز، وهو "أنّ القرآن معجزٌ بالمعنى الذي يفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه".

ومن هنا فقد اتّسع رأيه ليشمل كلّ جوانب الإعجاز القرآني، ولذا أوضحه قائلاً: "فالقرآنُ معجزٌ في تاريخه دون سائر الكتب، ومعجزٌ في أثره الإنساني، ومعجزٌ كذلك في حقائقه؛ وهذه وجوهٌ عامّة لا تخالف الفطرة الإنسانيّة في شيء، فهي باقيةٌ ما بقيت؛ على أنّها ليست من غرضنا في هذا الباب، وإنّما مذهبنا بيانُ إعجازه في نفسه، من حيث هو كلامٌ عربي"<sup>(٢)</sup>. فغرضه في كتابه التّوسّع في الحديث عن إعجاز القرآن البياني.

ومهدّ الرَّافعي لتفصيل القول في الإعجاز البيانيّ للقرآن، بالحديث عن الحالة اللغويّة التي كان عليها العرب عندما نزل القرآن، وعن عجزهم عن معارضة القرآن مع

١ - الرَّافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص ١٣٨-١٣٩.

٢ - المصدر السابق: ص ١٥٧-١٥٨.

تحديهم واستفزازهم<sup>(١)</sup>. لينتقل إلى بيان سرّ هذا الإعجاز، والكشف عن خصائص الأسلوب القرآني؛ التي انفرد بها، وجعلت العرب يستيئسون من معارضته، وتنقطع آمالهم دونها<sup>(٢)</sup>.

وبعد أن انتهى من الحديث عن الخصائص التي انفرد بها الأسلوب القرآني، حدّد جهات الإعجاز فقال: "هي صفات من نظم القرآن وطريقة تركيبه"<sup>(٣)</sup>، وشرعَ يفصل القول في سرّ الإعجاز الذي قامت عليه هذه الطريقة وانفرد به ذلك النظم. فبيّن، بالدرّس البيانيّ التّطبيقيّ، أن الإعجاز فيه اعتمد على الحروف والكلمات والجمل.

وبدأ حديثه عن الحروف وأصواتها، فرأى أنّ "طريقة النّظم التي اتّسقت بها ألفاظ القرآن، وتألّفت لها حروف هذه الألفاظ، إنّما هي طريقة لم تكن على هذا الوجه من كلام العرب، ولكنها ظهرت فيه أول شيء على لسان النبي ﷺ، فجعلت المسامع لا تنبو عن شيء من القرآن، ولا تلوي من دونه حجاب القلب، حتّى لم يكن لمن يسمعه بدّ من الاسترسال إليه، والتوفّر على الإصغاء له". "لأنّه إنّما يسمع ضرباً خالصاً من الموسيقى اللغويّة، في انسجامه واطراد نسقه، واتزانه على أجزاء النفس مقطّعا مقطّعا، ونبرة نبرة كأنّها توقّعه توقّعا، ولا تتلوه تلاوة"<sup>(٤)</sup>. فالرافعي يلفت الانتباه إلى الجمال التّسقيقيّ في رصف الحروف في الكلمات القرآنيّة، ويعنى عناية خاصّة بالنّظم الموسيقيّ في القرآن، فيؤكّد: "أنّه ممّا لا يتعلّق به أحد، ولا ينفق على ذلك الوجه الذي هو فيه إلّا فيه، لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها، ومُناسبة بعض ذلك لبعضه مناسبة طبيعيّة في الهمس والجهر، والشدّة والرخاوة، والتّفخيم والتّرقيق، والتّفشي والتّكرير"<sup>(٥)</sup>.

فالانسجام ليس بين الحروف فقط بل بين صفات هذه الحروف أيضاً. "ولو اعتبرنا ذلك في تلاوة القرآن الكريم على طرق الأداء الصّحيحة، لرأيناها أبلغ ما تبلغ إليه اللّغات

١ - الرافعي، مصطفى، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص ١٥٨-١٥٩. وللتوسع يُنظر ما بعدهما.

٢ - تُنظر هذه الخصائص في كتابه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص ١٩٤ حتى ص ٢١٨.

٣ - الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص ٢١٩.

٤ - المصدر السابق: ص ٢٢٢-٢٢٣.

٥ - المصدر السابق: ص ٢٢٥.

كلّها في هزّ الشّعور واستثارته من أعماق النفس<sup>(١)</sup>. ويرى أنّ القرآن من هذه الجهة بنظمه على كلّ طبعٍ عربيّ أو أعجمي، حتى إنّ القاسية قلوبهم من أهل الزّيغ والإلحاد لتلين قلوبهم و تهتزّ عند سماعه، بل إنّ هذه السّمة التي انفرد بها النّظم القرآنيّ تشبّه أنّ تكون صوت إعجازه الذي يخاطب به كلّ نفسٍ تفهمه، وكلّ نفس لا تفهمه، ثمّ لا يجد من النفوس على اختلافها إلّا الإقرار والاستجابة. وهي السّمة نفسها التي جعلت القرآن الكريم لا يخلُق على كثرة الرّد وطول التكرار، ولا تملّ منه الإعادة<sup>(٢)</sup>.

فقد أرجع الرّافعي ما للقرآن من تأثيرٍ على المستمع إلى انسجام الحروف في الكلمات؛ إذ هو الذي يستهوي المستمع ويأخذ بمجامع قلبه. وقد أكّد هذا الانسجام في حديثه عن الكلمات وحروفها؛ فبيّن أنّ كلمات القرآن في نظمه تجري مجرى الحروف "يهيئ بعضها لبعض، ويسانِد بعضها بعضاً، ولن تجدها إلّا مؤتلفةً مع أصوات الحروف، مُساوِقةً لها في النّظم الموسيقيّ، حتّى إنّ الحركة ربما كانت ثقيلةً في نفسها لسببٍ من أسباب النّقل أيّها كان، فلا تعذب ولا تساغ، فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأنًا عجيبًا، ورأيت أصوات الأحرف والحركات التي قبلها قد امتهدت لها طريقًا في اللسان، واكتفتها بضروبٍ من النّغم الموسيقيّ، حتّى إذا خرجت فيه كانت أعذب شيء وأرقه"<sup>(٣)</sup>.

وهنا قدّم لنا الرّافعي نماذج من الألفاظ القرآنيّة، التي اكتسبت بالنّظم جمالًا وسحرًا، بعد أنّ كانت حال أفرادها ثقيلةً جافيةً. من ذلك لفظة (النّذر) جمع نذير، فإنّ الضمة ثقيلةً فيها لتواليها على النّون والذال معًا، فضلًا عن جساءة هذا الحرف ونُبُوّه في اللسان، وخاصةً إذا جاء فاصلةً للكلام، ولكنه جاء في القرآن على العكس وانتفى من طبيعته في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾<sup>(٤)</sup>. يقول مبيّنًا خصوصيّة التّركيب القرآنيّ: "فتأمّل هذا التّركيب، وأنعم ثم أنعم على تأمله، وتدوّق مواقع الحروف، وأجر حركاتها في حس السّمع، وتأمّل مواضع القلقة في دال (لقد) وفي الطاء من

١ - الرافعي، مصطفى، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص ٢٢٦.

٢ - المصدر السابق: يُنظر ص ٢٢٧-٢٢٨.

٣ - الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ٢٣٨-٢٣٩.

٤ - سورة القمر: ٣٦. وتमारوا: تجادلوا وكذبوا.

(بطشنتا) وهذه الفَتَحَاتِ المتوالية فيما وراء الطَّاءِ إلى واو (تَمَارَوْا) مع الفصل بالمدِّ كأنها تتقيل لخفة التتابع في الفتحَاتِ إذا هي جرت على اللسان؛ ليكون ثقلُ الضمة عليه مستخفاً بعدُ، ولتكون هذه الضمة قد أصابت موضعها، كما تكون الأحماض في الأطعمة. ثمَّ ردَّ نظرك في الرِّاءِ من (تَمَارَوْا) فإنها ما جاءت إلَّا مُسَانِدَةً لراءِ (النُّذْرُ) حتى إذا انتهى اللسانُ إلى هذه انتهى إليها من مثلها، فلا تجفُّ عليه ولا تغلظُ ولا تتبؤ فيه، ثمَّ أعجبْ لهذه الغنة التي سبقت الطَّاءِ في نون (أَنْذَرَهُمْ) وفي ميمها، وللغنة التي سبقت الذال في (النُّذْرُ)<sup>(١)</sup>. فالرافعي يشيرُ إلى انسجام الحروف في الكلمات، ويكشفُ عن التوازن والتكامل مع طبيعة الحركات في المفردات السابقة لها<sup>(٢)</sup>.

ومن هذا القبيل أيضاً ما بيَّنه حول ما ورد في القرآن من ألفاظٍ هي أطولُ الكلامِ عدَدَ حروفٍ ومقاطع، ممَّا يكون مُستقلًّا بطبيعة وضعه، أو تركيبه، ولكنها بالطريقة ذاتها قد خرجت في نظم القرآن من أعذبِ الألفاظِ منطقاً، وأخفها تركيباً؛ إذ هيأ لها أسباباً عجيبَةً من تكرار الحروف، وتنوع الحركات.

من ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَتْخَلِفْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٣)</sup>، "فهي كلمةٌ من عشرة أحرف، وقد جاءت عذوبتها من تنوع مخارج الحروف، ومن نظم حركاتها"، إذ تُتطَقُّ على سبعة مقاطع. ومثلها أيضاً قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾<sup>(٤)</sup>، فإنها كلمة من تسعة أحرف،

١ - الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص ٢٣٩.

٢ - أورد الكثيرون من الدارسين تحليل الرافعي لهذه الآية، وأبدوا إعجابهم به، يُنظر مثلاً الصَّالح، د. صبحي، مباحث في علوم القرآن: ص ٣١٧-٣١٨، وزر زور، د. عدنان، القرآن ونصوصه، ط/١، منشورات جامعة دمشق، مطبعة خالد بن الوليد، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م: ص ٢٠٩، و شيخون، د. محمود السيد، الإعجاز في نظم القرآن، ط/١، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م: ص ٨٢-٨٣.

٣ - سورة النور: ٥٥.

٤ - سورة البقرة: ١٣٧.

وهي سبعة مقاطع، "وقد تكررت فيها الياء والكاف، وتوسط بين الكافين هذا المد الذي هو سرُّ الفصاحة في الكلمة كلها"<sup>(١)</sup>.

ويورد الرَّافعي في مجال الرَّبَط بين اللَّفظة بينائها الصَّوْتِيَّ وبين معناها، قوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾<sup>(٢)</sup>، فيقول: "وفي القرآن لفظة غريبة هي من أغرب ما فيه، وما حسنت في كلام قطِّ إلَّا في موقعها منه، ولو أدرت اللغة عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها. فالسورة التي هي منها وهي سورة النجم، مفصلة كلها على الياء، فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل، ثم هي في معرض الإنكار على العرب، إذ وردت في ذكر الأصنام، وزعيمهم في قسمة الأولاد، فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بنات الله، فقال تعالى: ﴿الْكُفْرُ وَالْكَرُّ وَلَهُ الْأُنثَى \* تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾<sup>(٣)</sup>، فكانت غرابة اللَّفظة أشدَّ الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها، وكانت الجملة كلها كأنها تصوّر في هيئة النطق بها، الإنكار في الأولى والتَّهْكُمُ في الأخرى، وكان هذا التَّصْوِيرُ أبلغ ما في البلاغة، وخاصة في اللَّفظة الغريبة التي تمكَّنت في موضعها من الفصل، ووصفت حالة المتَّهَكِّمِ في إنكاره من إمالة اليد والرأس بهذين المديين فيها إلى الأسفل والأعلى"<sup>(٤)</sup>. إنَّ توضيح الرَّافعي لهذه الآية أكَّد احتواء المفردة الغريبة "ضيزى" للموقف، إذ إنَّها مع غرابتها تعبّر عن المعنى الذي سبقت له بلفظها وهينتها، بأفصح تعبيرٍ.

ويعرض الرَّافعي بعد ذلك للكلمات القرآنية التي يُظنُّ أنها زائدة كما يقول النحاة، فيبين أنها قد جيء بها لتقوم بدورٍ في المعنى لا يُؤدِّي إلَّا بها، من ذلك مثلًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾<sup>(٥)</sup>، فالنحاة يقولون: إنَّ (ما) في الآية زائدة. أي في الإعراب، ولكنَّ الرَّافعي يرى أنَّ "المراد بالآية تصويرُ لين النبي ﷺ لقومه، وأنَّ

١ - الرَّافعي، مصطفى، إجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص ٢٤١.

٢ - سورة النجم: ٢٢. والصَّيْزُ: الجور. يُقال: ضازَهُ حَقَّةً يَصُوزُهُ أي منعه ونقصه، فهي قسمة جائرة وناقصة. يُنظر الفيروز آبادي، القاموس المحيط: ص ٤٤١.

٣ - سورة النجم: ٢١-٢٢.

٤ - الرَّافعي، مصطفى، إجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص ٢٤١-٢٤٢.

٥ - سورة آل عمران: ١٥٩.



ذلك رحمة من الله، فجاء هذا المد في (ما) وصفاً لفظياً يؤكد معنى اللين ويفخّمه، وفوق ذلك فإن لهجة النطق به تُشعر بانعطافٍ وعناية لا يُبتدأ هذا المعنى بأحسن منهما في بلاغة السياق، ثم كان الفصل بين الباء الجارة ومجرورها (وهو لفظ رحمة) ممّا يلفت النفس إلى تدبّر المعنى وبنبه الفكر على قيمة الرحمة فيه<sup>(١)</sup>. وهكذا كل ما ظنّ أنّه في القرآن مزيّداً، فما في القرآن حرف واحد إلّا ومعه رأيٌ يسنحُ في البلاغة، من جهة نظمه، أو دلالاته، أو وجه اختياره.

ومن السمات التي لفت الرافعي الأنظار إليها، واعتبر أنّها ممّا لا يسعه طوقُ إنسان في نظم الكلام البليغ، أنّنا نرى بعض الألفاظ لم يرد في القرآن إلّا بصيغة الجمع، ولم يُستعمل بصيغة المفرد، فإذا احتاج إلى صيغة المفرد استعمل مرادفه. من ذلك لفظه (اللّب) فإنّها لم ترد إلّا مجموعة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٢)</sup> ونحوه؛ وعندما احتاج إلى مفردّها جاء في مكانها بلفظ (القلب) وذلك "لأنّ لفظ "الباء" في "اللّب" شديدٌ مجتمع، ولا يُفضى إلى هذه الشدّة إلّا من اللام الشديدة المُسترخية، فلما لم يكن ثمّ فصلٌ بين الحرفين يتهيأ معه هذا الانتقال على نسبةٍ بين الرخاوة والشدّة، لم تحسّن اللفظة مهما كانت حركة الإعراب فيها، فأسقطها من نظمه البتّة، على سعة ما بين أوله وآخره". وعكس ذلك لفظه (الأرض)، فإنّها لم ترد إلّا مفردة، فإذا ذُكرت السماء مجموعةً جيء بها مفردةً في كلّ موضعٍ منه، ولمّا احتاج إلى جمعها أخرجها في صورة يسجد لروعته كلّ فكرٍ، وذلك في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾<sup>(٣)</sup> "ولم يقل: وسبع أرضين، لهذه الجسأة التي تدخل اللفظ ويختلُّ بها النظم اختلالاً"<sup>(٤)</sup>.

فالرافعي كما تبيّن، قد بسط القول وعمّق الفكرة، بأمثلة تطبيقية، عن دور الكلمة المفردة في البلاغة المعجزة للقرآن الكريم، فأكد أنّ كلّ كلمة منه مادامت في موضعها

١ - الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص ٢٤٣.

٢ - سورة الزمر: ٢١.

٣ - سورة الطلاق: ١٢.

٤ - الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص ٢٤٤-٢٤٥.

فهي بعض إعجازه، وبهذا يكون "قد سدَّ ثغرة طالما نبّه عليها النقاد، حين لاحظوا أنّ عبد القاهر في غمار اهتمامه الكامل بالإقناع بفكرة النظم، وأنّه وحده مناطُ البلاغة، قد أهملَ دورَ الكلمة المفردة ولم يمس أثرها في بلاغة التعبير إلّا مساً خفيفاً"<sup>(١)</sup>.

وبعد حديث الرّافعي عن الكلمات القرآنيّة وحروفها انتقل للحديث عن الجُمَل وكلماتها، وبدأ حديثه، ببيان أنواع الكلام ومراتبه، وتوقّف عند الكلام المعجز على المستوى البيانيّ، ألّا وهو القرآن الكريم. "وإنّما اطّرد ذلك للقرآن من جهة تركيبه الذي انتظم أسباب الإعجاز، من الصّوت في الحرف، إلى الحرف في الكلمة، إلى الكلمة في الجملة، حتى يكون الأمر مقدّراً على تركيب الحواسّ النفسية في القرآن تقديرًا يُطابق وضعها وقواها وتصرفها"<sup>(٢)</sup>. ومضى الرّافعي يفصح عن هذا التنسيق ويعرضه من زوايا مختلفة؛ فمرةً يشير إلى ألفاظ القرآن الكريم، وأنّها كيفما أدّرتها، وكيفما تأمّلتها، ومن أيّ جهة وافقتها، فإنّك لا تصيب لها في نفسك ما دون اللذة الحاضرة. ومرةً يشير إلى طريقة نظم القرآن، وكيف أنّها تجري على استواء واحد، في تركيب الحروف باعتبار من أصواتها ومخارجها، وفي التّمكين للمعنى بحسّ الكلمة وصفقتها، ونحو ذلك. ومرةً يشير إلى ما يسميه "روح التّركيب" التي جعلت القرآن كأنّما وُضع جملةً واحدة، ليس بين أجزائها تفاوتٌ أو تباينٌ، على الرّغم من تعدّد أفكاره، وتنوّع أغراض الكلام ومناحي العبارات، على جملة ما حصلَ به من جهاتِ الخطاب: كالقصص والمواعظ والتّعليم، وضرب الأمثال، إلى نحو ذلك ممّا يدور عليه<sup>(٣)</sup>.

وبعد أن أفاض الرّافعي في الحديث عمّا أسماه "روح التّركيب" انتقل إلى جانب من الجوانب التي تميّز بها النظم القرآنيّ، فكان بها معجزاً، ذلك هو ما يسميه "غرابية" أوضاعه التّركيبية، وهو يعني بالغرابة ذلك التّميّز العجيب الذي ينفرد به النظم القرآنيّ، ويجعل منه نمطاً فريداً بين أنماط التعبير العربي<sup>(٤)</sup>. وفي سياق حديثه عن هذا الموضوع

١ - بركة، عبد الغني، الإعجاز القرآني "وجوه وأسواره": ص ٢٥٠.

٢ - الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص ٢٥١.

٣ - المصدر السابق: يُنظر من ص ٢٥٤ حتى ص ٢٦٠.

٤ - الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: يُنظر ص ٢٦٤.

أشار إلى أن في القرآن شيئاً مما لا يتفق للناس إلا صناعةً، كهذا اللون البديعي الذي يسميه البلاغيون "ما لا يستحيل بالانعكاس"، وهو الذي يُقرأ من أوله أو آخره سواء. كالذي في قوله تعالى: ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾<sup>(١)</sup>. كما بين أنه ما من فن من فنون البلاغة إلا وله مثال كامل في القرآن الكريم، ولكن القرآن الكريم ينفرد بأنه يأتي بهذه الألوان البلاغية لا لذاتها، بل يُراد بها وضع معجز في نسق ألفاظه وارتباط معانيه؛ فهو يستعير حيث يستعير، ويتجوز حيث يتجوز، ويطنب ويؤجز، إلى آخر ما أحصي من فنون البلاغة ومذاهبها، لأنه لو خرج عن ذلك لخرج من أن يكون معجزاً في جهة من جهاته<sup>(٢)</sup>. وهنا راح الرافعي يأخذ على بعض العلماء رجعتهم الإعجاز إلى اشتغال القرآن على تلك الفنون البلاغية<sup>(٣)</sup>. فالإعجاز يرجع إلى النظم باعتباره وحدة متكاملة، قد بلغ الكمال في كل مكوناته من ألفاظٍ وصور، وتلاحم بين الأجزاء، وتوافق في الشكل والمضمون.

ويختتم الرافعي حديثه عن الإعجاز القرآني بفصل هو إلى الدراسات النفسانية والمنطقية أقرب منه إلى البلاغة والبيان، ذلك ما يطلق عليه "إحكام السياسة المنطقية على طريقة البلاغة" ويعني بهذا أن الأسلوب القرآني حين يعالج قضايا عقلية، تتضمن عقائد وتشريعات، فإنه يعرضها بطريقة مميزة، تتوجه إلى كل من العقل والوجدان، لتصل إلى الإقناع الملزم الذي يأخذ بالنفس من أقطارها ولا يدع لها مجالاً للاستعلاء والمكابرة<sup>(٤)</sup>. ويوغل الرافعي في المباحث الفلسفية، والنفسية، ليقع فيما عابه على غيره<sup>(٥)</sup>، من جنوح نحو المنطق والفلسفة في التأليف.

١ - سورة المدثر: ٣.

٢ - الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: يُنظر ص ٢٧٣-٢٧٤-٢٧٥.

٣ - رأي الرافعي هنا يذكرنا برأي الباقلاني، الذي أنكر أن يكون إعجاز القرآن البياني راجعاً إلى ما تضمنته من ألوان البلاغة، وفنون البديع، على نحو ما بينه غيره من العلماء، كالرّماني الذي قسم البلاغة على عشرة وجوه، ورأى أنها جاءت في القرآن الكريم على أكمل وجه، وإليها يعود إعجازه.

٤ - الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: يُنظر ص ٢٨٢-٢٨٥.

٥ - يُنظر نقد الرافعي لغلبة طابع المنطق والفلسفة على بعض دراسات الباحثين في الإعجاز القرآني في كتابه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص ١٤٠-١٤١.

وهكذا بعد أن تعرّفنا منهج الرَّافعي في دراسته البيانيّة للقرآن، وسجّلنا أبرز أفكاره وأهمّ الجوانب التي ركّز عليها في درسه البيانيّ للقرآن الكريم، يتبيّن لنا أنّ الرَّافعي أثرَ أن يركّز على الجوانب التي انفرد بها النصّ القرآنيّ دون غيره من النصوص البليغة، لأنّه إنّما صار معجزاً بهذه الجوانب وحدها، دون تلك التي يشاركه فيها غيره، لذلك اهتمّ بأثر القرآن في نفوس من يستمعون إليه، كما اهتمّ بتأكيد تفرّده بالانسجام الصوتي والتوافق العجيب بين نظمه ومعانيه، وبالتلاحم المبدع بين أجزائه وعدم تفاوتها في البلاغة، على ما به من تنوّع في الأغراض والمعاني إلى آخر تلك الجوانب التي ركّز عليها، وحلّل بعض الصّور القرآنيّة كأمثلة عليها، وليكشف أسرار النظم الموسيقيّ فيها، ويبرز الفرق بينها وبين كلام العرب الفصحاء.

وإنّ حديث الرَّافعي عن تلك الجوانب التي انفرد بها القرآن الكريم لم يكن جديداً كلّه، فكثيرٌ منه أشار إليه العلماء، وافتوا الأنظار إليه، غير أنّ فضل الرَّافعي يتجلّى في تعميق الأفكار، وإبراز ملامحها، والكشف عن قيمتها ودلالاتها، والإلحاح على البلوغ بها غايتها.

ونودّ أن نشير أيضاً إلى أنّ الرَّافعي ارتفع بأسلوبه في كتابه إلى مستوى يليق بالموضوع الذي يعالجه ويتسق معه، ألا وهو إعجاز القرآن، ممّا أضفى على دراسته طابعاً جعل منها لوحة أدبيّة، أكثر منها دراسة موضوعيّة، وهذا الأمر جعل بعض النقاد يغمزونه من هذه الناحية كالأستاذ العقاد<sup>(١)</sup>. ولكن رغم ما قيل، فإننا نقدر للرّافعي كلامه في الإعجاز الموسيقيّ وغيره من الجوانب الإعجازيّة التي عرض لها، فذلك منه تجديدٌ له قيمته في العصر الحديث، إذ يُعدُّ بعنّا جديداً لقضيّة الإعجاز البيانيّ بعد أن طال أمّ الركود.

١ - نشر الأستاذ العقاد في صحيفة البلاغ سنة ١٩٢٦م مقالا أعاد نشره في كتابه "ساعات بين الكتب"، يذكر فيه أنّ كتاب الرَّافعي ليس إلّا تسيحاً بالآيات القرآنية، وثناءً حسناً على القرآن الكريم، ويُغفل دور الرَّافعي في استقراره لخصائص الأسلوب القرآنيّ وعرضه لنماذج كثيرة لهذه الخصائص. ولا شك أنّ للخصومة الشديدة التي كانت بين الرَّافعي والعقاد، حول المذاهب الأدبيّة، أثراً كبيراً في قسوة العقاد عليه. يُنظر العقاد، عباس محمود، ساعات بين الكتب، ط/٢، بيروت-لبنان، ١٩٦٩م: ص ٢٧.

## - الأستاذ أمين الخولي و المنهج الموضوعي<sup>(١)</sup>:

دعا الأستاذ أمين الخولي إلى التجديد في التفسير القرآني، وأبان عن منهجه في هذا التجديد فيما كتبه تعليقا على مادة تفسير في دائرة المعارف الإسلامية. يقول: "إنّ التفسير اليوم -فيما أفهمه- هو: الدّراسة الأدبية، الصّحيحة المنهج، الكاملة المناحي، المتسقة التوزيع. والمقصود الأول للتفسير اليوم أدبي محض صرف، غير متأثر بأي اعتبار وراء ذلك. وعليه يتوقف تحقّق كلّ غرض آخر يُقصد إليه"<sup>(٢)</sup>.

إنّ قوله هذا، لا يعني أنه يدعو إلى فصل القرآن عن الحياة الدنيوية، بل يدل على أنه يريد أن تتجلى نظرة التقديس والإجلال للقرآن الكريم، لا على أساس تعدي محض بل على أساس فنيّ أيضاً؛ لأنه الأساس المتين الذي يصور بكلّ دقّة وأصالة الجانب الجماليّ في القرآن القائم على الحسّ التعبيري والذائقة الأدبية. فالقرآن الكريم كتاب هداية للمسلمين، كما هو عصاره جهد فنيّ وإبداعيّ ولغويّ في حياة اللغة العربية، وعن طريق هذا المجال الرّحب يتمكّن الدّاعي للقرآن والمفسّر له من جلب أكبر عدد واع إلى حظيرة الإسلام باستكناه الأثر الفنيّ في القرآن مقترنا بالأثر الدّينيّ والتشريعي<sup>(٣)</sup>.

فالمنهج الذي دعا إليه الأستاذ أمين الخولي هو دراسة القرآن موضوعاً موضوعاً، وأن تجمع آياته الخاصة بالموضوع الواحد جمعاً إحصائياً مستفيضاً، ويُعرف ترتيبها الزمّني، ومناسباتها وملابساتها الحافة بها، ثمّ يُنظر فيها بعد ذلك لتفسّر وتفهم، فيكون ذلك التفسير أهدى إلى المعنى، وأوثق في تحديده<sup>(٤)</sup>. فصواب الرّأي، فيما يبدو له، أن يُدرس

١ - الأستاذ أمين الخولي من الشخصيات التي جمعت بين الاتّصال بالحضارات الغربية ومناهجها في الدّراسة وبين الدّراسة العربية والدّينية، إذ ارتحل إلى أوربة وأتقن الإيطالية والألمانية وقرأ كثيراً من أدبهما، وألمّ بالحركة الاستشراقية ومناهج أصحابها في الدّراسة. وكان شديد الإعجاب بمحمد عبده فتأثر به. وسلك سبيله في الدعوة إلى تجديد حياة التفسير القرآني. يُنظر خليل، دراسات في القرآن: ص ١٤٥.

٢ - دائرة المعارف الإسلامية، مادة تفسير: ج ٣٦٦/٥ - ٣٦٧. ويُنظر الخولي، أمين، مناهج تجديد: ص ٢٣١.

٣ - الصّغير، د. محمد علي، المبادئ العامة لتفسير القرآن: يُنظر ص ١٤٨-١٤٩.

٤ - دائرة المعارف الإسلامية، مادة تفسير: ج ٣٦٨/٥. و الخولي، أمين، مناهج تجديد: ص ٢٣٢.

القرآن حسب الموضوعات، لا أن يُدرسَ حسب ترتيبه في المصحف الكريم سوراً أو أجزاءً<sup>(١)</sup>. لأنَّ "الذي يفهم جملةً نصوصٍ خاصّةً بموضوعٍ واحدٍ، يصلُ إلى صحيح معناها ودقيقه؛ بمعرفةٍ سابقها ولاحقها، ومتقدّمها ومتأخّرهما، إذا ما كان الزّمن قد تباعدَ بين تلك النّصوص، وبخاصّةٍ مثل هذا التّباعد الزّمنيّ، الذي بين آي القرآن، فقد طال سنين وسنين"<sup>(٢)</sup>.

وقد أيدَ كثيرٌ من الدّارسين هذا المنهج<sup>(٣)</sup>؛ لأنهم رأوا أن السّيرَ بهذا المنهج "يُغني الباحثَ والطّالب في سبرِ المواضيع، ويُطلعه على أسرارِ القرآن العظيم مبوبةً ومنهجيةً، ويؤيسر كثيراً من الجزئيات المتناثرة، ويقوم بعملية التّفاء ووصل لآخر الموضوع بأوله، و لشارده بوارده". إضافةً إلى أنّ في هذا المنهج "كشفاً للصور الكثيرة من الموضوع الذي يعرض له القرآن أكثر من مرّة، كالحديث عن موسى وبني إسرائيل مثلاً، إذ يقوم المفسّر التّقليدي<sup>(٤)</sup> بالحديث عنها في جزءٍ من التّفسير والعودة إليه في جزءٍ آخر، في حين يقوم الدارس حسب هذا المنهج بإحصائها وترتيبها، ويكشفُ بذلك قدرتها على استنباطِ حقائق الأشياء بالصّور المختلفة التي حاولها القرآن بحسب مناسبة النّزول وقرائن الأحوال، وهنا يظهر العمقُ البلاغيُّ للقرآن أكثر فأكثر، حيث يكون الإلمامُ بالموضوع، والإحاطةُ به قد استوعبا جميع الجهات والوجهات فيصبح الدّرسُ جامعاً مانعاً"<sup>(٥)</sup>.

١ - الخولي يرى أن ترتيب القرآن في المصحف قد ترك وحدة الموضوع لم يلتزمها مطلقاً، وقد ترك التّرتيب الزّمنيّ لظهور الآيات لم يحتفظ به أبداً، وقد فرّق الحديث عن الشيء الواحد، والموضوع الواحد في سياقاتٍ متعدّدة، ومقاماتٍ مختلفة، ظهرت في ظروفٍ مختلفة.

٢ - الخولي، أمين، مناهج تجديد: ص ٢٣٢.

٣ - ممّن أيدوا هذا المنهج في الدّرس القرآنيّ، الدكتور محمد علي الصّغير في رسالته "الصورة الفنّيّة في المثل القرآنيّ"، والدكتور محمد خلف الله في رسالته "الفنّ القصصيّ في القرآن الكريم"، و الدكتور السيّد أحمد خليل في كتابه "دراسات في القرآن".

٤ - المفسّر التّقليدي، الذي يسير على طريقة تفسير سور القرآن وآياته بحسب ترتيبها في المصحف.

٥ - الصّغير، د. محمد علي، المبادئ العامة لتفسير القرآن: يُنظر ص ١٢١-١٢٢.

فالدّارسُ لصفات المؤمنين وحالهم، في سورة البقرة على سبيل المثال، لا يفهمها الفهم الصّحيح، في رأي الخولي، إلّا إذا قارنها بما جاء في سورة "المؤمنين". وقصة آدم في سورة البقرة، لا تُدرس إلّا مع ما وردَ عنها في سور الأعراف، والحجر، والكهف، وغيرها.

ولم يترك الخولي عملاً كاملاً في الدّرسِ البيانيّ القرآنيّ سوى كتابه "من هدي القرآن" الذي لم يَنلَ حظّه من الشهرة، خارج مصر كما نالت كتبه: "مناهج تجديد" و "التفسير: معالم حياته ومنهجه اليوم" و "فنّ القول". وذلك لأنّ طبيعة "من هدي القرآن" كانت مجموعةً أحاديثٍ إذاعيّة، بحثت معاني ألفاظ القرآن العربيّة والتمست ما للفظ والنّظم من إichاعاتٍ أدبيّةٍ فنيّة، وربطت ذلك بالهدف الاجتماعيّ الذي يرمي إليه القرآن دائماً، والذي ابتغاه الخولي من هذه الأحاديث.

وقد لخصّ الخطوط الكبرى لصورة هذا التفسير الأدبيّ، بقوله:

- أ- نقصد إلى التدبّر النفسيّ والاجتماعيّ في القرآن الكريم للحياة الإنسانيّة.  
 ب- نعد إلى معاني الآيات القرآنيّة التي تؤدّيها ألفاظها العربيّة المبيّنة، كما يفهمها أهل العربيّة في عهد نزول القرآن.  
 ج- تتجّه هذه الدّراسة إلى تفسير القرآن موضوعات، لا سوراً، وأجزاء، بل هي تتبّع ما يخصّ موضوعها من آيات في مختلف السور والأجزاء القرآنيّة<sup>(١)</sup>.

ولنؤيّد التّنظير بشيءٍ من التّطبيق، نذكر على سبيل المثال بيانه لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾<sup>(٢)</sup>، يقول: "هذه الوحدة هي ما أحسّه من هدي القرآن، في وضوح وجلاء، إذا تلوت قوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ وهي التي يشفُّ عنها الكثير من نظمه الدّقيق، وتألّفه المعجز، حين يضيف إلى ضمير الجميع ما للفرد من ملك أو ما يجترحه

١ - يُنظر الكلام بالتفصيل على منهج الخولي في كتابه "من هدي القرآن" ط/١، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٥٩م: ص٦-١٠. ويُنظر حمدي "أبو علي"، د. محمد بركات، دراسات في الإعجاز البياني، ط/١، دار وائل، عمان، ٢٠٠٠م: ص١٥٧-١٥٩.  
 ٢ - سورة الأنبياء: ٩٢.

من عمل، ناظرًا إلى أنه هو وجماعته، ليسا إلاً شيئًا واحدًا، فيقول مثلاً: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾<sup>(١)</sup> فهو يسميها أموالهم مع أن الأكل إنما يأكل مال غيره. كما قال في بقية الآية: ﴿لَتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، ومن شواهد هذا أيضًا مثل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> يضيف الأموال إليهم جميعاً<sup>(٣)</sup> كما رأينا<sup>(٤)</sup>.

فالخولي لم يقصر درسه القرآني البياني على الكلمة ومدلولها، ولم يكتفِ بالإحياء البلاغي، والظلال الأدبي، بل أكمله بما يخدم حياة الإنسان ونوازعه النفسية، وما يتفق والحياة بألوانها ومناشطها، حتى تكون الكلمة جزءاً من الحياة والإنسان. "ولعل سيد قطب في تفسيره "في ظلال القرآن"، نظر هذه النظرة نفسها التي أسسها أمين الخولي، وقبله المرحوم الأستاذ الإمام محمد عبده، في تفسيره لجزء "عم" من القرآن الكريم"<sup>(٥)</sup>.

وبناءً على هذا، فإن مهمة الدرس البياني القرآني، حسب المنهج الذي دعا إليه أمين الخولي، تتبلر في بيان مواكبة القرآن للحياة، وتؤكد في مزاوجة الهدف الديني في القرآن بالهدف الاجتماعي، وهذا لا يتحقق في رأي الخولي إلا عن طريق الدرس البياني الموضوعي، إذ هو الذي يوضح نظرة القرآن حول موضوع من الموضوعات، ويقدم

١ - سورة البقرة: ١٨٨.

٢ - سورة النساء: ٢٩.

٣ - أشار الخولي إلى أنه لم ينتبه المفسرون الأقدمون إلى شعور القرآن بهذه الوحدة، ولكن لفت إليها تفسير المنار، يُنظر تفسير المنار: ج٣/٥-٤٣، وج٦/٣٤٩.

٤ - الخولي، أمين، من هدي القرآن: ص٩٥-٩٦.

٥ - حمدي "أبو علي"، دراسات في الإعجاز البياني: ص١٦٠. ويُنظر ما كتبه الدكتور محمد علي الصغير، الذي قال في كتابه المبادئ العامة لتفسير القرآن: "كأن دعوة الخولي موجهة إلى سيد قطب، فجاء تفسيره روعةً في الأسلوب والبيان وجودة التعليل": ص١٥٠، وتابع بقية كلامه في الصفحة نفسها.



الحلَّ المناسبَ لمشكلة ما في المكانِ المناسبِ من القرآن الذي يمثّل وجهةَ نظر الإسلام في هذه المشكلة، أو ذلك الموضوع المُحدّد، وهكذا بقية الموضوعات<sup>(١)</sup>.

وقد سبقَ بعضُ الأوائِل إلى هذا المنهج من حيث لا يقصدون، ولعلَّ من أهم مظاهر هذا المنهج عندهم هو التفسير التَّشريعيّ الذي عُني بفقهِ القرآن أو استخلاص واستقصاء آيات الأحكام من القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>.

وممّن استفادوا من هذا المنهج الموضوعيِّ في العصرِ الحديث؛ الدكتورة عائشة عبد الرحمن، التي فسّرت بعض السُّور القرآنيّة القصار متأثرةً بمنهج أستاذها، الأستاذ أمين الخولي، ومتبّعةً سبيله، وموضحةً طريقتَه في تناول النُّصوص القرآنيّة (هذا ما سنوضّحه في حديثنا عن منهجها).

وهكذا يتبيّن لنا أنّ الخولي أراد أن يجعلَ الدرسَ القرآنيَّ متجدّدًا في الأسلوب والعرض والفكر؛ "فبالبعدُ عن العمقِ الفلسفيِّ والنزاعِ التقليديِّ تجديدٌ في العرض. ونفاذُ البصيرة، ومرونةُ الرؤية والإشارة الموحية، والكشفُ عن أساليب البيان، والنظر إلى عوامل التطور، والأخذُ بملحظ التّصرف المدرك تجديدٌ في الفكر. وتجنّبُ اللَّفظِ المُستكره، والاستعمالِ الغريب والسَّجعِ المتكهن، وتصنُّع الدلالات تجديدٌ في الأسلوب"<sup>(٣)</sup>.

١ - الدرس القرآنيّ البيانيّ التقليدي، لا ينهض بمهمة مواكبة القرآن للحياة نهضةً متكاملة؛ لأنّ التأكيدَ على الجانبِ الفنيّ من بيانٍ وبلاغةٍ ومعنى عام لا يحيط بموضوع قائم بذاته، إذ إنّ الموضوع القائم بذاته في القرآن يحتاج إلى ضمّ آية وسط القرآن، مثلاً، إلى آية في أوله إلى أخرى في آخره، وهكذا إلى أن تتكامل آيات الموضوع في سور القرآن المتأولة له. وليست هذه الطريقة متعارفة في التفسير المتسلسل، وإن كانت لا تخلو بعض التفسيرات من هذه الموضوعيّة ولكن في إطار ضيقٍ بقدر ما تسمح به ظروف الآية بحسب ما قبلها وما بعدها.

٢ - يُنظر عناوين مجموعة من هذه التفسيرات في ابن النديم، الفهرست: ص ٥٧.

٣ - الصَّغير، د. محمد علي، المبادئ العامة لتفسير القرآن: ص ١٤٩.

وقد يؤخذ على منهج الأستاذ أمين الخولي، أنه يتجنّى على الوحدة الموضوعية لسور القرآن الكريم<sup>(١)</sup>. ولكن "مهما يؤخذ على منهجه من الأقوال فإنّ لهذا المنهج قيمته في الدرس البيانيّ القرآنيّ، وهو مظهرٌ من مظاهر النشاط الفكريّ والتّجديد في هذا العصر بعد الخمول الطّويل الذي اعترى الدرس القرآنيّ منذ أواخر القرن الخامس الهجريّ"<sup>(٢)</sup>. فمنهج الخولي إذن منهجٌ فكريّ، وتجديدٌ له قيمته، يُساير حركة العصر الذي نعيش فيه ورقيةً فكريّةً إلى حدّ كبير.

### - الدكتورة عائشة عبد الرحمن والمنهج اللغوي الإحصائي:

تعدّ الدكتورة عائشة عبد الرحمن من الباحثات اللاتي أسهمن بنصيبهن في الدرس البيانيّ واللغويّ للقرآن الكريم، في العصر الحديث، قدّمت تجربتها البيانيّة اللغويّة في الإطار الإعجازي باسم التفسير، بتفسيرها لبعض قصار السور القرآنيّة في كتابها "التفسير البيانيّ للقرآن" بجزأيه الأول والثاني؛ تناولت في الجزء الأوّل السور الآتية: (الضحى، الشرح، الزلزلة، العاديات، النازعات، البلد، التكاثر). وتناولت في الجزء الثّاني: سور

١ - يرى الأستاذ الخولي، أنه إن كان للدارس نظرة في وحدة السورة وتناسب آياتها، واطراد سياقها فذلك يكون بعد الدرس المستوفي للموضوعات المختلفة فيها. يُنظر كتابه، مناهج تجديد: ص ٢٣٣. ويُنظر ما كتبه الدكتور أحمد بدوي من مآخذ حول الدرس البيانيّ القرآني وفق موضوعات، في كتابه من بلاغة القرآن: ص ٢٣٩.

٢ - الحمصي، نعيم، فكرة إعجاز القرآن: ص ٣٤٣.

(العلق، القلم، العصر، الليل، الفجر، الهزمة، والماعون). إضافةً إلى كتابها "الإعجاز البياني للقرآن" الذي أوجزت فيه تاريخ قضية الإعجاز القرآني من القرن الثالث الهجري إلى العصر الحاضر.

وتعيبُ بنت الشاطي على الانشغال في دروس الأدب بالمعلقات والنقائض والمفضليات ومشهور الخمريات والحماسيات عن الاتجاه إلى القرآن الكريم. تقول: "ونحن في الجامعة، نترك هذا الكنز الغالي لدرس التفسير، وقلّ فينا من حاول أن ينقله إلى مجال دراسات العربية التي قصرناها على دواوين الشعر، ونثر مشهوري الكتاب"<sup>(١)</sup>. فهي تحث على إبراز الجانب الأدبي من القرآن الكريم، وعلى وضع الدرس الأدبي القرآني في الدروة من دراساتنا الأدبية. وعلى السير في منهج تحليلي لتدوّن العربية وأدبها الأصلي من أعذب منبع من منابعها؛ من "كتاب العربية الأكبر ومعجزتها البيانية الخالدة ومثلها العالي الذي يجب أن يتصل به كلُّ ذي عروبة أراد أن يكسب ذوقها، ويدرك حسها ومزاجها، ويستشف أسرارها في التعبير والأداء"<sup>(٢)</sup>.

ولتطبيق المنهج البياني في درس القرآن الكريم، الذي كانت تدعو له في كلِّ دراساتها القرآنية وكتبها المتعلقة بالقرآن، قدّمت تفسيرها البياني، وقد تتبعت في هذا التفسير المعنى واللفظ، معاً، وأبرزت مستعينةً بهما معاً أسرار البلاغة وجوانب الإعجاز، وعرضت فيه أقوال عدد من أئمة التفسير القدامى والمحدثين، واختارت فيه ما رآته أقرب إلى الذوق العربي في الفهم، وأظهر لبلاغة القرآن، منتبحةً الآيات آيةً آيةً، في عرض هادئ طويل النفس يسير نحو الهدف المقصود في تسلسل منطقي، وتعبيرٍ بليغ.

وقد تبنت الدكتورة عائشة في تفسيرها منهجاً واضح المعالم، إذ تقول: "والمنهج قد شرحه أستاذنا الإمام "أمين الخولي" في كتابه الجليل (مناهج تجديد)، ولا بأس في أن أخصّ ضوابطه هنا:

١ - عبد الرحمن، د. عائشة "بنت الشاطي"، التفسير البياني للقرآن: ج ١/١٣.

٢ - المصدر السابق: يُنظر ج ١/١٣.

١- الأصل في المنهج التناول الموضوعي لما يُراد فهمه من كتاب الإسلام، ويبدأ بجمع كل ما في الكتاب المحكم من سور وآيات في الموضوع المدروس.

٢- في فهم ما حول النص؛ تُرتب الآيات فيه على حسب نزولها لمعرفة ظروف الزمان والمكان، كما يُستأنس بالمرويّات في أسباب النزول من حيث هي قرائن لابسست نزول الآية.

٣- في فهم دلالات الألفاظ.

٤- في فهم أسرار التعبير<sup>(١)</sup>.

فمنهجها يقوم على التناول الموضوعي "الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد في القرآن الكريم، فيجمع كل ما في القرآن عنه، ويهتدي بمألوف استعماله للألفاظ والأساليب بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذلك، وهو منهجٌ يختلفُ تمامًا عن الطريقة المعروفة في تفسير القرآن سورةً سورة، يؤخذ اللفظ أو الآية مقتطعًا من سياقه العام في القرآن كله مما لا سبيل معه إلى الاهتداء إلى الدلالة القرآنية لألفاظه أو استجلاء ظواهره الأسلوبية وخصائصه البيانية"<sup>(٢)</sup>.

واختارت في تفسيرها بعض السور القصار الملحوظ فيها وحدة الموضوع فضلًا عن كونها من السور المكيّة، حيث العناية بالأصول الكبرى للدعوة الإسلامية، وقصدت باتباعها لهذا المنهج في الدرس البياني توضيح الفرق بين الطريقة المعهودة في التفسير، وبين المنهج الحديث الذي يتناول النصّ القرآني في جوّه الإعجازي ويلتزم في دقة بالغة، قولة السلف الصالح (القرآن يُفسّر بعضه بعضًا).

وصرّحت بأنها ستجمع في درسها البياني بين جناحي اللغة والبيان في فهم الإعجاز القرآني، إذ قالت: "ومنذ سنين وأنا أقوم بهذه المحاولة في دراسة النصّ القرآني

١ - عبد الرحمن، د. عائشة، التفسير البياني للقرآن: يُنظر تحديدها لضوابط منهجها، ج ١/١٠-١١.

٢ - يُنظر البيومي، د. محمد رجب، خطوات التفسير البياني: ص ٣٣٤.

لغةً وبياناً تطبيقاً للمنهج الذي تلقينته<sup>(١)</sup>. وقد أخذت على عاتقها نصره استقلال جمال المفردة القرآنية من خلال الظلال النفسية للفروق. إذ ركزت في دراستها على الجانب الدلالي لألفاظ القرآن، وبيّنت وجه الإعجاز القرآني في اختيار اللفظ دون غيره من المترادفات الأخرى، في التعبير عن معنى محدد. من ذلك مثلاً تفريقها بين الكلمتين المترادفتين: "رؤيا" و "حلم"؛ إذ فرقت بتمحيصها واستقراءها الكامل بينهما، ومنعت القول بترادفهما، وبيّنت أنّ القرآن جاء بكلّ واحدة منهما لتعبّر عن معنى معيّن؛ فكلّمة "رؤيا"، جاءت في القرآن سبع مرّات<sup>(٢)</sup>، كلّها في الرؤيا الصادقة. وهو لم يستعملها إلا بصيغة المفرد، دلالةً على الوضوح والصفاء. ومن بين المرّات السبع، جاءت الرؤيا خمس مرّات للأنبياء، فهي من صدق الإلهام القريب من الوحي. من ذلك مثلاً ما جاء في قوله تعالى في رؤيا يوسف إذ يقول له أبوه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾<sup>(٣)</sup>، ونتابع سياقها في السورة فنراها قد صدقت وتحققت، يقول تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾<sup>(٤)</sup>. والمرتان الأخيرتان جاءتا في رؤيا العزيز -ملك مصر- وقد صدقت، وفي آيتها عبّر عنها القرآن مرتين على لسان الملك بالرؤيا، لوضوحها في منامه وجلائها، وإن بدت للملأ من قومه هواجس وأضغاث أحلام. يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾<sup>(٥)</sup> قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾<sup>(٥)</sup>. وتمضي القصة في سياقها القرآني، فإذا رؤيا الملك صادقة الإلهام، وليست كما بدت للملأ من قومه أضغاث أحلام. أمّا كلمة الحلم، فوردت في ثلاثة

١ - عبد الرحمن، د. عائشة، التفسير البياني للقرآن الكريم: ج ١/٤٤.

٢ - المواضع التي جاءت فيها كلمة "الرؤيا" هي: رؤيا إبراهيم عليه السلام، [الصفّات: ١٠٩] رؤيا يوسف عليه السلام، في موضعين؛ [يوسف: ٥-١٠]، رؤيا سيدنا محمد ﷺ في [الإسراء: ٦٠]، وفي [الفتح: ٢٧]، ورؤيا ملك مصر في موضعين؛ [يوسف: ٤٣-٤٤].

٣ - سورة يوسف: ٥.

٤ - سورة يوسف: ١٠٠.

٥ - سورة يوسف: ٤٣-٤٤.

مواضع، وكانت تأتي في المواضع الثلاثة بصيغة الجمع، دلالةً على الخلط والتشوش وعدم الوضوح، من ذلك ما جاء في قوله تعالى على لسان الملائكة، من قوم العزيز، حين سألهم أن يفتوه في رؤياه: ﴿قَالُوا أَضْغَاتُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

فالدكتورة عائشة أوضحت أن استخدام كلمة "الرؤيا" قد جاء في سياق معين، بحيث لا يمكن أن تحل محلها كلمة "الحلم"، فهي تؤكد الإعجاز البياني للقرآن الكريم حتى في استخدام المترادفات، فكل لفظ يؤدي معنى معيناً لا يمكن للفظ المرادف له أن يؤدي هذا المعنى نفسه، وتعرض الدكتورة عائشة الكثير من النماذج لهذا الجانب من جوانب الإعجاز البياني، الذي كان قوام دراستها التفسيرية لقصار السور في جزئي "التفسير البياني"، وتستعين على تحليل هذه النماذج بالمنهج الاستقرائي الإحصائي والمقارنات، تقول موضحةً منهجها: "والمنهج المتبع هنا، هو الذي خضعت له فيما قدمت من قبل، بضوابطه الصارمة التي تأخذنا باستقراء اللفظ القرآني في كل مواضع وروده، للوصول إلى دلالاته، وعرض الظاهرة الأسلوبية على كل نظائرها في الكتاب المحكم، وتدبر سياقها الخاص في الآية والسورة، ثم سياقها العام في المصحف كله، التماساً لسرها البياني"<sup>(٢)</sup>.

نوردُ على سبيل المثال تفسيرها لقوله تعالى: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ\*الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْنَدَةِ﴾<sup>(٣)</sup>، في سياق تفسيرها البياني لسورة الهمزة. تقول: "وباستقراء الاستعمال القرآني للنار، نلاحظ غلبة مجيئها لنار الجحيم في الآخرة حيث وردت فيها نحو مائة وعشرين مرة، في مقابل خمس وعشرين للنار في الدنيا، إمّا على الحقيقة في النار المعروفة المعهودة، وإمّا على المجاز في مثل نار الحرب [المائدة: ٦]. ومع كثرة استعمال النار في القرآن لنار الجحيم، لم تأت مضافةً إلى الله تعالى إلّا في "الهمزة" فشهد ذلك بفاحة النكر

١ - سورة يوسف: ٤٤. وردت كلمة "الحلم" في هذه الآية مرتين، والموضع الثالث الذي وردت فيه، سورة الأنبياء/٥. ويُنظر كلام الدكتورة عائشة على مسألة "الرؤيا" و "الحلم"، في كتابها الإعجاز البياني للقرآن: ص ١٩٨-٢٠٠.

٢ - عبد الرحمن، د. عائشة "بنت الشاطي"، التفسير البياني للقرآن الكريم، ط/١، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م: ج ٧/٢.

٣ - سورة الهمزة: ٦-٧.

لفتنة المال وما تغري به من تكبر وبغي، وعدوان وضلال". وتتابع مُحصيةً عدد مرّات ورود مادة (وقَدَ) في القرآن الكريم<sup>(١)</sup>، والمعاني التي وردت فيها إلى أن نقول: "وليس من الضّروري أن نتأوّل اطلاع نار الله الموقدة على الأفئدة، بأنّها: "تلوها وتقلّبها وتشتمل عليها" كما ذهب الزّمخشري وأخذه الشّيخ محمّد عبده، ولا بأنّها "تأكل اللحوم حتّى تهجم على القلوب" كما نقل الطبري. و أوّلَى من هذا الهجوم والأكل أن نلمح أسرارَ التّعبير في هذا البيان القرآنيّ، فننتدّب موضع الأفئدة هنا، ولا نقول إنّها جاءت مكان القلوب لمجرد ملحظ لفظيّ في رعاية الفاصلة، بل لأنّ القلب قد يطلق على العضو من أعضاء الجسم وأجهزته، أمّا الفؤاد فلا يُطلق إلّا على المعنويّ من موضع الشّعور والعواطف والعقيدة والأهواء، وبهذا المعنى جاء (الفؤاد) في القرآن مفردًا وجمعًا ست عشرة مرّة" وتذكر هذه المواضع، لتنتهي إلى القول: "إذن يكون إثارة الأفئدة هنا لا لنسق الفاصلة فحسب، ولكنّه كذلك لتخليص الأفئدة من حسّ العضويّة التي تدخل على دلالة لفظ القلوب فيما أُلّف العربُ من لغتهم، ولا نزال نستعمل القلبَ بمعناه العضويّ، ولا نستعمل الفؤاد بهذا المعنى قطّ"<sup>(٢)</sup>.

نلحظ من هذا النموذج، وعلى نمطه في درسها البيانيّ الكثير، الجدّة والأصالة في دراسة الدكتورة عائشة؛ إذ أسهبت بذكر التّمكّن اللغويّ، وإحصاء عدد مرّات ورود بعض الكلمات، وتحريّ مادتها ومعانيها. ولعلّ وضع المعاجم المُفهرسة لألفاظ القرآن قد ساعدها على هذا المنهج. كما أنّها ربطت في مواطن كثيرة من تفسيرها وجود الكلمة بسياق الآية، فبيّنت حاجة المقام أو المدلول إليها، وبيّنت استحقاقها المكانَ وتفردّها به، مُعوّلةً ذلك على منطوق اللغة العربية حيث الاستخدام السليم للدلالة. من ذلك مثلاً قولها-بعد العودة إلى الأصل المادي- في التّفريق بين الخوف والخشية في تفسيرها للآية: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ

١ - وردت مادة (وقَدَ) في القرآن، إحدى عشرة مرّة؛ مرّة واحدة في إيقاد نار الحرب [المائدة: ٦]، ومرّة في آية النور [النور: ٣٥]، وخمس مرّات للنار المعروفة [يونس: ٨٠- الرعد: ١٧- القصص: ٣٨- البروج: ٥- البقرة: ١٧]، وأربع مرّات لنار الجحيم [آل عمران: ١٠- البقرة: ٣٤- التّحريم: ٦- الهمزة: ٦].

٢ - عبد الرحمن، د. عائشة، التّفيسر البيانيّ للقرآن: ج٢/١٧٨-١٨٠.

الذِّكْرَ وَحَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ ﴿١﴾: "ونفترق الخشية عن الخوف، بأنها تكون عن يقين صادق بعظمة من نخشاه، كما يفترق الخشوع، بأننا لا نخشع إلا عن انفعال صادق بجلال من نخشع له. أما الخوف فيجوز أن يحدث عن تسلط بالقهر والإرهاب، كما أن الخضوع قد يكون تكلفاً عن نفاق وخوف تقيّة ومداراة. والعرب تقول: خشع قلبه، ولا تقول خضع، إلا تجوراً" (٢).

ومنه أيضاً قولها، في توضيح سرّ العدول عن أنفقت إلى أهلك في قوله عز وجل: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾ (٣): "ولم يقل أنفقت مع قربها، وذلك لأن الإهلاك أولى بالغرور والطغيان، وأنسب لجو المباهاة والفخر المسيطر على المقام" (٤). وقولها، لافتة الانتباه إلى سرّ البيان في استخدام (عليهم) بدلاً من (فوقهم) في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ\* فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ (٥)،: "تلمح من سرّ البيان فيها، أن "عليهم" تفيد الإطباق الملاصق المباشر، ولا يمكن أن تقوم مقامها "فوقهم" مثلاً، لاحتمال أن تكون الفوقية غير ملاصقة ولا مطبقة ملابسة" (٦). وتتابع موضحة الأصل اللغوي لكلمتي (الإيصاد) و (العمد)، والمعاني التي وردتا بها في القرآن.

نخلص مما تقدم، إلى أن دراسة الدكتورة عائشة عبد الرحمن، تتسم بالموضوعية الواضحة، إذ تتطلق من الأصل اللغوي في استعمال العرب، وترصد استخدام الكلمة المدروسة في القرآن كله، ومن ثم تفرغ للدلائل النفسية التي تبثها المفردة المنتقاة من بين مفرداتها. فتطبيقها البياني معتمداً على الناحية اللغوية. ولا تخوف من هذا المنهج أو القول

١ - سورة يس: ١١.

٢ - عبد الرحمن، د. عائشة، الإعجاز البياني للقرآن: ص ٢٠٩.

٣ - سورة البلد: ٦. واللبد الكثير بعضه فوق بعض.

٤ - عبد الرحمن، د. عائشة، التفسير البياني: ج ١/ ١٨٠.

٥ - سورة الهمزة: ٨-٩.

٦ - عبد الرحمن، د. عائشة، التفسير البياني للقرآن: ج ٢/ ١٨١، ويُنظر ص ١٨٢. وقد سبق كلامها على هذا الأمر في تفسيرها لقوله تعالى: ﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّوَصَّدَةٌ ﴾ [البلد: ٢٠]. يُنظر التفسير البياني للقرآن: ج ١/ ١٩١.



بأنه يُغفل جوانب القرآن المتعدّدة من أسرار الإعجاز في معانيه وتشريعاته، وأحكامه ومبادئه للحياة الإنسانيّة؛ لأنّه منهجٌ يتّخذ من النّصّ القرآنيّ مادّةً للدراسة الأدبيّة كالنّصّ الشعريّ أو النثريّ، لأنّ دراسة النصوص الأدبيّة تعتمد على الذوق اللغويّ الذي يتفاوت من شخص لآخر بتفاوت ثقافته<sup>(١)</sup>، بل نقول إنّ هذا المنهج يعدّ تمهيداً لفهم القضايا الدينيّة أو تكميلًا لعلوّ شأنها، فالشكّل ضرورة لا غنى عنها، والدّارس البيانيّ لا يدّعي أنّ دراسته بديلٌ من التّشريع، كما أنّ التّفاوت أمرٌ مهمّ، ونرى أنّ الموضوعيّة في الدّرس البيانيّ للقرآن الكريم لا تخالف الحقيقة ولا تُغفل مظاهر الإعجاز الأخرى، ولا تستبعد قدسيّة النّصّ<sup>(٢)</sup>.

١ - الشايع، محمد بن عبد الرحمن بن صالح، الفروق اللغويّة وأثرها في تفسير القرآن الكريم، ط/١، مكتبة العبيدكان، الرياض، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ص ٢١٠-٢١١. ويُنظر القطّان، مناع، مباحث في علوم القرآن: ص ٣٧٤.

٢ - يُنظر ياسوف، د. أحمد، دراسات فنيّة في القرآن، ط/١، دار المكتبي، دمشق، ٢٠٠٦م: ص ٩١.

## - الدكتور عبد الله دراز والوحدة الموضوعية في القرآن:

تحدّث الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه "النَّبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن" عن بلاغة القرآن وإعجازه، وتناول بالتحليل، كغيره من الدارسين، اللفظة القرآنية و التركيب القرآني، واستخرج بعض الأسرار البلاغية في القرآن. ويُعتبر كتابه "النَّبأ العظيم"، الذي ألفه سنة (١٩٣٣م)، كتاباً فريداً في منهجه الذي اتبعه في دراسة هذه القضية والإقناع بها، ذلك لأنه كما يقول عنه: "حديثٌ يبدأ من نقطة البدء، فلا يتطلب من قارئه انضواءً تحت رايةٍ معيّنة، ولا اعتناقاً لمذهبٍ معيّن، ولا يُفترض فيه تخصصاً في ثقافةٍ معيّنة، ولا حصولاً على مؤهلٍ معيّن، بل إنه يناشده أن يعودَ بنفسه صفحةً بيضاء؛ إلباً من فطرةٍ سليمة، وحاسةٍ مرهفة، ورغبةٍ صادقةٍ في الوصولِ إلى الحقِّ في شأنِ هذا القرآن..."<sup>(١)</sup>.

والبحوث التي تضمّنها كتابه، تمثّل مرحلتين متتابعتين في البحث؛ المرحلة الأولى، دراسة تمهيدية خارجة عن جوهر القرآن. والمرحلة الثانية، دراسة في جوهر القرآن؛ هدفها إثبات الإعجاز القرآني من أي المناحي أتجهنا إليه؛ سواء في ناحية أسلوبه (الإعجاز البياني)، أو ناحية علومه ومعارفه (الإعجاز العلمي)، أو ناحية أثره الذي أحدثه في العالم وغير به التاريخ (الإعجاز التشريعي). وسوف يتّجه اهتمامنا، بطبيعة الحال، إلى الإعجاز البياني للقرآن الكريم، باعتباره هدفنا الأول في هذه الدراسة، وهو الوجه الذي فصل فيه دراز القول.

صاغ دراز حديثه عن الإعجاز البياني للقرآن الكريم في صورة حوار هادئ، يناقش ويقنع، دون تعسف أو انفعال، واستعرضت دراسته في مرحلتها الأولى الشبهات النظرية التي يُمكن أن تثار حول الموضوع<sup>(٢)</sup>، وبعد أن شعر أنه قد بلغ المدى الذي ينزع كل شبهة، ويمحو كل شك انتقل إلى الدراسة التطبيقية؛ ليكشف عن خصائص النصّ القرآني نفسه، وسماته التي كان بها معجزاً.

١ - دراز، د. محمد عبد الله، النبأ العظيم: ص ٨.

٢ - دراز، النبأ العظيم: تنتظر هذه الشبهات في الصفحات، ٨٠-٨٣-٨٥-٨٩-٩٤.

وتجلت هذه الدراسة في حديثه عن ناحيتين تمثلان القشرة السطحية للجمال القرآني؛ الناحية الأولى، الجمال التوقيعي في توزيع الحركات والسكنات. والناحية الثانية، الجمال التنسيقي في رصف الحروف وتأليفها على جهة ذات توافق وانسجام. وفي حديثه عن الجانب المعنوي وجماله، ويسميه اللب الداخلي، وهو أعظم في الإعجاز البياني، إذ "اللغات تتفاضل من حيث هي بيان، أكثر من تفاضلها من حيث هي أجراس وأنغام"<sup>(١)</sup>. ثم تحدث عن خصائص القرآن البيانية ورتبها على أربعة مراتب، هي على النحو الآتي:

١- القرآن في قطعة قطعة منه. ويعني بالقطعة ما يؤدي معنى تاماً، يؤدي عادة في بضع آيات، وقد يؤدي في آية طويلة أو سورة قصيرة، وهو الحد الأدنى في التحدي.

٢- القرآن في سورة سورة منه.

٣- القرآن فيما بين بعض السور وبعض.

٤- القرآن في جملته.

ويبدأ تفصيل القول في المرتبة الأولى؛ فلا يرى في وصف الأسلوب القرآني وصفاً أفضل من "أنه تلتقي عنده نهايات الفضيلة كلها على تباعد ما بين أطرافها"<sup>(٢)</sup>، ويذكر أن القرآن الكريم يمتاز بما يأتي:

- "القصد في اللفظ"، "الوفاء بحق المعنى".

- "خطاب العامة" و "خطاب الخاصة".

- "إفناع العقل" و "إمتاع العاطفة".

- "البيان" و "الإجمال".

ويأتي بنموذج قرآني على كل ميزة منها، "لكي يفتح الباب إلى احتدائه في سائر القرآن". فعلى ميزة "البيان و الإجمال" يقدم مثالا قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ

١ - دراز، د. محمد عبد الله، النبأ العظيم: ص ١٠٦.

٢ - المصدر السابق: ص ١٠٨.

حِسَابٍ<sup>(١)</sup>، يقول: "فهذه الكلمة علي ما بها من وضوح في المعنى، إلا أن بها من المرونة ما يبيح لنا أن نذهب في معناها مذاهب متعددة؛ فإذا قلنا في معناها: إنه سبحانه يرزق من يشاء بغير محاسب يحاسبه ولا سائل يسأله، لماذا يبسط الرزق لهؤلاء ويُقدِّره على هؤلاء؟ أصبنا، ويكون هذا الكلام تقريراً لقاعدة الأرزاق في الدنيا، وأن نظامها يجري وفقاً لمشيئة الله وحكمته في الابتلاء، وفي ذلك تسلية لفقراء المسلمين، واستصغار لنفوس المغرورين من المترفين. ولو قلنا: إنه يرزق بغير تقدير ولا محاسبه لنفسه عند الإنفاق خوف النفاق، أصبنا، ويكون هذا الكلام تنبيهاً على سعة خزائنه، وبسطة يده جل شأنه. ولو قلنا: إنه يرزق من يشاء من حيث لا ينتظر ولا يحتسب، أصبنا، ويكون هذا تلويحاً للمؤمنين بما سيفتح الله لهم من أبواب النصر والظفر، حتى يبذل عُسرهم يُسرّاً، وقرهم غنى، من حيث لا يظنون. ولو قلنا: إنه يرزق من يشاء بغير معاتبة، ومناقشة له على عمله، أصبنا، كما أننا لو قلنا: إنه يرزق من يشاء رزقاً كثيراً لا يدخل تحت حصر ولا حساب، أصبنا، ويكون الكلام -في هذا وذاك- وعداً للصالحين، إما بدخول الجنة بغير حساب، وإما بمضاعفة أجورهم أضعافاً كثيرة لا يحصرها العد<sup>(٢)</sup>.

فالدكتور دراز رأى أن الجملة الواحدة في القرآن، أعطتنا الكثير من المعاني كلها صحيح، أو محتمل للصحة. ولهذه السمة في القرآن -البيان والإجمال- "وسع الفرق الإسلامية على اختلاف منازعها في الأصول والفروع، ووسع الآراء العلمية على اختلاف وسائلها في القديم والحديث"<sup>(٣)</sup>.

وقدم الدكتور محمد عبد الله دراز، رأياً في الإيجاز والإطناب، يخالف فيه ما ذهب إليه علماء البلاغة المتأخرون، الذين قسموا الكلام البليغ على "مساو" و "موجز" و "مطنب"، إذ رأى أن القرآن الكريم إيجازٌ كلّه، "لأنه يستثمر دائماً برفقٍ أقل ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني، وتلك ظاهرة بارزة فيه كلّه، يستوي بها مواضع

١ - سورة البقرة: ٢١٢.

٢ - دراز، د. محمد عبد الله، النبأ العظيم: ص ١١٧-١١٨.

٣ - المصدر السابق: ص ١١٨.

إجماله، التي يسميها الناس "مقام الإيجاز"، ومواقع تفصيله التي يسمونها "مقام الإطناب".  
"فليس في القرآن كلمة إلّا وهي مفتاحٌ لفائدةٍ جليّة، وليس فيه حرف إلّا جاء لمعنى" (١).

ويرى أنّ هذه الحقيقة يجب أن تكون ماثلةً في ذهن الدّارس لكتاب الله، وعليه أن يحوّص في طلب أسرارهِ البيانيّة، وأن يدع تلك الدّعاوى التي تزعم أنّ بعض الكلمات القرآنيّة "مُحمّمة"، أو أنّ بعض حروفه "زائدة" زيادةً معنويّة. أو تلك الأقوال التي تستخفّ كلمة "التّأكيد" فترمي بها في كلّ موطن تظنّ فيه الزيادة، لا تبالي أنّ تكون تلك الزيادة فيها معنى المزيّد عليه فتصلح لتأكيدهِ أو لا تكون، ولا تبالي أنّ يكون بالموضوع حاجةً إلى هذا التّأكيد أو لا حاجة له به، فإن عمّي على الدّارس وجه الحكمة في كلمةٍ منه أو حرف، فلا يعجل، ولكن ليقل: الله أعلم بأسرار كلامه، وأنّ يجدّ في الطلب فعسى الله أن يفتح عليه باباً من الفهم، يكشف به شيئاً ممّا عمّي عليه (٢).

وأورد الكثير من النّماذج القرآنيّة لإبراز هذا الجانب البيانيّ، وتعمّد أنّ تكون هذه النّماذج جديدةً غير واردة في كتب الأسلاف. إذ لفت الانتباه إلى "أنّه سيأتي بأمثلةٍ من عرض القرآن في معنى لا يابّه له النّاس ولا يقع اختيارهم على مثله عادةً" (٣).

من هذه النّماذج نذكر النّمودج الذي أورده لبيّن أنّ سرّ الإيجاز في القرآن لا يقف عند اجتناب الحشو والفضول، وانتقاء الألفاظ الجامعة المانعة التي هي، بطبيعتها اللغويّة، أتمّ تحديداً للغرض وأعظم اتّساعاً لمعانيه، بل يمتد إلى حذف شيءٍ من أصول الكلام وأركانه التي لا يتمّ الكلام في العادة بدونها، وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ\* أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلَانَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (٤)، يقول مبيناً المعنى في ثوبه الطبيعي: "تبّوني عن حالكم إنّ جاءكم العذاب بغتةً في ليلٍ أو نهارٍ، ماذا أنتم صانعون؟ إنّكم بين أمرين: فإمّا الإصرار على ما أنتم عليه

١ - دراز، د. محمد عبد الله، النّبأ العظيم: ص ١٢٧-١٣٠.

٢ - المصدر السابق: يُنظر كلامه ص ١٣٠-١٣١.

٣ - دراز، د. محمد عبد الله، النّبأ العظيم: ص ١١٩.

٤ - سورة يونس: ٥٠-٥١

الآن من تكذيب واستعجال، وإمّا الإيمان. فأيهما تختارون؟ "أستعجلون" بالعذاب يومئذٍ كما تستعجلون به اليوم؟ كلّاً، فإنكم مجرمون، وكيف ينتشوق المجرم لرؤية العذاب الذي إن جاء فهو لا محالة مؤقّعه؟ ثمّ نبئوني أيّ نوع منه تستعجلون؟ فإنه ليس نوعاً واحداً، بل هو ألوان وفنون. "أم" أنتم اليوم تكذبون ثمّ إذا وقع بعد حين آمنتم به؟ ألاً إنه لن ينفعمكم يومئذٍ إيمانكم بعد أن ماطلتم وسوفتم، حتّى ضيَعتم الفرصة، وفاتكم وقت التدارك. بل هناك يُقال لكم تنديماً وتحسيراً: الآن تؤمنون وقد كنتم به تكذبون وتستعجلون!!"

ويتابع موضحاً جماليّة هذا الحذف، ومؤكّداً إعجازه، وأننا لا نظفر بمثل هذا الحذف في الأدب الإنسانيّ: "فانظر كم من كلمةٍ وكم من جملةٍ طُويت في صدر الكلام وفي شقيّه؟ وكيف أنها حين طُويت لم يُترك شيءٌ منها إلّا وقد جُعِل في اللفظ مصباحٌ يكشفُ عنه ومفتاحٌ يوصل إليه؟ فوضعُ استفهامين متقابلين في الكلام دلٌّ على أنّ هنالك استفهاماً جامعاً لهما مردداً بينهما، يقال فيه: ماذا تصنعون، وأيّ الطّريقتين تسلكون؟ والاستفهامُ عن الصّنف المستعجل به من العذاب دلٌّ على استفهام تمهيدي قبله عن حصول أصل الاستعجال، وكلمة "المجرمون" دلّت على استحالة هذا الشق من التّريديد، وكلمة "ثمّ" العاطفة دلّت على المعطوف عليه المطوي بينها وبين الهمزة، ولفظ الظرف "الآن" دلٌّ على عامله المقدر، وقس على ذلك سائر المحذوفات... حتّى إنّ مدّة الاستفهام الدّاخل على الظرف قد دلّت على طول مدة التّسويّف الذي منع من قبول إيمانهم؛ لأنّهم عمّروا ما يتذكّر فيه من تذكر<sup>(١)</sup>.

فالدكتور دراز لم يتخيّر الأمثلة الواردة في كتب الأسلاف، وهكذا كانت النّماذج التي حلّلتها دليلاً على إحاطته بما جاء في كتب القدامى في درسيهم للقرآن الكريم، وتأكيداً على دقّة التعبير القرآنيّ ومثانة نظمه.

ثمّ انتقل دراز للحديث عن القرآن في سورة سورة منه؛ ليؤكد الوحدة الموضوعيّة في السّورة القرآنيّة؛ مع كون القرآن نزلَ نجومّاً بحسب الحوادث، وكان النّجم منها يوضع في مكان كذا من سورة كذا، ولا يُراعى فيه التّواليّ التاريخيّ للنزول، فقد ينزل نجمٌ متأخراً يوضع قبل نجمٍ متقدّم. ولم تكن الحوادث إلّا طارئة، ولم تكن مرسومةً ولا مخطّطاً لها إلّا

١ - دراز، د. محمد عبد الله، النّبأ العظيم: ص ١٤١-١٤٢.

من قبل الله خالق كل شيء، فكيف تكون من المجموع على هذه الصورة سورة متكاملة في المعاني منسجمة في المباني، دون أن يكون فيها خلل، ودون أن تغير فيها المواقع أو يُعاد فيها النظر؟! لولا أن يكون الذي أنزل القرآن وحدد لكل نجم مكانه هو خالق الأكوان ومقدّر الأحداث<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا النحو راح الدكتور دراز يقدّم البراهين ويناقشها، ليثبت إعجاز النظم القرآني، من جهة تلاحم أجزائه على الرغم من عوامل تفرّقها، ثم ختم ذلك، بأن قدّم لنا نموذجاً تطبيقياً، جاء بمثابة شاهد عيان على ما أصّله في هذا الفصل، فاختار سورة هي أطول سور القرآن كله، وأكثرها جمعاً للمعاني المختلفة، وأكثرها في التنزيل نجومًا، وأبعدها في هذا التّجيم تراخيًا، إذ كانت الفترة بين نزول أولها ونزول آخرها تسع سنين عددًا، تلك هي سورة "البقرة". وأشار قبل أن يبدأ في عرضها إلى أنه ليس من همّه أن يكشف عن جملة الوشائج اللفظية والمعنوية التي تربط بين أجزاء هذه السورة بعضها ببعض، فتلك دراسة تفصيلية لها موضعها من كتب التفسير، بل هدفه أن يعرض السورة عرضًا واحدًا، يبيّن فيه خط سيرها إلى غايتها، ويبرز به وحدة نظامها المعنوي في جملتها، لكي نرى كيف وقعت كل حلقة موقعها من السلسلة العظمى. مؤكّدًا أن السورة "مهما تعددت قضاياها، فهي كلام واحد، يتعلّق آخره بأوله، وأوله بآخره، وبتراخي بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلّق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة"<sup>(٢)</sup>، وكما أننا حين نقدّر جمال لوحة مرسومة لا نحصر نظرتنا في جزء ضيق منها بل نرجع قليلًا إلى وراء؛ ليتسع مجال الرؤية، ونحيط بالكل في نظرة شاملة، تستطيع وحدها أن تلاحظ التّناسق بين الأجزاء والتّوافق في التّركيب<sup>(٣)</sup>.

١ - دراز، د. محمد عبد الله، النبأ العظيم: يُنظر من ص ١٤٢ حتى ص ١٥٧.

٢ - المصدر السابق: ص ١٥٩.

٣ - دراز، د. محمد عبد الله، مدخل إلى القرآن الكريم "عرض تحليلي وتاريخي مقارن"، ترجمة محمد علي عبد العظيم و د. السيّد محمد بدوي، ط/٢، دار القلم، الكويت، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م: ص ١١٩ و يُنظر ما بعدها حتى ص ١٢٤.

بمثل هذه النظرة، وعلى ذلك النهج أخذ في عرض سورة البقرة، فجعل منها وحدة مترابطة، لا تخرج جملةً منها عن إطار أهدافها العامة التي تناولتها. وأوضح أن وحدتها تتألف من مقدمة وأربعة مقاصد وخاتمة؛ فالمقدمة، في التعريف بشأن القرآن، وبيان أنه لا يُعرض عنه إلّا من كان في قلبه مرضٌ. والمقصد الأول، في دعوة الناس كافة إلى اعتناق الإسلام. والمقصد الثاني، في دعوة أهل الكتاب بخاصة إلى ترك باطلهم والدخول في الإسلام. والمقصد الثالث، في عرض شرائع هذا الدين تفصيلاً، والمقصد الرابع، في ذكر الوازع الديني الذي يبعث على العمل بتلك الشرائع ويعصم من مخالفتها. والخاتمة، في التعريف بالذين استجابوا لهذه الدعوة الشاملة للمقاصد المذكورة وبيان ما يُرجى لهم في الدنيا والآخرة.

ثم بين ترابط الآيات في كل قسم من هذه الأقسام على حدة، وترابط كل قسم مع الذي يليه، وترابط المقدمة بالخاتمة، وختم حديثه بالعبارة الآتية: "لعمري لئن كانت للقرآن في بلاغة تعبيره معجزات، وفي أساليب ترتيبه معجزات، وفي نبوءته الصادقة معجزات، وفي تشريعاته الخالدة معجزات، وفي كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية (معجزات) ومعجزات، لعمري إنّه في ترتيب آياته على هذا الوجه لهو معجزة المعجزات"<sup>(١)</sup>. وقد لخص الدكتور دراز بهذه الخاتمة مجمل رأيه في الإعجاز ووجوهه المتعددة عنده وخص بالذكر ترتيب آياته في كل سورة، وفق وحدة موضوعية منسجمة منطقية منسقة.

وهكذا وبعد أن استعراضنا آراء الدكتور عبد الله دراز، وتعرفنا أبرز النقاط في درسه البياني يتبين لنا غنى كتاب "النبا العظيم" بإيراد مناحي الإعجاز البياني في القرآن الكريم، و حسن عرضه لها، بأسلوب يفصل أجزاء هذه المناحي ويناقشها، ويكثر الشواهد القرآنية على كل فكرة منها.

١ - دراز، د. محمد عبد الله، النبا العظيم: ص ٢١١.



وإنَّ المجالات التي عالجها الدكتور دراز في درسه البيانيّ وإن كان مسبوقةً إليها في أصولها<sup>(١)</sup>؛ إلّا أنّه فصلّ فيها القولَ تفصيلاً يجعلها ملائمةً للعصر الحديث، كتفصيله في حسن تأليف القرآن، في الآية منه وفي السورة، وفي عدّة سور فيما بينها، وفي القرآن كلّه وعرضه من ذلك الدِّفاع عن القرآن وتقوية الإيمان به، فقد هُوجِم القرآن في العصر الحديث أكثر من قبل في أنّه يفقدُ وحدة الموضوع في مجموعته وفي كلّ سورة منه وفي ترابط هذه السور بعضها ببعض، فتصدّى دراز للدِّفاع عنه، واستطاع أن يحول الاتهام إلى وجهٍ من وجوه الإعجاز وصفه بأنّه أعظمها وبرهنَ على ذلك. وقد أحسنَ دراز حين اختار لإثبات رأيه هذا، سورة البقرة، لأنّها أكثرُ السور تعرضاً لمهاجمة الخصوم لطولها، وتباعدِ أوقات النزول بين أولِ آيةٍ نزلت منها وآخر آيةٍ، وقد بيّن لنا في تحليله بياناً منطقيّاً واضحاً كيف تنقسم إلى مقدّمة وأربعة مقاصدٍ وخاتمة، وأوضح ترابط هذه الأقسام كلّها، وأنكرَ رأي من يجدون في القرآن اقتضاباً وانقطاعاً، وبذلك أسهم في دفع تهمة كبيرة وجّهت إلى القرآن وهي فقدانها الوحدة الموضوعيّة في كلّ سورة منه وفيه جميعه.

### - الدكتور تمام حسّان و المنهج اللغوي (التنظير والتطبيق):

قدّم الدكتور تمام حسّان درسه البيانيّ للقرآن الكريم في كتابه "البيان في روائع القرآن" بجزأيه الأوّل والثاني، الذي ضمّنه تأملات بعين اللغويّ وقلب الأديب لما اشتمل عليه النصّ القرآنيّ من مباني اللغة ومعاني الأدب. محاولاً أن يكشف عن سرّ الجلال، ومجلى الجمال في القرآن الكريم.

حدّد الدكتور تمام في مقدّمة كتابه بعض المصطلحات التي تستحق الشرح والإيضاح في رأيه؛ حتّى لا تضيع الفائدة من قراءة القارئ الجاد بسبب غموض

١ - سبق الشاطبي في كتابه (الموافقات)، دراز في الكلام على الوحدة الموضوعيّة، وقد استنارَ دراز برأيه، وفصلّ حيث أوجز الشاطبي؛ فأحسن التفصيل والإقناع. تُنظر إشارته إلى استنارته بكلام الشاطبي في كتابه النبأ العظيم: ص ١٥٩.

المصطلح<sup>(١)</sup>. وقد اختلف الجزء الأول من كتابه إلى حد ما عن الجزء الثاني من حيث الطابع، إذ دار الجزء الأول حول الجانب التركيبي من الكلام على حين دار الجزء الثاني حول الجانب المفهومي والأسلوبي. وواضح "أن الجانب التركيبي عرفي واجتماعي، وأن الجانب الأسلوبي فردي مخالف لأصول الاستعمال. من هنا نجد فصول الجزء الأول تدور حول القرائن والنمط التركيبي والصحة وغير ذلك من جوانب العرف اللغوي. ونجد الجزء الثاني يشتمل على فصول تدور حول مفهومات مثل العدول، والمقاصد الأسلوبية، وأساليب التوجيه، ومضامين السور وبعض قصص الأنبياء في القرآن الكريم"<sup>(٢)</sup>.

وقد قسم الدكتور تمام حسان الجزء الأول من كتابه على خمسة عشر فصلاً، الفصول الستة الأولى حول بعض القرائن في التركيب القرآني، هي بالترتيب: "الإعراب، البنية، الرتبة، التضام، الربط، السياق". والفصول التسعة الباقية تناولت الموضوعات الآتية: تأملات في القيم الصوتية في القرآن الكريم، الرخصة في التركيب، تنوع معاني مشتقات المادة الواحدة، فروق في معاني المفردات القرآنية، النمط التركيبي في القرآن الكريم، ألفاظ وعبارات مختارة، العلاقات الملحوظة في النص القرآني، الصحة والجمال في النص القرآني، صفات القرآن في القرآن.

ويضيق المقام بنا عن متابعته في كل فصل من هذه الفصول لذلك سنتعرف منهجه في التناول البياني بمتابعته في الفصل السابع "تأملات في القيم الصوتية في القرآن الكريم"، و الفصل العاشر "فروق في معاني المفردات"، لصلتهما بالدرس البياني، ولوفرة الجانب التطبيقي فيهما.

بدأ الدكتور تمام حسان الفصل السابع بتوضيح ما عناه بالقيم الصوتية، يقول:

"تعني بالقيم الصوتية تلك الخصائص التي تتميز بواسطتها الأصوات ويتعلق بها نوع من

١ - المصطلحات التي حددها هي: المبنى أو البنية، المعنى الوظيفي، المعنى المعجمي، القرينة اللفظية، القرينة المعنوية، قرينة السياق، الرخصة، الأسلوب العدولي، تعدد المعنى بحسب الأصل، تعدد المعنى بحسب النقل. يُنظر تحديده للمصطلحات في حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن، ط/٢، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠م: ج ١/٨-١٤.

٢ - حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن: ج ١/١٥.

المعاني يُسمى المعاني الطبيعيّة" والتي يكون "تأثيرها في وجدان السّامع مثل النّعمة الموسيقيّة تطرب لها ثم لا تستطيع أن تقول لمَ طربت"<sup>(١)</sup>. ونسب إلى الأسلوب القرآنيّ عددًا من هذه القيم تناول بالدراسة منها، الإيقاع، والفاصلة، والحكاية، والمناسبة، وحسن التّأليف. ومهدّ لكلّ فقرةٍ من الفقرات بتمهيدٍ نظريّ، أتبعه بمجموعةٍ من الشّواهد التّطبيقيّة، محللاً إيّاها تحليلاً وافياً.

ففي حديثه عن "الحكاية" على سبيل المثال، بيّن الاحتمالات التي ترد على معناه الاصطلاحي عند إطلاق هذا اللفظ، يقول: "فقد يرد على الذّهن حكاية اللفظ المسموع، وقد يرد عليه حكاية الجملة بعد القول على صورتها عند سماعها، وقد يرد عليه ما عرفه اللغويّون العرب باسم "حكاية الصوت للمعنى" بحيث يوحى جرس أصواتها بمعناها الذي رُصد لها في المعجم، وثمة أمر رابع لم يُعرف باسم "الحكاية" غير أنّ اختيار الكلمات يقع فيه لجرسها وإن كان هذا الجرس لا يتفق مع المعنى المعجمي ويوصف هذا النوع بأنّه "حسن الجرس" وإن كان لا يحكي شيئاً بعينه"<sup>(٢)</sup>. وأشار إلى أنّه في دراسته سيّلم بأيّ واحدٍ من الأنواع الأربعة حيثما وُجد في النّصّ القرآنيّ. وأوّل ما صادفَه استعمالُ التّشديد بعد قلب التّاء من جنس ما بعدها، وأوضح بالتّحليل المعاني التي تدلّ عليها، من ذلك مثلاً بيانه لمعنى "الاستعصاء على الهدى" في كلمة (يَهْدِي) من قوله تعالى: ﴿أَمَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾<sup>(٣)</sup>، يقول: "في هذه الآية نرى التّاء تتقلب إلى حرفٍ من جنس ما بعدها وهو الدّال، ثمّ تُدغم فيها لأنّ أصل الفعل "يهتدي"، وكانّ التّشديد قد جاء هنا ليبلغ رسالةً خاصّةً تدور حول ملحظ في استعمالِ الفعل هو الدّلالة على أنّ هذا الشّخص المُشار إليه لا يهتدي بنفسه، وأنّه إذا جاء من يقوده إلى الطريق السّوي لم يُسلس قيادته له، فكأنّ وصوله إلى الهداية آخر الأمر يأتي بعد أخذٍ وردّ، وكانّ الذي ندب نفسه لهديته يأخذ بيده جذباً إلى الغاية المرجوة، لكنّه يحاولُ الإفلات منه، فما يصل به إلى الغاية إلّا بعد مشقة. هذا ما يوحى به السّكون الذي يسبق الحركة في التّشديد

١ - حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن: ج ١/١٧٥.

٢ - المصدر السابق: يُنظر بالتفصيل ج ١/٢٠٢.

٣ - سورة يونس: ٣٥.

وهو إichاء من طريق الحكاية<sup>(١)</sup>. وبهذا فقد بيّن ما للتماثل الناتج عن الإبدال والإدغام من دلالة معنوية توحى بالحالة النفسية التي تعترى من نتحدث عنه الكلمة.

ومن ذلك أيضاً بيانه لمعنى "المبالغة في إيقاع الفعل" الذي التمسّه في كلمة "يصطرخون" من قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾<sup>(٢)</sup>، يقول: "فكأنّ ارتفاع أصواتهم بالصراخ ومشاركتهم جميعاً فيه وتكرار ذلك منهم لا يكفي أن يُعبّر عنه بالفعل المجرد فيقال مثلاً: "وَهُمْ يَصْرُخُونَ فِيهَا" فجاءت تاء الافتعال لتدلّ على المبالغة في إيقاع الحدث، وقد قصد لها أن تجاور الصاد المطبقة فتحوّل بالمجاورة إلى التّفخيم ليكون في تّفخيمها فضلُ المبالغة في إيقاع الفعل"<sup>(٣)</sup>. فهو يذكر العلاقة القائمة بين الصّوت والمعنى، ويلفت الانتباه إلى السّرّ في عدول البيان القرآنيّ عن (الصراخ) إلى (الاصطراخ).

وبعد أن أورد مجموعة من الشواهد القرآنية تدرج تحت هذه الظاهرة، انتقل للحديث عن دور المحسنات اللفظية كالجناس التام والناقص، والمشاكله في اللفظين وما أشبههما من المحسنات في إثارة القيم الصوتية وظاهرة الحكاية في نفس المتلقي. وبيّن أن النصّ القرآنيّ يُحسن استعمال ذلك، ويحمّله من الأغراض ما لا يمكن الوصول إليه إلّا من خلاله، وقدّم طائفة من الشواهد القرآنية على ذلك<sup>(٤)</sup>. ثمّ تحدّث عن الطّاقة الإيحائية للصوت المتجلية في إبداع القرآن ألفاظاً لم تكن من قبل، أو تحويل ألفاظٍ عن معانيها التي كانت لها إلى معانٍ أخرى تتناسب مع إichاء أصوات الألفاظ. من الأمثلة التي أوردتها في هذه الفقرة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ \* لَأَكْلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ﴾<sup>(٥)</sup>، فبيّن ما يوحيه هذا اللفظ من أمرين كلّ منهما كريبه، وهما: "اشتراك مادّة "ز ق م" مع مادّة "س ق م" في كلّ شيء إلّا اختلاف الزّاي والسّين من حيث الجهر والهمس، ومن هنا

١ - حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن: يُنظر بالتفصيل ج ١/٢٠٣-٢٠٤.

٢ - سورة فاطر: ٣٧.

٣ - حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن: ج ١/٢٠٤.

٤ - يُنظر مجموعة من الشواهد في البيان في روائع القرآن: ج ١/٢٠٦-٢٠٨.

٥ - سورة الواقعة: ٥١-٥٢.

يوحي "زقوم" بالسقم". و "توالي القاف (التي يقرب مخرجها من البلعوم)، والميم (التي يقتضي نطقها إقفال الشفتين) يوحي بأن ثمرة هذه الشجرة تستعصي على البلع ويطول استعصاؤها بإيحاء تشديد القاف وطول الواو التي بين القاف والميم، ويضاف إلى ذلك مشاركة هذه الكلمة لكلمة "قمة" في حرفين من حروفها مما يعزّز فكرة إرادة البلع مع المشقة. واشتمال اللفظ على الزّاي والقاف وهما الحرفان اللذان في "زق" الطائر فرخه"<sup>(١)</sup>.

فالدكتور تمام حسان استجلى إيحاء لفظة "الزقوم" بمنهج موضوعي وبمعياريّة واضحة بعيداً عن الذوق الشخصي. وبعد تحليله لمجموعة من الشواهد القرآنيّة<sup>(٢)</sup> حول الطّاقة الإيحائيّة للصّوت انتقل إلى دراسة إيحاء من نوع آخر لا يعود إلى أصوات الكلمات، بل يعود إلى الدلالات الهامشية للألفاظ والعبارات، فما كان من هذا الإيحاء حسناً جاء حرص النصّ عليه بالألفاظ، وما كان سيئاً ممجوجاً اطّرح النصّ ما يؤدّي إليه من ألفاظ أو عبارات. من ذلك مثلاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾<sup>(٣)</sup>، إذ "تجنّبت الآية لفظ "سيدته" تكريماً له وتحقيراً لها، وهذا شبيه بما في الآية الأخرى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِمَرْأَتِهِ﴾<sup>(٤)</sup> فليس هو سيّداً ليوسف وليست هي سيّدة له. ومما يدل على إرادة تجنّب لفظ السّيادة في حالة يوسف بذاته قوله تعالى: ﴿وَأَلْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾<sup>(٥)</sup>، فجعله سيّدها ولم يجعله سيّده. أمّا قول يوسف: ﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾<sup>(٦)</sup> فذلك كلام يوسف وليس كلاماً عن يوسف"<sup>(٧)</sup>.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الدكتور تمام حسان استشهد بهذه الآية في موطن آخر من كتابه في الفصل الرابع عشر "الصّحة والجمال في النصّ القرآني" في سياق حديثه عن

١ - حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن: ج ١/٢٠٩.

٢ - حلّ في هذه الفقرة ثمانية شواهد. يُنظر هذا التّحليل في البيان في روائع القرآن: ج ١/٢٠٩-٢١٢.

٣ - سورة يوسف: ٢٣.

٤ - سورة يوسف: ٢١.

٥ - سورة يوسف: ٢٥.

٦ - سورة يوسف: ٢٣.

٧ - حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن: ج ١/٢١٤.

مستوياتٍ من جمال الأداء القرآنيّ فذكر هذه الآية في مستوى المفردات، وبيّن أنّ أمرين حالاً دون مناداتها "يا سيدي" في الأسلوب القرآنيّ: "الأول أنّ يوسف كان مؤهلاً أن يكون نبياً في المستقبل القريب ومن ثمّ كان من غير المستحب أن يُقال: وراودته سيّدته عن نفسه. والثاني أنّ هذه المرأة لم تُحافظ على وقار السيّادة إذ عرضت نفسها على رجلٍ من رقيق زوجها أصغر منها سنّاً بعد أن وصّاه زوجها بإكرام مثواه ليكون كالولد لهما"<sup>(١)</sup>. ومن هنا كان أصدق تعبيرٍ عن علاقة يوسف بهذه المرأة أنه كان في بيتها.

فهو يوضّح وجه الحسن في اختيار المفردة القرآنيّة دون غيرها من المفردات، وبلغت الانتباه إلى الأثر النفسي المترتب على هذا الاختيار. وهذا ما نجده في معظم تحليلاته البيانيّة، فهو لا يلجأ في درسه للآيات القرآنيّة إلى العبارات العامّة، بل يبيّن موقع الحُسن في كلّ كلمة، ويُرِي القارئ رأي العيان الأسباب والعِلل التي أدّت إلى هذا الاستخدام للفظ أو إلى تلك الطريفة في التعبير.

وعلى هذا النهج في الدرس سار في معظم فصول كتابه، وقد تبدّى هذا النهج على نحوٍ واضح في الفصل العاشر "فروق في معاني المفردات القرآنيّة"، الذي بدأه بالحديث عن أنواع المعاني، فذكر أنّ الحروف والأدوات ومفردات المعجم مهما بلغ عددها تبقى محدودة العدد، أمّا المعاني فلا حصر لها. وأشار إلى أنّ قلة الألفاظ وكثرة المعاني سببٌ من أسباب إنكار الترادف لأنّ الترادف عكس تعدّد المعنى للفظ الواحد، وأنّ بعض علماء اللغة رأى أنّ الترادف يحمل في طيّه إسرافاً وعبثاً لأنّه يجمع عدداً من الألفاظ على واحدٍ من المعاني<sup>(٢)</sup>. ومن هنا نشأت كتب الفروق لإقامة الدليل على أنّ كلّاً من المترادفين المزعومين يشتمل على ظلٍ من المعنى لا يشتمل عليه اللفظ الآخر<sup>(٣)</sup>.

١ - المصدر السابق: ج ٢/٤٣٥.

٢ - المصدر السابق: يُنظر ج ١/٢٨٩.

٣ - يُنظر العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، الفروق في اللغة، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط/٥، دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م: ص ١٦.

انطلاقاً من هذه النظرة إلى الترادف، عمد الدكتور تَمَام حَسَّان إلى تتبع هذه الظاهرة بتأمل ما يعدُّ من صور الترادف في ألفاظ القرآن الكريم سواءً في مجال المعنى الوظيفي أم في مجال المعنى المعجمي، ووصل من ذلك إلى موقفٍ شبيهٍ بموقفٍ مُنكري الترادف والقائلين بأنَّ لكلِّ لفظٍ ظلَّهُ الخاصَّ من المعنى. وبدأ أولاً بما زعمه النحاة من تعدد الأدوات على المعنى الوظيفي الواحد كقولهم بتعدد الأدوات لإفادة النَّفي دون التَّفطن لخصوصية الاستعمال، وقولهم بتعدد الأدوات لإفادة الشرط دون التَّفريق بين الضلال المختلفة للشرط. واستشهد في كلِّ حالة بآيات القرآن الكريم لبيان اختصاص كلِّ لفظٍ بظله من المعنى<sup>(١)</sup>.

ثمَّ انتقل إلى مفردات المعجم، فأشار إلى عملِ المعاجم التي تنسب إلى كلِّ مفردة أكثرَ من معنى وتظلُّ هذه المعاني كلها موضع احتمالٍ حتَّى تُوضع المفردة في سياق نصٍّ، فإذا وضعت تحدَّد لها واحدٌ من المعاني بفضلٍ ما يحيط به من القرائن. فمَن أراد أن يصلَ إلى الفروق اللغوية بين المفردات فعليه أن يبدأ باستقراء النصوص لرصد الفروق أو لتحريير المعاني الدَّقيقة، وتطبيقاً لهذه الفكرة اختارَ بعضَ مفردات القرآن الكريم<sup>(٢)</sup> وسجَّل ما بينها من فرق في المعنى أخذاً من سياق النَّصِّ القرآنيِّ.

من المفردات التي اختارها، وبَيَّن الفروق الدَّقيقة بينها، نورد تفرقة بين اسمين من أسماء الله الحسنى من أصلٍ واحدٍ هما: (الرَّحْمَنُ والرَّحِيمُ)، إذ عمد إلى استقراء النصوص القرآنيَّة، ليرصد الفروق بينهما، ويحرر المعاني الدَّقيقة لكلِّ منهما، يقول: "أولُّ ما يتبادر إليك عند النَّظر إلى هذين اللفظين اشتراكهما في أصل الاشتقاق والتعبير عن اتصافه تعالى بالرحمة، ولا اعتراض لنا على هذا الانطباع المباشر، ولكنك إذا تجاوزت ذلك إلى استقراء النَّصِّ القرآنيِّ في السُّور المختلفة ظفرت باختصاص كلِّ من اللفظين باستعمالاتٍ خاصةٍ تحدَّد لكلِّ منهما توارداً مع بعض الألفاظ التي لا يتوارد معها اللَّفظُ الآخر وذلك على النَّحو الآتي: الرَّحْمَنُ يُخشى منه ومن عذابه وليس الرَّحِيمُ كذلك [يس:

١ - حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن: يُنظر مجموعة من الشواهد القرآنية ج/١-٢٩٠-٢٩٣.

٢ - يُنظر مجموعة من المفردات التي فرق بينها، في البيان في روائع القرآن: ج/١-٢٩٤-٣٢٥.

[١١]، والرَّحْمَنُ خالق الكون ولا يرد الخالق مع الرحيم [الملك: ٣]، والإنسانُ يعودُ بالرحمن ولا يقولُ أعوذُ بالرحيم [مريم: ١٨]، والنَّذْرُ أينما يكون للرحمن [مريم: ٢٦]، والشيطانُ يعصي الرَّحْمَنَ الذي تجب طاعته ويُخشى عذابه [مريم: ٤٤ - ٤٥]، والرَّحْمَنُ يُسجد له ولم يُقَلْ مثلُ ذلك في الرَّحِيمِ [الفرقان: ٦٠]، ويُنسَبُ العبادةُ إلى الرَّحْمَنِ ولم يُنسبوا إلى الرَّحِيمِ [الفرقان: ٦٣]، وتابع إيراد هذه المعاني حتى أورد عشرين استعمالاً خاصاً بلفظ الرَّحْمَنِ دون الرَّحِيمِ<sup>(١)</sup>، تدلُّ كلُّها على أنَّ الرَّحْمَنَ هو المتصفُ برحمة الهيمنة التي يُنسبُ إليها كلُّ ما ذكره من المعاني.

أمَّا (الرَّحِيمُ) "فرحمته تقترن بالتوبة، [البقرة: ١٦-١٢٨-٣٧] والرأفة، [البقرة: ١٤٣- التوبة: ١١٧- النمل: ٧]، والمغفرة، [البقرة: ١٧٣- آل عمران: ٨٩]، والود، [هود: ٩٠]، والبر، [الطور: ٢٨]"، ومضى يستشهد بالكثير من الآيات القرآنية الوارد فيها لفظ (الرَّحِيمِ) مبيناً أنَّ لفظ (الرَّحِيمِ) يأتي في صفة لفظ (العزیز) إمَّا في سياق الوعد بالنصر، أو في طلب التوكُّل، أو الكلام على تنزيل الكتاب<sup>(٢)</sup>. لينتهي إلى أنَّ هناك فروقاً واضحة في المعنى بين لفظتي (الرَّحْمَنِ) و (الرَّحِيمِ) على الرغم من اشتراكهما في الاشتقاق و الوصف بالرحمة.

والواقع أنَّ ما ذكره الدكتور تمام حسَّان في معاني صفتي الرَّحْمَنِ والرَّحِيمِ، يعدُّ تأكيداً لما سبق أن أشار إليه الزمخشري بقوله: "وفي الرَّحْمَنِ من المبالغة ما ليس في الرَّحِيمِ، لذلك قالوا: رحمنُ الدنيا والآخرة، ورحيمُ الدنيا، ويقولون: إنَّ الزيادة في البناء لزيادة في المعنى"<sup>(٣)</sup>. إلَّا أننا لم نجد عند الزمخشري مثل هذا التتبع والاستقصاء.

١- حسَّان، د. تمام، البيان في روائع القرآن: تُنظر هذه المعاني مع الآيات الدالة عليها: ج ١/٢٩٤-٢٩٦.

٢- المصدر السابق: تُنظر هذه المعاني مع الآيات الدالة عليها: ج ١/٢٩٧-٢٩٨.

٣- الزمخشري، الكشاف: ج ١/٣١. ويُنظر التفريق بين لفظي (الرَّحْمَنِ) و (الرَّحِيمِ)، في ضيف، سورة الرَّحْمَنِ وسور قصار: ص ٣٤-٣٥.



وعلى هذا النهج من بيان معاني الكلمات القرآنية، والوقوف عند بنيتها وإيقاعها الداخلي، وتقليب النظر في تشكيلها الصوتي، وتوضيح دورها في جلاء الفكرة في الآيات، مضى الدكتور تمام حسّان في الجزء الأول من كتابه.

أمّا الجزء الثاني من كتابه فقد جاء في اثني عشر فصلاً، الفصول السبعة الأولى حول مفهومات في النصّ القرآني، هي "دلالة الكنائيات، مفهوم المسافة، الأسلوب العدولي، المؤشرات الأسلوبية، أساليب التوجيه، الجانب الخلفي، أسلوب الدعوة" والفصل الثامن: "النصّ القرآني يفند أكذوبة الغرائيق"<sup>(١)</sup>، أمّا الفصول الأربعة الباقية، فهي على التوالي: "تأملات في سورتي الرحمن والواقعة، قصة يوسف عليه السلام كما تعرضها السورة، بنو إسرائيل في القرآن الكريم، الهيكل النبيوي لبعض السور في القرآن الكريم"، وقد أكثرَ فيه، كما تدلّ العناوين، من دراسة الجوانب العامة، ولم يقف عند دراسات جزئية مفصلة كما في الجزء الأول. ومما يُحمد له أنه خصّص عدّة فصول لتحليل مجموعة من السور القرآنية، ودرس الهيكل النبيوي لبعض السور، وهي: سور "الفرقان، الشعراء، النمل، القصص، العنكبوت". وسنكتفي من دراسته في هذا الجزء، بالتوقّف عند تحليله لسورة "الفرقان" لنتعرّف طريقته في دراسة السور القرآنية.

١ - مضمون هذه القصة أنّ النبي ﷺ قرأ بمكة سورة النجم حتى إذا انتهى إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩]، ألقى الشيطان على لسانه: "تلك هي الغرائيق العلى وإنّ شفاعتهن تُرتجى"، فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخيرٍ قبل اليوم. ثمّ سجد ﷺ وسجدوا معه، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢]. والغرائيق: جمع غرنوق، وهو طير أبيض معروف.

وقد قدّم الدكتور تمام حسان نظرات تحليلية لأراء المفسرين في هذه القصة، وبيّن معنى عبارة "ألقي الشيطان في أمنيته"، وأكد أنّ هذه القصة كلّها إفكٌ وافتراء أُريد به الكيد للإسلام؛ بتوضيح دلالات النصّ القرآني، والرّد على بعض المزاعم الفرعية. يُنظر البيان في روائع القرآن: ج ٢/٣٢٨-٣٣٨. وممن أوردوا قصة الغرائيق وبيّنوا بطلانها الشيخ عبد الله سراج الدين، يُنظر سراج الدين، عبد الله، هدي القرآن إلى الحجة والبرهان، ط/١، مطبعة الأصيل، حلب، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م: ص ١٥٥-١٨٢.

سرد في بداية دراسته الآيات لبيّن ما قامت عليه بنية هذه السورة من دعاوى وإنكار وضرب للأمثال؛ دعوى أن الله ولدًا والردّ على ذلك، إنكار أن القرآن من مصدرٍ إلهي والردّ على ذلك، استنكار بشريّة الرّسول والحضّ على نزول الملائكة والرّود على ذلك، إنكار معرفة الرّحمن بعد نسبة الولد إليه في بداية السورة والردّ على ذلك. وأمثال يضربها الله تعالى من ثلاثة أنواع: هي مصائر الكافرين، والتذكير بخلق الله، والتعريف بعباد الرّحمن. ثمّ بيّن الهيكل النبيوي للسورة، أي الموضوع الواحد الذي دارت حوله آيات هذه السورة قائلاً: "ومعنى أن للسورة هيكلًا النبيويًا أنّها تتجه إلى موضوع واحد هو ما يسوقه الكفار بزعمهم من مأخذ ثمّ:

أ- لا يظلّ مأخذٌ من ذلك بلا جواب يبطله.

ب- قد يُجاب عن أحد المآخذ بآية في السورة بينها وبين المآخذ المزعوم آيات طوال كالردّ على كون الرّسول يأكل الطّعام ويمشي في الأسواق مثلاً<sup>(١)</sup>.

والملاحظ أنّ الدكتور تمام حسّان في دراسته لهذه السورة، وغيرها من السور التي تناولها بالدراسة، حدّد فقط العناصر الأساسية في السورة؛ فذكرها حسب ورودها في السورة مع ذكر الآيات الواردة حولها، ثمّ جمع هذه العناصر تحت إطار موضوع واحد هو المحور الأساسي في السورة وعنه فقرّعت تلك العناصر.

فقد اكتفى ببيان وجهة السورة القرآنيّة وكيف تسلسلت آياتها وترابطت فيما بينها لتكوّن موضوعاً واحداً. وذلك لأنّه رأى أنّ الهيكل النبيوي للكثير من سور القرآن يثير التساؤل، ويدعو إلى التأمّل، لذلك لفت الانتباه إلى الروابط التي قامت بين موضوعات مجموعة من السورة القرآنيّة، دون أن يقدم أيّ توضيح أو تحليل. وكم كنّا نودّ لو أنّه توسّع قليلاً في العرض والتناول، وقدم من خلال ربطه بين الآيات تعليلاً لورودها على هذا النحو أو تفسيراً لبعض كلماتها وإيقاعها. ولو فعل ذلك لكانت دراسته أكثر معيارية، ولكانت الفائدة أكبر.

١ - حسّان، د. تمام، البيان في روائع القرآن: ج ٢/٤٢٢. وتُنظر دراسته لسورة الفرقان كاملة، الجزء الثاني من ص ٤١٧ حتى ص ٤٢٢.

والواقع أنّ ما قدّمه الدكتور تَمَّام حَسَّان في تحليله للهيكَل النبويِّ للِسور القرآنيَّة التي تناولها، يُعدّ يسيراً مقارنةً مع ما قدّمه في الجزء الأول من كتابه من تحليلٍ وبيانٍ. ومع هذا يبقى كتابه بجزأيه الأول والثاني كتاباً له قيمته في الدِّراسات البيانيَّة الحديثة، إذ تطرَّق للكثير من مجالات الدِّرس البيانيِّ، وأيد في دراسته التَّنظير بتطبيقاتٍ تفنن القارئ، وتلفت انتباهه إلى سرِّ الإعجاز في الآيات القرآنية، فهو لم يكتفِ بإطلاق أحكام عامّة، بل كان في كلِّ فصلٍ من فصول كتابه يسرد الآيات التي تدرج تحت موضوع الفصل ويتناولها بالتَّحليل الموضوعيِّ، الذي يغلب عليه الطابع اللغويِّ، فكان همُّه في دراسته الكشف عن أسرار الإعجاز وروائع البيان.

### - الدكتور حسن طبل وظاهرة الالتفات في أسلوب القرآن:

قدّم الدكتور حسن طبل في كتابه "أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية" درساً بيانياً هاماً؛ تأتي أهميته من كون ظاهرة الالتفات من أكثر الظواهر البلاغيَّة تردداً وأوسعها انتشاراً في القرآن الكريم، ومع ذلك فإنّها لم تظفر بدراسةٍ مستقلَّةٍ تحاول رصد صورها،

واستجلاء بعض ما تشعّره في القرآن الكريم من قيمٍ وأسرار. يُضاف إلى ذلك أنّ البلاغيين قد أوردوا كثيراً من صور تلك الظاهرة في القرآن الكريم، غير أنّ إيرادهم لتلك الصور لم يكن، في الأعمّ الأغلب، من أجل تحليلها والوقوف على دورها التعبيري والتأثيري في السياقات التي وردت فيها، بل إمّا من أجل التمثيل بها لتلك الظاهرة، وإمّا من أجل الدفاع عنها بوصفها من "مشكل القرآن" أو "متشابه القرآن".

وقد قسم الدكتور حسن طبل كتابه على ثلاثة فصول؛ تتبّع في الفصل الأول الجذور التاريخية للوعي بتلك الظاهرة، ثمّ عرض لأبرز القضايا الخلافية التي أثّرت حولها، مبيناً بالأدلة المقتنعة الرأى الذي يرتضيه في كلّ منها. ثمّ حاول في الفصل الثاني النظر إلى ظاهرة الالتفات في ضوء مُعطيات علم الأسلوب، كاشفاً عن وجوه التشابه والتلاقي بين تلك الظاهرة كما تحدّدت ملامحها الأصيلة في تراثنا البلاغيّ، والظاهرة الأسلوبية في نظر علماء الأسلوب.

أمّا الفصل الثالث، وهو الفصل الأكبر والأهمّ في ذلك الكتاب، فقد تناول فيه أسلوب الالتفات بمعناه الواسع الشامل، ولم يحصره، كما حصره كثيرٌ من البلاغيين، في التحوّل من ضميرٍ إلى ضمير، بل إنّ مفهومه "اتّسع ليشمل كلّ تحوّلٍ أو انكسارٍ في نسق التعبير لا يتغيّر به جوهر المعنى أو البنية العميقة له"<sup>(١)</sup>.

في ضوء هذا المفهوم الواسع للالتفات حدّد الدكتور حسن طبل أبرز المجالات التي تحقّق فيها في القرآن الكريم، وتوقّف في تحليلٍ تطبيقيٍّ لكلّ مجالٍ منه إزاء بعض الصور أو العبارات القرآنية التي تنتمي إليه، كي يستجلي بعض ما يؤمض به هذا اللون البلاغيّ فيها من قيمٍ وأسرار، مُستأنساً في كلّ صورةٍ يعرض لها بقرائنها السياقية أو المقامية من جهة، وبتوجيه البلاغيين أو المفسّرين لها -إنّ وُجد- من جهةٍ أخرى.

وختم كتابه بثبت تفصيلي في سبع وخمسين صفحة، وفق منهج إحصائيّ دقيق، حاول فيه إثبات المواضع الالتفاتية التي يسرّ الله له الوقوف عليها في القرآن الكريم،

١ - طبل، د. حسن، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ -

حسب قراءة حفص عن عاصم، والتي بلغت نيفاً وتسعين بعد السبعمائة، وقد وضع إزاء كل موطن تحديداً لطرفي الالتفات "المُلتفت عنه، والمُلتفت إليه" مراعيًا في ترتيب تلك المواطن التّصنيف الذي جرى عليه في الفصل الثّالث.

وأبرزُ مجالات الالتفات في القرآن الكريم كما حدّدها الدكتور حسن طبل، هي على التوالي: الالتفات في (الصّيغ، العدد، الضّمائر، الأدوات، البناء النّحوي، المعجم) وقد تناول كلّ مجالٍ من هذه المجالات بالتّظهير المؤيّد بالتحليل التّطبيقيّ.

وسنكتفي في هذا الموضوع بالتوقّف عند مجالين فقط من هذه المجالات، لضيق المقام ولأننا سنتطرق في الفصل القادم لنماذج من دراسته، نتعرّف من خلالهما منهجَ دراسة الدكتور حسن طبل، وطريقته في التناول البيانيّ.

#### ١- الالتفات في الصّيغ:

يتحقّق الالتفات في هذا المجال كلّما تخالفت صيغتان (في نسقٍ واحدٍ) من مادّةٍ معجميّةٍ واحدةٍ، من ذلك مثلاً: المُخالفة بين صيغ الأفعال (الماضي، المضارع، الأمر)، أو بين صيغتي نوعٍ واحدٍ منها، أو بين صيغ الأسماء، أو بين صيغةٍ من صيغ الاسم وأخرى من صيغ الفعل، أو ما إلى ذلك مما لا يتملّ في اللغة الفنّيّة عامّةً، وفي لغة القرآن الكريم خاصّةً إلا لمرامٍ وأسرارٍ بيانيّةٍ يفقدها السيّاق لو لم تكن تلك المخالفة<sup>(١)</sup>.

وقد فصلّ الدكتور حسن طبل القول، في بعض الصّور القرآنيّة التي تحقّق فيها هذا النّوع من الالتفات، و استجلى في كلّ صورةٍ منها بعض ما تحفل به في سياقها من قيمٍ وأسرار. وصور الالتفات في الصّيغ التي فصلّ القول فيها، هي:

(أ) - بين صيغتي الفعل: وقد تناول فيها صيغ الأفعال التالية: "نزل-أنزل"، "نبا-أنبا"، "اسطاع-استطاع"، "نجى-أنجى"، مبيّنًا الأسرار البلاغيّة للتحوّل من صيغة الفعل الماضي (فعل) إلى صيغة أخرى من صيغ الماضي وهي (أفعل).

١ - طبل، د. حسن، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنيّة: ص ٥٦.

من ذلك على سبيل المثال، بيانه لسرّ الالتفات في صيغتي "نَجَّى وَأَنْجَى" الواردتين في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، ثمّ قوله تعالى في الآية التالية لتلك الآية مباشرة "مع التّحول عن نَجَّى إلى أَنْجَى": ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. إذ أشار إلى أنّ المعنى الذي يؤدّيه كلٌّ من "نَجَّى-أَنْجَى" واحدٌ، وهو تخليصُ الإنسان ممّا يهدّده من أخطار، ولكن يبقى بعد ذلك أنّ لكلٍّ منهما خصوصيته في تأدية هذا المعنى؛ فصيغة "نَجَّى" تنفرّد دون "أَنْجَى" بالدلالة على تكثير المعنى وتأكيدِه والمبالغة في إثباته، وهذا الفارق هو سرُّ العدول عن "نَجَّى" إلى "أَنْجَى" في الآيتين السابقتين.

فالتّخليصُ المدلول عليه بفعل التّجبية (نَجَّى)، في الآية الأولى، كان من شرور آل فرعون التي تعدّدت فشملت بني إسرائيل في ذواتهم تعذيباً، وفي أبنائهم تذيباً، وفي نساءهم استحياءً، أمّا التّخليصُ بفعل الإنجاء (أَنْجَى)، في الآية الثانية، فقد كان من خطر الغرق الذي كانت به نهاية هؤلاء الظّالمين فقط<sup>(٣)</sup>.

وأشارَ إلى أنّه و بملحظٍ من هذا الفارق الدّلالي بين الصّيغتين كان التّحولُ والالتفاتُ عن كلٍّ منهما إلى الأخرى في عددٍ من الآيات القرآنية، توقّف عند بعضها، موضعاً سبب العدول في كلٍّ منها.

(ب)- بين صيغتي الاسم: وقد فرّق بين الصّيغ التّالية: (ضلال-ضلالة)، (الحياة-الحيوان)، (أبناء-بني)، (شاكراً-كفوراً)، (مشتبه-متمشابه).

من ذلك على سبيل المثال قوله موضعاً سرّ الالتفات عن صيغة (الحياة) مع الدنيا، إلى صيغة (الحيوان) مع الآخرة، في قوله تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ

١ - سورة البقرة : ٤٩ .

٢ - سورة البقرة : ٥٠ .

٣ - طبل، د. حسن، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: ص ٦٧. وللمزيد من النماذج يُنظر حتى

وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ<sup>(١)</sup>: "الحياة والحيوان بمعنى واحد؛ إذ إنَّ كلاً منهما هي مصدر للفعل "حي"، غير أنَّ في الثانية من المبالغة في أداء هذا المعنى ما ليس في الأولى"، ومردّد ذلك، كما يقرّر بعض المفسّرين، هو "ما في بناء فَعْلان -بفتح العين- من معنى الحركة والاضطراب، كالنّزوان والنّغصان واللهبان وما أشبه ذلك، والحياة حركة كما أنَّ الموت سُكُونٌ؛ فمجيئه على بناءٍ دالٍّ على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة، ولذلك اختيرت على الحياة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة"<sup>(٢)</sup>. ففي التّحول إلى صيغة الحيوان مع الدّار الآخرة إذن مبالغة في تحقيق معنى الحياة في تلك الدّار، والإشعار بأنّها هي الجديرة بأن تُسمّى حياة.

وبيّن الدكتور حسن طبل ما حفلت به الآية ممّا يدعم هذا التّحول، ويعمّق دلالتّه على سموّ الحياة الآخرويّة بالقياس إلى الحياة الأولى. فذكر أنّه "بُولغ في إثبات معاني اللهو واللعب للحياة الأولى بأسلوب القصر "ما-إلّا" مقابل إثبات معنى الحياة للدّار الآخرة بأن واللام وتعريف طرفي جملة الخبر (لَهِيَ الحَيَوَانُ)". و "وردت صيغة الحياة مقبّدة بالوصف "الدنيا" على حين وردت صيغة الحيوان بلا وصف؛ للإشعار بأنّها في تساميتها أبعد من أن يحيط بها وصف" و "وقعت صيغة الحياة مبتدأً أُخبر عنه باللهو واللعب، ووقعت صيغة الحيوان في جملة الإخبار عن الدار الآخرة، فكانت هذه الدار ليست مجرد وعاء أو مسرح للحياة الآخرويّة بل إنّها ذاتها حياة"<sup>(٣)</sup>.

(ج) - بين صيغ الأفعال: ومن صور الالتفات بين صيغ الأسماء ينتقل إلى صور الالتفات بين صيغ الأفعال، وهذا الالتفات ورد بين الصيغ التّالية: (ماضٍ - مضارع)، (مضارع - ماضٍ)، (مضارع - أمر).

١ - سورة العنكبوت: ٦٤.

٢ - طبل، د. حسن، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: ص ٧٢. ويُنظر الزمخشري، الكشاف، ج ٣/٥١٩-٥٢٠. و العمادي، أبو السعود محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت): مج ٤: ج ٤٧/٧.

٣ - طبل، د. حسن، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: ص ٧٢-٧٣.

فالانفتاح من الماضي إلى المضارع نجده على سبيل المثال في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>، ففي الآية عدولٌ عن صيغة الماضي (أَنْزَلَ) إلى صيغة المضارع (تُصْبِحُ)، يوضح الدكتور حسن طبل سرّاً هذا العدول معتمداً على ما جاء في دراسات القدماء الذين بينوا أنّ هذا العدول: "هو عدولٌ يفسّره ما بين هاتين الصيغتين من فارقٍ في أداء المعنى أو الدلالة على الحدث؛ إذ إنّ المعنى مع الأولى - الزمن الماضي - هو أمرٌ مقطوعٌ بحدوثه، أمّا مع الثانية - الزمن المضارع - فهو أمرٌ أنّي يتجدّد حدوثه بتجدّد الزمن، ومن ثمّ فإنّ هذه الصيغة الأخيرة تنفرد دون الأولى، كما أشار البلاغيون، بالقدرة على إثارة المعنى واستحضار صورته لدى السامع حتى كأنّه يشاهدها"<sup>(٢)</sup>.

ويضيف موضعاً سياق الآية، وأنها سيقّت للفت نظر الإنسان وإثارة تأمله بما تضمّنته من مشهد كوني؛ وهذا اللفظ هو مدلول صيغة الاستفهام التّقيري الذي صُدّرت به الآية (ألم تر)، وبإنعام النّظر في هذا المشهد يتجلّى لنا سرّ المخالفة بين الصيغتين.

ثمّ ذكر سرّاً هذه المخالفة بقوله: "لقد أوثرت صيغة الماضي في (أنزل من السماء) لأنّ الرّؤية الباعثة على التأمّل والاعتبار لا تتعلّق بنزول الماء؛ إذ إنّ هذا النّزول لا يتيسّر حدوثه إلّا في الحين بعد الحين، ولأنّه - حين يحدث - لا يدوم دوام آثاره المترتبة عليه والتي هي متعلّق الرّؤية وموطن العبرة في الآية". ولهذا كان التّحوّل عن صيغة الماضي إلى صيغة المضارع، في الآية، عند التّعبير عن الحدث (صورة الأرض مزدانة بالخضرة) الذي هو في ذاته، موطن العبرة ومناط التأمّل<sup>(٣)</sup>.

١ - سورة الحج: ٦٣.

٢ - يُنظر ابن الأثير، ضياء الدين نصر بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط/١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٥هـ - ١٩٣٩م: ج ١٧/٢ -

١٨. وتفسير أبي السعود: مج ٣: ج ١١٧/٦، و الأندلسي، أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف، البحر

المحيط، مطابع النصر الحديثة، الرياض، (د. ت): ج ٣٨٦/٦.

٣ - طبل، د. حسن، أسلوب الانفتاح في البلاغة القرآنية: ص ٧٩-٨٠.



(د) - بين الاسم والفعل: وهي الصورة الأخيرة من صور الالتفات في الصيغ، وقد بين فيها أن لكل من صيغتي الاسم والفعل خصوصيتها التي تتميز بها من الأخرى في أداء المعنى، وأنّ البلاغيين حدّدوا هذه الخصوصية في كلّ منهما فقالوا: "إنّ موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدّده شيئاً بعد شيء، وأمّا الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدّد المعنى المثبت به، شيئاً بعد شيء" (١).

في ضوء هذا الفارق استوحى بعض ما يُوحى به العدول عن إحدى هاتين الصيغتين إلى الأخرى في البيان القرآني، من الأمثلة التي توقّف عندها، قوله تعالى في وصف المتقين: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢)، فأوضح أنّ العدول عن صيغة المضارع التي استخدمها للتعبير عن صفة الإنفاق إلى صيغة اسم الفاعل للتعبير عن كظم الغيظ والعفو عن الناس "استثماراً" لما بين الصيغتين من فارق في الدلالة على تأصل الأوصاف الثلاثة في نفوس المتقين والإيحاء بتحقيق الصورة المثلى لكلّ منها لديهم؛ ذلك أنّ الصورة المثلى لصفة الإنفاق لا تتحقّق إلّا عند تجدّدها وتتابعها على اختلاف الظروف وتنوع الأحوال (دلالة الفعل المضارع)، أمّا في كظم الغيظ والعفو عن الناس فإنّها لا تتحقّق إلّا مع الثبات عليهما، و مصابرة النفس على التمسك بهما (دلالة الاسم) (٣).

فقد بين أنّ لهذه المخالفة بين الصيغتين دوراً تعبيرياً مهمّ في تلك الآية، إذ فيها إشعارٌ بأنّ هؤلاء لتمكّن التقوى ورسوخها في قلوبهم قد أوفوا في كلّ ما وصّفوا به على الغاية، وبلغوا حدّ الكمال أو درجة الإحسان ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

فالدكتور حسن طبل توسّع في توضيح أسرار الالتفات في الصيغ في الآيات القرآنية، وفصل القول فيها تفصيلاً وافياً معتمداً على القواعد المقرّرة في اللغة العربية، وعلى آراء البلاغيين والمفسّرين. ومعطياً للسياق الدور الأكبر في الدرس والتحليل، فقدّم

١ - طبل، د. حسن، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: ص ٨٦. ويُنظر الجرجاني، دلائل الإعجاز:

ص ١٧٤، والرّازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: ص ١٥٦.

٢ - سورة آل عمران: ١٣٤.

٣ - طبل، د. حسن، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: ص ٨٦.

تحليلات موضوعية مقنعة كشفت عن أسرار بيانية دقيقة ومثيرة. وعلى هذا النهج مضى في بيانه للمجال الثاني من مجالات الالتفات. وهو:

## ٢- الالتفات في العدد:

حفل القرآن الكريم بالكثير من مواضع الالتفات في مجال العدد "الإفراد- التثنية- الجمع"، وتوقف الدكتور حسن طبل إزاء بعض هذه المواضع في كل صورة من الصور الثلاثة الآتية:

أ- بين الإفراد والجمع.

ب- بين الإفراد والتثنية.

ج- بين التثنية والجمع.

فعلى سبيل المثال، تناول من مواضع الالتفات عن الإفراد إلى الجمع قوله سبحانه: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا \* كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾<sup>(١)</sup> ففي الآية الثانية جاء اسم يكون، العائد على الآلهة، ضمير جمع، ثم جاء الخبر عنه مفرداً (ضدًّا)، عدولاً عن (أضداد) التي يقتضيها ظاهر السياق، وهو عدولٌ يحقق في الآية الكريمة غايتين؛ الأولى: اطراد الإيقاع الموسيقي بين فواصل الآيات؛ إذ بصيغة الإفراد "ضدًّا" تتوازي فاصلة الآية الكريمة مع فواصل الآيات السابقة عليها واللاحقة لها في السورة (مدًّا، فردًّا، عزًّا، أزًّا، ضدًّا، ... إلخ). والثانية: هي الدلالة على "توحد" موقف الآلهة يوم القيامة في معاداة هؤلاء الكفار الذين عبدوهم من دون الخالق أو أشركوهم في عبادته عزَّ وجلَّ، فتوحيد الضدِّ هو، كما ذكر المفسرون، لتوحد المعنى الذي تدور عليه مضادة هؤلاء الآلهة للكفار، إذ إنهم ينفقون على هذه المضادة فيكونون كالشيء الواحد<sup>(٢)</sup>. ففي هذا التحول عن الجمع إلى الإفراد إبرازٌ للمفارقة بين موقف الكفار من آلهتهم في الدنيا وموقفها منهم يوم القيامة.

١ - سورة مريم: ٨١-٨٢.

٢ - طبل، د. حسن، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: ص ٩٢. ويُنظر الزمخشري، الكشاف: ج ٣/٤٦-٤٧. والبيضاوي، القاضي ناصر الدين البيضاوي، تفسير البيضاوي "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، المكتبة والمطبعة العثمانية المصرية، مصر، ١٣٠٥ هـ: ص ٤٢٣، والبحر المحيط:

ومن أمثله العدول بين الأفراد والتنثية التي تناولها بالتحليل نذكر تحليله لقوله تبارك وتعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾<sup>(١)</sup>، يقول: "في إسناد فعل الشقاء إلى الضمير المفرد "المستتر" العائد على آدم عليه السلام عدولٌ عن إسناده إلى ضمير التنثية الذي يقتضيه ظاهرُ السياق ﴿لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ﴾، وقد ذكر المفسرون في بيانهم لدلالة هذا العدول رأيين؛ الأول: أن في شقاء الرجل وهو قيم أهله وأميرهم شقاءهم، كما أن في سعادته سعادتهم، فاخصَّ الكلام بإسناده إليه دونها مع المحافظة على رعاية الفاصلة. الثاني: أن المراد بالشقاء التعب في طلب القوت، وذلك على الرجل دون المرأة"<sup>(٢)</sup>.

وبعد أن أورد الدكتور حسن طبل آراء المفسرين، رجَّح رأياً رآه أكثر ملاءمةً، وهو الرأي الثاني، وبيَّن أسباب ترجيحه له، قائلاً: "وذلك لأنَّ الأكل أو القوت كان بمنزلة المحور الأساسي في قصة آدم عليه السلام، فهو من جهةٍ إحدى النعم التي امتنَّ الله على آدم بتهيئتها له في الجنة، وكفايته عبء تحصيلها والشقاء من أجلها: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى\*وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾<sup>(٣)</sup>، وهو من جهةٍ أخرى مدارُ الأمر والنهي في تلك القصة: ﴿وَكُلَّا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، وهو من جهةٍ ثالثة سببُ حرمان آدم وزوجه من الجنة ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا..﴾<sup>(٥)</sup>، ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾<sup>(١)</sup>، فكانَّ هذه الأكلة

---

ج/٦/٢١٥، وتفسير أبي السعود: مج ٣: ج ٢٨٠/٥. ومن الجدير بالذكر أن بعض هؤلاء المفسرين قد أشار إلى أن ضمير الجماعة في "سيكفرون ويكفرون" يُحتمل أن يكون عائداً على الكفار لا على الآلهة، وهو احتمالٌ بعيد، إذ إنَّ مضادة الكفار للآلهة لا تبلغ ما تبلغ مضادة تلك الآلهة لهم في تجسيد الإحساس بخيبة الأمل لديهم في هذا الموقف.

١ - سورة طه: ١١٧.

٢ - طبل، د. حسن، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: ص ٩٨. ويُنظر الزمخشري، الكشاف: ج ٣/١٠٣. و تفسير أبي السعود: مج ٣: ج ٤٥/٦، والبحر المحيط: ج ٦/ ٢٨٤.

٣ - سورة طه: ١١٨-١١٩.

٤ - سورة البقرة: ٣٥.

٥ - سورة طه: ١٢١.

الشَّيْطَانِيَّةُ قد كانت بمثابة الحدِّ الفاصل بين تتعمهما معاً- بلذائذ الطَّعام في ربوع الجنة، وشقائقه عليه السلام -وحده- في سبيل الكدح من أجله بعد الهبوط منها<sup>(٢)</sup>.

وهكذا، بيّن الدكتور حسن طبل السرَّ الإعجازي للالتفات القرآني في مجال العدد؛ مُستأنساً بآراء المفسرين، ومرجّحاً الرأي المناسب، من وجهة نظره، وموضّحاً بالاعتماد على النصوص القرآنية الواردة حول نفس الموضوع، الأسباب التي دعت إلى ترجيح هذا الرأي على غيره من الآراء الأخرى.

وهكذا، بعد ما قدّمناه من نماذج لدراسة الدكتور حسن طبل، يتبيّن لنا أنه قدّم منهجاً جديداً في درسه البيانيّ القرآنيّ؛ إذ بيّن مواقع الحسن والإعجاز في صيغ كلمات قرآنية بعينها، في آيات قرآنية كثيرة، و استجلى دورها البيانيّ المعجز في لغة القرآن وأسلوبه من خلال رصده لظاهرة من أوسع الظواهر البلاغية انتشاراً في القرآن الكريم، إذ لم يخرج في تحليله عن الدلالات اللغوية لكلمات القرآن، ولم يتجاوز المضمون البيانيّ لآياته، وكلّ ما كان منه من تجديد، كان في المنهج الذي انتهجه في تحليله، وفي الخطّة التي سار عليها، حيث استأنس بتوجيه البلاغيين والمفسرين القدماء، ثم تأمّل القرائن السياقية ليقدم جديداً ممّا أصوله معظمها في تراث السابقين، وليكشف عمّا وراء هذا الالتفات أو التحوّل عن كلمة إلى أخرى، من روائع البيان، وعجائب النظم التي هي سرٌّ من أسرار الإعجاز في القرآن الكريم.

### - الدكتور فاضل السامرائي و المنهج المقارن:

الدكتور فاضل صالح السامرائي من أبرز دارسي البيان القرآنيّ المعاصرين، قدّم الكثير من المؤلفات في الدرس البيانيّ، نذكر منها "التعبير القرآنيّ"، "المسات بيانيّة في

١ - سورة البقرة: ٣٦.

٢ - طبل، د. حسن، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: ص ٩٨-٩٩.

نصوص من التّزليل"، "بلاغة الكلمة في التّعبير القرآني"، و"على طريق التّفسير البياني"<sup>(١)</sup> بجزأيه الأول والثاني، و "الجملة العربية والمعنى" الذي أكثرَ فيه من الاستشهاد بالآيات القرآنيّة، إضافةً إلى أحاديثه التّفزيونيّة التي عرض فيها لبعض أسرار القرآن البيانيّة الإعجازيّة.

اهتدى الدكتور فاضل السّامرائي في دراساته، عن طريق النّظر والتأمّل، إلى الكثير من الأحكام والاستنباطات، التي اعتمد فيها على القواعد المقرّرة والأصول الثّابتة في اللغة ولم يخرج عنها. وقد حاول أن يَنأى عن التعليل الذي لا يقوم على أساس من مُسلمات اللغة وأحكامها، وعمل على أن تكونَ دراساته ميسورةً الفهم لمن تقع في يده، غير أنّها بدت أوضح في الحجة، وأبين في الاستدلال لمن كان له بصراً باللغة ومعرفةً بأحكامها.

وقد توجّه جهد السّامرائي إلى القرآن الكريم بحثاً عن دقائقه واستلهاماً لأسراره انطلاقاً من فكرة "التشابه والاختلاف" في النّص القرآنيّ، إذ مضى، في دراساته، يجري موازناتٍ بين كثيرٍ من الآيات من حيث التشابه والاختلاف في التّعبير، والتّقديم والتّأخير، والذّكر والحذف، وما إلى ذلك من أمورٍ لغويّةٍ ومعنويّةٍ.

ويرجع انطلاقه من فكرة "التشابه والاختلاف" إلى كثرة التّساؤل حول ما نجده في القصة الواحدة أو المسألة الواحدة التي يذكرها القرآن، في أكثر من موضعٍ، من اختلاف في ذكر المواقف والعبارات، فهل يُعدُّ ذلك تناقضاً؟ وإذا كان أحدُ الموضعين صحيحاً فلا شك أنّ الآخر غيرُ صحيحٍ، فذكر الدكتور السّامرائي في درسه البيانيّ، الكثير من هذه المواضع ليبيّن بالتعليل المقنع أنّه ليس في القرآن قصةٌ أو مسألةٌ ذُكرت في أكثر من موضعٍ تناقضٍ إحداهما الأخرى، مهما اختلفتا في التّعبير أو في ذكر ما وقع فيهما.

من ذلك على سبيل المثال بيانه في كتابه "مسامحة بيانيّة في نصوص من التّزليل"، لأسباب جملة الاختلافات الفنيّة واللغويّة بين مجموعة من القصص والآيات القرآنيّة بدا أنّ

١ - أثر أن يُسمّى "على طريق التّفسير البيانيّ" لا "التّفسير البيانيّ" لأنّه يعتقد أنّه خطوة أولى على طريق التّفسير البيانيّ، أو نقطة فيه قد تكون نافعة لمن يسلك هذه السبيل.

ثمة تشابهاً وتقارباً في التعبير بينها وبين آياتٍ وردت في موضعٍ قرآنيٍّ آخر حول نفس القصة أو نفس الموضوع. من ذلك مثلاً، التشابه الظاهري، والتقارب في التعبير إلى درجة كبيرة، في محتوى قصة سيدنا إبراهيم في سورتَي الذاريات و الحجر:

يقول تعالى في سورة الذاريات: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ\* إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ\* فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ\* فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ\* فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ\* فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ\* قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(١)</sup>.

ويقول تعالى في سورة الحجر: ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ\* إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجَلُونَ\* قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ\* قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ\* قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ\* قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

غير أنه رغم هذا التشابه والتقارب في التعبير بين آيات السورتين هناك جملة اختلافات بينهما؛ أبرزها وصف الضيف في سورة الذاريات بأنهم (مكرمون)، ولم يفهم بذلك في سورة الحجر، وقد أدى هذا إلى الاختلاف بين السياقين في أمور كثيرة منها: ذكر في سورة الذاريات، أن إبراهيم عليه السلام، ردَّ التحية عليهم حين حيَّوه ﴿فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾، بل ردَّها بخيرٍ من تحيتهم، وذلك أنهم حيَّوه (بالنصب) بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد "سَلَامًا"، وحيَّاهم (بالرفع) بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت "سَلَامٌ"، والاسم أقوى وأثبت من الفعل. و ذكر أنه جاءهم بعجلٍ، وصفه بأنه سمينٌ، وقربه إليهم ليأكلوه تكريماً لهم، (وهذه الأمور لم تذكر في سورة الحجر). ويضاف إلى ذلك أنه ذكر في سورة الذاريات، أنه أوجس منهم خيفة، ولم يواجه ضيفه بما أحسَّ في نفسه، في حين أنه واجههم بذلك في سورة الحجر، التي أظهرت تعبيرها أن حالة الخوف والوجل فيها

١ - سورة الذاريات: ٢٤-٣٠.

٢ - سورة الحجر: ٥١-٥٦.

أكبر مما هي في آيات الذّاريات، وذلك لأنّه جاء بالجملة الاسميّة المؤكّدة بـ "إنّ" وجاء مع ذلك بالصّفة المشبهة "وجلون" الدّالة على شدة الخوف، ثمّ أخرجه مخرج العموم والشّمول لأهل البيت أجمعين، فذكره بصورة الجمع: ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجَلُونَ﴾. في حين ذكر ذلك في "الذّاريات بالجملة الفعلية غير المؤكّدة، فقال: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ وذكره بصورة الأفراد. ولمّا واجههم بالخوف منهم، والوجل في سورة الحجر واجهوه بالبشرى، ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ في حين ذكره بصيغة الغيبة في سورة الذّاريات ﴿وَبَشِّرُوهُ﴾. وقد اعترض في سورة الحجر على تبشيرهم له بالغلام واستنكر ذلك قائلاً: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾. فكأنّه غير مستوثق من أنّهم رسل ربّه<sup>(١)</sup>، ولم يعترض أو يستنكر في سورة الذّاريات، لأنّ مقام الإكرام غير مناسب للاعترض والاستنكار لما يقولون. وذكر أنّ امرأة سيدنا إبراهيم عندما سمعت بالبشرى، أقبلت في جلبّة وصكّت وجهها متعجّبة ممّا أخبروه به، ولم يذكر ذلك في الحجر ذلك أنّ الخوف الذي ذكر في سورة الحجر، كان عامّاً شاملاً لأهل البيت أجمعين فناسب ذلك عدم ذكر خروجها لهم ومواجهتهم<sup>(٢)</sup>.

يتبيّن لنا مما تقدّم أنّ الدكتور السّامرائي ناقش هذه الاختلافات وعلّلها من منظور تنوقيّ لا يُغفل الجانب اللغويّ والسيّاق الذي وردت فيه، وذلك في مسعىّ لإيضاح أنّ هذه الاختلافات إنّما تشي بأنّ كلّ تعبير في القرآن مناسبٌ للسيّاق الذي ورد فيه مناسبة تامّة، "فالتّشابه والاختلاف في قسم من التّعبيرات إنّما يقتضيه المعنى والمقام، ولم يترك القرآن وجهاً من وجوه الاقتضاء إلّا راعاه، ليس في سياق الآية وحدها، ولا في جوّ السّورة وحدها، بل في عموم القرآن"<sup>(٣)</sup>.

وفي ضوء هذا الاعتقاد مضى في بيانه لأموّر تثير التّساؤل، وتستدعي التأمّل في الآيات القرآنيّة؛ كاختيار ألفاظٍ دون مرادفاتها، والتّقديم والتّأخير في الآيات القرآنيّة،

١ - أبو حيان، البحر المحيط: ينظر ج٥/٤٥٨.

٢ - السامرائي، د. فاضل صالح، لمسات بيانية في نصوص من التّنزيل، دار عمار للنشر، عمان،

١٩٩٨م: يُنظر بالتّفصيل ص٨٣ حتى ص٨٩.

٣ - السامرائي، د. فاضل، التّعبير القرآني: ص٢١٦.

والحذف والذکر لبعض الكلمات، وتغيّر الحركة الإعرابية للكلمة (أي على نحوٍ يخالف موقعها الإعرابي في الآية) كالعطف بالجزم على النصب<sup>(١)</sup>، ونحو ذلك من الأمور البيانية التي لمح فيها أسراراً إعجازية.

من ذلك على المثال بحثه للتشابه والاختلاف بين قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَّهٍ دَاخِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، فالآيتان متشابهتان، إلا أنه قال في الآية الأولى (فصعق). وفي الآية الثانية (فنزِع)، وقد وضّح السامرائي سبب هذا الاختلاف قائلاً: "وقال ذلك في الزمر (الآية الأولى) لمناسبة ما بعده وهو قوله: ﴿فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ فإن ذلك في مقابل الصعقة، في حين ختم آية النمل بقوله: ﴿وَكُلُّ أَتَوَّهٍ دَاخِرِينَ﴾، وهو المناسب للفرع إذ معنى داخرين: صاغرین، فناسب كل لفظ مكانه الذي وضع فيه"، وأضاف لافتاً الانتباه إلى انسجام كل مفردة مع سياقها: "ثم انظر كيف قال بعد آية النمل: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩]، فأمتهم من الفرع الذي يُصيب الخلائق يوم القيامة. وكيف ناسب ذكر الصاعقة في الزمر: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]<sup>(٤)</sup>. وبهذا بيّن السامرائي أن كل لفظة ناسبَت التعبير الواردة فيه من جهة المعنى والسياق، ومن جهة اللفظ، تمام المناسبة.

ومن ذلك أيضاً بحثه في اختيار الألفاظ المؤكدة، وبيانه أن القرآن الكريم راعى في ذلك ما يقتضيه المقام أدقّ المراعاة. من ذلك بيانه لما جاء في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ \*أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ\* لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ \*إِنَّا

١ - يُنظر بيانه لأسباب العطف بالجزم (وأكن) على النصب (أصدّق) في قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠]، في السامرائي، د. فاضل، لمسات بيانية: ص ١٧٨-١٩٢.

٢ - سورة الزمر: ٦٨.

٣ - سورة النمل: ٨٧.

٤ - السامرائي، د. فاضل، التعبير القرآني: يُنظر بالتفصيل ص ١٧٩-١٨٠.



لَمُعْرَمُونَ\* بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ\* أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ\* أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ\* لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ\*<sup>(١)</sup> فقد قال في آية الزرع: ﴿جَعَلْنَاهُ﴾ باللام، وقال في آية الماء: ﴿جَعَلْنَاهُ﴾ فلم يذكر اللام. وذلك لسرّ لطيف بينه السامرائي بقوله: "لأنّه ذكر عمل الإنسان في الحراثة والزرع وبذل الجهد فيهما فقال: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ\* أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾، بخلاف آية الماء فإنّه لم يذكر بذل جهد فيه للإنسان بل قال: ﴿أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾، ثمّ إنّ الإنسان إذا حرث وزرع وبذل جهدًا حتّى إذا استوى زرعه وحن وقت الاستفادة منه أصبح حطامًا، كان ذلك أشقّ شيء عليه. ألا ترى إلى قوله تعالى فيما بعد: ﴿فَطَلْتُمْ نَفْكَهُنَّ\* إِنَّا لَمُعْرَمُونَ\* بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾. ومعنى (نَفْكَهُنَّ): تندمون على اجتهادكم فيه<sup>(٢)</sup> وتذكرون الحرمان بعد التعب، والمُعرم: المثقل بالديون.

هذا من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى أنّ الماء الأجاج يمكن تحويله إلى ماء عذب بالتقطير أو بغير ذلك من وسائل التحلية، أمّا الحطام من الزرع فلا يمكن تحويله إلى حبّ أو فاكهة، فحالة الحرمان والخسارة فيه أكبر. وعلى هذا الأساس وُضعت اللام في الموضع الذي يقتضيها، للدلالة على أنّ أمر المطعوم مقدّم على أمر المشروب، وأنّ الوعيد بفقده أشدّ وأصعب<sup>(٣)</sup>. ومما يدلّ على ذلك أنّه حيث اجتمع الأكل والشرب في القرآن الكريم قدّم الأكل على الشرب. قال تعالى: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾<sup>(٤)</sup> وقال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾<sup>(٥)</sup> في آيات كثيرة من القرآن الكريم<sup>(٦)</sup>.

١ - سورة الواقعة: ٦٣-٧٠.

٢ - تفسير البيضاوي: ص ٧١٢.

٣ - الزمخشري، الكشاف: ج ٤/٥٠٥، ويُنظر الألوّسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت): ج ٢٧/١٤٩.

٤ - سورة الشعراء: ٧٩.

٥ - يُنظر [البقرة: ٦٠]، [الطور: ١٩]، [الحاقة: ٢٤]، [المرسلات: ٤٣].

٦ - السامرائي، د. فاضل، التعبير القرآني: يُنظر بالتفصيل ص ١٣٠-١٣١.

فالسامرائي بيّن، بالاعتماد على ما جاء في كتب المفسرين، أنّ دخول التأكيد على كلمة دون أخرى جاءت في سياق واحد، روعي فيه ما يقتضيه المقام، وما هو معروف في العادة والواقع. مُشيرًا إلى أنّ التوكيد القرآني كلّ وحدة متكاملة منظور إليه نظرة شاملة.

ولم تقتصر دراسة السامرائي البيانية على توضيح التشابه والاختلاف بين الكلمات في الآيات، والآيات في السور، بل تناول بالدراسة بنية الكلمة نفسها، إذ بحث أحوال المفردة القرآنية من حيث الذكر والحذف، واستعمال صيغة دون صيغة أخرى، والإبدال (في حروفها)، ونحو ذلك من التغيرات التي طرأت على المفردة القرآنية في بنيتها.

من ذلك على سبيل المثال، بحثه سبب ذكر حرف التاء من الفعل (تنزّل) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾<sup>(١)</sup>. وحذفه في قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ\* تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ\* يُقْفُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى أيضًا: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقد أرجعه السامرائي إلى أنّ التّنزّل في الآية التي ذكر فيها حرف "التاء" من فعل (التّنزّل) أكثر من التّنزّل في الآيتين اللتين حذف منهما هذا الحرف في الفعل نفسه؛ وذلك أنّ المقصود بالآية (التي ذكر فيها الحرف) أنّ الملائكة تنزل على المؤمنين عند الموت لتبشرهم بالجنة<sup>(٤)</sup>، وهذا يحدث على مدار السنة في كلّ لحظة. فأعطى الفعل كلّ صيغته ولم يحذف منه شيئاً.

١ - سورة فصلت: ٣٠.

٢ - سورة الشعراء: ٢٢١-٢٢٣.

٣ - سورة القدر: ٤.

٤ - يُنظر الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير (الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير)، حقّقه وخرّج أحاديثه سيد بن إبراهيم، ط/١، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م: ج٤/١٦٩، والألوسي، روح المعاني: ج٤/٢٤١.

أما آية الشعراء، (التي حذف منها الحرف) فإنَّ التَّنَزُّلَ فيها أفلُّ، لأنَّ الشَّيَاطِينَ لَا تَنْتَزِلُ عَلَى كُلِّ الْكُفْرَةِ، بل تَنْزَلُ عَلَى الْكَهْنَةِ، أو عَلَى قِسْمٍ مِنْهُمْ، وَهُمْ الْمُوصُوفُونَ بِقَوْلِهِ: ﴿كُلُّ أَفَّاكٍ أَثِيمٌ \* يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾. وَلَا شَكَّ أَنَّ هَؤُلَاءِ لَيْسُوا كَثِيرًا فِي النَّاسِ، وَهُمْ لَيْسُوا بِكَثْرَةِ الْأَوَّلِينَ وَلَا شَطْرِهِمْ، بل هُمْ قَلَّةٌ فَاقْتَطَعَ مِنَ الْحَدِيثِ، بِحَذْفِ إِحْدَى التَّعَايِينِ، فَقَالَ: "تَنْزَلُ".

وكذلك في آية القدر (التي حذف منها الحرف)، فإنَّ تَنْزَلَ الْمَلَائِكَةُ، يَكُونُ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْعَامِّ، وَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، فَهُوَ أَقْلٌ مِنَ التَّنَزُّلِ الَّذِي يَحْدُثُ بِاسْتِمْرَارٍ عَلَى مَنْ يَحْضُرُهُ الْمَوْتُ<sup>(١)</sup>.

فالدكتور السامرائي بيَّن أنَّ اقْتِطَاعَ الْحَرْفِ مِنَ الْفِعْلِ كَانَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْاِقْتِطَاعِ مِنَ الْحَدِيثِ، فَاقْتِطَاعُ الْحَرْفِ مِنَ الْكَلِمَةِ جَاءَ لِعَرَضٍ، وَلَمْ يَأْتِ اعْتِبَاطًا. وَعَلَى هَذَا النَّحْوِ مَضَى يَعْطَلُ كُلُّ تَغْيِيرٍ فِي بَنِيَةِ الْكَلِمَةِ الْقِرَائِيَّةِ، إِذْ إِنَّ كُلَّ تَغْيِيرٍ مَهْمَا كَانَ فَلَهُ سَبَبُهُ، وَلَا يَكُونُ تَغْيِيرٌ مِنْ دُونِ سَبَبٍ.

وقد يكون هذا التَّغْيِيرُ بِإِبْدَالِ أَحَدِ الْحُرُوفِ بِحَرْفٍ آخَرَ فِي لَفْظٍ لِمَسْمَى وَاحِدٍ؛ مِنْ ذَلِكَ اسْتِعْمَالُ لَفْظِ (مَكَّة) وَ (بَكَّة) لِأَمِّ الْقُرَى. جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةٍ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيَّنَّتْ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ<sup>(٢)</sup>، فَاسْتَعْمَلَ لَفْظَ (بَكَّة) بِالْبَاءِ، فِي حِينِ جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>، فَاسْتَعْمَلَ لَفْظَ (مَكَّة) بِالْمِيمِ وَهُوَ الْاسْمُ الْمَشْهُورُ.

١ - السامرائي، د. فاضل صالح، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ط/٢، دار عمار للنشر، عمان: ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م: يُنظَرُ بِالتَّفْصِيلِ ص ١٢-١٣.

٢ - سورة آل عمران: ٩٦-٩٧.

٣ - سورة الفتح: ٢٤.

بيّن الدكتور السامرائي أنّ سبب إيراد هذا اللفظ بالباء في سورة آل عمران، "لأنّ الآية في سياق الحج ﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ فجاء بالاسم (بكّة) من (البكّ) الدال على الزحام، لأنّه في الحج يبيكُ الناس بعضهم بعضاً، أي: يزحم بعضهم بعضاً، وسُمّيت (بكّة) لأنّ الناس يزدحمون فيها"<sup>(١)</sup>. وليس السّياق كذلك في سورة الفتح فجاء بالاسم المشهور (مكّة)، وهكذا وضع كل لفظٍ في السّياق الذي يقتضيه.

وقد يكون التّغيير في بنية الكلمة باستعمال المفردة في بعض المواضع مبدلّة مدغمة مرّة، ومرّة أخرى غير مبدلّة. من ذلك على سبيل المثال "يتضرّعون" في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، و"يضرّعون" بالإبدال والإدغام في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾<sup>(٣)</sup>. وذلك لأنّه في الآية الأولى (التي لم يقع فيها إبدال) قال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ في حين قال في الآية الثانية (التي وقع فيها الإبدال): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ﴾، والأمم أكثر من القرية، وهذا يعنى تناول الإرسال على مدار التّاريخ. فلما طال الحدّث واستمرّ جاء بما هو أطول بناءً فقال: ﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾. ولما كان الإرسال إلى قرية قال: ﴿يَضُرَّعُونَ﴾. فجاء بما هو أقصر في البناء.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، أنّه استعمل في الآية الأولى "أرسل إلى"، واستعمل في الآية الثانية "أرسل في". والإرسال إلى شخص ما يقتضي التّبليغ ولا يقتضي المكث، أمّا الإرسال في القرية أو في المدينة، فإنّه يقتضي التّبليغ والمكث، إذ إنّ "في" تفيّد الظرفيّة، وهذا يعني بقاء النبيّ بينهم يبلّغهم ويذكرهم بالله ويريهم آياته المؤيّدّة، ولا شكّ أنّ هذا يدعوهم إلى زيادة التّضرّع والمبالغة فيه، فجاء بالصّيغ الدّالة على المبالغة في الحدّث والإكثار منه فقال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾. فوضع كل مفردة في مكانها اللائق بها<sup>(٤)</sup>.

١ - السامرائي، د. فاضل، التّعبير القرآني: ص ١٧٣. ويُنظر الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن: ص ٥٧ وص ٤٧٠.

٢ - سورة الأنعام: ٤٢.

٣ - سورة الأعراف: ٩٤.

٤ - السامرائي، د. فاضل، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: ص ٤٣.

فالسَّامرائي اعتمد على الحقائق اللغويّة في بيانه سبب استعمال الكلمة بصيغتين في موضعين متقاربين؛ فأرجعَ الفرقَ بين الصيغتين إلى أن بناء "يفعّل" أطول من بناء "يفعل" في النطق، ولذلك استعمله لما هو أطولُ زمنًا، واستعملَ "يفعل" للمبالغة في الحدث والإكثار منه، والحقائق اللغويّة لها شأنها في تحليل الآيات القرآنية وتفسيرها. وعلى هذا النحو يمضي الدكتور السَّامرائي يتلمّس الفروق الدقيّة في الاستعمال القرآنيّ بين كلمات و آياتٍ قرآنيّة في مواضع متفرّقة من القرآن الكريم.

وقد قدّم إضافةً إلى ذلك درسًا بيانياً لمجموعة سورٍ قرآنيّة في كتابه "على طريق التفسير البياني"<sup>(١)</sup>، مستعيناً بعلوم اللغة العربيّة وبمجموعةٍ من التّفسير يأتي في طليعتها "الكشاف" و "البحر المحيط" و "روح المعاني". وافتتأ إلى الخطوط التّعبيريّة البارزة في بعض السور<sup>(٢)</sup>، ومركّزاً على الألفاظ، وما تفيده من معانٍ بصيغها الواردة في تلك الآيات القرآنيّة، وموضّحاً ما ينطوي على تقديم كلمة على كلمة، أو اختيار كلمة بدل كلمة ونحو ذلك، من أسرار إعجازيّة قد بلغت الغاية في الدقّة والإحكام.

وهكذا يتبيّن لنا أن الدكتور السَّامرائي كان يعطي للدلالات اللغويّة والتّعبيريّة للألفاظ أهميّة كبيرةً في درسه البيانيّ؛ فيوضح النصّ القرآنيّ في ضوء هذه الدلالات، وبالاعتماد على ما هو معروف في كلام العرب، و في بعض التّفسير المعتمدة، وكان السيّاقُ القرآنيُّ عنده هو المرجعُ الأساسي لتوضيح الدلالة وبيان سبب الاختيار على هذا النحو أو ذاك، مؤكّداً أنّ هذا القرآن كلامٌ فنيٌّ مقصودٌ، وُضِعَ وضِعاً دقيقاً ونُسِجَ نسجاً

١ - والسُّور التي تناولها بالدراسة، في الجزء الأول، (المعوذتين "الفلق والنّاس"، الإخلاص، الكوثر، قريش، الضُّحى، الليل، الإنسان، الصّف، الحديد). وفي الجزء الثّاني، تناول بالدراسة سورتي (يس، ولقمان) فقط.

٢ - من ذلك مثلاً ما ذكره في سورة الإنسان من أنّها بُنيت على التّثنية، و وردت الأشياء فيها صنفين صنفين؛ فذكر صنفين من النّاس: الشّاكر والكفور، وصنفين من العذاب: القيود والسعير، والقيود نوعان: السّلاسل والأغلال وغيرهما الكثير.. يُنظر بالتّفصيل على طريق التّفسير البياني: ج ١/١٩٤-١٩٧.

مُحْكَمًا فَرِيدًا، لَا يُشَابِهُهُ كَلَامٌ، وَلَا يَرْقَى إِلَيْهِ حَدِيثٌ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

حاولنا فيما سبق الحديث عن أبرز الدارسين البيانيين في العصر الحديث ومناهج درّسهم، ومن خلال الأمثلة بيّنا جهودهم في إضاءة الجوانب اللغوية والبلاغية والفنية، والكشف من خلالها عن المناحي الإعجازية في القرآن الكريم. وقد تبين لنا توجه عناية كل واحد من الدارسين، وفق منهجه وطريقته في التناول البياني، إلى جانب معين أكثر من الجوانب الأخرى - وإن كان فيهم من جمع في درسه بين جانب وآخر - فغلبنا ذلك الجانب على تسميته، سعيًا لتعريف أبرز اتجاهات الدارسين في الدرس البياني الحديث<sup>(٢)</sup>.

ويمكن تلخيص عناية الدارسين في الدراسات البيانية القرآنية الحديثة فيما يأتي:

- ١- اتّجاه عناية الدارسين المُحدثين إلى جميع ما قيل في الإعجاز البياني من أقوال السّابّقين والتّعبير عنها بطريقةٍ جديدةٍ في التّناول والعرض والبرهنة والاحتجاج والمناقشة.
- ٢- جمعت معظم الدّراسات بين الدّراسة النّظريّة باستلّهام أقوال السّابّقين والقواعد اللّغويّة، وبين الدّراسة التّطبيقيّة باستعراض آيات الذكر الحكيم وتحليلها واستخراج عناصر الجمال الفنّي فيها.
- ٣- تقديم الآراء الذاتيّة الانطباعيّة من خلال تحليل الشّواهد القرآنيّة تحليلًا فنيًا بلاغيًا كالذي وجدناه في دراسة سيد قطب.
- ٤- الإفاضة في بعض مناحي الإعجاز البياني، وتقديم آراء واجتهادات حولها ومن الدّارسين المُفيعيين مصطفى صادق الرافعي الذي اهتمّ بموسيقا القرآن والحسّ

١ - سورة الطور: ٣٤.

٢ - ما قدّمناه في هذا الفصل هو اختيار لأهمّ الدراسات، وأبرز الدارسين، في العصر الحديث الذين كان لدرسه صدهاء في الدراسات البيانية القرآنية، وكانت لهم آثار واضحة في هذا الميدان.

الروحي الذي تبعته، وأمين الخولي الذي رأى في دراسة القرآن البيانية بتقسيمه إلى موضوعات ما يعين على تمثّل الهدى القرآنيّ والكشف عن أبعاده.

٥- غلبة الطابع اللغويّ والإحصاء على بعض الدّراسات، كدراسة الدكتورة عائشة عبد الرحمن، ودراسة الدكتور تمام حسان.

٦- النّظر إلى النّصّ القرآنيّ على أنّه نصّ يتميّز بوحدة فنيّة، كما في التّصوير الفنيّ ومشاهد القيامة في القرآن لسيد قطب، وبوحدة موضوعيّة وهذا ما أكّده الدكتور عبد الله دراز.

٧- إلحاح الدارسين المُحدثين على إظهار جماليّات الكلمة القرآنيّة وإنعامهم النّظر في مفردات القرآن؛ إذ اعتبروا الكلمة القرآنيّة هي أساس جمال الأداء وسعة الإيحاء لذلك أطلّوا في تأملها، وأجروا موازنات ومقارنات فيما بينها، مؤكّدين مناسبتها التامّة "بالشكل والمضمون" للسياق الواردة فيه، كالذي وجدناه في دراسة الدكتور حسن طبل، وعلى نحوٍ واسع في دراسة الدكتور فاضل السّامرائي.

وهكذا يتّضح لنا دور تعدّد أنماط الدّراسات البيانية الحديثة في إغناء الدّرس البيانيّ، إذ الغاية من الدّرس البيانيّ، حسب أيّ منهجٍ وتبعاً لعناية الدارس بأيّ جانب، سبرُ أغوار النّصّ القرآنيّ، والبحثُ عن مكامن الجمال فيه، للتبصير بمواضع الفنّ والجمال، والتدليل على أسرار الإعجاز في التّعبير القرآنيّ التي لا تنتهي، بل تتّسع وتتجدّد ما تجددت الحياة. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

## الفصل الرابع

### الدّرس البيانيّ القرآنيّ الحديث في فضاء المفردة القرآنيّة

- تمهيد:

شغلت وجوه الإعجاز البيانيّ الدارسين، إذ بذلوا جهودهم في تجليتها وإبرازها دليلاً على الإعجاز البيانيّ، وإبرازاً للخصائص الجمالية، والقيم البلاغية التي احتواها كتاب الله؛ ودرسوا ما يتألف منه القرآن من مفردات لغوية لم تكن فيه على أنها وحدات فكرية فحسب بل وحدات فنية أيضاً لها خصائصها الفنية إضافة إلى خصائصها الفكرية والمنطقية، فتوقفوا عند الحرف في الكلمة، والكلمة في الآية، والآية في السورة. وبيّنوا أن لكل حرف وزنه وتقديره، واستشفوا لكل كلمة إيحائها وظلالها، كما درسوا الوسائل الفنية التي كانت فيه مظهراً للمعاني والأفكار، والفنون الأدبية التي تفرقت في سورته وآياته، وطرائق صوغ الكلام وتركيبه، وما يتكوّن من ذلك من نغمات موسيقية تتجاوب مع الموضوع، ولحظوا ما فيها من وسائل التماسك القوية في هذا النصّ المحكم المتين.

فمجالات البحث في الوجوه البيانية القرآنية كثيرة متعدّدة، ولعلّ هذه الكثرة وذلك التعدّد ينطلقان من ثراء اللغة العربية وغناها بالأساليب التعبيرية؛ فاللغة العربية مبنية على نظام دقيق، وإذا نظرنا إلى جانب من جوانبها المتعدّدة وجدنا كل جانب، قد أخذ من الحسن غايته، ومن النظام والدقة والتنسيق، ما يثير في أنفسنا لواعج الشوق لدراستها، وكوامن الدقة للحفاظ عليها<sup>(١)</sup>. فإذا كان هذا في فنّ القول العربي، وتراكيب العربية وأفانينها، فما بالنّا بالقرآن الكريم الذي هو غاية البلاغة، وآية الفصاحة، ومرتقى النظم والأسلوب العالي.

ومن هنا تعدّدت الظواهر البيانية المدروسة، وكان ناظمها تحقيق هدفٍ علمي ثقافي يُجلي الإعجاز البيانيّ القرآنيّ بشكلٍ علمي منظم.

وإذا كان إدراك الإعجاز البيانيّ للقرآن الكريم يفوق كل محاولةٍ لتحديده، وتستعصي على الدارسين مشاركة آفاقه الرّحبة العالية، وملامسة أسرارهِ الباهرة، ولا يمكن لمتملّ أن يحصره؛ فإننا نطمح في دراستنا إلى الإلمام بمجالات البحث التي تناولها الدارسون المُحدثون للقرآن الكريم في تحليلهم النصوص القرآنية وفق المنهج البيانيّ،

١ - عرفة، د. عبد العزيز عبد المعطي، من بلاغة النظم العربي "دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني"، ط/٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٤م: ج٢/١٤٥.



حيث نبين المجالات التي فصلوا القول فيها، وركزت أبحاثهم عليها، موضحين هذه المجالات بأمتلة تطبيقية تبرز جهودهم، وتعرف بإسهاماتهم القيمة. ولإلمام بهذه المجالات كان لا بد من تناول كل جانب من جوانب الدرس البياني على حدة - وإن كان الفصل بينها شكلياً - بغية الإحاطة بكل المجالات. وقد قسمت هذه المجالات انطلاقاً من عناصر التركيب اللغوي القرآني<sup>(١)</sup>، وفق الآتي: (الكلمة - الجملة "الآية" - الجمل "الأسلوب").

### - أهمية النظر في المفردات عند الدارسين:

١ - لم نتوقف عند الحروف في أوائل السور، المعروفة بالأحرف المقطعة، وهي التي أفتحت بها ست وعشرون سورة مكية، وثلاث من السور المدنية (البقرة، وآل عمران، والرعد). لأنها حظيت بنصيب كبير من القول، ويطول بنا الأمر لمتابعة كل التأويلات التي قدمت حول هذه الحروف والتي أسهب دارسو القرآن في تعدادها حتى وصلت إلى ثلاثة عشر تأويلاً، ولعل أقرب ما قالوه فيها، إلى طبيعة البيان وقضية الإعجاز، هو أن هذه الحروف ذكرت لتدل على أن القرآن مؤلف من حروف هجائهم، وهي في متناول المخاطبين به من العرب ولكنه مع هذا، هو ذلك الكتاب المعجز، الذي لا يملكون أن يصوغوا من تلك الحروف مثله. يُنظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ج ١/١٧٥. والسيوطي، الإتيان في علوم القرآن: ج ٢/٩٨٩-٩٩٢. و قطب، في ظلال القرآن: ج ١/٣٨. والشوكاني، فتح القدير: ج ١/٣٧ وما بعدها. وأبو زيد، مفهوم النص: ص ١٩٤. ويُنظر بتوسع عبد الجليل، د. محمد بدري، براعة الاستهلال في فواتح القصائد والسور، ط/٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م. وأن غموض الأحرف المقطعة، هي ظواهر غموض دلالية تُبينها وتكشف عنها أجزاء أخرى من النص. يُنظر الصالح، مباحث في علوم القرآن: ص ٢٤٦. وممن اهتموا بدراسة الأحرف المقطعة من الباحثين المعاصرين، الدكتورة عائشة عبد الرحمن التي وضحت ما وصل إليه جهد الأسلاف في بحث هذه القضية من قضايا الإعجاز البياني، وعمدت، للإضافة إلى هذا المبحث البياني، إلى استقراء كامل للفواتح في سورها وترتيب سياقها، خلصت منه بالكثير من الملاحظ. يُنظر بتوسع عبد الرحمن، د. عائشة، الإعجاز البياني: ص ١٤٥-١٦٧.

الكلمة المفردة هي أساس بناء الجملة، وهي أبرز أداة من أدوات التواصل في المجتمع البشري، فبكلمة واحدة يأتير الناس وينتهون، وهي مفتاح النص الأدبي، وزمام ما فيه من دقيق المعاني وخفي الإشارات.

ومن هنا كان النظر في المفردات من أوجب ما يجب على دارس النص الأدبي، وكلما أحسن الدارس هذه الوقفات واستشف من المفردات كل ما تعطيه وتلوح به من معنى ووحى ورمز، كان أقدر على الاندماج والمشاركة، وبهذا يصل نفسه بنفس منشئه ويحلّق في آفاقه ويتابع خطراته ويملك تجربته كاملة، وعندما يصل المفسر إلى هذه الدرجة يكون قد وصل إلى ما ينبغي أن يصل إليه<sup>(١)</sup>.

وربما كان البحث في المفردات من أدقّ بحوث الدرس البياني، لأنّ النصّ القرآنيّ يبدأ من الكلمة وهي التي تهدينا إلى كلّ معانيه وآفاقه، فإذا لم يحسن الباحث درسها وفهمها كان عمله ضاللاً وضياعاً، كما أنه "من السهل على الباحث أن يقول هذه الكلمة المشهورة (لكلّ كلمة مع صاحبها مقام)"، ومن الصعب العسير أن يبحث ملاءمة الكلمة لسياقها وما يؤدّيه وجودها في هذه الصورة وعلى هذه الهيئة من المعاني والإحياءات<sup>(٢)</sup>.

وإنّ النظر في ملاءمة الكلمة لموقعها ووضع كل نوع من الألفاظ موضعه نظراً قديماً يرجع إلى ملحوظات الجاهليين في تحليل الشعر وتقويمه، من ذلك على سبيل المثال، قول النابغة لحسان بن ثابت في مخاطبته له بأبياته المشهورة:

لنا الجفّناتُ الغرّ يلمعن في الضحى      وأسيافنا يقطرن من نجدة دما  
ولدنا بني العنقاء و ابني مُحرق      فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابنماً  
ويقول له: لقد قلت (الجفّنات) فقللت العدد، ولو قلت (الجفان) لكان أكثر، وقلت (يلمعن في الضحى) ولو قلت (ببرقن بالدجى) لكان أبلغ في المديح، لأنّ الضيف بالليل أكثر طروقاً، وقلت: (يقطرن من نجدة دماً) فدلت على قلة القتل. ولو قلت: (بجرين) لكان أكثر

١- أبو موسى، د. محمد، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ص ٢٦١.

٢- المصدر نفسه: ص ٤٩.

لانصباب الدّم، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك<sup>(١)</sup>. فهو في قوله هذا، يدرس ملاءمة المفردات، ووضع الكلمات موضعها، وينظر في اختيارها وفي أحوالها في الجمع والإفراد، إذ بمقدار الدقة في مطابقة اللفظ للمعنى، وبمدى القدرة على تسخير الأول لتجلية الثاني وعرضه في المظهر المطلوب يُوصفُ الكلام بالبلاغة والبيان.

وقد اعتنى الدارسون القدماء بجزئيات النصوص القرآنية - كما مرّ بنا<sup>(٢)</sup> - وتدبروا معاني المفردة القرآنية وأكّدوا أهميّة انتقاء الكلمة المتوافقة مع المعنى، ودرسوا ملاءمتها للمعاني والمواقف والحالات<sup>(٣)</sup>، وهو درسٌ في صميم مطابقة الكلمة لما يقتضيه مقامها، الذي هو لبُّ البلاغة.

أمّا في العصر الحديث فقد كثرت عناية دارسي البيان القرآني المُحدثين بالمفردات القرآنية، وتأمّلوا وقع الكلم القرآنية وملاءمتها للسياق، وقد بسطوا القول في هذه الناحية البيانية، مُضيفين إلى إشارات القدماء نظرات عميقة وتحليلًا مُقنعًا، ومُوضحين أسرار استخدام الألفاظ في التعبير القرآني؛ ليذوق القارئ معهم ذلك، ويكتشف الإعجاز وراء هذه الفروق اللغوية في الاستعمال.

وإنّ بحثهم في المفردات القرآنية تناول الكلمة من حيث مادّتها، ومن حيث هيئتها؛ جمعًا وإفرادًا، حذفًا وذكرًا، تعريفًا وتكثيرًا، ومن حيث صيغتها فعلًا أو اسمًا ونحو ذلك من الأمور التي تلفت إلى دقائق النظم القرآني وروائعه.

١ - أبو موسى، د. محمد، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري : ينظر ص ١٢٩.

٢ - ينظر كلامنا على منهج الجاحظ اللغوي في ذوق النصّ القرآنيّ، ونماذج من دراسة الخطابي للمفردات القرآنية، وما أورده من دراسة الباقلاني حول هذا الأمر، في الفصل الأول من هذا البحث.

٣ - نذكر ممن اهتموا بالمفردة القرآنية ابن الأثير، في كتابه "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، وقد جلّى هذا الاهتمام د. عيسى العاكوب في مقاله: جمالية المفردة القرآنية عند ضياء الدين بن الأثير، مجلة التراث العربي، سنة/١١، العدد/٤٤، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩١م. و د. أحمد ياسوف في كتابه جماليات المفردة القرآنية: يُنظر ص ١٩٠-١٩٢، وص ٢٨٣-٢٩٠.

## - ملاءمة المفردة القرآنية لسياقها من حيث مادتها:

اهتمّ كثيرٌ من الدارسين المُحدثين والمعاصرين في درسيهم البيانيّ للقرآن الكريم بربط مدلول الكلمة القرآنية -من حيث مادّتها- بسياقها، حتى تكون ملائمةً له على أحسن وجهٍ من وجوه الملاءمة، واستبعدوا وجود التّرادف في القرآن الكريم، وأكّدوا الفروق الدّقيقة بين الكلمات المتقاربة الدّلالة، حتى في السّيّاقات القرآنيّة المتشابهة.

ولعلّ من المفيد في هذه الفقرة أن نتوقّف عند التّرادف، لنبيّن معناه، ونؤكّد إمكان وجوده في اللغة، ونفيه عن السّيّاق القرآنيّ.

## - التّرادف واستبعاده من القرآن الكريم:

التّرادف، لغةً، من الفعل "رَدَفَ"، والرّدْفُ بالكسر: الرّكْبُ خلف الرّكْبِ، والرّدَيْفُ: التّابع، ومنه الفعل المزيّد بالهمزة في أوله "أرْدَفَ" ويعني توالى وتتابَعَ، أردفت النجوم: أي توالى وتتابع<sup>(١)</sup>. وقال تعالى عن العون السّماوي في غزوة "بدر": ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، أي متتابعين، يلحق بعضهم بعضًا. وفي سورة النمل قال عزّ وجلّ: ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، أي قرُب<sup>(٤)</sup>.

وفي المعجم الوسيط: "أردفَ فلانٌ فلاناً ركب خلفه، وراذفت الدابّة: قبّلت الرّدَيْفِ، وقويّت على حمّله، والرّدَيْفُ: الرّكْبُ خلف الرّكْبِ"<sup>(٥)</sup>. فالمعجم يرشدنا إلى أنّ المرادف تابع للأصل ولاحق به وليس الأصل نفسه.

وإذا استرشدنا برأي القرآن الكريم في قضية التّرادف، فإننا نجد فيه دعوة صريحة لعدم استخدام لفظ مكان آخر، يقول تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا

١ - الفيروزآبادي، القاموس المحيط: ص ٦٩٢.

٢ - سورة الأنفال: ٩.

٣ - سورة النمل: ٧٢.

٤ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (ر د ف) : يُنظر ج ٥/١٨٩-١٩٠.

٥ - مجمع اللغة العربيّة، المعجم الوسيط، مادة (ر د ف) : ج ١/ ٣٣٩.

وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ<sup>(١)</sup>، فهو يدعو إلى استعمال اللفظ بدقة ليدلّ على الحقيقة من غير لبس أو غموض، لأنّ ثمة فرق واضح بين الإيمان الذي هو "التصديق مع الثقة وطمأنينة النفس" وبين الإسلام الذي هو "الدخول في السلم، والخروج من أن يكون حرباً للمؤمنين بإظهار الشهادتين"<sup>(٢)</sup>. ويؤكد ذلك ما أورده كتب التفسير حول سبب نزول هذه الآية، يقول أبو السعود: "نزلت في نفر من بني الأسد، قدموا المدينة في سنة جدب، فأظهروا الشهادتين.. فإنّ الإسلام انقيادٌ ودخول في السلم، وإظهار الشهادة، وترك المحاربة مُشعر به"<sup>(٣)</sup>. فهؤلاء القوم الذين نزلت فيهم هذه الآية أعلنوا الإسلام، لا عن يقين واعتقاد بل عن استسلامٍ ورغبةٍ في ترك المحاربة والقتال بقولهم لا إله إلا الله، لأنّ رسول الله ﷺ قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلّا بحقّها وحسابهم على الله"<sup>(٤)</sup>. وهكذا يتبيّن لنا أنّ قولهم (أسلمنا) هو المناسب لحالهم، والدال على كذب دعواهم بالإيمان.

وجاءت هذه الدعوة القرآنية إلى الدقة في اختيار الألفاظ في موضع آخر أيضاً، في قوله تعالى: ﴿بِأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾<sup>(٥)</sup>، إذ نهى المؤمنين عن مخاطبة الرسول ﷺ بكلمة "راعنا" وأرشدهم إلى مرادفه "انظُرْنَا" لأنّه المناسب في مقام خطاب الرسول ﷺ، وذلك لما روي أنّ كلمة "راعنا" لها في العبرية معنى مذموم. وفي هذا يقول الزمخشري: "كان المسلمون يقولون لرسول الله ﷺ إذا ألقى عليهم شيئاً من العلم: راعنا يا رسول الله، أي راقبنا وانتظرنا وتأنّ بنا حتى نفهم كلامك ونحفظه. وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية أو سريانية، وهي (راعينا) فلما سمعوا بقول المؤمنين: راعنا. افترضوه، وخاطبوا به الرسول ﷺ وهم يعنون به تلك المسببة، فنهى المؤمنون عنها

١ - سورة الحجرات: ١٤.

٢ - الزمخشري، الكشاف: ج٤/٤٠٨.

٣ - أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: مج٤: ج٨/١٢٣.

٤ - الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ط/٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٢م: ج٢٦/٩٠.

٥ - سورة البقرة: ١٠٤.

وأمرُوا بما هو في معناها وهو "نَظَرْنَا" من نظره إذا انتظره<sup>(١)</sup>. ففي كلمة "رَاعِنًا" خطاب مع استعلاء وليس في "نَظَرْنَا" إلا سؤال الانتظار، ولذلك كانت "نَظَرْنَا" أفضل وأنسب بمقام التعبير من "رَاعِنًا" وإن كانتا مترادفتين تتقاربان في المعنى العام<sup>(٢)</sup>.

فلغة القرآن تحتفظ لكل لفظةٍ بمعناها الخاص، لذلك "لا مناصَ من الإقرار بوجود الترادف بوصفه ظاهرة لغوية عامة، مع الاحتراز من الزعم بأن الألفاظ المترادفة متطابقة المعنى في جميع الحالات؛ فالتماثل التام في الاستعمال نادر الوقوع، إذ لا بدَّ من وجود فروق معنوية تجعل كل لفظٍ يستقلُّ بجانبٍ من الجوانب المختلفة للمدلول الواحد"<sup>(٣)</sup>.

هذا في اللغة عموماً، أما في سياق القرآن فلا مجال للترادف، وإلى هذا ذهب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، (ت ٧٢٨هـ) إذ رأى أن الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن، فإما نادر وإما معدوم، وقلَّ أن يُعبَّر عن معنى واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل فيه تقريب لمعناه<sup>(٤)</sup>، وهذا عنده أحد أسباب الإعجاز.

فإقرارُ الترادف وتبادل المترادفات فيما بينها في القرآن الكريم يعني إمكان التداخل البشري في تبديل كلمات داخل نصٍّ مقدس، وهو أمرٌ خطيرٌ إذ ينفي قضية الإعجاز القرآني الذي ارتبط بالشكل والمضمون<sup>(٥)</sup>.

وبهذا الصدد يقول الدكتور بكري شيخ أمين في دراسته التحليلية لسورة عم: "ولو بدلنا بعض المفردات القرآنية، كمفردة "جهنم" بما يرادفها كالسَّعير، أو النَّار، ومفردة "للطَّاغين" بنظائرها كالظَّالمين، أو الباغين، أو المستبدين، وسرنا في طريقة الإبدال بين المفردات، وصلنا إلى صورة باهتة شاحبة، خالية من التأثير المطلوب، فارغة من المعنى المرغوب، وضاع النصُّ الرَّائع، لأنَّ الصُّورة المُخيفة التي تعرضها الآيات تتضاءل بتغيُّر

١- الزمخشري، الكشاف: ج ١/٢٠٧. ويُنظر تفسير أبي السعود العمادي، إرشاد العقل السليم: مج ١: ج ١/١٤١.

٢- عبد الغفار، د. السيد أحمد، التفسير ومناهجه والنص وتفسيره: يُنظر ص ٢٢٦-٢٢٧.

٣- قدور، د. أحمد محمد، المدخل إلى فقه اللغة العربية، منشورات جامعة حلب، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م: ص ٢١٠.

٤- ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير: ص ٤٢.

٥- ياسوف، د. أحمد، دراسات فنيّة في القرآن الكريم: ص ٦٥.

المفردات<sup>(١)</sup>. فالقولُ بتساوي الدلالات (التَّرادف) يخلُ بالإعجاز، ويجعل الأسلوبَ القرآنيَّ المُعجز في مساواة كلام الناس.

### - تأكيد الفروق في دراسات المُحدثين:

اجتهد الدارسون المُحدثون في ربط مدلول الكلمة القرآنية بسياقها حتى تكون ملائمةً له على أحسن وجهٍ من وجوه الملاءمة، واستبعدوا، ما خلا الدكتور صبحي الصَّالح، وجودَ التَّرادف في القرآن الكريم برغم اعترافهم به ظاهرةً لغويةً واقعيةً، ورأوا أنَّ السِّياقَ القرآنيَّ أفضلُ جانبٍ تطبيقيٍّ يبيِّن الفروقَ الدَّقيقةَ بين المفردات المترادفة، ويؤكدُ أنَّ كلَّ كلمةٍ تحملُ معنىً جديدًا، وفي هذا يقول الدكتور حفني محمد شرف: "كلُّ لفظةٍ من ألفاظ القرآن وُضِعَتْ لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء، ولذلك لا نجد فيه ترادفًا، بل كل كلمةٍ تحملُ إليك معنىً جديدًا"<sup>(٢)</sup>.

وقد مرَّ بنا قول الدكتور محمد عبد الله دراز مبرزًا الناحية اللغوية في إعجاز القرآن، رغم أنَّ حروف كلماته رُكِّبَتْ من حروف كلام العرب: "إِنَّ مَثَلَ صَنَعَةِ الْبِنْيَانِ كَمَثَلِ صَنَعَةِ الْبُنْيَانِ، فالمهندسون البناؤون لا يخلقون مادةً بناءً لم تكن في الأرض، ولكنهم تتفاضلُ صناعاتهم، كذلك ترى أهلَ اللغةِ الواحدة يودُّون الغرضَ الواحدَ على طرائقٍ شتى، ينفاتُ حظُّها في الحُسْنِ والقبول، وما من كلمةٍ من كلامهم، ولا وَضَعٍ من أوضاعهم بخارجٍ عن موادِّ اللغةِ وقواعدها في الجملة، لكنَّ حُسْنَ الاختيارِ قد يعلو بالكلام حتى يسترعي سمعك، ويثلج صدرك، ويملك قلبك"<sup>(٣)</sup>.

فالشَّأنُ إذن في الاختيار، الذي على حسبهِ يقع التَّفَاوُتُ في درجاتِ الكلام وفي حظِّه من الحُسْنِ والقبول، والقرآنُ الكريم انفرد في تأليفِ كلامه واختيارِ ألفاظه وارتقى إلى درجةٍ تتجاوزُ طرائقَ العرب في التَّعبيرِ وتصلُ إلى مرتبةِ الإعجاز.

١- شيخ أمين، د. بكري، التَّعبير الفني في القرآن الكريم: ص ٢٦٨.

٢- شرف، د. حفني محمد، الإعجاز البياني بين النظرية والتطبيق، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٧٠م: ص ٢٢٢، ويُنظر بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ٥٧.

٣- دراز، النَّبأ العظيم: ص ٩٠، ويُنظر السَّيد تقي الدِّين، نظرات في الأسلوب القرآني: ج ٢/١١٧-١١٨.

ويقول الدكتور أحمد جمال العمري: "إنَّ القرآنَ العظيمَ يتأنَّقُ في اختيارِ ألفاظه، فكل كلمة توضع في مكانها، كاللبننة في البناء، ولا يصلح غيرها موضعها، ولو تقارب المعنى وتساوى معها في الطول والعرض، لأنَّ لكل كلمة دلالة خاصة، وإيحاءً خاصاً"<sup>(١)</sup>. في ضوء هذا الفهم توجَّه جهد الدارسين المُحدثين إلى المفردات القرآنيَّة بحثاً عن دقائقها واستلهاماً لأسرارها، إذ أخذوا على عاتقهم، في درسيهم البيانيِّ للقرآن، نصرة تفرُّد الكلمة القرآنيَّة بمعناها الخاصِّ مستنديين في ذلك إلى السِّياق القرآنيِّ.

وأبرز ما يطالعنا من هذه الدِّراسات دراسةُ الدكتورة عائشة عبد الرَّحمن التي أعدت بحثاً في "مشكلة الترادف اللغويِّ في ضوء التفسير القرآنيِّ"، وفيه تقول: "شَهِد التتبعُ الدقيقُ لمعجم ألفاظ القرآن، واستقراءُ دلالتها في سياقها، بأنَّ القرآنَ يستعمل اللفظَ بدلالةٍ محدودةٍ، ولا يمكن معها أن يقوم لفظٌ مقام لفظٍ آخر"<sup>(٢)</sup>. وجعلت هذه الفكرة قوامَ دراستها التفسيرية لقصار السور في جزأي "التفسير البيانيِّ" وفي "الإعجاز البيانيِّ" الذي قدِّمت فيه دراسة نظريَّة، ثم دراسة تطبيقيَّة في عشر مسائل<sup>(٣)</sup>، منها مسألة التفريق بين (حلف) و(أقسم). ويمكن أن نعدَّ كلامها -كما ذهب إلى ذلك الدكتور أحمد ياسوف<sup>(٤)</sup>- حول هذه المسألة ردًّا على رأي الدكتور صبحي الصالح الذي أكد فكرة الترادف في سياق الآيات القرآنيَّة؛ لاختلاف لهجات العرب أو لغاتهم على الأصحَّ ثم تعايش هذه اللغات، ممَّا يؤدي إلى استعمال كلتا المفردتين، والقرآن في رأيه يؤكِّد هذا<sup>(٥)</sup>، وقدَّم شواهد قرآنيَّة تدعم رأيه، ومن هذه الشواهد استعمال القرآن الكريم للفظين: (أقسم) و(حلف)، فهو يرى أنَّهما لغتان عربيتان مدلولهما واحد.

١- العمري، د. أحمد جمال، مفهوم الإعجاز القرآني: ص ٢٩٠.

٢- عبد الرحمن، د. عائشة، التفسير البياني: ج ١/ ٧.

٣- هذه المسائل هي: الرؤيا والحلم، أنس وأبصر، النَّأي والبعد، الحلف والقسم، التصدُّع والتَّحطُّم، الخشوع والخشية، الخضوع والخوف، زوج وامرأة. والألفاظ من المادة الواحدة: الإنس والإنسان، النعم والنعميم.

٤- يُنظر كتابه جماليات المفردة القرآنيَّة: ص ٦٤.

٥- الصالح، د. صبحي، دراسات في فقه اللغة، ط/١١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦م: يُنظر ص ٢٩٩.



والذكورة عائشة، بتمحيصها واستقراءها الكامل لما جاء في القرآن حول الفعلين، تفرق بينهما وتمنع ترادفهما وتقرر: أن مادة "ح ل ف" جاءت في ثلاثة عشر موضعاً، كلها بغير استثناء في الحنث باليمين، والغالب أن يأتي الفعل مسنداً إلى المنافقين<sup>(١)</sup>، وجاء مرة واحدة مسنداً إلى ضمير الذين آمنوا، فوجبت عليهم كفارة الحلف ﴿ذَلِكَ كَفَّارَةٌ لِّأَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، أمّا القسم فيأتي في الأيمان الصادقة، وجاء موصوفاً بالعظمة في آية الواقعة: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>، وسؤالاً من الله تعالى، على وجه الاعتبار، لكل ذي حجر، في آية الفجر: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾<sup>(٤)</sup>؟ واختصَّ القسم بحرمة الشهادة على الوصيّة، حيث لا يحلّ الحنث باليمين، في آيتي المائة [١٠٨-١٠٩]، وكذلك يُسند القسم في القرآن إلى الضالّين، حين يكون قسّمهم عن اقتناعٍ منهم بالصدق، قبل أن ينكشف لهم أنهم كانوا على ضلال، في عدة آيات<sup>(٥)</sup>.

وأمام هذا البيان القرآني، "لا يجوز أبداً أن نفسّر القسم بالحلف، لأنّ صنيع القرآن يلفت إلى فرق دقيق بينهما. فإن لم نقل إنّ القسم لليمين الصادقة، حقيقةً أو وهماً، والحلف لليمين الكاذبة، على إطلاقها، فلا أقلّ من أن يكون بين دلالتيهما الفرق بين العام والخاص: فيكون القسم لمطلق اليمين بعامّة، ويختصّ الحلف بالحنث في اليمين، على ما اطرّد استعماله في البيان القرآني"<sup>(٦)</sup>. فالقرآن الكريم يستخدم ألفاظه بدقة فائقة، ولا تستطيع كلمة أخرى توفية المعنى الذي وفّت به أختها، فكلُّ لفظةٍ وضعت لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء.

١- في آيات التوبة: ٤٢-٥٦-٦٢-٧٤-٩٦-١٠٧، والنساء: ٦٢، والمجادلة: ١٤-١٨، والقلم: ١٠.

٢- سورة المائدة: ٨٩.

٣- سورة الواقعة: ٧٦.

٤- سورة الفجر: ٥.

٥- هذه الآيات هي: الأنعام ١٠٩، فاطر ٤٢، الأعراف ٤٩، إبراهيم ٤٤، النحل ٣٧.

٦- عبد الرحمن، د. عائشة، الإعجاز البياني: ص ٢٠٧ وتُنظر المسألة كلها من ص ٢٠٤ حتى ص ٢٠٧. ويُنظر التفريق بين (الحلف) و(القسم) في الشايخ، د. محمد بن عبد الرحمن، الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن: ص ٢٣٨-٢٤٣.

ومثل هذا المنهج الاستقرائي وجدناه عند الدكتور تَمَام حَسَّان الذي فرَّق بين اسمين من أسماء الله الحسنى من أصلٍ واحدٍ هما: (الرَّحْمَنُ والرَّحِيمُ)، إذ عمد إلى استقراء النُّصوص القرآنيَّة، ليرصد الفروق بينهما، ويحرر المعاني الدَّقِيقة لكلِّ منهما<sup>(١)</sup>.

كما وجدناه أيضاً عند الدكتور محمَّد بن عبد الرحمن الشايع في كتابه "الفروق اللغويَّة وأثرها في تفسير القرآن"<sup>(٢)</sup>، من ذلك على سبيل المثال، تفريقه بين (السَّبِيل) و(الطَّرِيق)، إذ أوضح أنَّ البيان القرآنيَّ فضَّل استعمال لفظة (السَّبِيل) على لفظة (الطَّرِيق) في بيانه المعجز. يتَّضح ذلك من إحصاء استعماله لكلِّ لفظة منهما في بيانه، فقد جاء استعمال لفظة (السَّبِيل) في أسلوب القرآن الكريم، بمختلف تصاريفه، في نحو مائة وأربعة وسبعين موضعاً، وكان استعمال لفظة (الطَّرِيق) بتصاريفها في نحو أحد عشر موضعاً فقط.

وتلمَّس الدكتور الشايع دواعي هذا التَّفْضيل في أنَّ مدار لفظة (السَّبِيل) على اليسر والسهولة والوضوح إضافة إلى أنَّ تتبع استعماله يشير إلى أنَّها أغلب وقوعاً في الخير، على حين لا يكاد اسم (الطَّرِيق) يُراد به الخير إلَّا مقترناً بوصف أو إضافة تخلَّصه لذلك، وتدلَّ عليه<sup>(٣)</sup> كما في قوله تعالى: ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٤)</sup>، كما يغلب استعمال الطَّرِيق حين يكون الخطاب في مجال العتاب والتهديد للكفار والمنافقين ونحوهم. كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً﴾<sup>(٦)</sup>.

١- سبق أن قدَّمنا تفريقه بين اسمي "الرحمن" و"الرحيم" في الفصل الثالث من هذا البحث.

٢- فرَّق من خلال استقراء الآيات القرآنيَّة بين كلمات قرآنيَّة كثيرة ظاهرها الترادف، مثل: الحمد والشكر، والريب والشك، والسرعة والمنهاج، والشح والبخل، والكمال والتمام، وغيرها. مؤكِّداً أنَّ القرآن يستعمل كلَّ كلمة بدلالة لا يمكن أن تؤدبها كلمة أخرى غيرها.

٣- ينظر القاموس المحيط: ص ٨٦١، وينظر الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن: ص ٢٢٣.

٤- سورة الأحقاف: ٣٠.

٥- سورة النساء: ١٦٨-١٦٩.

٦- سورة الجن: ١٦.

والطَّرِيق يُطلق على كل ما يطرقه طارقٌ معتادًا كان أو غيرَ معتادٍ أخذًا من طرق رجل السالكين له أي ضربها به. يُقال: طرَّق طريقًا سهلة حتى طرقة الناس بسيرهم<sup>(١)</sup>. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾<sup>(٢)</sup>، ولعلها اللفظة الوحيدة في القرآن لدلالة الطَّرِيق على معناه الحسيّ. ومنه أُطلق الطَّرِيق على كلِّ مسلكٍ يسلكه الإنسان محمودًا كان أو مذمومًا لأنَّه يسير عليه.

أمَّا (السَّبِيل) فإنَّها تُطلق على الطريق الذي فيه سهولة، فهي في المعنى الحسيّ أخصُّ من الطريق؛ إذ هي تطلق على هو معتاد السلوك من الطريق، وتقع على أوسع مما تقع عليه لفظة الطريق، فيعبر بالسبيل عن الحجّة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

كما يُلاحظ في البيان القرآنيّ، اختصاص لفظة (السبيل) في إضافتها إلى الله في كثير من الآيات وهذا خلافٌ للفظة الطريق، فلم تُضف إليه سبحانه أبدًا. قال تعالى: ﴿تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾<sup>(٥)</sup>، وغير ذلك من الآيات.

وورود (السَّبِيل) في القرآن بمعنى الطريق الحسيّ قليلٌ، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا﴾<sup>(٦)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾<sup>(٧)</sup> وفي هذا إشارة إلى السرعة في المرور وهو ما يتحقق بسهولة الطريق.

لكن يكثر في القرآن استعمال (السبيل) بمعناه المعنويّ، كما في قوله تعالى:

١ - الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن: الطريق ص ٣٠٣.

٢ - سورة طه: ٧٧.

٣ - سورة يوسف: ١٠٨.

٤ - سورة البقرة: ١٥٤.

٥ - سورة التوبة: ٦٠.

٦ - سورة النحل: ١٥.

٧ - سورة النساء: ٤٣.

﴿وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، إلى غير ذلك من الآيات.

فدلالة لفظة (السبيل) على اليسر والسهولة والوضوح، وكونها أغلب وقوعاً في الخير، وفي الحديث مع المسلمين أو عنهم، واختلاف اللفظتين في بعض مجالات الاستعمال بحيث تصلح أحدهما دون الأخرى، واختصاص لفظة السبيل بإضافتها إلى الله سبحانه، وكثرة استعمالها في القرآن الكريم دون لفظة الطريق، كل ذلك يدل على عدم قيام الترادف التام بين اللفظتين<sup>(٣)</sup>.

ومن الشواهد الكثيرة على الفروق الدلالية بين المفردات المتقاربة الدلالة في القرآن الكريم، نذكر ما جاء عند الدكتور سعيد رمضان البوطي من التفريق بين (جَفَّي) و(ابلعي) في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ﴾<sup>(٤)</sup>، يقول: "أرأيت أنه لم يقل: (جَفَّي مَاءَكَ)، مثلاً، مع أنه هو التعبير المتفق مع طبيعة الأرض وشأنها، وإنما قال: (ابلعي ماءك) ليصور لك أن الأرض لما اتجهت إليها إرادة العزيز الخبير انقلبت مسامها وشقوقها إلى أفواه فاغرة تبتلع الماء ابتلاعاً! فهي لم تتفد الأمر بالطبيعة المألوفة لها، وإنما بالانقياد لأمر خالقها جل جلاله"<sup>(٥)</sup>.

فإدراك السر في إثارة كلمة على كلمة أخرى تقاربها في المعنى تبدى في دراسات المحدثين من خلال الكشف عن احتواء المادة اللغوية للفكرة الخاصة، ومن خلال مراعاة الإشعاع النفسي للكلمات. من ذلك مثلاً أنه عن تمكن صفة البعيد من السياق في الآية

١ - سورة البقرة: ١٠٨.

٢ - سورة الأعراف: ١٤٦.

٣ - يُنظر التفريق بين (السبيل) و(الطريق) بالتفصيل في الشايح، د. محمد بن عبد الرحمن، الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن: ص ٢٦٣-٢٦٦.

٤ - سورة هود: ٤٤.

٥ - البوطي، د. محمد سعيد رمضان، من روائع القرآن: ص ٣٣٢.

الكريمة: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾<sup>(١)</sup>، يقول الدكتور أحمد بدوي: 'لقد يتراءى أن وصف الشقاق، وهو الخلاف، بالقوة أولى من وصفه بالبعد، ولكن التأمل يدل على أن المراد هنا وصف خلافهم بأنه خلاف تتباعد فيه وجهات النظر إلى درجة يعسر فيها الالتقاء، ولا يدل على ذلك لفظ غير هذا اللفظ الذي اختاره القرآن<sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك أيضاً أنه في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾<sup>(٣)</sup>، ربّما كانت الموسيقى والفاصلة في هذه الآية تجعل من المناسب أن يوصف الفج بالبعد، فيقال: فج بعيد، ولكن إثارة الوصف بالعمق جاء تصويراً لما يشعر به المرء حين يكون أمام طريق حُصِرَ بين جبلين، فصار كأن له طولاً، وعرضاً، وعمقاً<sup>(٤)</sup>.

ومما اعتنى به دارسو البيان القرآنيّ المُحدَثون، **تعاور المفردات**، ويُقصدُ به استعمال مفردة في موطن، واستعمال غيرها في موطن آخر شبيه به، بل في القصة الواحدة قد تُستعمل مفردة في موضع وتُستعمل غيرها في موضع آخر مع أن القصة واحدة والموقف واحد<sup>(٥)</sup>. وقد ذكر الدكتور فاضل السامرائي الكثير من الآيات القرآنية التي تعاورت فيها المفردات والموقف واحد، نذكر منها على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾<sup>(٦)</sup>، من الآية: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ

١ - سورة البقرة : ١٧٦ .

٢ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ٦٢-٦٣

٣ - سورة الحج : ٢٧ .

٤ - العمري، د. أحمد جمال، مفهوم الإعجاز القرآني: ص ٢٩٣. ويُنظر بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن : ص ٦٣. ويُنظر أيضاً النابلسي، د. محمد راتب، الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة، معهد جمعية الفتح الإسلامي، ٢٠٠٣م: يُنظر ما كتبه حول قوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.

٥ - السامرائي، د. فاضل، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: ص ١٢٢ .

٦ - سورة البقرة: ٦٠ .

رَزَقَ اللَّهُ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١﴾ وقوله: ﴿فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾<sup>(١)</sup>، من الآية: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾. إذ الانفجار بالماء أغزر من الانبجاس<sup>(٢)</sup>، فخالف القرآن بين المفردتين مع أن القصة واحدة والموضع واحد. ويُجيب السامرائي عن هذه المغايرة بأنه ذكر حالة كل منهما تبعاً لما يقتضيه السياق، وذكر جملة أسباب منها<sup>(٣)</sup>:

- ١- أن موسى هو الذي استسقى في سورة البقرة، في حين أن قومه هم الذين استسقوه في سورة الأعراف، والحالة الأولى أكمل، فناسب إجابته بانفجار الماء دون الثانية.
  - ٢- قال تعالى في سورة البقرة: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ أي إن الله قال ذلك لموسى قولاً، في حين ذكر في الأعراف أن الله أوحى إلى موسى بذلك وحيًا، والقول الصريح من الله أكمل وأقوى من الوحي، فناسب ذلك ذكر الانفجار.
  - ٣- قال تعالى في سورة البقرة: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾ فجمع لهم بين الأكل والشرب، ولم يرد في الأعراف ذكر الشرب، فناسب ذلك أن يُبالغ بذكر الانفجار بالماء. وعلى هذا النحو يمضي السامرائي في تعداد الأسباب الموجبة لذكر كل مفردة في سياقها، مؤكداً مناسبة تمام المناسبة للمقام الواردة فيه.
- وهكذا نفت الدارسون الانتباه إلى سر اختيار الألفاظ، ونبهوا على أن الاختلاف الدلالي بين بعض المفردات القرآنية المتقاربة الدلالة، وخاصة في السياقات القرآنية المتشابهة، إنما يقتضيه المعنى والمقام.

وقد بلغت عناية الدارسين المحدثين بمفردات القرآن الكريم حدًا تتبّع الكلمة في معجم القرآن الكريم وتحديد دلالتها في ضوء هذا التتبّع، ورفض أن يكون المراد منها

١ - سورة الأعراف: ١٦٠.

٢- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق محمد علي البجاوي، دار الفكر العربي: ج ١٠/٣. والانفجار انصباب الماء بكثرة، و الانبجاس ظهور الماء.

٣- السامرائي، د. فاضل، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: ص ١٢٥-١٢٦.

معنى آخر وإن أقرته معاجم اللغة. وهذا ما وجدناه عند الدكتورة عائشة عبد الرحمن التي تتبعت بعض الألفاظ القرآنية في سياقاتها المختلفة، وأكدت أن القرآن استعمل اللفظ بدلالة معيئة، ولا يمكن أن يرد بمعنى آخر، وإن كان هذا المعنى من المعاني التي يحملها اللفظ. ومن ذلك أيضاً ما وجدناه عند الدكتور حسن طبل في كتابه "أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية" في فقرة الالتفات في المعجم، إذ يقول موضحاً سرّ العدول عن لفظة (البحر) إلى لفظة (اليَمِّ) مع أنّ المراد بالبحر في الآية الأولى هو بعينه المراد باليَمِّ في الآية الثانية، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَىٰ فِتْنَتَهُمْ فِرْعَوْنَ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾<sup>(١)</sup> [طه: ٧٧-٧٨]: "وفي ضوء ما ذكرته المعاجم في المادتين نستطيع القول بأنّ لفظتي (البحر) و(اليَمِّ) وإن دلّتا على معنى واحد فإنّ لكلّ منهما مسارها الدلالية أو دائرتها الإيحائية الخاصة التي تتمايز بها من الأخرى، فعلى حين ترد الأولى بملحظ من معنى السّعة أو الشّق تردُ الثانية بملحظ من الدلالة على الطّرح أو القصد أو القهر<sup>(٢)</sup>، ومن ثم كان إثثار الأولى مع نعمة الإنجاء، ثم العدول عنها إلى الثانية مع نقمة الإغراق؛ إذ بهذا وذاك تبرز ملامح المعجزة التي تحققت لموسى عليه السلام في هذا الموقف أي معجزة المفارقة بين مصيرين متناقضين في مكان مائيّ واحد يفسح لفريق وينشق لهم طريقاً مطمئناً يدرجون عليه آمنين، وينغلق على فريق آخر، فيتعمدهم دون الأوّلين بالهلع، ويطرحهم في لجته الهائجة جثّاً هامدة"<sup>(٣)</sup>.

ويلفت الدكتور حسن طبل الانتباه إلى أنّ ممّا يجلي هذا التّمايز بين اللفظتين أنّ لفظة (البحر) قد وردت في ثلاثة وثلاثين موطناً من القرآن الكريم، تدور، في الأغلب

١ - سورة طه: ٧٧-٧٨.

٢- تقول معاجم اللغة في مادة (ب ح ر): أصل البحر مكان واسع جامع للماء الكثير، والبحر عند العرب أيضاً الشّق ومنه بحرت البعير أي شققت أذنه شقاً واسعاً. وتقول في مادة (ي م م): اليَمِّ البحر، وقيل اليَمِّ هو لجة البحر، ويَمَمَه: قصده، ويَمِّم (بالضم) فهو ميموم: طرّح في البحر، ويَمِّ الساحل يَمّاً إذا غلبه البحر وغطاه فطمأ عليه. (يُنظر لسان العرب، القاموس المحيط، تاج العروس)

٣- طبل، د. حسن، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: ص ١٦٦.

الأعم، حول تذكير الإنسان بما أسبغه المولى سبحانه عليه من نعم، أمّا لفظة (اليَمِّ) فقد وردت ثماني مرات في القرآن الكريم كلّها في سياق قصة موسى عليه السلام، وكان اليَمُّ في خمسٍ منها أداة نقمة ووسيلة هلاك كما هو في الآية التي نحن بصددّها، أمّا الثلاث الأخرى فقد وردت في خطاب أم موسى عليه السلام في موطنين هما قوله تبارك وتعالى: ﴿أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾<sup>(٢)</sup>.

"إنّ إيثارَ لفظ (اليَمِّ) في هاتين الآيتين ممّا يؤكّد ذلك التّمايز الإيحائيّ، إذ الشّأن فيما ذُكر بلفظ (اليَمِّ) أن يكون وسيلة إهلاك، ولكن شاءت إرادته عزّاً وجلّاً أن يغدو اليَمِّ المهلك في العادة، له عليه السلام خاصّة، وسيلة نجاة، كما شاءت أن تكون النّار التي من شأنها الإحراق برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام"<sup>(٣)</sup>.

ونختم بالإشارة إلى ما أشار إليه من أنّ كلّاً من لفظتي (البحر) و(اليَمِّ) في القرآن الكريم قد تواردت قرآنيّاً مع قائمة من الألفاظ التي لم تتوارد معها الأخرى، فبينما تواردت لفظة البحر مع ألفاظ من مواد: (الإنجاء- الصيّد- التّكريم- المتاع- الاهتداء- التّسخير- النّعمة) تواردت لفظة اليَمِّ مع ألفاظ من مواد (الانتقام- القذف- الإلقاء- النّسف- النّبذ)، وفي هذا التّمايز الجلي بين القائمتين ما يدعم القول بأنّ هاتين اللفظتين، وإن دلّتا على معنى واحد، فإنّ لكلٍّ منهما ظلالها الإيحائيّة الخاصّة التي جعلتها أكثر من الأخرى ملائمة لموقعها من سياق الآية الكريمة.

وعلى هذا النحو بسط الدّارسون البيانويّون القول في هذه النّاحية اللغويّة، وأشاروا إلى الفروق بين دلالات الألفاظ المتقاربة الدلالة، وبيّنوا في ضوء هذه التّفرقة الدّقيقة سرّاً اختيار كلّ كلمة في موضعها، وأفصحوا عن تفرّد الكلمة القرآنيّة بمعناها الخاصّ ضامّين إياها إلى السّياق الكلّي، بتأمّلات عميقة وتحليلٍ مقنع.

١ - سورة طه: ٣٩.

٢ - سورة القصص: ٧.

٣ - طبل، د. حسن، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: ص ١٦٧.



## - ملاءمة المفردة القرآنية لسياقها من حيث هيئتها:

تمتاز اللغة العربية بوفرة الاشتقاقات الصرفية، وتتنوع الأبنية وتعددها للمعنى الواحد؛ مما يعطي المفردة دلالة جديدة، ويُغني عن المزيد من المفردات. ففي "اللغة العربية مساحة واسعة للتعبير عن المعنى، فلا يعبر عن المعنى بعبارة واحدة ولا بطريقة واحدة، بل يعبر عنه بعبارات عدة وبطرائق مختلفة، وهذه العبارات لا تؤدي معنى متماثلاً البتة، بل إنَّ كلَّ عبارة تختلف عن معنى العبارة الأخرى شيئاً من الاختلاف قليلاً أو كثيراً وإن كانت كلها يجمع بينها إطار عام"<sup>(١)</sup>. والاشتقاق خصيصة من خصائص العربية تمتاز به عن غيرها من اللغات الأخرى، وهو ضروري لنمو اللغة وتطورها<sup>(٢)</sup>.

ونعني بهيئة الكلمة في هذه الفقرة الصيغة الصرفية التي ترد فيها الكلمة، من اسمية وفعلية، وتعريف وتكبير، وإفراد وتثنية وجمع، وتذكير وتأنيث، وغير هذا من الصيغ التي تأمل دارسو البيان القرآني السرّ البلاغي في اختيارها، وأبرزوا مناسبتها التامة للسياق الواردة فيه.

وقد كثرت عناية الدارسين المُحدثين بهذا الجانب، وقدموا جهوداً طيبة فيه، إذ أضافوا على رؤية الدارسين القدامى، وتأملوا دقائق اللغة القرآنية بتذوق، لا بجفاف قاعدي.

وطالعنا الكثير من الدراسات التي تناولت هذا الجانب، وكان أبرزها دراسة الدكتور حسن طبل، ودراسات الدكتور السامرائي، ودراسة الدكتور عودة الله منيع القيسي بعنوان "سرّ الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن"، وهو في الأصل رسالة دكتوراه بالأردن؛ قدّم فيه الباحث جهداً مباركاً، ووفق إلى ذكر دلالات نافعة، مضيفاً الكثير على آراء القدامى، ومرجّحاً الأقوى منها. وقد خصّص الفصل الأول

١ - السامرائي، د. فاضل صالح، الجملة العربية والمعنى، ط/١، دار ابن حزم للطباعة، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م: ص٢٣٧..

٢ - وللتوسع حول الاشتقاق وأنواعه وعناية اللغويين به يُرجع إلى قدور، د. أحمد محمد، المدخل إلى فقه اللغة العربية: ص١٣٢-١٥٢.

لتنوع صيغ الأفعال المُشْتَقَّة من أصل لغويّ واحد، وخصّص الفصل الثاني لتنوع صيغ المشتقات ذات الأصل اللغويّ الواحد، وخصّص الفصل الثالث، والأخير لتنوع صيغ المصادر الراجعة إلى أصل لغويّ واحد.

وسنأتي على ذكر بعض جهودهم، إضافة إلى جهود غيرهم من الدارسين، مع بسط الشواهد القرآنيّة من خلال تحديدها لبعض الظواهر التي توقّف عندها دارسو البيان القرآنيّ وتجلّت فيها ملامح إعجازيّة في اختيار الصيغ.

### - الاسميّة والفعلية:

اهتمّ الدارسون البيانيّون بمعاني الصيغ الاسميّة والفعلية<sup>(١)</sup>، وتأمّلوا الفرق بين صيغ الأسماء وصيغ الأفعال في الاستعمال القرآنيّ، وبيّنوا الأسرار البيانيّة لاستعمالها، من خلال مقارنة، في أغلب الأحيان، بين مواضع أثر فيها النصّ القرآنيّ الاسم، الدالّ على الثبات والاستقرار، مع مواضع استعمال فيها الفعل الدالّ على الحدوث والتجدّد، في السياق نفسه. وقد كثرت في دراسات الباحثين في العصر الحديث، المقارنة بين صيغة الفعل والاسم، وبين صيغ الأفعال، وصيغ الأسماء.

من ذلك مثلاً، مقارنة بين الصيغة الفعلية "يخرج" و الصيغة الاسميّة "مخرج" الواردتين في سياق واحد، في قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾<sup>(٢)</sup> فقد استعمل الفعل مع الحي فقال (يخرج)، واستعمل الاسم مع الميت فقال: (مخرج) وذلك لأنّ "أبرز صفات الحيّ الحركة والتجدّد فجاء معه بالصيغة الفعلية الدالّة على الحركة والتجدّد، ولأنّ الميت في حالة همود وسكون وثبات جاء معه بالصيغة

١ - سبق أن رأينا هذا الاهتمام بمعاني الصيغ الاسميّة والفعلية عند الإمام عبد القاهر الذي أشار إلى الفرق بين الإخبار بالاسم والإخبار بالفعل، بقوله: "إنّه فرق لطيف تمسّ الحاجة في علم البلاغة إليه".

الجرجاني، دلائل الإعجاز: ص ١٧٤.

٢ - سورة الأنعام: ٩٥.

الاسميّة الدالّة على الثبات<sup>(١)</sup>. وهنا قد نتساءل: ولماذا جاءت هذه الصيغة في قوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾<sup>(٢)</sup>، دالّة على التّجدد في الموضوعين؟

يجيب الدكتور السامرائي عن هذا التساؤل، بأنّ السّياق في هذه الآية يختلف عنه في الآية السابقة، وذلك أنّ "السّياق فيها في التّغيير والحدوث والتّجدد دائماً عموماً، ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾\* تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(٣)</sup>، فالله سبحانه يؤتي ملكه من يشاء أو ينزعه منه، ويعزّز من يشاء أو يذله، ويغيّر الليل والنّهار، ويخرج الحيّ من الميت، ويخرج الميت من الحيّ، وغير ذلك من الأحداث<sup>(٤)</sup>. فالسّياق كلّ حركة وتغيير وتبديل، ولهذا جاء بالصيغة الفعلية.

ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾<sup>(٥)</sup>، إذ صوّرت كلّ من الكلمتين (صَافَاتٍ) و (يَقْبِضْنَ) طيران الطيور في الهواء؛ لكنّه اختار للتعبير عن بسط أجنحتها صيغة الاسم (صَافَاتٍ)، واختار للتعبير عن ضرب أجنحتها على جنوبها صيغة الفعل (يَقْبِضْنَ).

وقد تأمل الدارسون الدقّة التعبيرية في هذا الاختيار، وبيّنوا أنّه جاء على هذا النحو "لأنّ الأصل في قاعدة الطيران هو بسط أطراف الجسم الطائر في الهواء، لذا فإنّ القرآن الكريم صوّر حركة طيرانها في الهواء مبتدئاً بـ "صَافَاتٍ" مستخدماً الاسم لأنّه الأصل الدالّ على الديمومة واستمرار الطيران به، وعبر عن حركة قبض الجناح بالفعل

١ - السامرائي، د. فاضل، التعبير القرآني: ص ٢٣.

٢ - سورة آل عمران: ٢٧.

٣ - سورة آل عمران: ٢٦-٢٧.

٤ - السامرائي، د. فاضل، التعبير القرآني: ص ٢٣.

٥ - سورة الملك: ١٩.

"يقبضن" ليوحي بهذه الحركة الطارئة المتجددة<sup>(١)</sup>. وبذلك تبقى صورة الطيران الأصلية راسخة ثابتة من خلال الاسم الدالّ عليها، ويكون القبضُ منهن تارة بعد تارة.

### - صيغ الأفعال:

توقّف الدارسون عند صيغ الفعل، و أوضحوا المعاني التي تتطوي عليها هذه الصيغة أو تلك، مبينين وظيفتها في التعبير عن المراد، من ذلك ما جاء في دراسة الدكتور محمد أبي موسى في دراسته التحليلية لسورة الأحزاب، إذ بيّن وظيفة صيغة المضارع في إحضار الحدث، وكأنّما تراه العين وتسمعه الأذن. في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾<sup>(٢)</sup> قائلًا: "إنّ المضارع يحضر صورة الحدث، سواء أكانت في الزمن الماضي أم في المستقبل، لأنّ دلالتة الزمنية عند المحققين هي الحال، لذلك تجد كلمة "تقلّب" تبعث صورة حيّة ومثيرة"<sup>(٣)</sup>.

كما أوضحوا أيضًا ما في استخدام صيغة بعينها، وإن كان السياق يتطلّب صيغة أخرى، من أسرار بيانية غاية في الدقّة. من ذلك استعمال أحد الفعلين الماضي والمضارع موضع الآخر، فيأتي بالمضارع موضع الماضي لإحضار صورة الفعل أمام السامع، حتّى لكأنّه يشاهده؛ وليس ذلك ممّا يثيره الفعل الماضي، لأنّ سامعه قد يكتفي بأنّ يتخيّل فعلًا قد مضى، وربّما لا يستحضر صورته أو تكرّره. من ذلك على سبيل المثال، مجيء الفعل المضارع (تقتلون) في سياق يتحدث عن أفعال ماضية، في قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ

١ - عتر، د. نور الدين، علوم القرآن الكريم: ص ٢٣٠. و الراغب، د. عبد السلام، الدّراسة الأدبية

النظرية والتطبيق "تصوص قرآنية"، ط/١، دار الرفاعي ودار القلم العربي، سوريا، حلب، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م: ص ٥٠.

٢ - سورة الأحزاب: ٦٦.

٣ - أبو موسى، د. محمد، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، ط/٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م: ص ٤٠١.

رَسُولٌ بِمَا لَأْتَهُوْا أَنْفُسَكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ<sup>(١)</sup>، وذلك "ليصور جريمتهم كأنهم يرتكبونها، وفي ذلك من التشنيع عليهم ما فيه"<sup>(٢)</sup>.

وقد يأتي الماضي في موضع المضارع، وذلك كما يقول الدارسون: "لتأكيد وقوع الفعل حتى كأنه وقع" ولحظوا أن ذلك يكون "فيما يستعظم من الأمور"<sup>(٣)</sup>، ومن أمثاله مجيء الفعل الماضي للتعبير عن أحداث اليوم الآخر، وما سيقع فيه من أمور عظيمة. من ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾<sup>(٦)</sup>. بين الدكتور أحمد بدوي السر في استخدام الماضي في هذه الآيات مكان المضارع، بقوله: "وفي الإتيان بالماضي هنا من إيقاع الرهبة في النفوس ما فيه لأن الفعل كأنه قد تمّ، والقرآن يتحدث عنه"<sup>(٧)</sup>. ففي هذا التبادل الدلالي بين الأفعال الماضية والمضارعة، تأكيد لما سيحدث في المستقبل حتى كأنه حدث<sup>(٨)</sup>.

ولدارسي البيان القرآني نظرات أيضاً في صيغ الأفعال من الزمن الواحد، إذ بينوا السر في استخدام صيغة دون غيرها من صيغ الفعل، وأشاروا إلى المعاني البلاغية التي

١ - سورة البقرة: ٨٧.

٢ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١١١.

٣ - المصدر السابق: ص ١١١.

٤ - سورة النمل: ٨٧.

٥ - سورة الكهف: ٤٧.

٦ - سورة النحل: ١.

٧ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١١١-١١٢.

٨ - للتوسع حول التبادل الدلالي للأفعال، يُنظر عبد الكريم، د. بكري، الزمن في القرآن الكريم "دراسة دلالية للأفعال الواردة في القرآن"، ط/١، دار الفجر، القاهرة، ١٩٩٧م.

تفيدها هذه الصيغ في مقاماتها المختلفة. من ذلك استخدام القرآن "فَعَلَ" و "أَفْعَلَ"<sup>(١)</sup>، إذ قد يتبادر إلى الذهن أنهما بمعنى واحد، لكن الدّارس البيانيّ تلمّس الفرق بينهما في الاستعمال القرآني، إذ لمح الدّارسون من إفادة "فَعَلَ" للتكثير والمبالغة، السّرّ في إثارة القرآن لها للدلالة على ما هو أبلغ وأدوم، نحو "كَرَّمَ" و "أَكْرَمَ"؛ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾<sup>(٢)</sup>، وهذا تكريمٌ لبني آدم على وجه العموم والدوام، وقوله على لسان إبليس في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾<sup>(٣)</sup>، أي: فضّلته عليّ، في حين قال: ﴿كَلَّا بَلْ لَأَتُكْرِمُونَ النَّبِيِّينَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي﴾<sup>(٥)</sup>. وهو يقصد إكرامه بالمال، فاستعمل التّكريم إذن لما هو أبلغ وأدوم وأعمّ.

ومن هذا القبيل أيضاً، استعمال القرآن "وَصَّى" و "أَوْصَى"، فهو يستعمل "وَصَّى" لما هو أهمّ لما فيه من المبالغة، ولذا يستعمله للأمر المعنويّة ولأمر الدين، ويستعمل "أَوْصَى" للأمر الماديّة. قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾<sup>(٦)</sup>، وقال: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ﴾<sup>(٧)</sup>، وقال: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ﴾<sup>(٨)</sup>. في حين قال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي

١ - للتوسع حول الأسرار الإعجازية في الصيغ يرجع إلى هنداوي، د. عبد الحميد أحمد يوسف، الإعجاز الصّرفي في القرآن الكريم (دراسة نظرية تطبيقية: التّوظيف البلاغي لصيغة الكلمة)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م. وحول صيغة "أفعل"، يُنظر أسعد، د. توفيق، صيغة أفعل ودلالاتها في القرآن الكريم (دراسات أدبية)، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٠م. رتّب الباحث، في عنوان جزئي "دراسات أدبية"، المفردات بحسب الترتيب الهجائي، ثمّ صرف الفعل، فذكر الماضي والمضارع والأسماء، من غير ذكر الدلالة البلاغية التي هي أعلق بالدراسات الأدبية كما يذكر العنوان. وحول صيغة "افتعل"، يُنظر الخويسكي، د. زين كامل، في المجالات الدلالية في القرآن الكريم (صيغة افتعل)، ط/١، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩م.

٢ - سورة الإسراء: ٧٠.

٣ - سورة الإسراء: ٦٢.

٤ - سورة الفجر: ١٧.

٥ - سورة الفجر: ١٥.

٦ - سورة العنكبوت: ٨.

٧ - سورة البقرة: ١٣٢.

٨ - سورة الأنعام: ١٥١.

أَوْلَادِكُمْ لِلذِّكْرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ ﴿١﴾، ولم يستعمل "أوصى" في الأمور المعنوية وأمور الدين إلا في قوله تعالى: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾<sup>(٢)</sup> وذلك لاقتران الصلاة بالزكاة<sup>(٣)</sup>.

وللدارسين نظرٌ آخر لصيغة الفعل يتعلّق بنائها للمجهول، إذ فرّقوا بين صيغة الفعل من المادّة الواحدة، في حال بنائها للمجهول، وبنائها للمعلوم، والمراد منها واحدٌ، في الصيغتين. من ذلك على سبيل المثال، قوله تعالى في سورة الصافات: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، ببناء الفعل (يُنْزَفُونَ) للمجهول، في حين قال في سورة الواقعة: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، ببناء الفعل (يُنْزَفُونَ) للمعلوم. وقد فصّل الدكتور السامرائي القول في سبب ذلك، ببيانه أولاً، مستعيناً بلسان العرب ومعاني القرآن للفراء، لمعنى (ينزفون) في الآيتين؛ فالمعنى في آية الصافات، التي بُني فيها (يُنْزَفُونَ) للمجهول، أنّ هذا الشراب لا يُذهبُ عقولهم فلا يسكرون عنه. والمعنى في آية الواقعة، التي بُني فيها (يُنْزَفُونَ) للمعلوم، أنّ هذا الشراب لا ينفدُ، ولا ينقطعُ وأنهم لا يسكرون عنه<sup>(٦)</sup>.

ولمَحَ فروقاً بين الآيتين وهي أنّ معنى "الغول" في آية الصافات الفساد أو الإهلاك أو اغتيال العقول وهو السكر، وأنّ نفيهُ لا ينفي ما دونه من الآفات، فقد يكون فيه بعض أنواع العلل دون الموت. وأمّا في سورة الواقعة، فإنّه نفي الأدنى، وهو الصّداع، فانتفاء الأكبر هو من طريق الأولى، فإذا كانوا لا يصيبهم صداعٌ فمن الأولى أن لا يُصيبهم منها الغول، فانتفاء الغول لا ينفي الصّداع، وانتفاء الصّداع ينفي الغول، وأنّه إذا كان الغول بمعنى اغتيال العقول، وهو السكر فإنّه نفي بقوله: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾

١ - سورة النساء : ١١ .

٢ - سورة مريم : ٣١ .

٣ - السامرائي، د. فاضل، من بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: ص ٦٣ .

٤ - سورة الصافات : ٤٧ .

٥ - سورة الواقعة : ١٩ .

٦ - يُنظر لسان العرب، مادة (نزف): ج ١٤/١٠٩، ويُنظر الفراء، معاني القرآن: ج ٢/٣٨٥ .

شيئاً واحداً عنها، لأنَّ معنى: (لَا يُنْزَفُونَ) كمعنى (لَا فِيهَا غَوْلٌ)، ولكنَّ إحداهما صفةُ الخمرة والأخرى صفة شاربها، وأمَّا في الواقعة فإنه نفى عنها شيئين، الصداعَ والسُّكْرَ.

وبتوضيحه ثانيًا، لسياق الآيتين، وتأكيدِه أنَّ كلَّ صيغةٍ ناسبت السِّياق الواردة فيه تمام المناسبة، إذ إنَّ سياق الآيات في الصافات، هو في المؤمنين المُخلصين. قال تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ\* أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ\* فَوَآكِبُهُمْ وَهُمُ مَكْرُمُونَ\* فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ\* عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ\* يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ\* بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ\* لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ\* وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ\* كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾<sup>(١)</sup>. وإنَّ سياق الآيات في الواقعة، هو في السابقين المُقربين، وهم أعلى الخلق من المكلفين. قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ\* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ\* فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ\* ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى\* وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ\* عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ\* مُتَكَبِّينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ\* يُطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ\* بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ\* لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ\* وَفَاكِهَةٌ مِمَّا يَتَخَبَّروُنَ\* وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ\* وَحُورٌ عِينٌ\* كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ\* جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ\* لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا\* إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾<sup>(٢)</sup>. فالسابقون أعلى من المؤمنين المُخلصين؛ إذ إنه ليس كلُّ مخلصٍ من السابقين المُقربين وإنَّ كلَّ سابقٍ مخلصٌ ولذلك كان الجزاء مختلفاً، حيث ذكر في جزاء السابقين أموراً تدلُّ على أنَّ تكريمهم أعلى، وتتعمَّمهم أعظم من المؤمنين المُخلصين. فقد "ذكر في جزاء السابقين التقريب، وهو يشمل الإكرام وزيادة، وذكر السُّررَ وزيادة وهي أنها موضونة، وذكر التَّقَابِلَ وزيادة وهو الاتِّكَاءُ، وذكر الطَّوْفَ وزيادة وهي الولدانُ المُخلَّدون، وذكر الكأسَ وزيادة وهي الأكوابُ والأباريقُ، وذكر العينَ وزيادة وهي الحُورُ، ونفى السُّكْرَ وزيادة وهي عدمُ النَّفَادِ، وزاد نفي اللُّغْوِ والتَّأْثِيمِ وإثبات السَّلَامِ"<sup>(٣)</sup>.

١ - سورة الصافات: ٤٠-٤٩.

٢ - سورة الواقعة: ١٠-٢٦.

٣ - السامرائي، د. فاضل، من بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: يُنظر بالتفصيل ص ٧٨ حتى ص ٨٤.



وهكذا بالرجوع إلى المعنى اللغوي، وبتأمل السياق، أوضح السامرائي كيف ناسب "ينزفون" بالبناء للمجهول، مع مقابلته بالموضع الذي جاء فيه مبنياً للمعلوم، الموضع الذي ورد فيه على أحسن وجه من وجوه المناسبة، وذلك لا يكون إلا في كلام رب العالمين.

ولحظ الدارسون أيضاً كثرة بناء الفعل للمجهول مع أحداث اليوم الآخر، إذ لفتت الدكتورة عائشة عبد الرحمن الانتباه إلى السرّ البياني في هذه الظاهرة، قائلة: "وسرّها البيانيّ دقيقٌ جليلٌ؛ فالبناء للمجهول فيه تركيز الانتباه في الحدث ذاته، وحصر الوعي فيه، فلا يتوزع في غيره". قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا \* وَبَسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾<sup>(٢)</sup> وقال: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا \* وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا \* وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾<sup>(٣)</sup> وقال: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ \* وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾<sup>(٤)</sup>. "فالحدث هنا هو المقصود، واللفت إليه هو ما يتجه إليه البيان العالي، ولا تعلق بالمحدث ذاته، أهو الله سبحانه، أم أحد ملائكته، أم قوة إلهية.."<sup>(٥)</sup>.

#### - صيغ الأسماء:

كما فرّق الدارسون بين معاني صيغ الأفعال، فرّقوا أيضاً بين أبنية المشتقات، وكانت لهم وقفات في سرّ البناء واحتوائه لفكرة، ورسمه للمشهد بأدقّ طريقة فنيّة، من هذه الوقفات بيان الدكتور نور الدين عتر لقيمة صيغة اسم الفاعل (فالق) من الفلق في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾<sup>(٦)</sup>. يقول: "عبّرت الآية باسم الفاعل "فالق"،

١ - سورة الزلزلة: ١.

٢ - سورة الواقعة: ٤-٥.

٣ - سورة النبأ: ١٨-٢٠.

٤ - سورة العاديات: ٩-١٠.

٥ - عبد الرحمن، د. عائشة، التفسير البياني: ج ١/٨٢ ويُنظر ٨١. وللتوسع حول استغناء البيان القرآني

عن ذكر الفاعل في الكثير من الآيات القرآنية، يُنظر كتابها الإعجاز البياني للقرآن: ص ٢٢٢-٢٢٥.

٦ - سورة الأنعام: ٩٥.

واسم الفاعل ينطبق على الفاعل حال تلبسه بالفعل، وبذلك قوى القرآن الصّورة وأدناها منّا، ونبّه الإحساس لصورة الفلق، وهي صورة موحية مؤدّية جعلت نظرنا يتقّب الأرض إلى جوفها يشهد أعجوبة فلق النواة والحبّة عن حياة جديدة<sup>(١)</sup>.

وبيّن الدارسون سرّاً إيثار بناءً على بناء، من أبنية المشتقات، وما يوحي به في المقام، فقد يستخدم القرآن الكريم صيغة اسم الفاعل في موضع، ويستخدم بعدها صيغة أخرى في نفس الموضع، وقد لمح الدارسون هذه المغايرة، ووضّحوا الفرق بين الصيغتين، وبيّنوا كيف اقتضى المعنى كلّاً منهما.

من ذلك مثلاً، قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾<sup>(٢)</sup>، فقد استخدمت الآية الكريمة صيغة اسم الفاعل (شَاكِرًا) للدلالة على الشكر، واستخدمت صيغة المبالغة (كَفُورًا) عند التعبير عن الكفر. علّل الدكتور حسن طبل هذه المغايرة، بأنّ "المبالغة التي تنفرد بها الصيغة الثانية دون الأولى، تجسّد البون الشاسع بين إقبال الإنسان على الشكر وإقباله على الكفر، فهو لا يخطو خطوة في طريق الشكر إلّا وقد خطا في طريق الكفران والجحود خطوات"<sup>(٣)</sup>. ففي هذه المغايرة إذن، تأكيدٌ لذلك المعنى الذي سيقّت آيات أخرى لتقريره في طبيعة الإنسان من مثل قوله تبارك وتعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾<sup>(٥)</sup>. إضافة إلى تحقيق هذا الاختلاف بين الصيغتين: "التّوازي أو التّوازن الإيقاعي بين الفواصل"<sup>(٦)</sup>.

١ - عتر، د. نور الدين، القرآن الكريم والدراسات الأدبية، منشورات جامعة دمشق، المطبعة الجديدة، دمشق، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م: ص ٣٢٥.

٢ - سورة الإنسان: ٣.

٣ - طبل، أسلوب الالتفات: ص ٧٤. وتجدر الإشارة إلى أنّ البيضاوي رأى في هذا العدول عن (شَاكِرًا) إلى (كَفُورًا) إشعاراً بأنّ الإنسان -غالباً- لا يخلو عن كفران، وأنّه عزّ وجلّ لواسع رحمته بعباده لا يؤاخذهم على قليل الكفران والجحود، بل على المبالغة أو التّوغل فيه. يُنظر تفسير البيضاوي: ص ٧٧٤.

٤ - سورة سبأ: ١٣.

٥ - سورة إبراهيم: ٣٤.

٦ - يُنظر الحسناوي، د. محمد، الفاصلة في القرآن، ط/١، دار الأصيل، حلب، ١٩٧٧م: ص ٢٣٣ وما بعدها، وقطب، التّصوير الفنّي في القرآن: ص ٨٦-٨٧.

وبحث الدارسون أيضاً، في سرّ اختيار صيغة من صيغ المصدر دون غيرها من صيغ المصدر ذاته، أو صيغ مصدر فعل آخر يلاقيه في الاشتقاق. من ذلك على سبيل المثال، تفريق الدكتور عودة الله منيع القيسي بين المصدرين، اللذين لم يفرّق الدارسون قديماً بينهما، (الأمن) و(الأمنة). إذ ورد (الأمن) في قوله تعالى، في وصف المنافقين: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ﴾<sup>(١)</sup>، ووردت (الأمنة) مرتين في قوله تعالى، في غزوة حنين: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَاعِسًا﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النَّعَاسَ أَمْنَةً مِّنْهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

ولحظ أنه يوجد بينهما فرقان؛ الأول يتعلّق بالمعنى والثاني يتعلّق بالموسيقا. يقول: "الأول: ارتبطت كلمة (الأمنة) بكلمة (نعاس) في المرتين اللتين جاءت فيهما في القرآن، ولم ترتبط كلمة (الأمن) بالنعاس ولا مرّة واحدة من المرّات الخمس التي وردت فيها في القرآن، كأنّ الأمنة حالة من المعنى أخفّ من حالة الأمن، وأقصر وقتاً، فهي تأتي في ظرف خوف، وكأنّها الشمس تشرق في يوم ماطر، والثاني أنّ توالي الفتحّات في (أمنة) يمنحها معنى التدرّج في تسرّب الأمن إلى النفس، وهذه الظلال لا نحسّ بها في كلمة (أمن) ساكنة الوسط، بل هي حال ساكنة مستمرة"<sup>(٤)</sup>. فقد بيّن أنّ لكلّ صيغة سياقها المحدّد، وبالتدقيق بين محتويات كلّ سياق على حدة يتمّ التفريق بين الصيغ.

ومن هذا القبيل أيضاً، بيان الدكتور فاضل السامرائي للسّرّ البيانيّ في استخدام المصدر "الضلال" دون "الإضلال" في قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾<sup>(٥)</sup>، إذ القياس أن يقول: أن يُضِلَّهُمْ إضلالاً بعيداً، لأنّ مصدر (أضل)، الإضلال. أمّا

١ - سورة النساء: ٨٣

٢ - سورة آل عمران: ١٥٤.

٣ - سورة الأنفال: ١١.

٤ - القيسي، د. عودة الله منيع، سرّ الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن،

ط/١، دار البشير، عمان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م: ص ١٩٩.

٥ - سورة النساء: ٦٠

الضَّلَالُ فهو مصدرٌ (ضَلَّ)، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾<sup>(١)</sup>. والمعنى: "أَنْ يُضَلَّهْمُ فَيَضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا"، فقد جمع المعنيين الإضلال والضللال في آن واحد. فالشيطان يريد أَنْ يُضَلَّهْمُ ثم يريد بعد ذلك أَنْ يَضَلُّوا هم بأنفسهم، وَأَنْ يشارِكوا في ابتداء الضلال<sup>(٢)</sup>. ورأى السامرائي أَنَّهُ: "لو جاء بمصدر الفعل المذكور لما زاد عن معنى الفعل المذكور، ولكنَّه جاء بالفعل لمعنى، وبالمصدر لمعنى آخر، فجمع بين المعنيين، والمعنيين مرادان والله أعلم"<sup>(٣)</sup>. فالعدول عن مصدر الفعل إلى مصدر فعل آخر يلاقيه في الاشتقاق، واعم المعنى المقصود، وساعد في الكشف عن إحياءات نفسية قصد النص إليها، وهو أمرٌ خاصٌّ بالقرآن، وقلَّ أَنْ يُراعى في كتب الأدب الإنساني.

#### - التَّعْرِيفُ وَالتَّنْكِيرُ:

يختصُّ التَّعْرِيفُ وَالتَّنْكِيرُ بالاسم، ويسهم في تحديد الدلالة وبيان المقصود من الخطاب. ويعمُدُ المتكلم في خطابه إلى التَّعْرِيفِ حين يقصدُ إخبار السامع عن شيءٍ يعرفه كي تتحقق غاية الإفهام، إذ الغرضُ من التَّعْرِيفِ أصلاً كما حدَّده السَّكاكي هو: "إفادة السامع فائدة يُعتدُّ بمثلها"<sup>(٤)</sup>، فحضور المتلقي أو السامع أمرٌ لا بدَّ منه.

وقد أدرك دارسو البيان القرآني أَنَّ للتَّعْرِيفِ وَالتَّنْكِيرِ أسرارهما وارتباطهما بإبراز المعنى وتناسقه مع السِّيَاق العامِّ في التَّعبير القرآني. وكانت لهم لمحات بيانية حول التَّعْرِيفِ وَالتَّنْكِيرِ. وإنَّ هذه اللمحات البيانية، وإنَّ كان يتخللها شيء من البحث النَّحوي، فهي جزءٌ مهمٌّ في دراسة القرآن البيانية، لأنَّ الدَّارسَ يوضِّح ما وراء أدوات التَّعْرِيفِ من إسهام في أداء المعاني، لذلك، فمن الضَّروري أَنْ يتطرَّقَ إلى هذه الأصول النَّحويَّة؛ ولكن

١ - سورة النساء: ١١٦

٢ - يُنظر السامرائي، د. فاضل صالح، معاني النحو، ط/٢، دار الفكر، عمان، الأردن، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م: ج ٢/٢٤٢.

٣ - السامرائي، د. فاضل، التَّعبير القرآني: ص ٣٦.

٤ - السكاكي، مفتاح العلوم: ص ٩٥.

ليتجاوزها لا ليقف عندها، كما أن للسياق أهمية كبيرة في الكشف عن خصائص الألفاظ، فهو يحدّد معنى التعريف ويصفه، ويحدّد معنى التّكبير كذلك<sup>(١)</sup>.

من ذلك بيان الدّارسين لقيمة التعريف في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾<sup>(٢)</sup>. يقول الدكتور تمام حسان مبيّناً قيمة تعريف كلمة (النفس) في هذه الآية: "كان يمكن أن تقول: (إنّ نفسي لأمّارة بالسوء) فنفوّت على نفسها فرصة الاحتماء بالطبيعة الإنسانية حين توكّد اتّهام النفس على إطلاقها في موقف تسعى فيه إلى استخلاص بقية من حسن الظنّ بها بواسطة وقوفها موقف التائب المعترف بالخطأ، ومن هنا كان اختيار كلمة (النفس) لتعمّ نفوس البشر جميعاً ومنها نفسها هي"<sup>(٣)</sup>.

ومعلوم أنّ للتعريف أنواعاً، وكلّ نوع له قيمته الفنيّة، وارتباطه بالمعنى والسياق، وقدرته على الإيحاء وتوصيل المعنى. وقد فصلّ الدّارسون القول فيما يوحيه كلّ نوع من أنواع التعريف تفصيلاً دقيقاً، حتى في الأحوال التي يكتسب فيها الاسم تعريفاً شكلياً لا دلاليّاً، كالأسماء المعرفة بألّ الجنسية (لاستغراق المفرد، أو لاستغراق خصائص الأفراد، أو لتعريف الماهية). من ذلك على سبيل المثال ما جاء في دراسة الدكتور تمام حسان، إذ فصلّ القول في "أل"، التي استغرقت جهداً كبيراً من الدّارسين، وبينّ تعدّد معناها الوظيفي"<sup>(٤)</sup>.

فالقرآن يستخدم التعريف "بأل"، فنكون للعهد حيناً، وللجنس حيناً آخر، ومن أجمل مواقعها فيه أن تستخدم لاستغراق خصائص الجنس، كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا

١ - أبو موسى، د. محمد، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ينظر ص ٣٢٢.

٢ - سورة يوسف: ٥٣.

٣ - حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن: ج ١/٣٧٢.

٤ - حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن: ج ١/٣٣ وما بعدها.

رَبِّبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾، "فَكَأَنَّهُ قَالَ: ذَاكَ هُوَ الْكِتَابُ الْمُسْتَكْمَلُ لَخِصَائِصِ جِنْسِهِ، فَهُوَ الْكِتَابُ الْكَامِلُ" (٢).

ومنه قوله تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ (٣). "فتعريف الرزق هنا أفاد أنه لا رازق إلا الله لإفادة "أل" معنى استغراق الجنس وما كان يمكن الوصول إلى هذا القصر في المعنى لو أن الرزق قد جاء على صورة النكرة فلو قيل: "فابتغوا عند الله رزقاً" ما كان هذا القول حائلاً دون فهم التعدد لمصادر الرزق" (٤).

وقد نجد دلالة "أل" تتنوع في الآية الواحدة بين العهد والجنس، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (٥)، فالكتاب الأول معهود وهو القرآن بقرينة قوله: (إليك) وأمّا الكتاب الثاني فالمقصود به كل كتاب سابق على القرآن الكريم (٦). فالذي يكشف دلالة (أل) ما يحيط بها من وصف.

لن نطيل الكلام على التعريف (بال)، لكثرة الكلام حوله، ولغلبة الطابع اللغوي والنحوي فيه - أي في كلام الدارسين - على الطابع الفني، وسنتابع ما قدّمه الدارسون في نوعين من التعريف (الضمير - الاسم الوصول). بوصفهما نموذجين للدّرس البياني لقيمة التعريف في الآيات القرآنية، نعرض من خلالهما أبرز اللحامات البيانية والأسرار الإعجازية التي لمحها الدارسون حول التعريف في التعبير القرآني.

١ - سورة البقرة: ٢.

٢ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١٣٨.

٣ - سورة العنكبوت: ١٧.

٤ - حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن: ج ٢/ ٨٧.

٥ - سورة المائدة: ٤٨.

٦ - حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن: ص ٣٣ وللتوسع حول المعاني الإضافية التي تحتملها "أل" في سياقات بعينها، يُنظر الجرجاني، دلائل الإعجاز: ص ١٨٢ وما بعد.

## - الضمير:

ثمة أنواع ثلاثة من الضمائر؛ تعود للمتكلّم والمخاطب والغائب، أشار البلاغيّون إلى مقامات استعمالها ومعانيها فذكروا أنّ الضمير يستخدم في مقام التكلّم، أو في مقام الخطاب وقد يكون الخطاب لغير معيّن، أو في مقام الغيبة إذ يعود الضمير على مذكور حقيقةً أو تقديرًا على سبيل الإشارة إليه<sup>(١)</sup>.

فالتعريف بالضمير بأنواعه، له قيمته الجماليّة، وصلته بالمعنى والسّياق، وقد وردت في الآيات القرآنيّة ضمائر المتكلّم، والمخاطب، والغائب بدلالاتها الأساسيّة أو متبادلة للدلالة حسب مقتضيات السياق والمعنى. والدّارس البيانيّ توقّف عند هذه الضمائر بأنواعها، وبيّن ما اختاره التعبير القرآنيّ في الدلالة على معانيه على الوجه الأكمل. فقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، يُراد منه تأكيد حفظ كتاب الله، وطمأنة للمؤمنين بذلك، ولهذا "كان اختيار (ضمير المتكلم) العائد على الله، وإسناد حفظه إليه، من خلال ضمير المتكلم وتكراره في الآية الواحدة، بالإضافة إلى المؤكّدات الأخرى في الآية كما هو ملاحظ أيضًا"<sup>(٣)</sup>.

فالقرآن يستخدم الضمير الذي يجمع بين الاختصار الشديّد، والارتباط المتين، بين جمل الآية بعضها وبعض. ومن روائع استخدام ضمير المخاطب، أن يأتي به مخاطبًا كلّ من يستطيع الخطاب معه، عندما يكون الأمر من الوضوح بمكان، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ فِرْعَوْنُ فَلَا فَوْتَ وَأُخِدُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾<sup>(٥)</sup>. "فكأنّ سوء حالهم من الوضوح لدرجة ظهوره لكلّ أحد"<sup>(٦)</sup>.

١ - مفتاح العلوم، السكاكي: ينظر ص ٩٥-٩٦.

٢ - سورة الحجر: ٩.

٣ - الراغب، د. عبد السلام، الدراسة الأدبية "النظرية والتطبيق": ص ٤٤.

٤ - سورة السجدة: ١٢.

٥ - سورة سبأ: ٥١.

٦ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١٣١.

وعادة القرآن في ضمائر الغيبة أنها تتفق إذا كان مرجعها واحداً، حتى لا يتشتت الذهن ولا يغمض المعنى، ولذا كانت الضمائر كلها تعود إلى موسى، في قوله سبحانه: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ \* أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي...﴾<sup>(١)</sup>. وليس من قوة النظم في شيء أن يعود بعض هذه الضمائر على موسى وبعضها الآخر على التابوت، كما تعود الضمائر كلها إلى الله في قوله تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>.

فإن اتحد الضميران، وكانا يعودان إلى مختلفين، كان المقام يحددهما تحديداً واضحاً؛ ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَنَفِتْ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾<sup>(٣)</sup>. فضمير فيهم يرجع إلى أهل الكهف، وضمير منهم يرجع إلى ما رجع إليه ضمير سيقولون<sup>(٤)</sup>.

ولكن الغالب في الاستعمال القرآني أن يخالف بين الضمائر إذا تعدد مرجعها، كالتحول عن تأنيث الضمير إلى تذكيره، أو عن تذكيره إلى تأنيثه، أو عن الغيبة إلى الخطاب، ونحو ذلك. وقد تأمل الدارس البياني صور المخالفة التعبيرية بين الضمائر، وأوضح ما تفيض به تجلياتها في البيان القرآني من قيم وأسرار. من ذلك على سبيل المثال، التحول عن الغيبة إلى الخطاب، في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾<sup>(٥)</sup>. ففي تلك الآية الكريمة التي وردت في سياق حديث الإفك "عدول يتمثل في قوله عز وجل: ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ﴾ حيث أسند فعل

١ - سورة طه: ٣٨-٣٩.

٢ - سورة الفتح: ٩.

٣ - سورة الكهف: ٢٢.

٤ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١٣١-١٣٢.

٥ - سورة النور: ١٢.



الظَّنَّ إلى الاسم الظاهر (والاسم الظاهر من باب الغيبة<sup>(١)</sup>) لا إلى ضمير المخاطبين الملائم لظاهر السياق "ظننتم". وهو عدولٌ يؤدي دوره في تجسيد المبالغة في عتاب الله عزَّ وجلَّ للمخاطبين؛ ففي التحوُّل عن مخاطبتهم (سمعتموه) إلى الإخبار عنهم (ظنَّ المؤمنون) إشعارٌ لهم بأنهم حين أفاضوا في هذا الحديث الذي آذى رسول الله ﷺ، فلم يبادروا إلى نفيه أو يجاهروا بتكذيب مروِّجيه، قد تتكَّبوا - وهم المؤمنون - النهج الأمثل الذي تقتضيه صفة الإيمان<sup>(٢)</sup>، ففي إخراج هذه الصفة فيهم مخرج الشكِّ مبالغةً في هذا العتاب وتحذيرٌ من العودة إلى مثل هذا، وذلك في قوله سبحانه بعد ذلك: ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقد يضع القرآن الاسم الظاهر موضع الضمير، لأمرٍ تلمسها الدارس في كلِّ موضع حدث فيه هذا الوضع. من ذلك على سبيل المثال، قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرْتُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾<sup>(٤)</sup> ثمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا<sup>(٥)</sup>. فأظهر المؤمنين بدل الإتيان بضمير يعود عليهم. وفي "إظهار المؤمنين بدل أن يقول: ثمَّ أنزل سكينته عليكم، إظهار لمن ثبت منهم في مظهر من يستحق اسم المؤمن الحقيقي"<sup>(٥)</sup>. ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ أَبَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِنْكَافُؤُكُمْ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾<sup>(٦)</sup>. فأظهر الذين كفروا بدل الإتيان بضمير يعود عليهم، "لما في ذلك من إبرازهم

١ - أبو حيان، البحر المحيط : ج ١/ ٢٤.

٢ - طيل، د. حسن، أسلوب الالتفات: ص ١٠٤.

٣ - سورة النور: ١٧.

٤ - سورة التوبة: ٢٥-٢٦.

٥ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١٣٣.

٦ - سورة سبأ: ٤٣.

متعنتين جاحدين، لا يراعون ما يجب أن يكون للحق، من حسن القبول والرضا به، والاطمئنان إليه، وفي ذلك تشنيعٌ عليهم وتصويرٌ لمدى ضلالهم ومكابرتهم<sup>(١)</sup>. ومما استخدمه القرآن ضمير الشأن أو القصة، وهو ضميرٌ لا مرجع له، تسمعه النفس فنتهياً لسماع ما يأتي بعده، لأنَّ الأسلوب العربي لا يأتي بهذا الضمير إلا في المواطن التي يكون فيها أمر مهم، تُراد العناية به، فيكون هذا الضمير أداةً للتنبيه، يدفع المرء إلى الإصغاء، فإذا وردت الجملة بعده استقرت في النفس واطمأن إليها الفؤاد. من ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾<sup>(٢)</sup>. «قالشوق يحفز السامع، عندما يصغي إلى هذا الضمير، إلى أن يدرك ما يُراد به، فإذا وردت الجملة ثبتت في النفس، وقرت في القلب»<sup>(٣)</sup>. وعلى هذا النحو أوضح الدارسون القيمة التعبيرية للضمير في كشفه عن المعاني القرآنية، وبيّنوا تعدد دلالاته، التي حددها السياق، بتعدد أنواعه.

#### - صلة الموصول:

الاسم الموصول هو معرفة، غني بالمعاني والدلالات الخاصة، إلا أنه يفتقر إلى جملة الصلة ليتحدّد معناه ويكتمل. وإن افتقاره إلى الصلة جعله مكتنفاً بشيء من الغموض<sup>(٤)</sup>، الذي يحرك ذهن المتلقي لكشف هذا الغموض، وجملة الصلة هي التي تكشف الغموض وتوضح المقصود من خلال السياق.

وقد جاء الاسم الموصول في القرآن لمعانٍ كثيرة، منها التّعظيم بسبب ما يحتمله التّعظيم من التّهويل والتّضخيم والتّكريم، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾<sup>(٥)</sup>، وكذلك قوله تعالى: ﴿الْمَر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي

١ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١٣٣.

٢ - سورة الإخلاص: ١.

٣ - بدوي، من بلاغة القرآن: ص ١٣٤. ويُنظر السامرائي، على طريق التفسير البياني: ج ١/٥٩ حتى ص ٦٧. وللتوسع حول ضمير الشأن يُنظر حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن: ج ٢/٩٥-٩٦.

٤ - الداية، د. فايز، جماليات الأسلوب (علم المعاني) (٢) دراسة تحليلية للتركيب اللغوي، ط/١، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، ١٩٨١-١٩٨٢م: ص ٥٤.

٥ - سورة غافر: ٣٠.

أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقَّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ<sup>(١)</sup>، أي و"القرآن هو الحق". وقوله تعالى: ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ\* الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ<sup>(٢)</sup>﴾. وقد يُستعمل الاسم الموصول للاختصار، نحو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ<sup>(٣)</sup>﴾، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ<sup>(٤)</sup>﴾.

وقد لاحظ الدارسون أنَّ القرآن يأتي بالاسم الموصول، عندما تكون صلته هي التي عليها مدار الحكم، كما في قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا<sup>(٥)</sup>﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ<sup>(٦)</sup>﴾. فالمجيء بالاسم الموصول، فضلاً عما ذكرناه، يثير في النفس الشوق إلى معرفة الخبر، وقد تكون الصلّة نفسها ممهّدة لهذا الخبر ودالّة عليه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ\* يُنَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ\* خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ<sup>(٧)</sup>﴾، ففي الصلّة ما يوحي إليك بأنّه قد أُعدّ لهم خير عظيم، يناسب إيمانهم وهجرتهم، وجهادهم بأموالهم وأنفسهم<sup>(٨)</sup>.

١ - سورة الرعد: ١.

٢ - سورة الرعد: ٢٧-٢٨. ويُنظر حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن: ج ٢/٩٤.

٣ - سورة إبراهيم: ٩.

٤ - سورة لقمان: ٢٠.

٥ - سورة النساء: ١٢٢.

٦ - سورة آل عمران: ٩١.

٧ - سورة التوبة: ٢٠-٢١-٢٢.

٨ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١٣٦. وللتوسع يُنظر حسان، د. تمام، البيان في روائع

القرآن: ج ٢/٩٠-٩١.

ومن خصائص الاسم الموصول استطاعته أن يخفي تحته اسم المذنب، وفي ذلك من الرجاء في هدايته، ما ليس في إفشاء اسمه وفضيحته. من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾<sup>(٣)</sup>، 'ففي هذا وغيره ذم لمن يتصف بذلك، ودعوة له في صمت إلى الإقلاع والكف'<sup>(٤)</sup>.

وقد يعدل القرآن عن العلم إلى الاسم الموصول، إذا كان فيه زيادة تقرير لأمرٍ يريده القرآن؛ وذلك لأنَّ "التعريف بالموصولية يمكن من ذكر صفات يُحرص على إبرازها في شيء ما"<sup>(٥)</sup>. كما في قوله تعالى: ﴿وَرَأَوْتَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾<sup>(٦)</sup>، يقول الدكتور أحمد بدوي موضحاً الغاية من ذكر الاسم الموصول دون اسم العلم: "ألا ترى في ذكر اسم الموصول زيادة تقرير لعفته، فهو في بيتها ووسائل إغرائه موفورة عندها، وهو تحت سلطانها، ولن تفهم هذه المعاني إذا جاء باسمها"<sup>(٧)</sup>.

وقد أشار الدكتور تمام حسان إلى أن في استعمال القرآن للاسم الموصول في هذه الآية تحقيراً لتلك المرأة؛ "فلا هي "زليخا" ولا هي "امرأة العزيز" ولا هي "سيدته" وإنما هي تلك التي تقيم معه في بيتٍ واحد هو بيتها، وفي إضافة البيت إليها لا إلى زوجها من الإشارات المهينة ما لا يخفى"<sup>(٨)</sup>.

١ - سورة الحج: ٨.

٢ - سورة العنكبوت: ١٠.

٣ - سورة لقمان: ٦.

٤ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١٣٧.

٥ - أبو موسى، د. محمد، خصائص التراكيب "دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ط/٣، الناشر مكتبة وهبة، القاهرة، (د. ت): ص ١٤٨.

٦ - سورة يوسف: ٢٣.

٧ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١٣٧.

٨ - حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن: ج ٢/٩٤.

وقريباً من هذا التحقير الذي تضمّنه استخدام الاسم الموصول، ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا إِلَهُهُ لَمَّا لَأَكْفُرَنَّ﴾<sup>(١)</sup>، "فجملة الصلّة هنا تبرز الفعل المكروه والمذموم، وتسلب الضوء عليه في التعبير لاجتنابه، وتغفل القائل وتحجبه من خلال الاسم الموصول المعرف بصلته، جرياً على طريقة القرآن الكريم في عدم ذكر الأسماء غالباً، والتركيز على الفعل والسلوك"<sup>(٢)</sup>، والذي قال هذا القول هو أحد أبناء أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهو إمّا عبد الله وإمّا عبد الرحمن قبل إسلامه<sup>(٣)</sup>. "ولو شاء الله لكرّمه بذكر اسمه، ولكن لا كرامة مع الكفر، ومن ثمّ جاء التعبير بالموصول هنا تحقيراً لشأن هذا القائل الذي اجتمع عليه الكفر والعقوق"<sup>(٤)</sup>.

ويستخدم اسم الموصول كذلك، لإظهار أنّ الأمر لا يُستطاع تحديده بوصف، مهما بولغ فيه، نلمس ذلك على سبيل المثال، في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ \* وَفَعَلْتَ فَعَلْنَاكَ النَّبِيَّ وَنَأْتِي مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، أي عظيم ما فعله من الفطائع. وقوله تعالى: ﴿فَغَشَّيْهُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا غَشَّيْهُمْ﴾<sup>(٦)</sup>، أي غشّهم ما لا يعلم كنهه إلّا الله. ففي استخدام الاسم الموصول، في هاتين الآيتين، "بما فيه من التّفخيم المستفاد من الإبهام"<sup>(٧)</sup>: "تركّ للخيال يسبح، ليكمل الصورة ويرسمها"<sup>(٨)</sup>.

١ - سورة الأحقاف: ١٧.

٢ - الراغب، د. عبد السلام، الدراسة الأدبية "النظرية والتطبيق": ص ٤٤.

٣ - أنكرت السيدة عائشة رضي الله عنها أن تكون هذه الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر، وسمّيت رجلاً غيره. يُنظر السيوطي، جلال الدين "عبد الرحمن بن أبي بكر"، لباب النقول في أسباب النزول، خرّج أحاديثه محمود بن الجميل، ط/١، مكتبة الصفا، القاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م: ص ٢٤٧.

٤ - حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن: ج ٢/٩٤.

٥ - سورة الشعراء: ١٨-١٩.

٦ - سورة طه: ٧٨.

٧ - الزمخشري، الكشاف: ج ٣/٣٤٤.

٨ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١٣٧.

وعلى هذا النحو، مضى الدارسون يكشفون المقصود من الاسم الموصول ويبينون إسهامه في إفادة الكثير من المعاني، كالإشارة إلى التعميم، أو الاختصار، أو الإخفاء والاستتار، أو الاستعاضة به عن العلم، للتوصل إلى صفات بعض الأشخاص، أو للتحقير، ونحوها.. وكلها معانٍ دلَّ عليها السِّيَاق القرآنيّ.

### - التَّنْكِير:

يفيد التَّنْكِير معناه مطلقاً من كلِّ قيد، وما يذكره الدارسون من معانٍ دلَّ عليها التَّنْكِير، إنّما تستفاد من السياق الذي ورد فيه، ولم يفدها التَّنْكِير بطبيعته. فالسياق هو الذي يصف النكرة ويحدّد معناها<sup>(١)</sup>.

وقد توقّف دارسو البيان القرآني عند التَّنْكِير لبيّنوا سرّاً اختياره والمعنى الذي أفاده، والغرض الفني منه، واستوحوا منه الكثير من المعاني. ومن المعاني التي استوحاها الدارسون من التَّنْكِير الإبهام، وهو من عناصر الإثارة والغموض في الكلام. من ذلك على سبيل المثال ما جاء في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًىٰ مِنْ رَبِّهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>، يقول الزمخشري مبيناً أثر الإبهام في النفس: "ونكر (هدى) ليفيد ضرباً مبهماً لا يُبلِّغ كنهه ولا يقادر قدره كأنه قيل: على أي هدى، كما تقول: لو أبصرت فلاناً لأبصرت رجلاً"<sup>(٣)</sup>. وممّن ذكروا معنى الإبهام، المستفاد من التَّنْكِير، من الدارسين المُحدّثين، سيّد قطب، ففي قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ \* عَلَىٰ الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾<sup>(٤)</sup>. يقول: "وفي هذا التَّعبير إبهامٌ

١ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١٢٨.

٢ - سورة البقرة: ٥.

٣ - أبو موسى، د. محمد، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ص ٣١٥. ويُنظر الزمخشري،

الكشاف: ج ١/٧٤.

٤ - سورة المدثر: ٩-١٠.

للعذاب. يقف الإنسان أمامه زامًا على أنفاسه، محسًا إحساسًا غامضًا بالشدة، دون أن يرسم خياله صورة معينة لليوم العسير. فوقه العامُّ المبهم هو المقصودُ هنا<sup>(١)</sup>.

وقد يفيد التعميم، من ذلك ما أفاده تكبير (ويل) في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>. "فلم يقل (الويل لهم) ولو قالها لخفف وقع الويل بما تفيد الألف واللام من تعيين ويل خاص أو جنس لا يتحقق إلا من خلال أفراد، أمّا مع حذفها فإنَّ كلَّ ويلٍ من كلِّ نوع صالحٌ أن يكون مقصودًا للآية وهذه وظيفة من وظائف التعميم"<sup>(٣)</sup>.

فقد أدى الاسم المنكر في الآيات القرآنية دورًا بيانيًا في سياقات مختلفة، تتوافق مع عناصر الآية الأخرى لتوحي بمعانٍ متعددة. من ذلك ما لمحّه الدكتور أحمد بدوي من جمال التّكبير، -في آية سبق أن حلّلها الجرجاني- وهي قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ﴾<sup>(٤)</sup>، يقول مبيّنًا فضل تنكير كلمة (أرض): "وأثر تنكير الأرض لما في ذلك من تصغير أمرها، فالمقام هنا يستدعي ذلك التصغير، ويستدعي الإسراع بتلبية الأمر، وذلك لا يكون مع التعريف"<sup>(٥)</sup>.

ولم يقتصر الدّارس البياني في دراسته على بيان المعاني البلاغية التي تفيدها النّكرة في النّصّ القرآني، بل أضاف إلى ذلك تأملاته التي تشير إلى حسن الكلمة وإصابتها في موضعها. يقول الدكتور ضياء الدين عتر -رحمه الله- عن تنكير (حياة) في قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾<sup>(٦)</sup>: "يورد الكتاب المبين الألفاظ في موارد حسّاسة، فلا تراها قاصرة على المعنى المتبادر منها للبال عادة، بل تتسع دلالتها حتى توحي بمعنى أجلّ وأدقّ، خذ كلمة "حياة" أنت تشعر بأنّ كلمة (حياة) قد عبّرت بدقّة

١ - قطب، سيد، مشاهد القيامة في القرآن: ص ٦٣.

٢ - سورة البقرة: ٧٩.

٣ - حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن: ج ٢/١٢٦.

٤ - سورة هود: ٤٤.

٥ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ٥٥.

٦ - سورة البقرة: ٩٦.

مُرْهَفَةً عَنْ حِرْصِ أَوْلَئِكَ الْيَهُودِ عَلَى أَدْنَى قَدَرٍ مُمَكَّنٍ مِنَ الْحَيَاةِ، وَمَهْمَا كَانَ يَسِيرًا قَصِيرًا خَاوِيًا مِنْ أَيْ قِيَمَةٍ كَرِيمَةٍ، فَأَثَارَ وَرُودُهَا بِالتَّنْكِيرِ مَعْنَى التَّحْقِيرِ، وَأَفَادَتْ بِالتَّالِي أَنْ الْيَهُودَ أَشَدُّ حِرْصًا عَلَى الْحَيَاةِ الْمُتَطَوِّلَةِ مِنْ بَابِ أَوْلَى، فَعَبَّرَتْ كَلِمَةَ (حَيَاةٍ) فِي هَذَا الْمُرَادِ بِأَنَّ وَاحِدًا عَنْ ضَالَّةِ قِيَمَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَشِدَّةِ تَكَالِبِ الْيَهُودِ عَلَيْهَا<sup>(١)</sup>. وَكَمَا نَلْحِظُ فَقَدْ تَلَمَّسَ الدُّكْتُورُ ضِيَاءَ الدِّينِ مَا يُوْحِي بِهِ التَّنْكِيرُ مِنَ الْمَعَانِي، وَلَمْ يَفْتَصِرْ عَلَى التَّنْبِيهِ بِأَنَّ الْمُرَادَ مِنَ التَّنْكِيرِ طَوْلُ الْحَيَاةِ فَقَطْ.

وَقَدْ يَتَحَوَّلُ السِّيَاقُ الْقِرَائِيَّ عَنِ التَّنْكِيرِ اللَّفْظَةِ إِلَى تَعْرِيفِهَا أَوْ الْعَكْسِ، لِإِبْرَازِ الْمَفَارِقَةِ بَيْنَ الْحَالِيْنَ، فَيُضَمُّ الدَّارِسُ النَّظَرَ فِي هَذَا التَّحْوَلِ، وَيُبَيِّنُ الْقَصْدَ مِنْهُ. مِنْ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَاتِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، حَيْثُ جَاءَتْ لَفْظَةُ (الضُّرِّ) فِي صَدْرِ الْآيَةِ مَعْرِفَةً بِلَامِ التَّعْرِيفِ، ثُمَّ بِالإِضَافَةِ إِلَى ضَمِيرِ الْإِنْسَانِ فِي ضُرِّهِ، ثُمَّ عَدَلَ عَنِ ذَلِكَ إِلَى تَنكِيرِهَا بِحَذْفِ اللَّامِ فِي (إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ).

بَيَّنَّ الدُّكْتُورُ حَسَنَ طَبْلِ السَّرِّ فِي التَّحْوَلِ عَنِ التَّعْرِيفِ إِلَى التَّنْكِيرِ قَائِلًا: "جَاءَ التَّحْوَلُ عَنِ تَعْرِيفِ الضُّرِّ إِلَى تَنكِيرِهِ فِي الْآيَةِ مُؤَدِّيًا دَوْرَهُ فِي تَجْسِيدِ الْمَفَارِقَةِ بَيْنَ حَالِ الْإِنْسَانِ وَقَتِ الشَّدَّةِ وَحَالِهِ بَعْدَ زَوَالِهَا". فَعَلَى حَيْثُ نَجَدَ الْإِنْسَانُ فِي الْحَالِ الْأَوَّلِيِّ مُتَوَجِّهًا إِلَى خَالِقِهِ عَزَّ وَجَلَّ مُلِحًا فِي دَعَائِهِ، مُتَوَسِّلًا إِلَيْهِ فِي كُلِّ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِهِ، نَجَدَهُ فِي الْحَالِ الثَّانِيَةِ سَابِقًا فِي غَمَارِ الْغَفْلَةِ وَالْجُحُودِ. "فِي تَعْرِيفِهِ -الضُّرِّ- فِي حَالِ مَسَّهُ لِلْإِنْسَانِ إِشْعَارًا بِأَنَّهُ هَانَ أَمْرُهُ وَقَلَّ خَطَرُهُ- يَسْتَقْطِبُ وَعَيْهِ، وَيَسْتَحُوذُ عَلَى تَفْكِيرِهِ، وَيَصْبِحُ شُغْلَهُ الشَّاعِلُ، وَهَمُّهُ الْمُقِيمُ الْمُقْعَدُ، أَمَا تَنكِيرُهُ فِي الْحَالِ الْأُخْرَى فَفِيهِ إِحْيَاءٌ بِأَنَّهُ مَا إِنَّ

١ - عتر، د. حسن ضياء الدين، المعجزة الخالدة، ط/٢، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ١٤٠٩هـ-

١٩٨٩م: ص ٢١٢-٢١٣.

٢ - سورة يونس: ١٢



يكشف الله عزَّ وجلَّ ضرَّ الإنسان حتَّى يتوارى ذلك الضرَّ بعيداً عن محورِ اهتمامه، وبؤرة شعوره، ويصبح في هامش ذاكرته شيئاً أقرب إلى المجهول<sup>(١)</sup>.

وقد يختلف السياق فتأتي الكلمة نفسها معرفة في موطن ونكرة في موطن آخر، من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾<sup>(٣)</sup>، فعرف (الحق) في الآية الأولى ونكره في الآية الثانية، وذلك أن كلمة (الحق) المعرفة في الآية الأولى تدلُّ على أنهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير الحق الذي يدعو إلى القتل، والحق الذي يدعو إلى القتل معروف معلوم. وأمَّا النكرة فمعناها أنهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير حق أصلاً لا حق يدعو إلى قتل ولا غيره<sup>(٤)</sup>. أي: ليس هناك وجه من وجوه الحق الذي يدعو إلى إيذاء الأنبياء فضلاً عن قتلهم. فكلمة (حق) ههنا نكرة عامة، والقصد من التكرير الزيادة في ذمهم وتشنيع فعلهم أكثر ممَّا في التعريف. فكلاهما شنيع وذميم، إلَّا أن مقام التشنيع والذم في الآية الثانية أكبر منه في الآية الأولى، فجاء بالتكرير في مقام الزيادة في ذمهم.

وأشار الدكتور السامرائي إلى أن في سياق الآيتين ما يعضد التعريف والتكرير في كل منهما؛ فسياق الآية الأولى، التي عرّف (الحق) فيها: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بَأْنَهُمْ كَانُوا يُكْفَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، وسياق الآية الثانية، التي نكر (الحق) فيها: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقَّوْا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بَأْنَهُمْ كَانُوا يُكْفَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ

١ - طيل، د. حسن، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: ص ١٤٤.

٢ - سورة البقرة: ٦١.

٣ - سورة آل عمران: ١١٢.

٤ - ابن الزبير الغرناطي، أبو جعفر "أحمد بن إبراهيم"، ملك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل، تحقيق د. محمود كامل أحمد، دار النهضة العربية للطباعة

والنشر، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥: يُنظر ج ١/٧١-٧٣.

٥ - سورة البقرة: ٦١.

بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ<sup>(١)</sup>. ومن الواضح أنّ مواضع الذمّ والتّشنيع عليهم والعيب على فعلهم في الآية الثانية أكبر منه في الآية الأولى؛ يدلّ على ذلك أمور منها: "أنّه في الآية الأولى جمع (الدّلة) و(المسكنة)، أمّا في الآية الثانية فقد أكّد وكرّر وعمّم فقال: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقَفُّوا﴾ فجعلها عامّة بقوله: (أيّنا تقفوا)، ثمّ قال: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾، فأعاد الفعل وحرف الجرّ للزيادة في التّوكيد". ثمّ إنّ ذكر الجمع في الآية الأولى بصورة القلّة، فقال: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾، وذكره في الآية الثانية بصورة الكثرة، فقال: ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ﴾، أي: يقتلون العدد الكثير من الأنبياء بغير حقّ<sup>(٢)</sup>. فالتّشنيع عليهم والعيب على فعلهم وذمّهم في الآية الثانية أشدّ، ومن هنا يتبيّن أنّ التّعريف في الآية الأولى أليق والتّكثير في الآية الثانية أليق<sup>(٣)</sup>.

وبعد، فقد أوردنا فيما مضى بعض المعاني التي أفادها التّكثير في عددٍ من الآيات القرآنيّة، كما استخلصها الدّارسون البيانيّون، وهي معانٍ كثيرةٌ تعبر عن حالات تتناسب مع السّياق، فكان منها الإبهام، والتّحقير، والتّكثير، ونقد حالة سلوكيّة معيّنة. وعلى هذا النحو مضى الدّارسون يتأمّلون أنواع المعارف، ويدرسونها دراسةً دلاليّة وسياقيّة، وينلمّسون ما في القرآن "من تسخير التّكثير لتوليد المعنى"<sup>(٤)</sup>. وبذلك أسهموا في الكشف عن المعاني القرآنيّة، وأوضحوا بعض أسرار الإعجاز البيانيّ، من خلال اختيارات معيّنة وردت في النّصّ القرآنيّ.

#### - الأفراد والتّثنية والجمع :

تأمّل الدارسون الكثير من الآيات التي آثرت فيها البيان الإلهيّ صيغة الأفراد مكان صيغة الجمع، أو صيغة الأفراد مكان التّثنية<sup>(٥)</sup>. من ذلك على سبيل المثال، ما لحظه

١ - سورة آل عمران ١١٢

٢ - السامرائي، د. فاضل، التعبير القرآني: ص ١٨٨-١٨٩.

٣ - السامرائي، د. فاضل، معاني النحو: يُنظر باب المعرفة والنكرة، المعرف بأل.

٤ - حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن: ج ٢/٨٥.

٥ - يُنظر ما أوردناه في الفصل الثالث في كلامنا على الالتفات في العدد في دراسة الدكتور حسن طبل.

الدَّارِسُونَ من وقوع الكلمة مفردة في مواضع يتبادر إلى ذهن المتلقي أنها ستقع على صيغة الجمع، من هذه المواضع استعمال كلمة "طفل" بصيغة المفرد للجمع في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾<sup>(٢)</sup>، في حين جاءت بصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾<sup>(٣)</sup>.

بين الدكتور السامرائي، وغيره من الدارسين، السرّ في ورودها على هذا النحو، بقوله مستنداً إلى استعمال العرب: "إنّ العرب قد تستعمل كلمة (طفل) للمذكر والمؤنث، المفرد والمثني والجمع"، فاستعمال (الطفل) للجمع معروف عند العرب، أمّا سبب تخصيص كل موضع بالاستعمال الذي ورد فيه؛ فلأنّ الآية الأولى تتكلم على خلق الإنسان، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نَخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾، فبنى الكلام على خلق الجنس وليس على خلق الأفراد، فناسب ذلك التعبير بالمفرد الذي يفيد الجنس.

وكذلك الأمر في الآية الثانية، إذ جاءت كلمة (الطفل) مفردة لأنها في هذا الموضع أيضاً، اسمُ جنسٍ، يشمل كلَّ الأطفال. وذلك لأنّ "الأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء، موقفهم من الجنس والزينة موقف واحد متجانس، وهو عدم التمييز، فكانهم شخص واحد لا تمايز بينهم".

أمّا الآية الثالثة فقد جاءت فيها كلمة (الأطفال) بصيغة الجمع؛ لأنّ الآية مبنية على الجمع لا على الأفراد ولا على الجنس، وهي مبيّنة لعلاقات الأفراد في المجتمع: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ

١ - سورة الحج: ٥.

٢ - سورة النور: ٣١.

٣ - سورة النور: ٥٩.

مَرَاتٍ... وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿١﴾. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، أن المذكورين في الآية - ببلوغهم الحلم - متعددون الإحساس والمواقف، فكل واحد له إحساس خاص به<sup>(٢)</sup>. فكان الجمع هنا أنسب. وهكذا، بين السامرائي أن الآيتين الأولى والثانية تتحدثان عن الأطفال في أول عهدهم بالحياة، والأطفال في هذه الحال جمع عدد، ولكنهم فرد واحد حقيقة ومعنى، ولهذا كانت صيغة الإفراد أنسب، بخلاف الآية الثالثة التي تحدثت عن الأطفال في مرحلة خروجهم عن حدّ الطفولة، ولا شك أن الأطفال في هذه الحال ليسوا كالفرد الواحد، فكانت صيغة الجمع أنسب.

ولحظ الدارسون إفادة الكلمة القرآنية بصيغة الإفراد لمعنى مقابل لمعناها في حال استعمالها بصيغة الجمع، مثال ذلك لفظ (الريح) الذي لم يأت في القرآن إلّا في الشرّ، والرياح لم تأت إلّا في الخير<sup>(٣)</sup>. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ\* مَا تَدْرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ\* تَتَزَعُّ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾<sup>(٥)</sup>. وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾<sup>(٦)</sup> وقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ

١ - سورة النور: ٥٨-٥٩ .

٢ - السامرائي، د. فاضل، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: ص ٩٩-١٠٢ بتصرف. ويُنظر ناصف، د. علي النجدي، مع القرآن الكريم في دراسة مستلهمة، ط/١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م: ص ١٠٩-١١٢. ويُنظر طبل، د.حسن، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: ص ٩٣.

٣ - أشار الجاحظ إلى هذا الأمر، لكنّه لم يقدّم تخریجاً لغويّاً أو سبباً للبعد الدلالي. يُنظر الجاحظ، البيان والتبيين: ج ١/١٢.

٤ - سورة الذاريات: ٤١-٤٢. ويُنظر [آل عمران: ١١٧] و [الأحقاف: ٢٤] و [الحاقة: ٦].

٥ - سورة القمر: ١٩-٢٠.

٦ - سورة الأعراف: ٥٧. ويُنظر [النمل: ٦٣] و [الفرقان: ٤٨].

الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١﴾.

أرجع الدكتور أحمد بدوي السرّ في ذلك إلى مراعاة النصّ القرآنيّ للإحساس النفسيّ؛ إذ إنّ: "ريح الشرّ، تهب مدمرةً عاصفةً، لا تهدأ، ولا تدع الناس يهدؤون، فهي لاستمرارها ریحٌ واحدةٌ، لا يشعر الناس فيها بتحوّلٍ ولا تغييرٍ، ولا يحسّون بهدوءٍ يلمّ بها، فهي متّصلةٌ في عصفها وشدة تحطيمها، وذلك مصدر الرّهبة منها والفرع. أمّا الرّيح التي تحمل الخير فتهدّب حيناً، وتهدأ حيناً، لتسمح للسحب أن تمطر، فهي منقطّعةٌ تهبّ في هدوءٍ، ويشعر المرء فيها بفترات سكونٍ، وأنها رياح متتابعة" (٢).

وبيّن الدكتور بدوي أنه بملحظ من هذا الفارق بين صيغتي الإفراد والجمع، وصفت (الريح) في الموضع الوحيد الذي استعملت فيه مفردة، في الخير، بالطيّبة، في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ \* فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴿٣﴾؛ "لتقابل ریح الشرّ، ولأنّ إفراد الریح مع السّفن هو الرحمةُ بها، ولو أنّها جمعت، فقد يدلّ الجمع على مجيء الریح من مهاب متعدّدة، وفي ذلك دمارٌ لها" (٤).

وتابع الدكتور أحمد بدوي، لافتاً الانتباه إلى ما جاء في القرآن من كلمات تفيد بصيغة الإفراد معنىً مقابلاً لمعناها في حال استعمالها بصيغة الجمع. من هذا القبيل، إفراد السبيل مع الحقّ وجمعه مع الباطل؛ "لأنّ سبيل الحقّ واحدةٌ، وسبيل الباطل متعدّدة" (٥). قال

١ - سورة الروم: ٤٦.

٢ - بدوي ، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١٣٩.

٣ - سورة يونس: ٢٢-٢٣.

٤ - بدوي ، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١٤٠.

٥ - المصدر السابق: ص ١٤٠.

تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَفَتَرَقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾<sup>(١)</sup>. ومنه أيضاً، مجيء النور مفرداً للهدى، والظلمات جمعاً للضلال، وكلمة (ولي) بالإفراد مضافةً إلى المؤمنين، وبالجمع مضافة إلى الكفار. قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وتوقف الدارسون أيضاً، عند استخدام القرآن كلمات بصيغة (المفرد) في سياقات تستلزم الجمع، من ذلك مثلاً، إفراد السَّمْع وجمع الأبصار في أغلب السياقات القرآنية، من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وفي قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>، فقد أفرد (السمع) وجمع (الأبصار) في الموضعين.

أوضح الدكتور حسن طبل، الذي لم يطمئن إلى آراء المفسرين<sup>(٥)</sup> حول هذه الظاهرة القرآنية التي لفتت أنظار كثير من الدارسين قديماً وحديثاً، سبب هذا الإفراد وذلك الجمع، ورأى أنها -أي هذه الآراء- لا تعدو أن تكون محاولات لتسوية إفراد السمع عن طريق إثبات نظائره في اللغة أو الكشف عما يسوغه من قواعد النحو والصرف، من

١ - سورة الأنعام: ١٥٣.

٢ - سورة البقرة: ٢٥٧.

٣ - سورة النحل: ٧٨.

٤ - سورة البقرة: ٧.

٥ - من هذه الآراء، أنه وحّد السمع اعتباراً للأصل، فالسمع مصدر في أصله، والمصادر لا تجمع، يدل عليه جمع الأذن في قوله ﴿وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ [فصلت: ٥]، أو على تقدير مضاف أي وعلى حواس سمعهم". يُنظر الزمخشري، الكشاف: ج ٢٨/١، ويُنظر تفسير البيضاوي: ص ١١. ومنها "أنَّ السَّمْعَ وحَّد لأنَّ لكل واحد منهم سمعاً واحداً". يُنظر البحر المحيط: ج ٤٩/١، و الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ج ١٩/٤. ومنها أنَّ السَّمْعَ هو توحَّد مدركات السَّمْع وتعدُّ مدركات الأبصار، وهو رأي صاحب تفسير المنار الذي قرره بقوله: "والذي أراه أنَّ العقول والأبصار تتصرَّف في مدركات كثيرة، فكأنها صارت بذلك كثيرة فجمعت، أمَّا السَّمْع فلا يدرك إلا شيئاً واحداً هو الصوت، ومن ثمَّ أفردته". يُنظر السيد محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م: مج ١: ج ١٤٤/١-١٤٥.

ناحية علمية؛ إذ أرجعه إلى توحد وسيلة الإدراك في حاسة السمع، وتعدّها في حاسة البصر، قال مستعيناً بأحد الكتب العلمية: "وقد أثبت علماء التشريح ووظائف الأعضاء أنّ مركز الحسّ السمعيّ في المخ يمدّه عصبٌ دماغيّ واحد، أمّا الحسّ البصريّ فإنّه يرتكز على أربعة أعصابٍ تتضافر معاً في إحداثه"<sup>(١)</sup>. فهو يرى أنّ سرّاً إفراد السمع وجمع الأبصار في سياقاتهما القرآنية يرجع إلى أنّها لا تدور حول ما يسمعه الإنسان أو يبصره، بل على حقيقة إدراكه السمعيّ أو البصريّ ذاتها.

ويؤيد ما ذهب إليه، بحسب رأيه، إيثار لفظة الختم في الآية الثانية مع السمع، وإيثار لفظة الغشاوة مع الإبصار، مع أنّ كلّاً من المادتين يؤدي معنى تعطل الحاسة<sup>(٢)</sup>. يقول مبيناً ذلك الإيثار: "إنّ الإدراك البصريّ هو نتيجة مباشرة لانعكاس صور المرئيات على شبكية العين من خلال العدسة، فإذا كان هناك خللٌ بالعدسة أو حائل (خارجي) يحول دون ذلك الانعكاس توقّف الإدراك البصريّ تماماً، أمّا الإدراك السمعيّ فهو على العكس من ذلك إدراك (داخليّ) أي ليس هناك سببٌ خارجي يحول دونه، بل لقد أثبت علم الطب أنّ قفلاً الأذن الخارجية أو فقدانها ليس شرطاً للصمم، وأنّ عظام الجمجمة وموصلات أخرى قد تتوب عن الأذن في نقل الموجات الصوتية إلى العصب السمعي"<sup>(٣)</sup>.

ومما يؤيده أيضاً، أنّ فعل الصّم لم يوقع على الأذن كما أوقع فعل العمى على البصر عند الدلالة على تعطل الحاستين في قوله عزّ وجلّ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾<sup>(٤)</sup>، إذ لو كان الصمم هو تعطل الأذن لقليل: فأصمّ آذانهم، كما

١ - طبل، د. حسن، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: ص ٩٠-٩١. نقلًا عن جيمس كوير براشي،

التشريح العملي، ترجمة د. حسن خليفة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٥م: ٤٣٨-٤٦٠.

٢ - تدل الغشاوة لغة، على مجرد الغطاء. أمّا الختم فيدلّ على الاستيثاق من الحيلولة دون دخول الشيء أو خروجه. يُقال: ختم على الطعام أو الشراب، أي غطى فوهة وعائه بطين أو شمع أو غيرهما حتى لا يدخله شيء ولا يخرج منه شيء. يُنظر ابن منظور، لسان العرب: مادة غشي: ج ٧٦/١٠، ومادة ختم: ج ٢٤/٤، ويُنظر الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن: ص ١٤٣ وص ٣٦١، ويُنظر عبد الرحمن، د. عائشة، الإعجاز البياني للقرآن: ص ٤٩٨.

٣ - طبل، د. حسن، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: ص ٩١.

٤ - سورة محمد: ٢٣.

قيل: "وأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ". نلاحظ ممّا تقدّم، أنّ الدكتور حسن طبل أوضح سرّ إفراد السمع وجمع البصر من ناحية علميّة، وأنّ إيضاحه هذا، قد أَلَمَّ بآراء المفسّرين القدماء، وعرضها بطريقة علميّة موثّقة، فكان عرضه أكثر دقّة و أوسع تفصيلاً.

وقد يزوج البيان القرآنيّ بين صيغة الإفراد وصيغة الجمع، ويستعمل كلّاً منهما في موضع لا تحيد عنه كلّ الآيات القرآنيّة التي ترد فيها هذه الصيغة أو تلك. من الأمثلة البليغة التي تحقّقت فيها هذه المزوجة بين صيغتي الإفراد والجمع، قول الله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ\* وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾<sup>(١)</sup> فقد جمع (خالدين) في وصف ثواب الطائعين، وأفرده في وصف عقاب (العاصين) وهنا لا يكذبك صاحب الذوق الرفيع أنّ لإفراد العاصي هنا فيه من معاني الإذلال والتعذيب بالوحشة والانفراد ما فيه.

وقد التفت إلى هذا المعنى العلامة أبو السعود حيث قال: "ولعلّ إيثار الإفراد ههنا نظراً إلى ظاهر اللفظ، واختيار الجمع هناك نظراً إلى المعنى للإيذان بأنّ الخلود في دار الثواب بصفة الاجتماع أجب لألنّس كما أنّ الخلود في دار العذاب بصفة الانفراد أشدّ في استجلاب الوحشة"<sup>(٢)</sup>.

وجديرٌ بالذكر أنّ هذه المزوجة المذكورة في هذا الموضع هي طريقة القرآن ونهجه في التعبير عن عذاب الكافر، ونعيم المتقين، حيث يطرد الإفراد بالنسبة للكافر والجمع بالنسبة للمؤمن للغرض نفسه، هذا ما نلمحه على سبيل المثال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ\* طَعَامُ الْأَثِيمِ\* كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ\* كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ\* خَذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ\* ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ\* ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾<sup>(٣)</sup>،

١ - سورة النساء: ١٣-١٤.

٢ - تفسير أبي السعود: مج ١: ج ٢ / ١٥٤.

٣ - سورة الدخان: ٤٣-٤٩.



حيث نلمح في هذه الآيات إفراد الأثيم في مقابل جمع المتقين في الآيات في المشهد التالي من السورة نفسها: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ \* فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ \* يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ \* كَذَلِكَ وَرَوَّجَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ \* يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمَنِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وهنا تؤدي صيغة الإفراد دورها في إحداث ذلك التقابل البديع بين انفراد الكافر ومعاناته عذاب الوحشة والوحدة فوق عذاب الجحيم في مقابل انتناس المؤمن بصحبته ورفاقه في جنات النعيم، فنرى التقابل بين ذلك العذاب المضاعف، وذلك النعيم المضاعف<sup>(٢)</sup>. وبهذا تؤدي صيغة الإفراد في مثل هذا السياق معنى الوحشة والوحدة ومعاناة ألم الغربة والافتراق.

وعلى هذا النحو، مضى الدارسون البيانيون يجتهدون في بيان ملاءمة صيغ "الإفراد، والتنثنية، والجمع" لموقعها الخاص بها، بتأويلات وتفسيرات مستمدة من الرصيد الديني، ومن لغة العرب ومن القواعد النحوية والبلاغية، والكتب العلمية، وأحياناً بإرجاع السرّ البياني إلى ما عُرف من أخلاق الناس وأحوالهم وعاداتهم، من ذلك مثلاً، تعليمهم جمع الشافعين وتوحيد الصديق في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ \* وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup>، "بكثر الشفعاء في العادة وقلة الصديق، ولأنّ الصديق يسعى أكثر مما يسعى الشفعاء، وبخاصة أنه وصف الصديق بالحميم فإن ذلك أندر"<sup>(٤)</sup>.

### - التذكير والتأنيث:

ومما انتبه إليه الدارسون، وقدموا حوله تأملات بيانية، تكشف عن أسراره الإعجازية؛ وعن دوره في إغناء الجانب الدلالي للألفاظ، والإيحاء بالمعاني من وراء

١ - سورة الدخان: ٥١ - ٥٥.

٢ - يُنظر هنداوي، د. عبد الحميد، الإعجاز الصرفي في القرآن: ص ١١١-١١٢.

٣ - سورة الشعراء: ١٠٠ - ١٠١.

٤ - السامرائي، د. فاضل، التعبير القرآني: ص ٤٨. ويُنظر الزمخشري، الكشاف: ج ٣/٣٦٣. وتفسير البيضاوي: ص ٤٩١.

الدلالة اللغوية للكلمة، التذكير والتأنيث؛ إذ ربط الدارسون بين صيغة التذكير أو التأنيث، ودلالاتها النفسية في الآية القرآنية.

ففي قوله تعالى، في وصف القيامة: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾<sup>(١)</sup>. بين الدارسون أن كلمة (مرضعة) أكثر إحياءً ودلالة من كلمة (مرضع) إذ إنَّ للأولى خصوصيةً تتعلّق بسياق الآية وغرضها الجليل؛ فالمرضعة تدلُّ على إرضاع طفلها وقت وقوع الحدث، ولكنها لشدة الهول في ذلك اليوم تذهل عن طفلها الرضيع، فتتزع ثديها بعد أن أقمته إياه من شدة اندهاشها لما ترى، وأمّا المرضع فهي لا تدلُّ على الإرضاع وقت وقوع الحدث، وإن كانت في الأصل هي مرضع<sup>(٢)</sup>.

وبناءً على هذا يكون (المرضع) اسماً عامّاً، وتتخذ كلمة (مرضعة) فاعلية كبرى في الحدث، فتناسب هول ذلك اليوم. فالدارس لم يتوقّف عند الدلالة اللغوية للاسم المؤنث، بل لاحظ ما بين الاسمين من فروق في ظلال المعاني، والإحياء بها من وراء الدلالة اللغوية.

وممّا انتبه إليه الدارسون، في هذا الصدد، مجيء الكلمات القرآنية بصيغة المذكر في بعض المواضع، وبصيغة المؤنث في مواضع أخرى مشابهة. من ذلك على سبيل المثال، انتباه الدارسين إلى الفرق بين (عاصف) و (عاصفة) في الآية الكريمة: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ

١ - سورة الحج: ٢

٢ - الرّاعب، د. عبد السلام أحمد، وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، ط/١، فصّلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م: ص٤٠٥. ويُنظر الزمخشري، الكشاف: ج٣/١٦١. ورجّح أبو هلال العسكري جمال وجود (مرضعة) على امرأة، وذلك لإظهار ناحية العطف ومن ثمّ شدة الاندهاش، يُنظر العسكري، الصناعتين: ص٣٦٥. وياسوف، د. أحمد، دراسات فنية في القرآن: يُنظر ما أورده حول تحليلات الدارسين لهذه الآية: ص٤١٧-٤١٨.

الدِّينَ لَنْ نُجِيتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ<sup>(١)</sup>، والآية الأخرى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فقد وُصِفَ الرِّيحُ فِي الْآيَةِ الْأُولَى بِصِفَتَيْنِ، بِأَنَّهَا طَيِّبَةٌ وَبِأَنَّهَا عَاصِفٌ، الْأُولَى لِلْمَعْنَى وَالثَّانِيَةُ لِلْفِظْ؛ اخْتِيارَ وَصْفِ الْمَعْنَى، فِي الْحَالَةِ الْأُولَى، لِأَنَّ مَعْنَى السِّيَاقِ كَانَ إِجَابِيًّا، أَيْ إِنَّ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْفَلَكَ كَانُوا يَتَمَتَّعُونَ بِنَفْسِيَّةٍ طَيِّبَةٍ، لِأَنَّ الرِّيحَ كَانَتْ تَجْرِي رِخَاءً، فَكَانَتْ الْفَلَكَ تَجْرِي جَرِيًّا سَهْلًا هَيِّنًا. وَهَذِهِ الْحَالَةُ النَّفْسِيَّةُ الرَّضِيَّةُ يَنَاسِبُهَا الْوَصْفُ بِالتَّأْنِيثِ (طَيِّبَةٌ) أَكْثَرَ مِنَ التَّذْكِيرِ، لَمَّا فِي التَّأْنِيثِ مِنْ رِقَةٍ وَلُطْفٍ.

وَ اخْتِيارَ وَصْفِ الْفَلَكَ، فِي الْحَالَةِ الثَّانِيَةِ، لِأَنَّ مَعْنَى السِّيَاقِ كَانَ سَلْبِيًّا، أَيْ إِنَّ الَّذِينَ فِي الْفَلَكَ قَدْ انزَعَجُوا وَأَصَابَهُمُ الْهَلَعُ، لِأَنَّ الْفَلَكَ أَخَذَتْ تَضَطَّرَبَ فِي عَرْضِ الْبَحْرِ، فَخَافُوا مِنَ الْهَلَاكِ، وَلِذَلِكَ.. ﴿دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَنْ نُجِيتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾. وَهَذِهِ الْحَالَةُ النَّفْسِيَّةُ الْمُضْطَّرَبَةُ الْخَائِفَةُ تَنَاسِبُ الْقُوَّةَ الَّتِي يَنَاسِبُهَا الْوَصْفُ بِالتَّذْكِيرِ (عَاصِفٌ)، لَمَّا فِي التَّذْكِيرِ مِنْ خَشُونَةٍ تَرْتَبِطُ فِي الذَّهْنِ بِالْقُوَّةِ<sup>(٣)</sup>.

أَمَّا فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾، وَرَدَتْ (عَاصِفَةً) بِالتَّأْنِيثِ لِثَلَاثَةِ عِبَارَاتٍ:

- الْأُولَى: أَنَّهَا جَاءَتْ عَلَى الْأَصْلِ، وَأَصْلُ مَعْنَى الرِّيحِ هُوَ التَّأْنِيثُ، وَلَا عِلَّةَ لِلْعُدُولِ عَنِ الْأَصْلِ.

- الثَّانِي: أَنَّ الْمَعْنَى فِي سِيَاقِ إِسْبَاغِ النِّعْمَةِ عَلَى سُلَيْمَانَ وَدَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ هِيَ مَعَانِ طَيِّبَةٌ، فَهَنَّاكَ تَسْبِيحِ الْجِبَالِ وَالطَّيْرِ وَتَعْلِيمِ صِنْعَةِ اللَّبُوسِ وَجَرِيَانِ الرِّيحِ إِلَى الْأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ، وَالْمَعْنَى الطَّيِّبَةُ تَنَسَّجُ مَعَ التَّأْنِيثِ لَمَّا فِيهِ مِنْ نِعْمَةٍ، كَمَا أَسْلَفْنَا.

١ - سورة يونس : ٢٢ .

٢ - سورة الأنبياء: ٨١ .

٣ - القيسي، د. عودة الله منيع، سرّ الإعجاز في تنوع الصيغ: يُنظر ص ١٧٠.

- التَّالِثُ: أَنَّ الفِعْلَ الَّذِي جَاءَ بَعْدَ الصِّقَّةِ كَانَ مُؤَنَّثًا "تَجْرِي" مِمَّا يُوَكِّدُ مَعْنَى التَّنْأِيثِ فِي الرِّيحِ (١).

فالدَّارِسُ البَيَانِيَّ أَوْضَحَ الِاعْتِبَارَاتِ الَّتِي آثَرَتْ اسْتِخْدَامَ صِيغَةِ المَذْكَرِ فِي بَعْضِ المَوَاضِعِ، وَاسْتِخْدَامَ صِيغَةِ المَوْئَنَّثِ فِي مَوَاضِعٍ أُخْرَى مُشَابِهَةٍ، مَبِينًا كَيْفَ أَسْهَمَتْ صِيغَتَا التَّنْكِيرِ وَالتَّنْأِيثِ فِي التَّعْبِيرِ القُرْآنِيِّ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى المَعْنَى وَ إِغْنَائِهِ.

وَمِنْ هَذَا القَبِيلِ أَيْضًا أَنَّ يَحْلُ ضَمِيرَ المَذْكَرِ مَحَلَّ ضَمِيرِ المَوْئَنَّثِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ\*يَتَوَارَى مِنَ القَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمُسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٢). الحَدِيثُ فِي الآيَتَيْنِ عَنِ المَوْوَدَّةِ، أَي عَنِ مَفْرَدِ مَوْئَنَّثِ، لَكِنِ الضَّمَائِرُ: (الهَاءُ مِنْ "بِه"، وَالهَاءُ فِي "يَمْسِكُهُ"، وَالهَاءُ فِي "يَدُسُّهُ") كَلَّهَا ضَمَائِرُ لِمَفْرَدِ مَذْكَرٍ، فَلَمْ تَتَوَافَقِ الضَّمَائِرُ وَمَا تَعُودُ عَلَيْهِ.

يَرَى أَحَدَ الدَّارِسِينَ أَنَّ هَذِهِ الضَّمَائِرَ بِأَلْفَاظِهَا المَذْكَرَةَ تَرْجِعُ إِلَى الأُنْثَى فِي خَاطِرِ الأَبِّ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مُطَابِقَةً لَهَا فِي سِنَنِ العَرَبِيَّةِ، وَأَنَّ هَذَا التَّخَالَفَ مُشَارِكَةٌ بَارِعَةٌ فِي تَصْوِيرِ حَالِ المَوْلُودِ لَهُ مِنَ الحَنَقِ وَالعِظَمِ، وَمِنْ الكِرَاهِيَةِ وَالمَقْتِ، لِأَنَّهُ فِي حَدِيثِهِ عَنِ أُنْثَاهِ، وَسؤالِهِ نَفْسَهُ عَمَّا هُوَ صَانِعٌ بِهَا، لَا يَنْكُرُ فِي وَجْدَانِهِ وَقَرَارِهِ نَفْسَهُ حَقًّا فِي الحَيَاةِ وَحَسَبِ، وَلَكِنَّهُ يَنْكُرُ عَلَيْهَا أَيْضًا حَقًّا مِنَ اللُّغَةِ، فَهُوَ يُمْسِكُ لِسَانَهُ أَنْ يُكْنِيَ عَنْهَا بِضَمِيرِهَا، وَيَرْفُضُ أَنْ يَكُونَ لَهَا مِنَ اللُّغَةِ مِثْلُ مَا لِلذَّكَرِ، ضَمِيرٌ يَدُلُّ عَلَيْهَا، وَلَا تَذْكَرُ إِلَّا بِهِ، وَلَا يَرَى أَرْوَحَ لَهُ إِلَّا أَنْ يُكْنِيَ عَنْهَا بِضَمِيرِ المَذْكَرِ الَّذِي وَحَدَهُ الجَدِيرُ بِالحَيَاةِ، وَأَنَّ يَخْتَصَّ مِنَ اللُّغَةِ بِضَمِيرٍ لَا يَشْرِكُهُ أَحَدٌ فِيهِ (٣). فَهُوَ يَرْجِعُ هَذَا الِاسْتِعْمَالَ لِمِثَالِ التَّنْكِيرِ وَالتَّنْأِيثِ فِي هَذَا المَوْضِعِ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ قَضِيَّةُ الأُنْثَى عِنْدَ العَرَبِ، كَمَا حَفِظَهَا التَّارِيخُ، وَيَرَى أَنَّهَا ذُكِرَتْ فِي القُرْآنِ عَلَى نَحْوِ مَا كَانَتْ فِي الوَاقِعِ.

١ - المَصْدَرُ السَّابِقُ: يُنْظَرُ ص ١٧١.

٢ - سُورَةُ النُّحْلِ: ٥٨-٥٩.

٣ - يُنْظَرُ نَاصِفِ، عَلِيِّ النُّجْدِيِّ، مَعَ القُرْآنِ الكَرِيمِ فِي دَرَاةٍ مُسْتَلْهَمَةٍ: ص ١٧٠-١٧١.

حاولنا فيما سبق تبيان اجتهادات الدارسين وإيضاحاتهم على صعيد البنية اللغوية للكلمات القرآنية، (منتقلين بين صيغ متعددة)، ومن خلال ما قدمناه من أمثلة ونماذج تطبيقية؛ تبين لنا أن الدارسين المحدثين، سعوا في درسهـم البياني إلى التماس ما يكتنف صيغة الكلمة القرآنية من مخزون نفسي، وأثر وجداني، وموافقة للمعنى، ودقة تصوير؛ ليكشفوا ما حواه التركيب الداخلي للكلمات القرآنية من جمال فني وأسرار إعجازية. إذ بينوا الدلالات الناتجة عن تلك الصيغ وتنوعها بحسب السياق، مستندين إلى الدلالة المعجمية للمفردة، والدلالة البلاغية التي بينها البلاغيون في كتبهم، ومستعينين بدراسات القدماء. وبذلك أسهمت دراساتهم في الكشف عن بعض النواحي الإعجازية في الكلمات القرآنية.

## الفصل الخامس

### الدّرس البيانيّ القرآنيّ الحديث في فضاء الجملة القرآنيّة

تتصل دراسة الجملة اتصالاً مباشراً بدراسة المفردة لأنّ المفردات أساسُ الجملة ومنها تركيبها<sup>(١)</sup>، ومعلومٌ أنّ التركيبَ أو النّظمَ يُنشئُ علاقاتٍ جديدةً بين المفردات، إذ "إنّ التركيب في جملته روحٌ خاصّة بالنسق والنظم، يعطي كلّ لفظة معنى في الجملة، كما أعطتها اللّغة معنىً في الأفراد، حتّى إذا أُنبتّها وميّزتها من هذه الجملة ضعفتُ ونقصتُ"<sup>(٢)</sup>. من ذلك مثلاً كلمة (تنفّس) في قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾<sup>(٣)</sup>، إذ لا ينبعث منها -أي من كلمة تنفّس- ذلك الإشعاع الفكريّ إلّا إذا كانت كلمة الصُّبْح معها، ولا بدّ لكي يكون ذلك الإشعاع المعنويّ صحيحاً واضحاً من أن يكون مقترناً بالصُّبْح، وكلمة الصُّبْح لا تفترق عن كلمة الفجر، إلّا إذا كان يتبعه التَّنَفَّس والإسفار. فالصُّبْح والتَّنَفَّس متلازمان، وإن كان كلّ منهما مؤدياً معنىً مستقلاً، والتّلازم كان بالألّا يتبيّن ذلك المعنى الاستقلاليّ إلّا بضم الأخرى إلى الأولى<sup>(٤)</sup>.

١ - الذي نعنيه بالجملة القرآنيّة (الآية) على وجه التقريب. والآية في الاصطلاح: طائفة ذات مطلع ومقطع مندرجة في سورة من القرآن، فهي قرآن مركّب من جمل ولو تقديراً. ولا سبيل إلى معرفة آيات القرآن إلّا بتوقيف الشارع، لأنّه ليس للقياس والرأي مجال فيها، إنما هي محض تعليم وإرشاد، بدليل أنّ العلماء عدّوا "المص" آية، ولم يعدّوا نظيرها وهو "المر" آية، وعدّوا "جمعسق" آيتين، ولم يعدّوا نظيرها وهو "كهيعص" آيتين، بل آية واحدة، فلو كان الأمر مبنياً على القياس لكان حكم المثليين واحداً فيما ذُكر. وكذلك عدّوا ما هو كلمة واحدة آية، لأنّ الوارد عن الشارع هو هذا، إذ عدّت كلمة "الرحمن" في صدر سورة الرحمن آية، كما عدّت كلمة "مدهامتان" آية، ووقفاً عند الوارد. يُنظر الزرقاني، مناهل العرفان: ج ١/٣٣٢-٣٣٣. ويُنظر السيوطي، الإتقان: ج ١/٢٠٨-٢٠٩.

٢ - الرافي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن: ص ٢٥٩.

٣ - سورة التكوير: ١٨.

٤ - أبو زهرة، د. محمد، المعجزة الكبرى، دار الفكر العربي، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م: ص ١٠٦، وينظر الباقلاني، إعجاز القرآن: ص ١٨٤. ويُنظر قطب، التصوير الفني: ص ٦٤.

فالتَّرْكيبُ أو النَّظْمُ يضمُّ الألفاظَ بعضها إلى بعضٍ حتَّى تفيِدَ الغرضَ الذي من أجله تُصاغُ العبارة. وإنَّ المعنى كما يقولُ القاضي عبد الجبار: "لا بدُّ من اعتباره، وإن كانت المزيّة تظهر بغيره؛ على أنا نعلم أنَّ المعاني لا يقع فيها تزايد، فإنَّ يجب أن يكون الذي يعتبر عند التَّزايد الألفاظ التي يعبر بها عنها؛ أي عن المعاني. فالذي به تظهر المزيّة ليس إلَّا الإبدال الذي تختصُّ به الكلمات، أو التَّقْدِيمُ والتَّأخِيرُ، الذي يختصُّ بالموقع، أو الحركات التي تختصُّ بالإعراب، فبذلك تقع المباينة"<sup>(١)</sup>.

فأسرارُ بدائع التَّرْكيبِ كامنةٌ في النَّظْمِ، والدَّارسون البيانيون بحثوا عن هذه البدائع؛ إذ اهتمَّ دارسو البيان القرآنيّ كثيرًا بجانب النَّظْمِ، فتحدثوا في التَّقْدِيمِ والتَّأخِيرِ، والاستفهام، وصور النَّفْيِ، وصور التَّوكِيدِ و دواعيه وأساليب الأمر والنهي والقسم، والقصر، والنداء، ومواطن الحذف والذِّكْر، وأسرار الإعراب البلاغيّة، في الصّفات، والبدل، ونحو ذلك من مسائل النَّظْمِ التي يُنظر فيها على اعتبارها الأساس في قوة التَّرْكيبِ، وحسنه، وتنسيقه وأنَّه صاحبُ الأثر في تقدير الكلام<sup>(٢)</sup>.

### - العدول وقيّمته في الدرس البياني للقرآن<sup>(٣)</sup>:

من أبرز المجالات التي استحوذت على اهتمام الدارسين البيانيين في نطاق الآية القرآنيّة دراسةً ما أطلق عليه الأسلوبيون اسم "العدول"، ويُقصد به: الخروج عن القاعدة

١ - الأسد آبادي، القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل: ج١٦/١٩٩ - ٢٠٠.  
٢- لم يُنكر أحد من النقاد فضل التَّأليف، أو النَّظْمِ، أو التَّرْكيبِ، رغم اختلافهم في تقدير اللفظة المفردة، وبسط الإمام عبد القاهر دراسة النَّظْمِ بسطاً علمياً دقيقاً وأفاد من جهود العلماء قبله.  
٣- عبّر عن العدول بمصطلحاتٍ كثيرةٍ منها: الانحراف والانزياح واللحن وغيرها. يُنظر المسدي، د. عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ط/٢، دار سعاد الصباح، ١٩٨٢م: ص١٠٢-١٠٣. وللتوسع حول ورود مصطلح العدول أو بعض مشتقاته في كتب اللغة والنحو والبلاغة يُرجع إلى كتاب ويس، د. أحمد محمد، الانزياح من منظور الدِّراسات الأسلوبية، ط/١، مجد للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م: ص٤٥-٤٨.

أو المعيار في بناء الجملة<sup>(١)</sup>.

فالعدول فيه مخالفة للمعيار وانزياح عنه ؛ إمّا بالخروج "على الاستعمال المؤلف للغة"، وإمّا بالخروج "على النظام اللغوي نفسه". و هو في كلا الحالين "لا يتمُّ إلّا بقصدٍ من الكاتب أو المتكلم. وهذا ما يعطي لوقوعه قيمةً لغويةً وجماليةً"<sup>(٢)</sup>، فقيمةُ العدول تتجلى في إثارته لوعي المتلقي، لأنّه قد صادف "كسرًا لنظام اللغة وتشويشًا لما هو ثابت في ذهنه ووعيه، ولذلك يتولّد عند القارئ إحساسٌ بالدّهشة والمفاجأة في اللامنظر واللامتوقّع، وإنّ هذا الإحساس يأسر القارئ ويشكّل لديه لذة وطرافة"<sup>(٣)</sup>. ولا يعني ما تقدّم أنّ العدول هو الذي يسمو بالنصّ إلى درجة فنّية أعلى، إذ قد يكون النصّ خاليًا من أي عدول أو انزياح ومع ذلك يحظى بقيمة فنّية كبيرة. فالأساس في تقدير النصّ والحكم عليه هو الأسلوب الذي يعطي التعبير هيأته المخصوصة.

وقد توقّفنا عند العدول دون غيره، لكون النظر في صياغة الجملة ودلالات الصوّغ فيها موضع اهتمام البلاغيين والنحاة، وبدلوا في ذلك جهودًا خصبةً، إضافة إلى أنّ بحثها ودراستها يعتمد على التّوصيف ومراعاة القواعد أكثر منه على التّعليل والتّفسير، أمّا العدول، فهو إضافة إلى اشتغال البحث فيه على الكثير من مسائل النّظم، فإنّه يثير تساؤلات، ويستدعي تأويلات مناسبة لفهم المعنى على نحو أكمل، والإجابة عن هذه التّساؤلات، كانت موضع اهتمام دارسي البيان القرآنيّ، الذين حرصوا على تقديم تعليلات للإجراءات اللغوية القرآنية التي فيها كسرٌ للقاعدة اللغوية، وإثارةٌ للتساؤل<sup>(٤)</sup>.

وقد برز هذا العدول على مستوى البنية الشكّليّة في ثلاثة أساليب هي : التّقديم والتّأخير، الحذف، الالتفات.

١ - للتوسّع حول مفهوم القاعدة أو المعيار التي يحدث العدول عنها يُرجع إلى كتاب هندأوي، د. عبد

الحميد أحمد يوسف، الإعجاز الصّرفي في القرآن الكريم: ص ٤٤ وما بعدها.

٢ - عيّاشي، د. منذر، مقالات في الأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق، ١٩٩٠م: ص ٨١.

٣ - ربابعة، د. موسى، الأسلوبية مفاهيمها تجلياتها، ط/١، جامعة الكويت، ٢٠٠٣م: ص ٥٦.

٤- هذا الشّعور تجاه القرآن الكريم يصدرُ عن القارئ العالم باللغة وأساليبها، وقلّ أن يصدرَ عن القارئ العادي.



## - التّقديم والتّأخير :

تخضع الجملة العربية لترتيبٍ ينظّم تتابعَ أجزائها في الهيكل الأساسي للبناء اللغوي النحوي، ومن ثمّ تُستكمل عناصر أخرى يتمُّ بها التعبير، وتقل الآراء والانفعالات<sup>(١)</sup>. غير أنّ هذا التّرتيب قد يختلف اختلافاً جازماً أو واجباً لغرضٍ بلاغيّ، أو لداعٍ صناعيّ، فيتقدّم ما حقّه التّأخير في الأصل، ويتأخّر ما حقّه التّقديم. وقد ذكر سيبويه فائدة التّقديم والتّأخير بقوله: "كأنهم إنّما يقدّمون الذي بيانه أهمُّ لهم وهمّ ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يُهمّانهم ويعنيانهم"<sup>(٢)</sup>.

وأشار عبد القاهر الجرجاني، الذي درس التّقديم في صورة الإثبات، وفي صورة النّفي، وفي صورة الاستفهام، وبيّن أنّه يكون لفائدة في كلّ حال لأنّه من الخطأ أن يُقسّم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين، فيجعل مُفيداً في بعض الكلام وغير مفيدٍ في بعض<sup>(٣)</sup>، إلى ذلك الذي قاله سيبويه، ثمّ ذكر ما قالوه في "قتل الخارجي فلان"، و"قتل فلان" الخارجي، وتحديدهم للمقام الذي يقتضي كلّ صورة من هاتين الصورتين وعلق على ذلك بقوله: "وهذا جيدٌ بالغ، إلّا أنّ الشّأن في أنّه ينبغي أن يُعرّف في كلّ شيء قُدّم في موضع من الكلام مثل هذا المعنى، ويُفسّر وجّه العناية فيه هذا التّفسير"<sup>(٤)</sup>.

فبعد القاهر يؤكّد أنّه ينبغي التّعليق على كلّ صورة من صور التّقديم والتّأخير وتحليل كلّ مثالٍ في ضوء سياقه تحليلاً لا يُغني عنه غيره.

وقد أوّليت ظاهرة التّقديم والتّأخير اهتماماً بالغاً عند النّحاة والبلاغيين، لأنّها ذات دلالات لغويّة وبلاغيّة متعدّدة، ويُضاف إلى ذلك ضرورتها في البحث النحويّ والتّفسير القرآنيّ؛ فهي في النّحو ظاهرة في بنية اللغة تخرج على نظامها الطّبيعيّ، وهذا الخروج

١ - ينظر صبح، د. خلدون، التّقديم والتّأخير في القرآن الكريم: ص ١٣٣.

٢ - سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب "كتاب سيبويه"، تحقيق عبد السلام هارون، ط/٤، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م: ج ١/٣٤.

٣ - الجرجاني، دلائل الإعجاز: يُنظر ص ١١٠.

٤ - الجرجاني، دلائل الإعجاز: يُنظر ص ١٠٨.

لا بدَّ له من تفسير وتوضيح في مراميه ودلالاته، وهي في علم التفسير القرآني ظاهرة مقصودة لأداء دلالات بلاغية معنوية إضافية ليست في النظام الطبيعي للغة، وتزداد أهمية هذه الظاهرة إذا انتبهنا إلى أن إعجاز القرآن الكريم كان جُلّه في دلالاته البلاغية ونظمه، والتقديم والتأخير يحملان السمتين الدلالية البلاغية والعلاقة بنظم اللغة<sup>(١)</sup>.

وإذا كان من الجائز أن يتقدّم بعض أجزاء الجملة على بعض، فقد حرصت الجملة في القرآن على أن يكون هذا التقديم مشيراً إلى مغزى ودالاً على هدف، وتابعاً لمنهج نفسي. يقول الدكتور أحمد بدوي: "تتبع الجملة القرآنية المعنى النفسي، فتصوره بألفاظها لتلقيه في النفس، حتى إذا استكملت الجملة أركانها، برز المعنى ظاهراً فيه المهم والأهم، فليس تقديم كلمة على أخرى صناعةً لفظيةً فحسب، ولكن المعنى هو الذي جعل ترتيب الآية ضرورة لا محيداً عنه، وإلا اختل وانهار"<sup>(٢)</sup>.

ولتقديم الألفاظ بعضها على بعض أسباب كثيرة يقتضيها المقام وسياق القول، ويجمعها قولهم: "إنّ التقديم إنما يكون للعناية والاهتمام. فما كانت به عنايتك أكبر قدّمته في الكلام. والعناية باللفظة لا تكون من حيث إنها لفظة معينة، بل قد تكون العناية بحسب مقتضى الحال"<sup>(٣)</sup>. وقد فصلّ الدارسون البيانين القول في أسباب التقديم والتأخير في القرآن الكريم ولم يكتفوا بالقول إنه قدّم هذه الكلمة للعناية بها والاهتمام، بل بيّنوا موطن هذه العناية وسبب هذا التقديم، وما أنتجه من معانٍ بلاغيةٍ جماليةٍ.

وقد قدّم الدكتور خلدون صبح في كتابه "التقديم والتأخير في القرآن الكريم، بلاغة وإبلاغ" دراسةً وافيةً إذ وضّح الأغراض البلاغية التي يخرج إليها التقديم في الجملة الاسمية والفعلية والمفرد<sup>(٤)</sup>.

ويقسم الدارسون أحوال التقديم والتأخير على قسمين:

- ١ - صبح، د. خلدون، التقديم والتأخير في القرآن الكريم: ص ٥.
- ٢ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١٠٥.
- ٣ - السامرائي، د. فاضل، التعبير القرآني: ص ٥١ - ٥٢.
- ٤ - صبح، د. خلدون، التقديم والتأخير: ينظر بتوسع الفصل الثاني من الكتاب ص ١٣٥ حتى ص ١٩٦.

- تقديم اللفظ على عامله<sup>(١)</sup>.

- تقديم الألفاظ بعضها على بعض في غير العامل.

والقسم الأول في الغالب يفيد الاختصاص، وهو كثير في القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ\* اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقد بين الدكتور فاضل السامرائي سبب هذا التقديم بقوله: قدّم المفعول به (إياك) على فعل العبادة وعلى فعل الاستعانة دون فعل الهداية فلم يقل: (إيانا اهد) كما قال في الأولين؛ وسبب ذلك أنّ العبادة والاستعانة مختصتان بالله تعالى، فلا يُعبد أحدٌ غيره ولا يُستعان به، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿بَلِ اللّٰهَ فاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشّٰكِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله: ﴿وَاشْكُرُوا لِلّٰهِ إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، فقدّم المفعول به على فعل العبادة في الموضعين وذلك لأنّ العبادة مختصة بالله تعالى، ولأنّ طلب الهداية لا يصحّ فيه الاختصاص إذ لا يصح أن تقول: اللهم اهدني وحدي ولا تهد أحدًا غيري أو خصني بالهداية من دون الناس<sup>(٥)</sup>.

ولفت الدكتور بدوي الانتباه إلى سبب آخر لتقديم العبادة على الاستعانة وهو أنه: "تقديم للوسيلة، قبل طلب الحاجة، وذلك أنجح في توقّع حصولها"<sup>(٦)</sup>.

أمّا التقديم والتأخير في القسم الثاني<sup>(٧)</sup>، فيرجعه الدارسون إلى المقام وما يقتضيه فنّ القول وسياق التعبير، ولهم في ذلك تأملات لطيفة، وإشارات دقيقة مستقصية.

١ - من هذا الباب تقديم المفعول به على فعله، وتقديم الظرف والجار والمجرور على فعلهما وتقديم الخبر على المبتدأ. والغرض الأكثر فيه الاختصاص، وقد يكون لغرض آخر كالمدح والتثناء والتعظيم والتحقير. تنظر هذه الأغراض في العاكوب، د. عيسى، المفصل في علوم البلاغة: ص ١٣٧-١٣٩. والهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة: ص ٨٨-٩٣.

٢ - سورة الفاتحة: ٥-٦.

٣ - الزمر: ٦٦.

٤ - البقرة: ١٧٢.

٥ - السامرائي، د. فاضل، التعبير القرآني: ص ٤٩-٥٠.

٦ - بدوي، من بلاغة القرآن: ص ١١٤.

٧ - ذكر الباحثون هذا النوع تحت عنوان (ما قدّم والمعنى عليه)، ينظر السيوطي، الإتيان: ج ٢/٦٧٣.

ومن ذلك تقدّم بعض الصفات و المعطوفات على بعض؛ فمن تقديم الصّفات تقدّم (العزیز) على (الحکیم) لأنّه عزّ فحکم، وتقديم (العليم) على (الحکیم) لأنّ الحکیم ناشئ عن العلم، وكذا أكثر ما في القرآن من تقديم وصف العلم على الحكمة: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(١)</sup>، فالتقديم هنا للعلّة والسببية<sup>(٢)</sup>، وإن ورد الوصف بالحكمة أوّلاً كان ذلك لاتجاهات أخرى اقتضاها سياق الآية.

ومن هذا القبيل أيضاً الآيات التي ورد فيها ذكر الأنبياء وكتبهم، فإنّ بعضهم يتقدّم على بعض بسبق زمنه، كقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلِ هَذَا لِلنَّاسِ وَأَنْزَلْنَا الْفُرْقَانَ﴾<sup>(٣)</sup>. وقد خالف هذا الترتيب لذكر الرّسل ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا\* وَرَسُولًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرَسُولًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾<sup>(٤)</sup>، فإنّ ترتيب ذكر الرّسل في هذه الآية يناسب ترتيب وجودهم في الحياة حتّى وصلت الآية إلى الأسباط فجاءت بعدهم مباشرة بعيسى الذي ليس بينه وبين نبينا محمد ﷺ وهو خاتم الأنبياء إلّا فترة من الرّسل لم يوجد فيها رسول واحد ثم تلا عيسى في الذكر من هو أقدم منه وجوداً على غير ترتيب حتّى ختمت الآية بموسى عليه السّلام، وإنّ سبب غياب هذا الترتيب التاريخي يرجع في رأي الدكتور تمام حسان لشهرته وعدم الحاجة إلى رعايته في الكلام<sup>(٥)</sup>.

وقد يكون سياق الكلام متدرجاً بحسب القدم والأوليّة في الوجود، فيرتب ذكر الكلمات على هذا الأساس فيبدأ بالأقدم ثم الذي يليه وهكذا، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا

١ - سورة البقرة : ٣٢ .

٢ - صبح، د. خلدون، التقديم والتأخير: ص ٢٠١ .

٣ - سورة آل عمران : ٣-٤ .

٤ - سورة النساء: ١٦٣-١٦٤ .

٥ - حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن: ج ١/٧٢ .

خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿١﴾، فخلقُ الجنِّ قبل خلقِ الإنسِ بدليل قوله تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ (٢)، فذكرَ الجنَّ أولاً ثم ذكرَ الإنسَ بعدهم. ونحو قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ (٣)، لأنَّ السنَّةَ، وهي النعاسُ، تسبق النومَ، فبدأ بالسنَّة ثمَّ النومَ، وجعلوا من ذلك تقديمَ الليل على النَّهارِ والظُّلمات على النُّورِ (٤).

وقد يكون تقديمُ بعض المعطوفات على بعض للترقي من العدد القليل إلى الكثير، كما في قوله سبحانه: ﴿فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ (٥). وأمَّا قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (٦)، فقد سبق في مقام دعوتهم إلى التَّفكير في شأن محمد ورسالته، وربَّما كان اجتماعهم مثنى أسرع في وصولهم إلى الحق، فقد تعترض أحدهم شبهةً، فيبدها صاحبه، ولهذا قدَّم مثنى على فرادى (٧).

وقد يكون لتقديم الكثير على ما دونه، ولهذا قدَّم السَّارقُ على السَّارقة في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٨)، لأنَّ السَّرقة في الذَّكور أكثر، وقدَّم الأزواجُ على الأولاد، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصَفَّحُوا وَتَغَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٩)، لأنَّ العداوة في الأزواج أكثر منها في الأولاد.

١ - سورة الذاريات: ٥٦.

٢ - سورة الحجر: ٢٧.

٣ - سورة البقرة: ٢٥٥.

٤ - السيوطي، الإتقان: ج ٢/٦٧٧. ويُنظر السامرائي، د. فاضل، التعبير القرآني: ص ٥٤.

٥ - سورة النساء: ٣.

٦ - سورة سبأ: ٤٦.

٧ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١١٥.

٨ - سورة المائدة: ٣٨.

٩ - سورة التغابن: ١٤.

وقد يكون لشرف المقدم وعلو رتبته، ولهذا قدّم اسمه تعالى في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾<sup>(١)</sup>. وقدّم عيسى على أمّه في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَةً﴾<sup>(٢)</sup>. أمّا تقديم مريم على المسيح في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا ءَايَةً لِلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>؛ فلأنّ الكلام السابق كان حديثاً عنها<sup>(٤)</sup>.

فالقُرآن الكريم له خطوطٌ عامّةٌ في التّقديم والتّأخير، وكلُّ ذلك مراعى فيه سياقُ الكلام والاتّساقُ العامُّ في التّعبير على أكمل وجه وأبهى صورة. وقد تنبّه الدّارسون البيانيّون إلى أنّ القُرآنَ الكريم لم يكتفِ في وضع اللفظة بمراعاة السّياق الذي وردت فيه، بل راعى وضعهما في جميع المواضع التي وردت فيها ونظر إليها نظرةً واحدةً شاملةً في القُرآن الكريم كلّهُ، فنرى التّعبير متنسقاً متنسقاً مع غيره من التّعبيرات كأنّه لوحةٌ فنّيّةٌ واحدةٌ مكتملةٌ متكاملة<sup>(٥)</sup>.

من أمثلة ذلك تقديم السّمع على البصر، وذلك مُراعى في القُرآن الكريم كلّهُ، قال تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>(٦)</sup>. وقال في موضعٍ آخر: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>(٧)</sup>، فقدّم السّمع على البصر في الموضعين. وبناءً عليه كان تقديم الصّم على العميان في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾<sup>(٨)</sup> فقدّم الصّم، وهم

١ - سورة النساء : ٥٩ .

٢ - المؤمنون : ٥٠ .

٣ - الأنبياء : ٩١ .

٤ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القُرآن: ص١١٥-١١٦، وللمزيد ينظر صبح، د. خلدون، التّقديم والتّأخير: ص٢٠٢-٢٠٣ .

٥ - السامرائي، د. فاضل، التّعبير القرآني: ص٥٣ .

٦ - سورة الشورى: ١١، ويُنظر سورة غافر: ٢٠ .

٧ - سورة الإسراء: ١، وسورة غافر: ٥٦ .

٨ - سورة الفرقان: ٧٣ .

فاقدو السمع، على العميان، وهم فاقدو البصر "لأنَّ السَّمْعَ أَفْضَلُ"<sup>(١)</sup>، ودليلهم على ذلك: "أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا أَعْمَى، وَلَكِنْ قَدْ يَكُونُ النَّبِيُّ أَعْمَى كَيَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُ عَمِيَ لِفَقْدِ وَلَدِهِ". وَالظَّاهِرُ أَنَّ السَّمْعَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى تَلَقِّي الرِّسَالَةِ أَفْضَلُ مِنَ الْبَصَرِ، فَفَاقَدَ الْبَصَرَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْهَمَ وَيَعِي مَقَاصِدَ الرِّسَالَةِ فَإِنَّ مَهْمَةَ الرُّسُلِ التَّبْلِيغُ عَنِ اللَّهِ، وَالْأَعْمَى يُمْكِنُ تَبْلِيغُهُ بِهَا وَيَتَيَسَّرُ اسْتِنْعَابُهَا لَهَا كَالْبَصِيرِ، غَيْرَ أَنَّ فَاقِدَ السَّمْعِ لَا يُمْكِنُ تَبْلِيغُهُ بِسَهُولَةٍ، فَالْأَصْمُ أَنْأَى عَنِ الْفَهْمِ مِنَ الْأَعْمَى.

وَيُرْجَعُ الدُّكْتُورُ السَّامِرَائِيُّ ذَلِكَ التَّقْدِيمَ لِسَبَبٍ آخَرَ عَدَا الْأَفْضَلِيَّةِ، وَهُوَ أَنَّ: "مَدَى السَّمْعِ أَقْلُ مِنْ مَدَى الرُّوْيَةِ، فَقَدَّمَ ذَا الْمَدَى الْأَقْلَّ مُتَدَرِّجًا مِنَ الْقَصْرِ إِلَى الطُّوْلِ فِي الْمَدَى، وَلِذَا حِينَ قَالَ مُوسَى فِي فِرْعَوْنَ: ﴿إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّغَى﴾<sup>(٢)</sup>، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾<sup>(٣)</sup>. فَقَدَّمَ السَّمْعَ لِأَنَّهُ يُوحِي بِالْقُرْبِ إِذِ الَّذِي يَسْمَعُكَ يَكُونُ فِي الْعَادَةِ قَرِيبًا مِنْكَ بِخِلَافِ الَّذِي يَرَاكَ فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ بَعِيدًا وَإِنْ كَانَ اللَّهُ لَا يَنْدَى عَنْ سَمْعِهِ شَيْءٌ<sup>(٤)</sup>.

وَجَعَلُوا مِنْهُ تَقَدَّمَ السَّمْعِ عَلَى الْعِلْمِ حَيْثُ وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(٥)</sup>، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(٦)</sup>. وَذَلِكَ أَنَّهُ "خَبَرَ يَتَضَمَّنُ التَّخْوِيفَ وَالتَّهْدِيدَ، فَبَدَأَ بِالسَّمْعِ لِتَعَلُّقِهِ بِمَا يَقْرَبُ كَالْأَصْوَاتِ وَهَمْسِ الْحَرَكَاتِ، فَإِنْ مِنْ سَمْعٍ حَسَّكَ أَقْرَبُ إِلَيْكَ فِي الْعَادَةِ مِمَّنْ يَقَالُ لَكَ: إِنَّهُ يَعْلَمُ، وَإِنْ كَانَ عِلْمُهُ تَعَالَى مُتَعَلِّقًا بِمَا ظَهَرَ وَبَطْنًا وَوَاقِعًا عَلَى مَا قَرَبَ وَشَطْنًا. وَلَكِنْ ذَكَرَ السَّمِيعَ أَوْقَعُ فِي بَابِ التَّخْوِيفِ مِنْ ذَكَرَ الْعَلِيمَ فَهُوَ أَوْلَى بِالتَّقْدِيمِ. وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ السَّمْعَ مِنْ وَسَائِلِ الْعِلْمِ فَهُوَ يَسْبِقُهُ"<sup>(٧)</sup>.

١ - الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ج ٣/٢٥٤.

٢ - سورة طه: ٤٥.

٣ - سورة طه: ٤٦.

٤ - السامرائي، د. فاضل، التعبير القرآني: ص ٥٥-٥٦.

٥ - سورة البقرة: ١٣٧.

٦ - سورة الأنفال: ٦١.

٧ - السامرائي، د. فاضل، التعبير القرآني: ص ٥٦. و الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ج ٣/٢٤٩.

ويقدّم البيانُ القرآنيّ أحياناً اللفظة في موطن ويؤخرها في موطنٍ آخر لملاحظ تناسب مع السّياق. وقد بيّن الدّارسون في تأمّلاتهم الاختلافَ بين الموطنين مؤكّدين أنّه لا يصحّ أو لا يحسن تقديم الكلمة في الموطن الذي أُخّرت فيه، أو تأخيرها في الموطن الذي قُدّمت فيه. ولم يكتفوا في بيانهم بعبارة: أنّ هذه اللفظة قُدّمت للعناية والاهتمام بها، لأنّ الاكتفاءَ بها وجه من وجوه الإبهام، كما أنّه يضيّع معرفة التّمايز بين الأساليب، إذ يتيح لكلِّ واحدٍ أن يقول: "إنّ عنايتي بهذه اللفظة هنا أكبر، ولذا قُدّمتها، دون البصر بما يستحقه المقام وما يقتضيه السّياق"<sup>(١)</sup>.

"فلتقديم الكلمة على أختها نمطٌ من البيان، وسرٌّ لا يفهمه إلّا الإدراك البصير، وتأخير الكلمة عن موضعها لدلالة يقتضيهما السّياق، قد لا تخفى على أهل النّظر"<sup>(٢)</sup>.

من بيان الدّارسين لهذه المواطن، بيانهم لتقديم الرّحمة على العذاب في أغلب المواطن، وتأخيرها عنه في بعض المواطن. فقد قيل: إنّ حيث ذكر الرّحمة والعذاب بدأ بذكر الرّحمة كقوله تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ﴾<sup>(٥)</sup>، وعلى هذا جاء قول النّبي ﷺ حكاية عن الله تعالى: "إنّ رحمتي سبقت غضبي"<sup>(٦)</sup>.

١ - السامرائي، د. فاضل، التعبير القرآني: ص ٥٢.

٢ - العمري، د. أحمد جمال، مفهوم الإعجاز القرآني: ص ٢٩٥.

٣ - سورة المائدة: ١٨.

٤ - سورة فصلت: ٤٣.

٥ - سورة غافر: ٣.

٦ - نصّ الحديث هو: "عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لَمَّا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي". يُنظر مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، اعتنى به: محمد بن عيادي بن عبد الحكيم، ط/١، مطابع دار البيان الحديثة، مكتبة الصّفا، القاهرة، ٢٠٠٤م: كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله وأنّها سبقت غضبه، حديث رقم (٢٧٥١): ج ٢/٧١٢.



وقد خرج عن هذه القاعدة مواضع اقتضت الحكمة فيها تقديم ذكر العذاب ترهيباً وزجراً، من ذلك قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>، لأنها وردت في سياق ذكر قطاع الطرق والمحاربين والسارقين فكان المناسب تقديم ذكر العذاب، وذلك أنها وردت بعد قوله تعالى: ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾<sup>(٢)</sup>، فقدّم القتل على الإحياء، ثم قال بعدها: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِذَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>، ثم جاء بعدها: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>، ثم جاءت بعدها الآية التي نحن بصددتها.

ويؤكد الدكتور فاضل السامرائي أن السياق اقتضى تقديم العذاب: "فأنت ترى أن المناسب هنا تقديم العذاب على المغفرة. جاء في الكشف في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ إلى قوله: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾: "فإن قلت: لم قدّم التعذيب على المغفرة؟ قلت: لأنه قوبل بذلك تقديم السرقة على التوبة"<sup>(٥)</sup>.

ومن ذلك تقديم كلمة الشفاعة على العدل في موطن وتأخيرها عنه في موطن آخر. يقول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾<sup>(٦)</sup>، ويقول في آية أخرى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ

١ - سورة المائدة: ٤٠.

٢ - سورة المائدة: ٣٢.

٣ - سورة المائدة: ٣٣.

٤ - سورة المائدة: ٣٨.

٥ - السامرائي، د. فاضل، التعبير القرآني: ص ٥٧. ويُنظر الزمخشري، الكشف: ج ١/ ٧٢٠.

٦ - سورة البقرة: ٤٨.

عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ<sup>(١)</sup>. فالآيتان تسييران على نسق تعبيريّ واحدٍ تقريبًا، مع تقديم الشفاعة وتأخير العدل في الأولى، وتقديم العدل وتأخير الشفاعة في الثانية.

وقد تأمل الدكتور عبد السلام الراغب السيّاق الذي وردت فيه كل آية منهما، ولحظ أنّ تقدّم الشفاعة على العدل ورد في سياقٍ يصور حالة نفوس شحيحة تميل إلى المال أكثر من غيره، وهذه النفوس الشحيحة تسعى إلى الشفاعة أوّلًا كوسيلةٍ مرجوةٍ قبل أن تُقدم على دفع (الفدية) أو العدل، فكان تقديم (الشفاعة) على (العدل) فيها يتناسق مع تلك الحالة النفسية لهؤلاء مراعاةً للسياق، والآية الثانية وردت في سياقٍ يصور حالة أناس متكبرين معترّين بأنفسهم حريصين على الحياة، ومن كان هذا طبعه وحاله فإنه يقدم الفدية على الشفاعة، فإن لم تنفع الفدية لجأ إلى (الشفاعة) حلًا أخيرًا، وأشار الراغب إلى أنّ التعبير القرآنيّ لوّن في المفردات الموحية بذلك، فقال في الآية الأولى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾، وفي الثانية: ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾، ثمّ قال: وهذا التّغيير التّعبريّ أيضًا يتناسق مع التّقديم والتّأخير في تصوير حالات النفوس وأوضاعها<sup>(٢)</sup>.

فالراغب أدار حديثه في هذه الآية على مراعاة أحوال النفس في نسق الكلام وترتيبه. وهذا ما نجده أيضًا في قوله تعالى: ﴿يَوْمَذُ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ \* وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ \* وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ \* وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله في آية أخرى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ \* وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ \* وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ \* لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾<sup>(٤)</sup>.

إنّ التماس النّجاة من الهول الرّهيب يوم القيامة هو موضوع هذه الآيات، ونلاحظ أنّ ترتيب الأقرباء قد اختلف في الوطنين، إذ تدرّج في الفرار في الآية الثانية، من المهمّ

١ - سورة البقرة: ١٢٣.

٢ - الراغب، د. عبد السلام، الدراسة الأدبية "النظرية والتطبيق": ص ٤٨-٤٩.

٣ - سورة المعارج: ١١-١٤.

٤ - سورة عبس: ٣٤-٣٧.

إلى الأهم: "فالأخ أقل أهمية من الأم والأب، وهم أقل محبة من الزوج والابن، فتدرج من الأسفل إلى الأعلى مرتبة، وهذا شأن البلاغة عند الفصحاء"<sup>(١)</sup>، وذلك بخلاف تقديمه لهم بالفداء في الآية الأولى، إذ "قدّم الأحبّ فالأحبّ، والأقرب فالأقرب، فبدأ بالبنين، ثمّ الزوجة، ثمّ الأخ،.." <sup>(٢)</sup>. وهذا الترتيب يرتبط بعواطف الإنسان أثناء الاستتجاد وطلب العون، ولو غيرنا هذا الترتيب لرفضه العقل والشعور الإنسانيّ.

فالتقديم والتأخير في القرآن الكريم خاضعان للمعنى والأهمية والاهتمام، والدّارسُ البيانيّ تنبّه إلى ذلك وسجّله مبيّناً أغراضه الفنيّة، وتناسقه مع المعاني الدّينيّة، ضمن وحدة النصّ والتحليل.

وقد يكون التقديم والتأخير تلبيةً لمطالب أسلوبية كراعية الفواصل القرآنية<sup>(٣)</sup>، من ذلك مثلاً تأخر (الغفور) في قوله تعالى: ﴿لَعَفُوْهُ غَفُوْرٌ﴾<sup>(٤)</sup>. فمن المعلوم أنّ الغفران يشبه العفو، لكنّه تأخّر عنه رعاية للفاصلة القرآنية.

ومثل ذلك أيضاً التقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُوْنَ وَتَأْسِرُوْنَ فَرِيقًا﴾<sup>(٥)</sup>، يقول الدكتور تمام حسّان: "إنّ ما يتوقّعه السّامع للتقسيم والتفصيل عند سماعه (فريقاً تقتلون) هو (وفريقاً تأسرون) ولكنّ رعاية الفاصلة أثرت حفظ الرتبة في النهاية بعد أن لم تحفظها في البداية". ويلاحظ مثل ذلك أيضاً حتى مع تباعد المواقع في النصّ القرآنيّ: إذ نجد في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿فَقَلِيْلًا مَّا يُؤْمِنُوْنَ﴾<sup>(٦)</sup>، ثمّ نجد في سورة

١ - حسين، د. عبد القادر، البلاغة القيّمة لآيات القرآن الكريم "جزء عم"، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م: ص ٣٦. ويُنظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج ٤/٥٠٥.

٢ - صبح، د. خلدون، التقديم والتأخير في القرآن الكريم: ص ٢١٣-٢١٥. ويُنظر الطبري، جامع البيان، ط/٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م: ج ٢٩/٧٥ و ج ٣٠/٦١.

٣ - صبح، د. خلدون، التقديم والتأخير في القرآن الكريم: ص ٢١١. وحسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن: ج ١/٧٣، ويُنظر الزركشي، البرهان: ج ٣/٢٧٤-٢٧٥، والسيوطي، الإتيان: ج ٢/٦٨٠.

٤ - سورة الحج: ٦٠.

٥ - سورة الأحزاب: ٢٦.

٦ - سورة البقرة: ٨٨.

النساء قوله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(١)</sup>، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾<sup>(٣)</sup>. ولا يرى الدكتور تمام حسان سبباً في اختلاف الرتبة هنا والرتبة هناك إلا رعاية الفاصلة<sup>(٤)</sup>.

فالدّارسون لم ينكروا أن يكون التّقديم والتّأخير لمراعاة الفواصل القرآنيّة، وإن كانوا في الغالب الأعمّ يقدّمون المضمون على الشّكل، وهذا أمر محتّم، خصوصاً في كتاب دينيٍّ معجز. يقول الدكتور أحمد بدوي: "وقلّ في القرآن أن يأتي التّقديم للاحتفاظ بالموسيقا في الآية القرآنيّة، ولزيادة التّناسق اللفظيّ فحسب، من ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى \* قُلْنَا لَأَخَفُ لَكَ إِذْ خَفَ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾<sup>(٥)</sup>، فالتّقديم والتّأخير لهذه الصّيغة التي يعنى بها القرآن، وهي إحدى وسائل تأثيره في النّفس، وأصل الجملة: فأوجس موسى في نفسه خيفة. وإذا أنت قرنت التّعبير بالآية السّابقة واللاحقة، وجدت خروجاً على النّسق، ونفرة لا تلتئم، وللمحافظة على هذه الموسيقا كذلك ورد قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ \* وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾<sup>(٦)</sup>.

فليس بعيداً عن الصّواب إذا قلنا إنّ القرآن يُراعي الفاصلة فيبدّل كلمةً ويضع مكانها أخرى لأنّ هذا ليس أمراً لفظياً هيئاً كما فهمه بعض البلاغيين. وليس من الخطأ في الدّين ولا في البلاغة أن نقول: إنّ القرآن يهتمّ بالنّاحية اللفظيّة؛ لأنّها جزء من أسلوبه ولأنّها من دواعي التّأثير، وتلك وظيفة القرآن، فالغرض منه أولاً هو قيادة النّفس الإنسانيّة إلى سبيل الخير، فمن المحتمّ أن يسلك كلّ سبيل إلى هذه الغاية، فلا يهمل هذا الجانب المهمّ في بلاغته<sup>(٧)</sup>.

١ - سورة النساء: ٤٦.

٢ - سورة النساء: ٤١.

٣ - سورة النحل: ٨٩.

٤ - حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن: ج ١/٧٣.

٥ - سورة طه: ٦٧-٦٨.

٦ - سورة الضحى: ٩-١٠. ويُنظر بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١١٣-١١٤.

٧ - أبو موسى، د. محمد، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ص ٤٤٢-٤٤٣.

ومن البلاغيين القلائل الذين يرون هذا الرأي الزمخشري، الذي فسّر بعض الخصائص القرآنية تفسيراً مبنياً على اهتمامه بالناحية الصوتية، وذلك لأنّ الفاصلة القرآنية كالفافية الشعرية، وتزيد الفاصلة على نظيرتها بشحنة المعنى، ووفرة النغم، والسّعة في الحركة<sup>(١)</sup>. فلا ضير أن يكون التّقديم والتّأخير لمراعاة الفاصلة، لأنّها تقوم بمهمة الإحكام الفكريّ، فتربط بالمعنى الكليّ الذي يسبقها في الآية، وذلك إضافة إلى ترنيمة الموسيقى الراجح<sup>(٢)</sup>.

نخلص ممّا تقدّم إلى القول إنّ القرآن الكريم نهج في ترتيب ألفاظه نهجاً معجزاً، إذ تبدو ألفاظه كأنّها خلقت للمواضع التي وُجدت فيها خلفاً، فلا نستطيع أن نبذل موضع كلمة. وإذا قرأنا آية قرآنية "لا نحسّ فيها بكلمة تضيق بمكانها، أو تنبو عن موضعها، أو لا تعيش مع أخواتها، حتّى صار من العسير بل من المستحيل أن تُغيّر في الجملة كلمة بكلمة، أو أن تستغني عن لفظة أو تزيد فيها شيئاً، وصار قصارى أمرى أمرك، إذا أردت معارضة جملة من القرآن أن ترجع بعد طول المطاف إليها"<sup>(٣)</sup>.

فالقرآن الكريم قدّم ما قدّم من الألفاظ وأخر ما أخر لمعنى وحكمةٍ ندركهما من تأمل هذا النسيج المحكم المتين في السّياق الذي يرد فيه. وقد أسهم الدّارس البيانيّ ببيانه لمواطن التّقديم والتّأخير، في توضيح ما يحتاج إلى تدبّرٍ لإدراك سرّ ترتيبه على هذا النحو، وقد كان التّقديم والتّأخير في أسلوب القرآن الكريم أداة فعّالة أسهمت في خلق الأسلوب المعجز فيه.

١ - شيخ أمين، التعبير الفنيّ في القرآن: ص ٢١٥. وللتوسع يُرجع إلى الحسنوي، الفاصلة في القرآن.

٢ - ياسوف، د. أحمد، دراسات فنيّة في القرآن: ص ٤٦٣. ويُنظر له أيضاً جماليّات المفردة القرآنية: ص ٣١٥.

٣ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١٠٥.

## - الحذف:

يُطلق الحذف على "ما أصله أن يُذكر ولم يُذكر كحذف المبتدأ وحذف الخبر وحذف عامل المفعول به وعامل المفعول المطلق وحذف المفعول به الذي ينبغي ذكره كأن يكون عائداً على اسم موصول نحو (هذا الذي أكرمت) أي أكرمته، فإن لم يكن مما ينبغي ذكره ولا مما يتعلّق غرض بذكره فليس من باب الحذف"<sup>(١)</sup>. فالحذف جائز، ولكن لا بدّ من وجود دليل على المحذوف، وهذا ما اشترطه النحاة في حديثهم عن الحذف في أساليب العرب، فابن جني (ت-٣٩٢هـ) يقول: "قد حذفت العربُ الجملةَ، والمفردَ، والحرفَ، والحركةَ. وليس شيء من ذلك إلّا عن دليل عليه وإلّا كان فيه ضربٌ من تكليف علم الغيب في معرفته"<sup>(٢)</sup>.

ويدخل في الحذف أيضاً "ما ذُكر في موطنٍ، ولم يُذكر في موطن آخر يبدو شبيهاً به لأنّ الموطن اقتضاه"<sup>(٣)</sup>. فالحذف إذن قد يكون في موطن يظهر فيها المحذوف عند الإعراب، وقد يكون في موطن لا يظهر فيها المحذوف بالإعراب، وإنّما يُعلم مكانه بتأمّل المعنى، ومقارنته بموطن آخر شبيه به. ولكن لا بدّ أن يكون هناك دليل على المحذوف وإلّا كان الحذف تعميماً وإلغازاً.

وقد لقي أسلوب الحذف اهتماماً من النحويين والبلاغيين الذين فصلوا القول في مواطنه ودواعيه؛ فبيّنوا أنّ للحذف دواعي منها ما تقتضيه طبيعة الأسلوب القائم على الحوار والمشافهة وإلى هذا أشار أبو عبيدة، معمر بن المثنى بقوله: "إنّ العربَ تختصرُ الكلامَ ليخففوه لعلم المستمع بتمامه"<sup>(٤)</sup>. ومنها ما تدعو إليه البلاغة، إذ إنّ "البلغاء من الناس يميلون إلى الحذف والإيجاز أكثر مما يميلون إلى الذكر والإسهاب؛ لأنّهم يرون

١- السامرائي، د. فاضل صالح، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ط/١، دار الفكر، عمان، ٢٠٠٢م: ص٩٤.

٢- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، الناشر دار الكتاب العربي، لبنان، ١٩٥٢م: ج٢/٣٦٠.

٣- السامرائي، د. فاضل صالح، التعبير القرآني: ص٧٥.

٤- أبو عبيدة، مجاز القرآن: ج١/١١١.

الأول عنواناً للبلاغة، ومقياساً للذكاء، وقدرة فائقةً على التعبير البديع<sup>(١)</sup>. فالحذف وسيلة من الوسائل الفنيّة الجمالية في التعبير.

ويعدّ البلاغيون مواطن متعدّدة للحذف، مثل حذف المسند (الفعل، والخبر) وحذف المُسند إليه (الفاعل، والمبتدأ) وحذف المفعول به، وغيره من متممات الجملة، ويذكرون القيمة الفنيّة لهذا الحذف وفضله على الذكر، وما أدّاه من معانٍ قد لا تُستفاد لو ذُكر هذا المحذوف<sup>(٢)</sup>. ورغم ما ذكره البلاغيون من مواطن الحذف الكثيرة، لا بدّ من التنويه بأنّه "لا يمكن فنيّاً حصرُ مواقع هذا الحذف لأنّها ليست تعبيداً منطقيّاً مقنناً، وإنّما هي مواقف فنيّة ندركها من الموقف كلّ، فقد تكون هناك أغراضٌ أعمقُ من تلك التي حصرها البلاغيون، ويمكننا أن نستشفّ العطاء الفنيّ لنسق التّركيب من داخل العمل نفسه، ومن بنيته الفنيّة الخاصّة به"<sup>(٣)</sup>.

وكما لقي أسلوب الحذف اهتماماً من النّحويين والبلاغيين الذين أكّدوا أنّه لا يُحذف شيءٌ من الجملة إلّا إذا كانت هناك قرينةٌ تدلُّ على المحذوف وانطوى الحذف على قيمة فنيّة، لقي اهتماماً أيضاً لدى دارسي أسلوب القرآن الكريم، الذين أشاروا إلى بلاغة الحذف وأساراه الإعجازيّة<sup>(٤)</sup>. والملحوظ بصورة عامّة أنّ الدّارسين القدماء أكّدوا حُسن الحذف وبلاغته في مواضعه، إلّا أنّهم كرّروا الأمثلة ذاتها في دراساتهم، ولم يُقدّموا تحليلاً وافياً لهذا الأسلوب.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أنّنا إذا قلنا إنّ في أسلوب القرآن حذفاً "فلسنا ننسب الحذف إلى مضمون القرآن، وإنّما ننسبه إلى تركيب اللغة، ذلك بأنّ اللغة

١ - شيخ أمين، د. بكري، البلاغة العربية في ثوبها الجديد: ص ١٢٦-١٢٧، وتُنظر دواعي الحذف والمواطن التي يُستحسن في المصدر نفسه: ص ١٢٨-١٣١، وفي الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة: ص ١٣٩-١٤١.

٢ - العاكوب، د. عيسى، المفصل في علوم البلاغة: يُنظر أمثلة قرآنية لأنواع المحذوف مع المعاني المقصودة من الحذف: ص ٣٢٤-٣٢٦.

٣ - عيد، د. رجاء، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، ط/٢، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت: ص ٨١.

٤ - يُنظر كلامنا على الحذف عند الرماني، والباقلاني، والخطابي في الفصل الأول من هذا البحث.

تجعل للجملة العربية أنماطاً تركيبية معينة، ففي الجملة أركانها ومكملاتها، وفي عناصرها ما يفتقر إلى غيره، وما لا يستغني المعنى عن تقديره، فإذا لم تشتمل الجملة على أحد أركانها، أو ما يقتضيه المعنى أو يقتضيه التركيب من مكملاتها وعناصرها الأخرى، ثم اتضح المعنى بدون ذكر هذه العناصر لوجود الدليل على المحذوف، عددنا ذلك حذفاً<sup>(١)</sup>.  
فللحذف في القرآن الكريم صوراً مختلفة، إذ حُذفت أجزاءً متعدّدة من الجملة، نعرض لنماذج منها لنبيّن سموّ الأسلوب القرآني وروعته، ونوضّح طرائق الدارسين في بيانهم لأسباب الحذف وأساراه الإعجازية.

### - الحذف البلاغي في القرآن الكريم:

ونقصد بـ "الحذف البلاغي" الحذف الذي عرض له الدارسون البيانيون للقرآن الكريم على طريقة البلاغيين في تقسيم مواطن الحذف تبعاً لحذف أحد ركني الجملة (المُسند إليه والمُسند). وقد أتبع عددٌ من دارسي البيان القرآني هذا المنهج، وفصّلوا دواعي الحذف<sup>(٢)</sup>، وما ينطوي عليه من معانٍ دقيقة، ولطائف بلاغيةٍ تزول البهجة، ويضيع الرونق لو أظهر ذلك المحذوف<sup>(٣)</sup>.

وكان حديثُ عبد القاهر الجرجاني في الحذف مرجعاً مهماً للدارسين، لأنّه فصّل القول فيه، ونفت فيه الروح البلاغي. يقول مشيراً إلى قيمته: "فإنك ترى به ترك الذكّر أفصح من الذكّر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ بياناً إذا لم تبين"<sup>(٤)</sup>.

- حذف المُسند إليه: المُسندُ إليه أحدُ ركني الجملة الأساسيين، بل هو الركنُ الأعظمُ الذي يؤسّس عليه أيُّ كلامٍ ذي دلالة<sup>(٥)</sup>، لذلك يكون طيُّ ذكره لأحوالٍ ومقامات

١ - حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن: ج ٢/١٠٩.

٢ - يُنظر جملة من دواعي الحذف في القرآن الكريم في السبوطي، الإتيان: ج ٢/٨١٨-٨٢١.

٣ - الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة: ص ٧٤.

٤ - الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز: ص ١٤٦.

٥ - العاكوب، د. عيسى، المفصل في علوم البلاغة: ص ٩٧.



تقتضي ذلك. فالفاعل يُحذف لدواعٍ متعددةٍ تتعدّد تبعاً لسياقاتها. وأكثر ما يُحذف عندما تدلُّ عليه قرينة واضحة فيصبح كالمتمعيّن الذي تنصرف إليه النفس لأوّل وهلة، كما نجد في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ \* وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ \* وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾<sup>(١)</sup> فالحديثُ في ذكر الموت، ولا يبلغ التراقي عند الموت إلّا النفس<sup>(٢)</sup>. وفي حذف الفاعل في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾<sup>(٣)</sup> يقول الدكتور أحمد بدوي: "أغنى ذكر لَيْسَجُنَّهُ، بما فيه من أدوات التوكيد عن ذكر الفاعل، وكان المجيء بتلك الجملة مصوِّراً لما حدث من هؤلاء القوم، ومعبّراً عمّا كان من أمرهم، وهم يتشاورون في أمر يوسف، فقد قلبوا وجوه الرأي بينهم، ثم بدأ لهم في عقولهم أمر، عبّروا عنه بقولهم: ليسجننه، فكانت الآية حاكيةً لما حدث، مصوِّرةً له"<sup>(٤)</sup>.

أمّا حذف المبتدأ، فقد ذكر السيوطي أنه يكثر "في جواب الاستفهام، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ \* نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾<sup>(٥)</sup> أي هي نار. وبعد فاء الجواب، نحو قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾، أي فعمله لنفسه، ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾<sup>(٦)</sup> أي فإساءته عليها. وبعد القول، نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾<sup>(٧)</sup>، أي هي أساطير يعني ما سطره المتقدمون، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾<sup>(٨)</sup>، أي هي أضغاث يعني الرؤيا التي رآها الملك "حاكم مصر"، وبعد ما الخبرُ صفةٌ له في المعنى، نحو قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾<sup>(٩)</sup>، أي هم التائبون يعني المؤمنون المذكورين، وقوله تعالى: ﴿صُمٌّ

١ - سورة القيامة: ٢٦ - ٢٨.

٢ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١١٩.

٣ - سورة يوسف: ٣٥.

٤ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١٢٠.

٥ - سورة الهمزة: ٥ - ٦.

٦ - سورة الجاثية: ١٥.

٧ - سورة الفرقان: ٥.

٨ - سورة يوسف: ٤٤.

٩ - سورة التوبة: ١١٢.

بُكِّمَ عُمِّيُّ»<sup>(١)</sup>، أي هم صمُّ بكمِّ عمِّي، "فالخبرُ المُتَّصِفُ بصفةٍ يشيرُ إلى المبتدأ المحذوف"<sup>(٢)</sup>، ولأنَّه "ما دام في معرض الحديث عنهم، ليس في حاجةٍ إلى إعادة ذكرهم"<sup>(٣)</sup>.

وذكر الدكتور أحمد بدوي العِللَ المُجيزَةَ لحذفه، ومنها حذفه لشدة وضوحه، لقرب الحديث عنه، ومن ذلك مثلاً قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾<sup>(٤)</sup> يقول بدوي: "تأمل الفرقَ بين هذا الأسلوب المُوجز وبين أن يُقال: وما أدراك ماهيه؟ هي نار حامية، من الإسراع إلى ذكر النار، بعد أن أثار الشوقَ بالسؤال عنها"<sup>(٥)</sup>.

فالدَّارِسُ البَيَانِيُّ يكشف عن بلاغةِ الحذفِ وسرِّه البَيَانِيَّ بالموازنة بين الحذف والذكر في المقامات المُقتضية للحذف، ليرشدنا إلى بلاغة الحذف وبيِّن قيمته من خلال هذه الموازنة.

- **حذف المُسنَد:** المُسنَدُ هو المحكومُ به أو المحدثُ به، وهو أحدُ ركني الجملة<sup>(٦)</sup>. ويُحذف من الكلام لأغراضٍ بلاغيَّةٍ، ولدواعٍ تقتضي ذلك. **فالفعل** يكثرُ حذفه في سياقاتٍ تقتضي السَّرعَةَ في التَّلبِيَةِ لأهميَّة ما يُدعى إليه المخاطب، كوقوع جملته جواب سؤال، فيكون ذكرُ الفاعل من دون ذكرِ الفعلِ إسراعاً بذكر المسؤول عنه بعد أن فهم الفعل المسؤول عنه، واستقرَّ أمرُه في الفؤاد، ومن ذلك مثلاً حذف الفعل في قوله تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا\* أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾<sup>(٧)</sup>. أي قل يعيدكم الذي فطركم.

١ - سورة البقرة: ١٨ .

٢ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١٢٠.

٣ - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: ج ٢/٨٣٣-٨٣٤.

٤ - سورة الفارعة: ١١.

٥ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١٢٠.

٦ - العاكوب، د. عيسى، المفصل في علوم البلاغة: ص ١٨٧.

٧ - سورة الإسراء: ٥٠-٥١.

ويذكر الدكتور أحمد بدوي كذلك أن حذف الفعل قد يكون من باب التحذير، مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾<sup>(١)</sup> أي ذروا أو احذروا ناقة الله. وهذا يشير إلى أن المفعول المذكور منهي عن المساس به، بأي نوع من أنواع الأذى، ففي حذف هذا الفعل تعميم، لا يتأتى إذا ذكر فعل بعينه<sup>(٢)</sup>. وعلى هذا يكون حذف الفعل في تلك الآية، لاهتمام صالح عليه السلام الشديد بأهمية نهيم عن هذا الفعل، خشية أن يقعوا فيه فينالهم غضب من الله تعالى. وإنما حذرهم سقيا الناقة، لأنه "كان تقدم إليهم عن أمر الله، أن للناقة شرب يوم، ولهم شرب يوم آخر غير يوم الناقة"<sup>(٣)</sup>.

وفي حذف المفعول به ذكر الدارسون أن أثر "الحذف به أظهر، واللطائف فيه أكثر، وما يظهر بسببه من الحسن والرواق أعجب وأظهر"<sup>(٤)</sup>. وقد عني الدارسون بأثر حذف المفعول به، وبينوا معانيه، وأوردوا في شأنه ملاحظات قيمة، منها أن المفعول به يُحذف عندما يكون المراد التركيز على الفعل نفسه، مثلما يقول الدكتور أحمد بدوي: "ويحذف المفعول، عندما يكون المراد الاقتصار على إثبات المعاني التي اشتقت منها الأفعال لفاعليها، من غير تعرض لذكر المفعولين، فيصبح الفعل المتعدي كغير المتعدي. ومن أمثلة هذا الحذف قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، إذ المعنى أيستوي من له علم ومن لا علم عنده، من غير أن يُفصد النص على معلوم، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى\* وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ

١ - سورة الشمس: ١٣.

٢ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١٢١. ويُنظر دوب، د. رابح، البلاغة عند المفسرين: ٢٨٧-٣٨٦.

٣ - يُنظر الطبري، جامع البيان: ج ٣٠/ ١٣٧.

٤ - طبانة، د. بدوي، البيان العربي: ص ١٣٢. والجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز: ص ١٦٣.

٥ - سورة الزمر: ٩.

أَغْنَى وَأَقْنَى ﴿١﴾، فالمعنى هو الذي منه الإضحاك والإبكاء، والإماتة والإحياء، والإغناء والإقناء، فالغرض هنا إثبات الفعل للفاعل" (٢).

وقد يكون حذف المفعول للدلالة على التعميم، وأنه يتناول كل ما يصح أن يدخل تحت هذا الفعل، فليس ذكر البعض بأولى من الآخر (٣)، ومن ذلك الحذف في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٤)، إذ حذف المفعول "الثاني"، وأطلق فعل الاستعانة لتشمل كل شيء يريد الإنسان، ولا يخصصها بشيء. "ولأنه" لو خص الاستعانة بالعبادة والطاعة، لبقى حكم الاستعانة في غيرها مجهولاً" (٥).

ومما شاع حذفه حتى لا يكاد يُذكر مفعول (شاء) و (أراد)، في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٦)، "ولا يكاد يأتي مفعول المشيئة إلا في الأمور الغريبة المُتَعَجَّب منها، كما في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ لَاتَّخِذَنَا مِنْ دُونِنا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (٧)، وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٨).

وقد تحدّث الدارسون عن بلاغة الحذف، وبيّنوا أثره في أداء المعاني، ولفت بعضهم الانتباه إلى ما يحقّقه الحذف في بعض المواطن من تناسب إيقاعي، من ذلك مثلاً

١ - سورة النجم: ٤٣-٤٨.

٢ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ١٢٢، ويُنظر الجرجاني، دلائل الإعجاز: ص ١٥٤-١٥٥. إذ أورد أمثلة قرآنية كثيرة أريد بها الفعل نفسه دون المفعول به.

٣ - أبو موسى، د. محمد، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ص ٤٠٤.

٤ - سورة الفاتحة: من الآية ٥.

٥ - السامرائي، د. فاضل صالح، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: ص ٤٣.

٦ - سورة البقرة: ٢٠.

٧ - سورة الأنبياء: ١٧.

٨ - سورة الزمر: ٤. بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١٢٣. و أبو موسى، د. محمد، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ص ٤٠٤. والنجدي، علي، مع القرآن في دراسة مستلهمة: ص ٨٣.

حذف المفعول به في قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾<sup>(١)</sup> إذ التقدير (وما قلاك)، فقد حُذِفَ المفعولُ به وهو الضَّميرُ العائدُ على رسول الله، وهذا الحذفُ جاء مراعاةً لإيقاع الفواصل في السورة، وذكرُه يؤدي إلى اختلال الإيقاع الموسيقيّ المنبعث من فواصل الآيات، كذلك فإنه يحقّق تناسبًا معنويًا يكمن في كراهية إيقاع فعل الكراهية والبغض على الضَّمير العائد على رسول الله ﷺ، تكريمًا وتعظيمًا له وبيانًا لمكانته ومنزلته<sup>(٢)</sup>.

وتوسّمت الدكتورة عائشة عبد الرحمن التّهذيبَ في هذا الحذف، "وتحاشي خطابه تعالى رسوله ﷺ، في موقف الإيناس، بصريح القول: وما قلاك، لما في القلى من حسّ الطرد والإبعاد وشدة البغض"<sup>(٣)</sup>.

وعلى هذا النحو مضى الدارسون في بيان مواطن الحذف، وتأمّل ما ينطوي عليه من معانٍ وأسرار، إضافةً إلى تأثيره الفنيّ. ويطول القول بنا لو تابعنا مواطن الحذف في القرآن الكريم، لتعدّد المواطن التي ذكرها الدارسون، كحذف الخبر، والصفة، والمضاف إليه، وغيرها... وتتنوع أسرارها البلاغية<sup>(٤)</sup>.

### - حذف جملة أو جمل في القرآن الكريم:

وقد شملت ظاهرة الحذف في القرآن حذْفَ جملةٍ أو جملٍ، وأكثرُ ما جاء ذلك الحذفُ في السرد القصصيّ في القرآن. إذ إنّ القصة القرآنية تركّز في سردها على الغرض الدينيّ، دون أن تخلّ بالغرض الفنيّ، وتعتمد على المشاهد. وحذفُ بعض المشاهد المُدرّكة من السّياق، وتركُ هذه "الفجوات" الفنية مقصودٌ في التعبير، لتحقيق

١ - سورة الضحى: ٣.

٢ - الراغب، د. عبد السلام، الدراسة الأدبية (النظرية والتطبيق لنصوص قرآنية): ص ٥٠-٥١.

٣ - عبد الرحمن، د. عائشة، الإعجاز البياني للقرآن: ص ٢٥٠.

٤ - ينظر الكثير من مواطن الحذف، كحذف الخبر، والصفة، والمضاف إليه، وغيرها... مع بيان سبب الحذف، وما أحدثه من بيان وروعة في: بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١١٩-١٢٧. د. رابح، والبلاغة عند المفسرين: ص ٣٨٩ وما بعد.

التشويق والإثارة الفنيّة، ودفع القارئ إلى التأمّل في المشاهد المعروضة وتخيّل المشاهد المحذوفة معاً، فيقوم باستدعائها، وربطها بالسياق القصصي العامّ، فيحدث التشويق والإثارة لمعرفة المحذوف وتقديره حتى يتمّ السياق التعبيريّ ويكتمل من خلال إدراك هذا المحذوف وتقديره<sup>(١)</sup>.

من ذلك مثلاً قصة موسى وفرعون في سورة طه، حينما يأمر الله موسى عليه الصلّاة والسلام، وهو واقفٌ في المكان الذي أنس منه النار ليلاً، بأنّ يذهب إلى فرعون فيبلغه أمر الله عزّ وجلّ، إذ يقول تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ \*فَأَتَيْنَاهُ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ \*إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ \*قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ \*قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾<sup>(٢)</sup>، فنحن في أوّل الآيات، أمام مناجاة بين موسى وربّه جلّ جلاله، يأمره الله فيها بالذهاب مع أخيه هرون إلى فرعون لتذكيره وتبليغه أمر الله عزّ وجلّ، ويطمئنهما بأنّه لن يصيبهما منه أيّ مكروه، ثمّ ينطوي هذا المشهد. ويبرز عقبه تماماً مشهدٌ آخر نجد فيه كلّاً من موسى وفرعون وجهاً لوجه في مناقشة حول حقيقة الله عزّ وجلّ ودلائل وجوده، وهو المشهد الذي يبدأ بقوله جلّ جلاله: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ﴾. "أمّا ما بين هذين المشهدين، من ذهاب موسى إلى مصر ووسائل ذلك ثمّ طريقة التّوصل إلى فرعون، ثمّ عرض الدّعوة إلى الإسلام عليه، فمطويّ ذكره ليستقلّ بتصويره الحسّ والخيال، ولأنّه ليس من الدقّة الفنيّة في شيء الاهتمام بعرض ذلك وسرده على السّامع"<sup>(٣)</sup>.

ففي آيات هذه القصة وأمثالها من القصص القرآنيّ الذي وقع فيه حذفٌ لبعض مشاهدته، قد نحسّ بفجوات في العرض "ولكنّها لمّا كانت مفهومةً مُدركةً فقد ارتضت

١ - الرّاعب، د. عبد السلام، الصورة الفنيّة في القرآن الكريم: ص ٢٦٣، ويُنظر له أيضاً الدراسة الأدبية (النّظرية والتّطبيق لنصوص قرآنية): ص ٥٢.

٢ - سورة طه: ٤٦-٥٠.

٣ - البوطي، د. محمد سعيد رمضان، من روائع القرآن: ص ٢٤٣.

الحبكة القصصية هذا الحذف، ولو أنه ذكر المحذوف لكان باعثاً على السأم والملل، ولما اكتسبت الآيات في عرضها تلك الروعة وذلك الجمال<sup>(١)</sup>.

وقد تناول هذا الحذف كلماتٍ وجملاً كثيرة متلاحقة ومنفرقة، في غير القصص القرآني، واستثمر النظم القرآني البقية الباقية من اللفظ في تأدية المعنى كله بجلاء ووضوح. ومن ذلك مثلاً الحذف في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَّاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ\* أُنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ ءَمَنْتُمْ بِهِ ءَلَأَنْ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وضَّح الدكتور عبد الله دراز جمالية هذا الحذف، مؤكداً إعجازه، وأنا لا نظفر بمثل هذا الحذف في الأدب الإنساني<sup>(٣)</sup>.

فالحذف في القرآن الكريم، وإن تناول جملةً أو جملاً، حذفٌ بليغٌ يشير دائماً إلى ما بين السطور، ويترك في الكلام ما يدلُّ على هذا المحذوف، ولا تتحقق الروعة والحسن إلا به.

#### - حذف جزء من الكلمة:

ومما استرعى انتباه الدارسين المُحدثين وتناولوه بالدراسة والتعليل حذفُ جزء من الكلمة، ولم يلتفت الدارسون القدماء إلى حذف جزء من الكلمة إلا في قليل من الملاحظات المتفرقة<sup>(٤)</sup>، ومن ذلك تعليقُ الزمخشريِّ على الترخيم في قوله تعالى: ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ﴾<sup>(٥)</sup>، إذ يقول: "قيل لابن عباس: إن ابن مسعود قرأ: ونادوا يا مال، فقال: ما أشغل أهل النار عن الترخيم. وعن بعضهم: حُسْنُ الترخيم أنهم

١ - عبد التواب، د. صلاح الدين، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ط/١، دار نوبار، القاهرة، ١٩٩٥م: ص ١٥٤.

٢ - سورة يونس: ٥٠ - ٥١.

٣ - يُنظر دراز، د. محمد عبد الله، النبأ العظيم: ص ١٤١-١٤٢. سبق أن أوردنا تفصيله القول في الحذف في هذه الآيات، في كلامنا على منهجه في الفصل الثالث.

٤ - أبو موسى، د. محمد، خصائص التراكيب: يُنظر ص ١١٢.

٥ - سورة الزخرف: ٧٧.

يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعِظَم ما هم فيه<sup>(١)</sup>. ويشير الزمخشري هنا إلى ارتباط الشكل اللغوي للكلمة بالمعنى النفسي للقائل.

فالزمخشري أشار إلى هذا الحذف إشارةً، في حين فصل الدارسون المحدثون القول في هذا النوع من الحذف تفصيلاً وافيًا، فقارنوا بين الكلمة في موطن الحذف، والكلمة في موطن الذكر "ثبات الحرف". من ذلك مثلًا ما جاء في دراسة الدكتور فاضل السامرائي من تفصيله لحذف حرف (النون) من كلمة (تكن) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وإثباته في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، إذ أرجع الأمر إلى سبب نزول الآيتين، واختلاف السياق في كل منهما. فالآية الأولى نزلت حين مثل المشركون بالمسلمين يوم أحد، "فوقف رسول الله ﷺ على حمزة وقد مثل به فرآه مبقور البطن فقال: "أما والذي أحلف به، لئن أظفرتي الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك". فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ\* وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ\* إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل]، فكفر عن يمينه، وكف عما أراده<sup>(٤)</sup>. فقد أوصاه الله بالصبر، ثم نهاه أن يكون في ضيق من مكرهم، فحذف النون من الفعل إشارةً إلى ضرورة حذف الضيق من النفس أصلًا.

أمّا الآية الثانية فهي في سياق الحاجة في المعاد، وهو مما لا يحتاج إلى مثل هذا التصبير، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَأَنذَا كُنَّا تَرَابًا وَعَابَاؤُنَا أَنَّا لَمُخْرَجُونَ\* لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَعَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ\* قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ\* وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النمل: ٦٧-

١ - الكشاف، الزمخشري: ج ٤/٢٨٥.

٢ - سورة النحل: ١٢٧.

٣ - سورة النمل: ٧٠.

٤ - السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول: ص ١٦٧. ويُنظر الكشاف، الزمخشري: ج ٢/٧٠٣،

ويُنظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج ٢/٦١٤.



٧٠]»<sup>(١)</sup>. فالسامرائي يرى أنّ الحذف جاء مناسباً للسياق والدعوة إلى تخفيف الأمر وتهوينه على النفس. والحزن في الآية الثانية دون الحزن في الآية الأولى، فناسبه الذكر، وناسب الآية الأولى الحذف.

ومثل هذا التفصيل والتعليل وجدناه عند الدكتور حسن طبل، الذي فرق بين صيغة (استطاعوا) بإثبات التاء وبين صيغة (اسطاعوا) بحذف التاء، الواردتين على معنى واحد في الآيات القرآنية، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتِطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾<sup>(٢)</sup>، إذ أوضح أنّ لكلٍّ منهما ظلالها وإيحاءاتها الخاصة وإن كان كلٌّ منهما في سياق النفي يعنى العجز، غير أنّ العجز في "وما استطاعوا" هو العجز عن الشيء بعد التعلّق به، وتكفّف محاولته، وبذل الجهد في سبيل تحقيقه، أمّا العجز في "ما استطاعوا" فهو العجز الذي يند في النفس بواعث الأمل في الحصول على المراد، ويصرفها عن التعلّق به، أو بذل أي جهد في سبيل تحقيقه.

ويضيف الدكتور حسن طبل أنّ صيغة الاستطاعة وردت مثبتة ومنفية في كثير من المواطن في القرآن الكريم، فدلت في إثباتها على الدعوة إلى بذل الجهد، ومحاولة استنفاد الطاقة [التغابن: ١٦، وآل عمران: ٩٧]، ودلت في نفيها على العجز بعد استقراغ الجهد ونفاد الوسائل [النساء: ١٢٩، ويس: ٦٧].

أمّا صيغة "اسطاع" فلم ترد في القرآن إلّا في موطنين، استخدمت في كليهما منفية كي تدلّ على العجز التام عن تحقيق الأمر [الكهف: ٨٢-٩٧]. وفي ضوء هذا التفريق بين الصيغتين يتضح سرُّ الحذف في هذه الكلمة، "فالسّد الذي أقامه ذو القرنين كان على درجة كبيرة من الملاسة والارتفاع أحسّ إزاءها أهلُ يأجوج ومأجوج باليأس، وتيقنوا منذ البداية من فقدانهم لوسائل تسوره"، فحذف من الفعل المعجز -الصعود لأعلى السد- دون محاولة أو بذل جهد، فقال: "ما استطاعوا"، بخلاف الفعل الآخر وهو محاولتهم إحداث

١ - السامرائي، د. فاضل، التعبير القرآني: ص ٧٧-٧٨ بتصرف.

٢ - سورة الكهف: ٩٧.

نقب، "بكل ما أوتوه من قوة، وما تهيأ لهم -آنذاك- من وسائل، غير أن محاولاتهم في النهاية قد ذهبت أدراج الرياح أمام ثخانة هذا السد وصلابته"<sup>(١)</sup>، فقال: "وما استطاعوا".

وقد جمع الدارسون طائفةً كبيرةً من الأفعال في القرآن الكريم دلّت كثرة حروفها على زيادة الحدّث، ونجد هذه الدلالة على الكثرة، على سبيل المثال، في الفعل "يذبح" من قوله تعالى: ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> ويلفت الدكتور أحمد بدوي الانتباه إلى هذه الدلالة بقوله: "اختار الفعل (ذبح) مصوراً به ما حدث، وضعف عينه للدلالة على كثرة ما حدث من القتل، في أبناء إسرائيل يومئذٍ، ولا تجد ذلك مُستفاداً إذا وضعنا مكانها كلمة (يقتل)"<sup>(٣)</sup>.

ولم تذكر قصة بني إسرائيل هذه في القرآن الكريم إلّا وقد استخدمت صيغ دالةً على الكثرة في الحدث في هذا الفعل وغيره، فقد استمر فيها إيثار ﴿يُذَبِّحُ﴾ على (يذبح) و﴿يَقْتُلُ﴾ على (يقتل) و﴿يُصَلِّبُ﴾ على (يصلب)، و﴿يَقَطِّعُ﴾ على (يقطع). من ذلك مثلاً قوله تعالى: ﴿فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَأُلْصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيْنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾<sup>(٤)</sup>، وذلك "في كل من سرد الخبر أو على لسان فرعون، ليكون الحوار معبراً عن شخصيته المتجبرّة"<sup>(٥)</sup>.

وهكذا انتبه الدارسون إلى وضوح الصلة بين المعيار اللغوي -حذف الحرف أو زيادته- والدلالة الجمالية، وأكدوا أن زيادة المبنى دليل على زيادة المعنى، ومن ثم فإنّ قلة أو إنقاص حروف المبنى دليل على نقص المعنى.

١ - طبل، د. حسن، أسلوب الالتفات: ص ٦٦ بتصرف. و يُنظر تعليل السامرائي لهذا الحذف في بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: ص ١١-١٢.

٢- سورة القصص: ٤.

٣ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ٥٨.

٤ - سورة طه: ٧١.

٥ - ياسوف، د. أحمد زكريا، دراسات فنية في القرآن: ص ٤١٢.

### - ما حُذِفَ في موطنٍ وُذِكِرَ في موطنٍ آخر:

وبلغت عنايةً دارجي البيان القرآنيّ المُحدثين بأسلوب الحذف في القرآن الكريم حدًّا المقارنة بين المواطن القرآنيّة المُتشابهة، للوقوف على ما حُذِفَ في موطنٍ وُذِكِرَ في موطنٍ آخرٍ شبيه به، وعمدوا إلى تعليل سبب الحذف والذِّكر في هذه المواطن، مؤكِّدين أنّ القرآن الكريم لا يذكرُ حرفاً في مكانٍ ويحذفُه في مكانٍ آخر إلا لغرضٍ بلاغيٍّ يُلحظُ فيه غايةُ الفنِّ والجمال.

وممّن انتبهوا إلى هذا الأمر واعتنوا ببيانه، الدكتور فاضل السامرائي، الذي فصلّ القول في الكثير من الآيات القرآنيّة، معللاً الإثبات أو الحذف في كل موطن، سواء أكان المثبت حرفاً أم لفظاً أم أكثر. من الأمثلة على إثبات حرفٍ في مكانٍ وحذفه في مكانٍ آخر، ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَقَلَّبَ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ\* وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾<sup>(١)</sup> فمدّ "السبيل" مع أنّ القياس لا يقتضي المدّ، وهو لم يمدّ "السبيل" في الآية الرابعة من السورة نفسها، يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾<sup>(٢)</sup>. وقد علّل الدكتور فاضل السامرائي هذا الإثبات وذلك الحذف، بأنّ "الآية الأولى في كلام أهل النار وهم يصطرخون فيها ويمدّون أصواتهم بالبكاء، فجاء بالمدّ، وهو المناسب لمدّ الصّوت بالبكاء ورفعهِ"<sup>(٣)</sup>، بخلاف الآية الثانية التي هي: "قول من الله مقرراً حقيقة عقلية معلومة"<sup>(٤)</sup>، ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ لِلنَّاسِ تَظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾. فالمقام في الآية الأولى مقامٌ صراخٍ ومدّ صوتٍ فناسب المدّ.

وقد أشار الدكتور محمد أبو موسى إلى هذا المعنى، إذ بيّن أنّ هذه الألف التي

١ - سورة الأحزاب : ٦٦ - ٦٧ .

٢ - سورة الأحزاب : ٤ .

٣ - السامرائي، د. فاضل، التّعبير القرآني: ص ١٠٤.

٤ - السامرائي، د. فاضل، بلاغة الكلمة في التّعبير القرآني : ص ٣٨.

أضافوها في آخر صراخهم "تفرغ الإحساس بالخيبة والندم، وتطلق العويل الذي يمتدُّ به صوت المكروب"<sup>(١)</sup>.

ومن هذا الباب أيضاً، إثباتُ "أن" بعد "لَمَّا" في بعض الآيات القرآنية وحذفها في بعض، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾<sup>(٣)</sup>، فقد أثبت "أن" بعد "لَمَّا" في سورة العنكبوت بخلاف سورة هود والقصة واحدة. وعلَّل الدكتور السامرائي هذا الإثبات بأنَّ "سياقَ القصة في العنكبوت يقتضي هذا الإثبات من عدّة أوجه، بخلاف سياقها في هود، إذ إنه أفاضَ في ذكر القصة في سورة العنكبوت أكثر ممّا هو في سورة هود، فقد ذكر فيها من صفات قوم لوط السيئة ما لم يذكره في سورة هود فقد قال: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ\* أُنْزِلَتْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ﴾<sup>(٤)</sup>، ولم يزد في سورة هود على أن قال: ﴿وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾<sup>(٥)</sup> ففصلَ في عمل السيئات في سورة العنكبوت ما لم يفصله في سورة هود. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أنَّ "بَرَمَ لُوطٍ بِقَوْمِهِ وَضِيقَهُ بِهِمْ فِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ، كَانَ أَظْهَرَ وَأَشَدَّ مِمَّا فِي سُورَةِ هُودٍ". ويمضي السامرائي موضحاً أنَّ المقامَ في سورة العنكبوت مقامُ إطالة وتفصيل، لذلك ذكر "أن" بعد "لَمَّا" لمناسبة سياق الإطالة والتفصيل بخلاف سورة هود<sup>(٦)</sup>.

وشبيهة بهذا الإثبات، الإثباتُ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ

١ - أبو موسى، د. محمد، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب : ص ٤٠٢.

٢ - سورة العنكبوت: ٣٣.

٣ - سورة هود: ٧٧.

٤ - سورة العنكبوت: ٢٨ - ٢٩.

٥ - سورة هود: ٧٨.

٦ - السامرائي، د. فاضل، التعبير القرآني: يُنظر بالتفصيل ص ١٠٤-١٠٦.

فَارْتَدَّ بَصِيرًا<sup>(١)</sup>، فَأَتَبْتُ "أَنْ" بعد "لَمَّا" وذلك "لمناسبة حالة الانتظار والتَّرقب التي كان يمرُّ بها نبي الله يعقوب، فقد كان شديدَ اللهفة على رؤية ولده. ومن المعلوم أنَّ الشَّخص في مثل هذه الحال يستطيع كلَّ لحظةٍ تمرُّ به، ففصل بين "لَمَّا" ومجيء البشير وباعدَ بينهما إشارةً إلى الشُّعور باستطالة الوقت وطول الانتظار، ولا يؤدي اتصال "لما" بالشرط ما يؤديه هذا الفصل"<sup>(٢)</sup>.

وذكر الرافعي أنَّ المراد بذلك: "تصويرُ الفصل الذي كان بين قيام البشير بقميص يوسف، وبين مجيئه، لُبعد ما كان بين يوسف وأبيه عليهما السَّلام، وأنَّ ذلك كأنَّه كان منتظرًا بقلق واضطراب، توكَّدهما وتصف الطَّرب لمقدِّمه واستقراره غنةً هذه النون في الكلمة الفاصلة وهي: (أَنْ) في قوله: ﴿أَنْ جَاءَ﴾"<sup>(٣)</sup>.

فالقرآن الكريم يوجز في ذكر الأحرف إذا كان المقام مقام إيجاز، وأمَّا إذا كان المقام مقام تفصيل فإنه لا يقتطع الأحرف التي قد تتبع بعض الكلمات بل يذكرها بأوفى صورة. وقد يثبت كلمة أو أكثر في موضع ولا يثبتها في موضع آخر حسبما يقتضيه المعنى والسياق، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى﴾<sup>(٤)</sup>، فإنه قال: (وَكُذِّبَ مُوسَى) ولم يقل: (وَكُذِّبَ قَوْمُ مُوسَى) كما قال في الأقوام الأخرى، وذلك لأنَّ قوم موسى لم يكذِّبوه وإنما الذي كذَّبه فرعون وقومه. جاء في الكشَّاف: "فإن قلت: لم قيل: (وَكُذِّبَ مُوسَى) ولم يُقَل: (قَوْمُ مُوسَى)؟ قلت: لأنَّ موسى ما كذَّبه قومه بنو إسرائيل، وإنما كذَّبه غير قومه وهم القبط"<sup>(٥)</sup>.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولٌ

١ - سورة يوسف: ٩٦.

٢ - السامرائي، د. فاضل، التعبير القرآني: ص ١٠٦.

٣ - الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص ٢٤٣-٢٤٤. ويُنظر النجدي، علي، مع القرآن في دراسة مستلهمة: ص ١٠١-١٠٢.

٤ - سورة الحج: ٤٢-٤٤.

٥ - السامرائي، د. فاضل، التعبير القرآني: ص ١١٤، ويُنظر الكشَّاف، الزمخشري: ج ٣/١٨٣.

اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴿١﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعَلَّمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ (٢). فلم يقل، تعالى، في عيسى: "وَإِذْ قَالَ عِيسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ" كما قال في موسى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ﴾ بل قال: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، وذلك "أنَّ عيسى عليه السَّلام لم يكن له نسبٌ فيهم فيكونوا قومه إذ لم يكن له فيهم أب" (٣) بخلاف موسى. فالحذف والذكرُ جاء مراعاةً لواقع الحال، فكان الكلام في غاية الدقة في التعبير عن الحقيقة. وقد يكون الذكرُ والحذفُ لغير ذلك، فهناك أسبابٌ مختلفةٌ تدعو إلى الذكر والحذف، وكلُّها ترجع إلى مراعاة المقام وذكر اللفظة في الموضوع الذي يقتضيها وتؤدي فيه المعنى بأبلغ تعبير وأجمل صورة. من ذلك على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤) على ألسنة جميع الأنبياء الذين جرى ذكرهم في سورة الشعراء؛ فنوحٌ قال لقومه: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وكذا قال هود لقومه [الشعراء: ١٢٧]، وكذا قال صالح [الشعراء: ١٦٤] وكذا قال شعيب [الشعراء: ١٨٠]. إنا إبراهيم وموسى فإنهما لم يقولوا ذلك؛ أمَّا إبراهيم فلأنَّ "أباه كان من المخاطبين"، قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (٥) فاستحيا أن يخاطب أباه بذاك، وأمَّا موسى فلأنَّ فرعون ربَّاه، وقد ذكر ذلك له فقال تعالى حكايةً عنه: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ (٦) فلا يليقُ أن يقول له: ﴿وَمَا أَسْأَلُكَ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾، "ألا ترى أنه لا يليقُ أن يقول شخصٌ لأبيه أو لمن ربَّاه وأنفقَ عليه: (لا أسألك أجرًا)، فانظر إلى جمال الذوق وحسن الاختيار في التعبير" (٧).

١ - سورة الصف : ٦ .

٢ - سورة الصف: ٥ .

٣ - الزمخشري، الكشاف: ج ٤/٥٦٩. ويُنظر السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن: ج ٣/٥٣٠.

٤ - سورة الشعراء: ١٠٩ .

٥ - سورة الشعراء: ٦٩ - ٧٠ .

٦ - سورة الشعراء: ١٨ .

٧ - السامرائي، د. فاضل، التعبير القرآني: ص ١١٤.

على هذا النحو إذا يمضي الدارسون في بيان أسباب الحذف وأسرار البلاغية، وذلك من خلال المقارنة بين الآيات القرآنية المتشابهة للوقوف على أسباب ما حُذِف في موطنٍ وذكُر في موطنٍ آخر.

حاولنا، فيما تقدّم، أن نبينَ بعضَ الأسرارِ الإعجازيّةِ للحذف في القرآن الكريم وفق منظور الدّراسات البيانيّة الحديثة، غير ناسين ما جاء في دراسات القدماء من إشارات بهذه الظاهرة الأسلوبية. وقد تبينَ لنا أن دراسي البيان القرآنيّ المُحدّثين تتبّعوا مواطن الحذف في القرآن الكريم، وتأمّلوا ما ينطوي عليه من معانٍ وأسرار بلاغيّة، وبيّنوا الأسباب التي تدعو إليه، ورأوا أنها ترجع إلى مُراعاة المقام وحسن الاختيار وذكر اللفظة في الموضع الذي يقتضيها بأبلغ تعبيرٍ وأجمل صورة، وقد لمسنا في مناهج درّسهم اختلافًا عن مناهج الدّارسين القدماء الذي يكتفون في الأعمّ الأغلب بالإشارة إلى المحذوف وإلى أن العرب تفعل هذا للاتساع والاختصار.

وقد لفتت هذه الدّراسات الانتباه إلى أن الحذف في القرآن الكريم، إضافةً إلى تناوله المفردات والجُمَل، تناول الحروف أيضًا، وقد انطوى حذفها على لطائف بيانيّة مقصودة وشواهد إعجازيّة يُتحدّى بها، كما أن المقارنة بين مواطن الحذف والذّكر أكّدت جماليّة الحذف وتأثيره في توليد المعنى.

وفي استطاعتنا القولُ إنَّ الحذف في القرآن الكريم كان وسيلةً من الوسائل الفنيّة التعبيريّة الإعجازيّة، التي تؤكدُ أنَّ الجمالَ الفنيّ في أساليبِ الذّكر الحكيم يرجع في جزءٍ كبير منه إلى دقّة النّظم، وإحكام التّأليف، ووضع كلِّ كلمةٍ بل كلِّ حرفٍ على حسب حاجة المعنى، والغرض الفنيّ المقصود.

### - أسلوب الالتفات:

يُقصد بأسلوب الالتفات التحوّل الأسلوبيّ أو الانحراف - غير المتوقع - على نمط من أنماط اللغة<sup>(١)</sup>، ويعني في اصطلاح البلاغيين: "التحوّل عن معنى إلى آخر، أو عن ضمير إلى غيره، أو عن أسلوب إلى آخر. ويدور معناه في اللغة حول الانصراف عن الشيء"<sup>(٢)</sup>. ويُعدّ الأصمعي (تـ٢١٤هـ) أوّل من أشار إلى مصطلح الالتفات، فقد ذكر إسحاق الموصلي أنّ الأصمعي قال له: "أتعرف التفات جرير؟ قلت: وما هو؟ فأشدني:

أتنسى إذ تودّعنا سُلَيْمِي      بعود بَشَامَة؟ سَقِي البَشَام.

ثمّ قال: أما تراه مقبلاً على شعره إذ التفّت إلى البشام فدعا له"<sup>(٣)</sup>.

وقد تواردت مع مصطلح الالتفات، طائفة من المصطلحات مثل العدول، مخالفة مقتضى الظاهر<sup>(٤)</sup>، واتّسعت دلالتُه فشملت مع ظاهرة التحوّل الأسلوبيّ ظواهر بلاغيّة أخرى، كالتنويح بين الضمائر، إذ عدّ من الالتفات نقلُ الكلام من خطاب الواحد أو الاثنين أو الجمع لخطاب الآخر، كما عدّ منه الانتقال من الماضي أو المضارع أو الأمر إلى الآخر<sup>(٥)</sup>. والانتقال من معنى إلى آخر، وقد ذكر ذلك ابن أبي الإصبع بقوله: "وفي الالتفات نوعٌ آخر، وهو أن يكون المتكلّم أخذاً في معنى فيمرّ فيه إلى أن يفرغ من التعبير عنه على وجهٍ ما، فيعرض له أنّه متى اقتصر على هذا المقدار كان معناه مدخولاً من

١ - طبل، د. حسن، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: ص ١١.

٢ - سليمان، د. فتح الله، الأسلوبية مدخل نظريّ ودراسة تطبيقية، الدار الفنيّة للنشر والتوزيع، (د. ت): ص ٢٢٩.

٣ - ابن رشيق، العمدة: ج ٤٦/٢. والعسكري، الصناعتين: ص ٣٩٢. و البشام شجر ذو ورق ولا ثمر له.

٤ - يُنظر الزمخشري، الكشاف: ج ١٨٦/٢، والعلوي، يحيى بن حمزة، الطراز (المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز)، مطبعة المقتطف، مصر، ١٩١٤م: ج ١٣١-١٣٢، و الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النّجار، المكتبة العلمية، بيروت، (د. ت): ج ١٠٩/١، و مطلوب، د. أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ط/٢، الناشر مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٦م: ص ١٧٣-١٧٨.

٥ - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: ج ٩٠٧/٢ مبيّناً ما ذكره التنوخي وابن الأثير، ويُنظر ما بعدها.



وجه غير الوجه الذي بنى معناه عليه فإلتفت إلى الكلام، فيزيد فيه ما يخلص معناه من هذا الدَّخَل<sup>(١)</sup>. ولعلّ هذا قريب مما أطلق عليه البلاغيون (الاستدراك).

ونحا بعض البلاغيين بالالتفات منحىً دلاليًا آخر، وعدّوه من الاعتراض، نذكر منهم قدامة بن جعفر (تـ٣٣٧هـ) وقد وردت الإشارة إلى ذلك في قول ابن رشيق: "باب الالتفات: وهو الاعتراض عند قوم، وسمّاه آخرون الاستدراك، حكاة قدامة، وسبيله أن يكون الشاعر آخذًا في معنى، ثمّ يعرض له غيره فيعدل عن الأوّل إلى الثاني فيأتي به ثمّ يعود إلى الأوّل من غير أن يخلّ في شيء ممّا يشدّ الأوّل"<sup>(٢)</sup>.

وظاهرة الالتفات من أوسع الظواهر البلاغيّة انتشارًا في القرآن الكريم؛ وقد أورد الدارسون القدماء كثيرًا من صور تلك الظاهرة في القرآن، فأبو عبيدة تعرّض لهذا الأسلوب في كتابه "مجاز القرآن" إذ نجد في الصفحات الأولى من هذا الكتاب كثيرًا من ألوان ذلك الأسلوب مندرجًا تحت مصطلح "المجاز". يقول: "ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد ثمّ تركت وحوّلت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب، قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾<sup>(٣)</sup> أي بكم"<sup>(٤)</sup>.

ويقول عن التحوّل من صيغة المضارع إلى صيغة الماضي في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾<sup>(٥)</sup>: "ومجاز (فسقناه) مجاز فنسوقه، والعرب قد تضع فعلنا في موضع نفع، قال الشاعر:

إن يسمعوا ربيّةً طاروا بها فرحًا  
مني وما يسمعون من صالحٍ دفنوا  
في موضع: يطيروا ويدفنوا"<sup>(٦)</sup>.

١ - المصري، ابن أبي الإصبع (عبد العظيم بن عبد الواحد)، تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق د. حفني محمد شرف، ط/١، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م: ص ١٢٥.

٢ - ابن رشيق، العمدة: ج ٢/٤٥.

٣ - سورة يونس: ٢٢.

٤ - أبو عبيدة، مجاز القرآن: يُنظر ج ١/٩-١١.

٥ - سورة فاطر: من الآية ٩.

٦ - أبو عبيدة، مجاز القرآن: ج ٢/١٥١.

نلاحظ أنّ تناول أبي عبيدة لأسلوب الالتفات اقتصر على مجرد الإشارة إليه والاستشهاد بما ورد على نهجه في الشعر العربي، ولم يعن بتحليله والكشف عن دوره التعبيري في تشكيل المعنى أو تكثيف الدلالة.

وتناول ابن قتيبة صور الالتفات في باب "مخالفة ظاهر اللفظ معناه"<sup>(١)</sup>، لكننا لا نجد في دراسته أيضاً تلك اللمسة البلاغية التي ترشدنا إلى أثر هذا الأسلوب وقيّمته البلاغية، فالمهم عند الدارسين القدماء أن يُبينوا هذه الطريقة وأن يستشهدوا لها من كلام العرب دون تفصيل القول في القيمة البلاغية.

وليست لعبد القاهر دراسة بيّنة في أسلوب الالتفات، في حين كان للزمخشري أثرٌ واضحٌ فيه، لطريقته المفصلة الواضحة التي درسه بها<sup>(٢)</sup>. يقول الزمخشري مبيناً أنّ الالتفات هو مخالفة ظاهر الحال ولو كان ابتداء كلام: "فإن قلت لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب؟ يعني قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ \*إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾<sup>(٣)</sup>، قلت: هذا يسمّى الالتفات في علم البيان، قد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم، كقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ﴾<sup>(٥)</sup>، ولأنّ الكلام إذا نُقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسنَ تطريةً لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجراءاته على أسلوب واحد، وقد تختصّ مواقعها بفوائد<sup>(٦)</sup>. ثمّ يبيّن ما اختصّ به قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ \*إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ من فوائد، كتعلّق العلم بمعلوم عظيم الشأن، حقيق بالثناء، وغاية الخضوع والاستعانة في المهمّات.

١ - ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن: ص ٢١٣ ويُنظر حتى ص ٢٢٩.

٢ - أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: يُنظر ص ١٧٤.

٣ - سورة الفاتحة: ٤-٥.

٤ - سورة يونس: ٢٢.

٥ - سورة فاطر: ٩.

٦ - الزمخشري، الكشاف: ج ١/٣٩-٤٠. ويُنظر كلام السامرائي على الالتفات في هذه الآيات في كتابه

لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: ص ٤٧-٤٨.

فقد بيّن الزمخشري أثرَ طريقة الالتفات في نفس السامع، وأشار إلى أنّ هذا الأسلوب يهزُّ من طبعه ويحركُ حسّه، كأنّه ضربةٌ على أوتار النَّفس تزيدها تنبُّها وإيقاظًا، أو هزًّا وتحريكًا كما يقول، وله في هذا تحليلاتٌ جيّدةٌ يدرك فيها المعنى المقصود من كلّ صورة من صور الالتفات.

وقد جاءت دراسة المحدثين شرحًا للقيمة البلاغية لهذا الأسلوب، يعتمد على النَّفس ومعرفة أحوالها؛ فالدكتور أحمد بدوي يشير إلى أنّ اتجاه الجملة يتغيّر تبعًا لتغيّر الاتجاه النَّفسيّ، ففي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾<sup>(١)</sup>، يقول: "إنّ في الانتقال من الحديث عنهم، إلى الحديث إليهم زيادةٌ في تهديد مَنْ قالوا، ومواجهةٌ لهم بالسخط عليهم، والتأنيب لهم"<sup>(٢)</sup>.

وعن الالتفات في قوله سبحانه: ﴿وَمَا لِي لَأَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، يقول: "فقد يترأى أنّ اتجاه الآية يقضي بأن تنتهي بقوله: وإليه أرجع، ولكنه عدل عن ذلك، لأنّ المقام مقامُ نقاشٍ بين مَنْ آمن ومَنْ كفروا؛ فهو ينتهز كلَّ فرصةٍ ليقنعهم فيها بوجوب الإيمان بالله واليوم الآخر"<sup>(٤)</sup>. ويضيف الدكتور أحمد بدوي مبيّنًا أنّ كمال الأدب هو الذي صاغ العبارة هذا الصوغ، وأنها تخفي وراءها قوله "وما لكم لا تعبدون الذي فطركم". فالدكتور أحمد بدوي علّل سبب الالتفات، وبين فائدته، ونبّه على دوره في تشكيل المعنى.

وقدّم الدكتور حسن طبل، دراسةً قيّمةً لأسلوب الالتفات في القرآن الكريم، في كتابه "أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية" سبر فيها أشكال الالتفات، وعلّله مبيّنًا قيمته الفنّية، ودوره التعبيريّ والتأثيريّ في السياقات التي ورد فيها<sup>(٥)</sup>. من ذلك ما قدّمه من

١ - سورة مريم: ٨٨-٨٩.

٢ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١٠٨.

٣ - سورة يس: ٢٢.

٤ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١٠٨-١٠٩.

٥ - يُنظر نماذج من دراسة الدكتور حسن طبل في الفصل الثالث من هذا البحث.

اجتهادات طريفة حول الالتفات بين الصيغ الزمنية للأفعال، من ذلك مثلًا الالتفات عن صيغة المضارع (أشهدُ) إلى صيغة الأمر (اشهدوا) في قوله تعالى حكاية على لسان هود عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾<sup>(١)</sup>. بيّن الدكتور حسن أن السرّ في هذا الالتفات: "إبرازُ البون الشاسع بين الإشهادين والدلالة على أنّ الثاني منهما ليس إشهدًا حقيقيًا، وأنه عليه السّلام إنّما أمرهم به على سبيل السّخرية منهم، والتّحدّي لإرادتهم"<sup>(٢)</sup>. وقد استند في بيانه هذا على ما قرّره الزّمخشري الذي قال في توجيه هذا الالتفات: "لأنّ إشهدَ الله على البراءة من الشّرك إشهدًا صحيحًا ثابت في معنى تثبيت التّوحيد وشدّ معاقده، وأمّا إشهدهم فما هو إلّا تهاونٌ بدنيهم، ودلالة على قلة المبالاة بهم، فعدل به عن اللفظ الأوّل لاختلاف ما بينهما، وجيء به على لفظ الأمر بالشّهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه: اشهد عليّ أنّي لا أحبك تهكمًا به واستهانة بحاله"<sup>(٣)</sup>.

وقد يكون السرّ في الالتفات التأكيد، من ذلك إسناد الفعل (ارجعون) إلى الجمع بدلًا من المفرد (ارجعني) في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾<sup>(٤)</sup>، فهذا نوعٌ من أنواع الالتفات أريد به التأكيد، والتأويل: ارجعني. فليس الفاعل جمعًا وقد جاء الفعل مسندًا إلى الجمع، وذلك لأنّ المراد تكرير الفعل، واختصر اللفظ بدلًا من تكرير الفعل ثلاث مرّات للتأكيد، وأجري الفعل على الجمع"<sup>(٥)</sup>.

ورأى بعض الدّارسين أنّ في الخطاب بالفعل (ارجعون) "إشارةً إلى حال العاصي وما يكون منه حين يجيئه الموت، ويستيقن أنّه منه قريب، لا ينجيه منه مال ولا بنون، فيأخذه الفزع والاضطراب، وتغشاه غاشية من الذّهل، لا يُدرى معها وجه القول، ولا

١ - سورة هود: ٥٤

٢ - طبل، د. حسن، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: ص ٨٣.

٣ - الزّمخشري، الكشاف: ج ٤٣/٢. ويُنظر تفسير البيضاوي: ص ٢٩٩. وتفسير أبي السعود: ج ٤/٢١٨.

٤ - سورة المؤمنون: ٩٩.

٥ - أبو الفتوح، محمد حسين، أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، مكتبة لبنان - بيروت، ١٩٩٥م: ص ٢٧٦.

يفرق فيه بين خطأ وصواب. فهو ينادي ربه في وحدانيته، ثم يسأله، ولكن بلفظ الجمع لا بلفظ المفرد، فيخرج الكلام وبين أوله وآخره خلاف<sup>(١)</sup>.

فالدَّارِسُونَ التمسوا وجوهاً جماليةً لكلِّ آيةٍ لمحوها فيها مخالفةً للقياس اللغويّ أو تحوُّلاً في البناء، وقَدِّمُوا وجوهاً لها قيمتها وأثرها في فهم الآية. من ذلك ما ذكره الدكتور محمد الخفاجي من وجوهٍ في بيان السرِّ في التحوُّل من التثنية إلى الإفراد في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى﴾<sup>(٢)</sup>، وكان من المتوقَّع أن يوجَّه الخطاب إلى موسى وهارون معاً، وهذا ما تتطلبه قواعد النحاة. يقول: "أمَّا عدول القرآن الكريم عن المثنى إلى المفرد في الآية الكريمة فله دواعيه وجوهه التي نشير إلى أهمها:

**الأول:** أنَّ فرعون قد خصَّ موسى بالنداء ليذكره بتربيته له في قصره، ويمنَّ عليه بما أجزله عليه من نعم، وإنَّ نداء فرعون لموسى باسمه يتدرَّج من العتاب حتى التوبيخ.

**الثاني:** أنَّ الخطاب قد تحوَّل إلى الأهم، فموسى عليه السلام هو حامل الرسالة الإلهية، وهو المكلف بتبليغها، وقد صحبه هارون بناء على طلبه من ربه وقد ألحَّ موسى في ذلك الطَّلب حتى استجاب الله لدعائه بقوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾<sup>(٣)</sup>.

**الثالث:** هو أن يكون إشارةً إلى خُبث فرعون ومكره الكبير فهو يوجه النداء إلى موسى ليدعوه إلى الكلام، فيظهر عيبه في النطق، ويتحقق له ما يبغيه من مكره، حيث يتحوَّل الإعجاب والنِّقَّة به إلى التندر عليه، وفرعون يعرف اللثغة التي طرأت على لسان موسى منذ كان صبياً في قصره، ويعتقد أنه مازال عاجزاً عن الإبانة والنطق الصحيح، وقد جاء هارون ليبيِّن عنه، ولذلك فهو يبعد هارون صاحب اللسان الفصيح، ويطلب من موسى الإجابة عن سؤاله. وقد فوّت الله سبحانه على فرعون مكره وخبثه عندما شفى

١ - ناصف، علي النجدي مع القرآن الكريم في دراسة مستلهمة: ص ١٦٠.

٢ - سورة طه: ٤٩.

٣ - سورة طه: ٣٦.

موسى من عقدة لسانه، ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي \*يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾<sup>(١)</sup> وألهمه الإجابة السريعة المقنعة<sup>(٢)</sup>.

ومن صور الالتفات بين الضمائر التي تناولها الدارسون، الالتفات عن الغيبة (أنزل) إلى التكلّم (أنبتنا) في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾<sup>(٣)</sup>، وكان من مقتضى نسق الآية أن يقول: (فأنبت به حدائق). إن الذي اقتضى ذلك كما قال البوطي هو "أنّ أحداً لا ينسب إلى نفسه خلق السموات وإنزال الأمطار، فبحسب السؤال عن خالقها ومنزلها، بهذا الأسلوب، جاء قوله: ﴿وَأَنْزَلَ﴾ منبهاً إليه جلّ جلاله. أمّا إنبات الزرع والأشجار فكثيراً ما ينسبه صاحب البذر والسقي إلى نفسه فيقول: أنبت الزرع والبستان، فناسب الالتفات به إلى ضمير المتكلم تأكيداً لاختصاص الإنبات بذاته تعالى وإشعاراً بأنّ ظهور النبات يشقّ باطن الأرض بألوانه الزاهية وطعومه المختلفة وخصائصه المتنوعة إنّما هو من فعل الخالق جلّ جلاله"<sup>(٤)</sup>.

ومن صور الالتفات، الالتفات في العدد، من ذلك على سبيل المثال، ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ \*وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، فقد قال: ﴿مَنْ يَسْتَمِعُونَ﴾ دالاً على الجمع، ثمّ قال: ﴿مَنْ يَنْظُرُ﴾ دالاً على المفرد. يعلّل السامرائي هذا الالتفات من (الجمع) إلى (المفرد) بأنّ: "المستمعين أكثر من الرّائين على وجه العموم". يقول: ألا ترى أنّنا نستمع إلى أناس كثير لا نراهم في الإذاعات وأشرطة التسجيل وغيرها من وسائل السمع". وأضاف سبباً آخر وهو: "أنّ التّأثّر بالدعوة يكون بحسب أثر الاستماع لا بحسب

١ - سورة طه: ٢٧-٢٨.

٢ - الخفاجي، د. محمد علي رزق، رؤية فنيّة لنصّ قرآنيّ "دراسة تحليليّة سيميائيّة جماليّة"، ط/٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤م: يُنظر ص ١٣٠-١٣١.

٣ - سورة النمل: ٦٠.

٤ - البوطي، د. محمد سعيد رمضان، من روائع القرآن: ص ٣٣٩.

٥ - سورة يونس: ٤٢-٤٣.

الرؤية، فوحد النظر لأن رؤيته ﷺ واحدة لا تختلف بالنسبة إلى الرائيين. وجمع الاستماع لأن الاستماع يختلف أثره من شخص لآخر، فالكلام تختلف مواقعته من مستمع لآخر، ولذلك وحد الرائيين لأنهم يرون شيئاً واحداً وجمع المستمعين لأن أثر ذلك مختلف عندهم<sup>(١)</sup>.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن الدكتور فاضل السامرائي فصل القول في هذه الآية في كتابه "الجملة العربية والمعنى" تحت عنوان "الحمل على اللفظ و الحمل على المعنى" إذ بين فيه أن التعبير قد يُحمل على اللفظ، وقد يُحمل على المعنى وذلك في مواضع مختلفة<sup>(٢)</sup>، ذكر منها هذا الموضع الذي نحن بصددده. وبعد أن أورد ما أوردناه، أورد آيتين قرآنتين أفرد فيهما الاستماع، وهما قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾<sup>(٤)</sup>. وعلل إفراد المستمعين فيهما بأن المستمعين على نمط واحد وهم من الكفرة الذين لا يفقهون ولا يسمعون فقد قال فيهم: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾، ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾، ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾، ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾.

فقد ذكر صفات تدل على عنادهم وكفرهم، وكأنهم مستمع رافض واحد، فمواقع الاستماع عندهم واحدة، وليس الأمر كذلك في الآية التي جمع فيها السمع، لأنه لم يصف فيها المستمعين بشيء، كما أنه قال في الآية قبلها: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾<sup>(٥)</sup>، وعلى هذا فالمستمعون أكثر من صنف، صنف مؤمن وصنف كافر.

١ - السامرائي، د. فاضل، التعبير القرآني: ص ٤٧ - ٤٨.

٢ - تنظر هذه المواضع في السامرائي، د. فاضل صالح، الجملة العربية والمعنى: ١٢٤ - ١٣٤.

٣ - سورة الأنعام: ٢٥.

٤ - سورة محمد: ١٦.

٥ - سورة يونس: ٤٠.

فالسامرائي علل ظاهرة الالتفات بحسب المعنى والقصد، وحسبما يقتضيه السياق والموضع الذي ورد فيه هذا الأسلوب، ولهذا كان الحمل على المعنى في آية يونس (التي جُمع فيها الاستماع) أولى، والحمل على اللفظ في آيتي الأنعام ومحمد (اللتين أُفرد فيهما الاستماع) أولى.

عرضنا فيما تقدّم، لدراسة المُحدثين لأسلوب الالتفات في القرآن الكريم، وقد يتبيّن لنا أنّ الدارسين المُحدثين لم يكتفوا ببيان أنّ أسلوب الالتفات في القرآن الكريم هو من الأساليب التعبيريّة التي سلكها الإبداع العربي قبل القرآن كما فعل أكثر الدارسين القدماء، الذين أوردوا كثيراً من صور الالتفات، غير أنّ "إيرادهم لتلك الصور لم يكن، في الأعمّ الأغلب، من أجل تحليلها والوقوف على دورها التعبيريّ والتأثيريّ في السياقات التي وردت فيها، بل إمّا من أجل التمثيل بها لذلك الأسلوب، وإمّا من أجل الدفاع عنها بوصفها من (مشكل القرآن) أو (متشابه القرآن)"<sup>(١)</sup>. وقد قدّموا تحليلاً فنياً لنماذجه، سبروا من خلاله أغواره الدلاليّة، وكشفوا عمّا يزخر به قيم وأسرار.

١ - طبل، د. حسن، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: ص ٦.



## الفصل السادس

### الدّرس البيانيّ القرآنيّ الحديث في فضاء الجُمْل القرآنيّة (الأسلوب)

تناول الدّارسون في دراساتهم البيانيّة القرآنيّة الجُمْل المتتابعة كما تناولوا المفرد والجملة الواحدة، إذ اهتمّ الدّارسون بالأسلوب القرآنيّ، وبيبان الأسس التي سار عليها نسق الجُمْل وترتيبها في القرآن فبحثوا في الفصل والوصل<sup>(١)</sup> بين الجمل، ولم يكن هذا وحده هو مظهر خروج البحث البيانيّ من نطاق الجملة الواحدة، بل هناك محاولات كثيرة لدراسة الأسلوب القرآنيّ وما امتاز به؛ منها بحث الفواصل القرآنيّة وملاءمتها لمضامين الآيات، وبحث اختصار القصص<sup>(٢)</sup>، وبحث التّكرار الذي يمثل مذهباً بارزاً في أسلوب القرآن، ومنها بحث الاعتراض من حيث كمّه ومن حيث مواقعه وفوائده<sup>(٣)</sup> إلى غير ذلك ممّا نلحظه في تحليل النّصوص تحليلاً خاصاً بإبراز مواطن القوة والتّأثير في الآيات المتتابعة، وسنتناول في دراستنا مجالات البحث الآتية:

#### - التّرابط بين الآيات:

يتألّف القرآن من سُورٍ مختلفة، لكلٍّ منها اسم خاص، أخذ ممّا عالجتّه السّورة من المعاني، أو ممّا تحدّثت عنه من إنسان، أو حيوان، أو غيرهما، أو من بعض كلماتها. وتنقسم السُّور على قسمين؛ قسم تكوّن من موضوع واحد، وهو غالب في السُّور القصيرة، كسورة النّبأ، والنّازعات، والانشقاق، والفيل، وقريش، وغيرها. وقسم تكوّن من موضوعاتٍ شتّى، وهو القسمُ الغالب على السُّور، كالبقرة، وآل عمران، والمائدة، وغيرها.

١ - للتوسع يُرجع إلى سلطان، د. منير، الفصل والوصل في القرآن الكريم "دراسة أسلوبية"، ط/٢، الناشر منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٧م. ويُنظر حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن: ج١/١٢٧-١٦٣. و ج١/٣٩٥-٤٢١.

٢ - يُنظر مثلاً مواضع قصة بني إسرائيل في القرآن، في حسان، د. تمام: ج٢/٣٨٣-٤١٦.

٣ - يُنظر حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن: ج١/١١٥-١١٩. و ج٢/١١٤-١١٧.

وإنَّ تنوُّع الموضوعات في السُّورة الواحدة، قد يُوهَم أنَّ العلاقة بين آياتها واهية، وغير محكمة، ولكنَّ الأمرَ على خلاف ذلك، فالآيات مترابطة وثيقة الصِّلة بعضها ببعض؛ إذ "الآيةُ اللاحقة تشدُّ بعروة الآيةِ السَّابقة برباطٍ محكمٍ لا انفصال فيه ولا انفصام والسورة كلّها بناء حيٍّ متماسك<sup>(١)</sup>، بل "إنَّ عظمة الثَّروة المعنويَّة في أسلوب القرآن يُضاف إليه أمرٌ آخر هو زينة تلك الثَّروة وجمالها. ذلك هو تناسق أوضاعها، وائتلاف عناصرها وأخذ بعضها بحُجَزٍ بعض، حتَّى إنَّها لتتنظّم منها وحدة محكمة لا انفصام لها"<sup>(٢)</sup>.

ومن هذا المنطلق، اهتمَّ الدَّارسون بالربط بين الآيات، وتأكيد الوحدة الموضوعية في كلِّ سورة قرآنية؛ وذلك بالبحث عن القضايا الخاصة التي عرض لها القرآن الكريم في كلِّ سورة، ليظهروا ما فيها من معانٍ خاصة تتعلَّق بالموضوع العامِّ للسورة.

وقد لحظَّ الدَّارسون في سعيهم للربط بين الآيات أنَّ الآيةَ الثَّانية قد تكون صفة لكلمة في الآية الأولى، أو توكيداً لفكرة فيها، أو تحبيباً أو تبغيضاً لتلك الفكرة، أو قد تحمل فكرةً مضادة لفكرتها، أو ردّاً على ما فيها، أو تعليلاً لحكم ورد فيها<sup>(٣)</sup>، إذ "تتعاقب الآيات في السورة الواحدة تأكيداً وتفسيراً، أو عطفاً وبياناً، أو استثناءً وحصرًا، أو اعتراضاً وتذبيلاً، حتَّى تبدو الآيات المتعاقبات كالنظائر والأتراب"<sup>(٤)</sup>.

فالصِّلة وثيقة بين الآية والآية، لكنَّ إدراك هذه الصِّلة قد يتطلَّب في بعض الأحيان تربيئاً وتدبّيراً؛ لأنَّه قد لا يظهر هذا الرِّبط، بل يبدو أنَّ كلَّ آيةٍ مستقلةٌ في معناها عن الأخرى، وأنَّها خلاف النوع المبدوء به، سواء أكانت معطوفة على ما قبلها بحرفٍ من حروف العطف المشترك في الحكم أم لم تكن معطوفة.

١ - شرف، د. حفني، إعجاز القرآن البياني: ص ٢٦١.

٢ - دراز، د. محمد عبد الله، النبأ العظيم: ص ١٤٢.

٣ - يُنظر بالتفصيل مع الكثير من الأمثلة: بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ٢٣١-٢٣٢. وشيخ أمين، د. بكرى، التعبير الفني في القرآن: ص ٢١٧-٢١٩. والسيد، السيد تقي الدين، نظرات في الأسلوب القرآني: ج ١/٨٢-٨٦.

٤ - الصالح، د. صبحي، مباحث في علوم القرآن: ص ١٥٢.

فمن المعطوفة ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾<sup>(١)</sup>، فقد يُقال: أي ارتباط بين صلب الآية من قوله تعالى ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾، وبين قوله تعالى بعده: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾.

أجاب الدكتور محمد بن سعد الدبيل، في دراسته للنظم القرآني في سورة الرعد، عن ذلك قائلاً: "جوابه أنَّ المبتدأ (مَنْ) خبره محذوف أي أفمن هو قائم على كل نفس تُترك عبادته؟ أو (معادل الهمزة) والتقدير: أفمن هو قائم على كل نفس كمن ليس بقائم؟ ووجه العطف على التقديرين واضح؛ أمَّا الأوَّل فالمعنى أتترك عبادة من هو قائم على كل نفس، ولم يكفِ التَّرك حتى جعلوا له شركاء؟ وأمَّا الثَّاني فالمعنى: إذا انتفتت المساواة بينهما فكيف تجعلون لغير المساوي حكم المساوي؟"<sup>(٢)</sup>.

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتٌ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، إذ إنَّ من يقرأ هذه الآية قد يتساءل أي رابط بين أحكام الأهلة وبين حكم إتيان البيوت؟ ثمَّ لا بدَّ له من اكتشاف سرِّ الارتباط في تعريض القرآن بأنَّ سؤال السائلين في غير محله<sup>(٤)</sup>، كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الحكمة في تمام الأهلة و نقصانها: "معلوم أنَّ كلَّ ما يفعله الله فيه حكمة ظاهرة، ومصالحة لعباده، فدعوا السُّؤال عنه، وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم ممَّا ليس من البرِّ شيء وأنتم تحسبونها براً"<sup>(٥)</sup>.

ورأى بعض الدارسين أنَّ وجه الرِّبط بين هذه الآية أنَّه ضرب لهم المثل على أن يسألوا في الممكن لا في المستحيل بالنسبة إليهم، وذلك لأنهم كانوا قد سألوه عن الأهلة ما بالها تبدو دقيقة كالخيط، ثمَّ تزيد حتى تمتلئ وتستوي، ثمَّ تنقضي حتى تعود كما بدت.

١ - سورة الرعد: ٣٣.

٢ - الدبيل، د. محمد بن سعد، النظم القرآني في سورة الرعد، عالم الكتب، دار النصر للطباعة، ١٤٠١هـ-١٩٨١م: ص ١٩٤. ويُنظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ج ١/٤٦.

٣ - سورة البقرة: ١٨٩.

٤ - تفسير المنار: مج ١: ج ١/١٦٧.

٥ - الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ج ١/٤١.

فأجابهم ببيان حكمها، وهو أنها مواقيت للناس والحج، لأنه لم يبعث إليهم ليعلمهم مثل ذلك من علم الفلك، ثم ضرب لسؤالهم مثلاً: "مَنْ يَأْتِي الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا"، وكُنِيَ بهذا عن العدول عن الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ فِي السُّؤَالِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَيَتَّقَوْهُ لَعَلَّهُمْ يَفْلِحُونَ"<sup>(١)</sup>.

ومن غير المعطوفة، التي تحتاج إلى قرينة اتصال، كالتنظير، ما جاء في قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ عقب قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>. فقد لا تظهر الصلة بين هاتين الآيتين، ولكن التأمل يهدي إلى أن القرآن يربط بين أمرين؛ أولهما ما بدا من بعض المسلمين من عدم الرضا بما فعله الرسول في قسمة الغنائم (يوم بدر)، وثانيهما ما كان قد ظهر من بعض المؤمنين من كراهية أن يخرج الرسول من منزله إلى الغزو، وقد تم في هذا الغزو النصر والغنيمة، فكأنه يقول: إنَّ الخَيْرَ فِيمَا فَعَلَهُ الرَّسُولُ فِي قِسْمَةِ الْغَنَائِمِ، كَمَا كَانَ الْخَيْرَ فِيمَا قَامَ بِهِ الرَّسُولُ مِنْ خُرُوجِهِ إِلَى الْغَزْوِ؛ وبذلك تبدو الصلة قوية واضحة بين الآيتين<sup>(٣)</sup>.

**والتضاد:** ومثّل له بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، فهو في أول السورة تحدّث عن القرآن، ثم تثنى بالحديث عن المؤمنين، فلما أكمله، عقب بما هو حديث عن الكفار، إذ إنّ بينهما جامعاً وهمياً بالتضاد. وحكمته التثويق والتبوت على الأول، كما قيل: وبضدّها تتبيّن الأشياء<sup>(٥)</sup>.

**والاستطراد:** ومثّل له بقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾<sup>(٦)</sup>. إذ بين الدارسون، استناداً لما ذهب إليه الزمخشري، أنّ هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد،

١ - يُنظر العمري، د. أحمد، مفهوم الإعجاز القرآني: ص ٣٠٥.

٢ - سورة الأنفال: ٤-٥.

٣ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ٢٣٣.

٤ - سورة البقرة: ٦.

٥ - يُنظر العمري، د. أحمد، مفهوم الإعجاز القرآني: ص ٣٠٥. ويُنظر الزركشي، البرهان: ج ١/٤٩.

٦ - سورة الأعراف: ٢٦.

عقب ذُكر بدو السوءات، وخصف الورق عليها، إظهاراً للمنة فيما خلق الله من اللباس، ولما في كشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعاراً بأنَّ السَّترَ بابٌ عظيم من أبواب التقوى<sup>(١)</sup>.

فالربط في الآية الواحدة، بين الجمل المختلفة، أو في الآيات، متعاطفة وغير متعاطفة، يسير وفق نظام فنيّ، وينتهج طريقة مقصودة تلتئم مع المعاني والأغراض والمواقف التي تتعرض لها كل سورة من سور القرآن، "ولا يعدم المفكّر وجهاً صحيحاً من القول في ربط كل كلمة بأختها، وكل آية بضربيتها، وكل سورة بما إليها"<sup>(٢)</sup>. والدّارسون المُحدثون حاولوا الكشف عن هذه الأسس التي سار عليها نسق الجمل والآيات وكيف تتربط وتتوحد. وهذا بحثٌ مهمٌّ في قضايا النَّد، يمثّل علم المناسبة في علوم القرآن. والمراد بالمناسبة "وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعدّدة، أو بين السورة والسورة"<sup>(٣)</sup>، فعلمُ المناسبة علم "أسلوبي" يُعنى بأساليب الارتباط بين الآيات والسور.

وقد قال المختصون: إنه -أي علم المناسبة- علمٌ شريف لم يحاوله إلّا قلة من العلماء لدقّته وصعوبة مسلكه. والذين حاولوه كانوا جميعاً من الأدباء المشهود لهم بصفاء النفس وسلامة الحس. وقد قال أبو بكر النيسابوري: "إنَّ إعجاز القرآن البلاغيّ لم يرجع إلّا إلى هذه المناسبات الخفيّة والقويّة بين آياته وسوره حتى كأنَّ القرآن كلّهُ كالكلمة الواحدة ترتيباً وتماسكاً"<sup>(٤)</sup>.

وإنَّ معرفة المناسبات والربط بين الآيات ليس أمراً توقيفياً، ولكنها تعتمد على اجتهاد الدّارس، ومبلغ تذوّقه لإعجاز القرآن وأسراره البلاغيّة وأوجه بيانه الفريد، فإذا كانت المناسبة دقيقة المعنى، منسجمة مع السياق، متّفقة مع الأصول اللغويّة في علوم

١ - العمري، د. أحمد، مفهوم الإعجاز القرآني: ص ٣٠٦. ويُنظر الزمخشري، الكشاف: ج ٢/١٠٨.

٢ - الرافي، مصطفى، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص ٢٥٨.

٣ - قطان، مناع، مباحث في علوم القرآن: ص ٩٧.

٤ - أبو موسى، د. محمد، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ص ٤٤.

العربية، كانت مقبولةً لطيفةً<sup>(١)</sup>، ولهذا قيل: "المناسبة أمرٌ معقول، إذا عرض على العقول تلقته بالقبول، وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"<sup>(٢)</sup>. فوحدة النصّ القرآني بوصفه "بناء مترابط الأجزاء" -على حدّ تعبير القدماء- هي الغاية التي يبحث عنها (علم المناسبة)، ولا يعني هذا أن يلتمس الدّارس لكل آية مناسبة، فإنّ القرآن الكريم نزل منجمًا بحسب الوقائع والأحداث، وقد يدرك الدّارس ارتباط آياته وقد لا يدركها، فلا ينبغي أن يعتسف المناسبة اعتسافًا.

وقد أبرز دارسو البيان القرآني وجوه التّناسب بين الآيات من خلال الاحتكام إلى ذوقهم الأدبيّ تارةً، ومنطقهم الفطريّ تارةً أخرى، فأبرزوا التّناسب بين الآيات عن طريق اقتناص أسرار تناسقها، إذ عوّضوا، في أغلب الأحيان، بإبرازهم انسجامها الفنّيّ وتناسقها، واقعها التاريخيّ، الذي أغنى -أي إبراز الانسجام والتناسق- في مواطن كثيرة عن التماس مناسبتها حسب أسباب النزول.

وقد أثبت الدّارسون، باتّباعهم لهذه الطريقة، وجوهًا جديدةً للاتّصال والترابط بين الآيات. من ذلك على سبيل المثال بيانهم "أنّ النّماذج الإنسانيّة التي عرضها القرآن تتخطّى الزمان والمكان، وتتجاوز المناسبات والأسباب"<sup>(٣)</sup>.

فحول بيان المقصود بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ﴾<sup>(٤)</sup>. يقول الدكتور صبحي الصالح: "ليقلّ المفسّرون ما يحلو لهم في تأويل هذه الآية فإنّ أحدًا منهم لن يستطيع تعين شخص مقصود بهذه الصّورة الحيّة الفريدة، وإنّ أحدًا منهم لن يجد فيها أبدع ولا أروع ولا أصدق انطباقًا على الواقع النفسيّ من قولة الأستاذ سيد قطب: "الإنسان هكذا حقًا، حين يمسه الضرّ، وتتعلّل فيه دفعة الحياة، يتلّف إلى الخلف، ويتذكّر القوة الكبرى، ويلجأ

١ - قطان، مناع، مباحث في علوم القرآن: ص ٩٨.

٢ - الزركشي، البرهان: ج ١/٣٥-٣٦. وينظر أبو زيد، د. نصر حامد، مفهوم النص: ص ١٦٠.

٣ - الصالح، د. صبحي، مباحث في علوم القرآن: ص ١٥٨.

٤ - سورة يونس: ١٢.

عندئذٍ إليها، فإذا انكشف الضرّ، وزالت عوائق الحياة انطلقت الحيوية الدافعة في كيانهِ، وهاجت دواعي الحياة فيه، فلبّي دعاءها المستجاب، و مرّاً كأنّ لم يكن بالأمس شيء" (١).

وهكذا نجد أنّ الدّارسين المُحدثين لم يتقصّوا أسباب النّزول كتقصّي العلماء القدماء، ومع هذا جاءت دراساتهم مُفبّعة فيما لم يتوقّفوا فيه عند سبب نزول؛ لاعتقادهم أنّ سبب إحيائه الأحياء في كلِّ زمانٍ ومكانٍ لا وقائع أولئك الأحياء.

أمّا براعة الدّارسين في إيضاح تناسب الآيات في نظمها (أي في سورة كاملة) فمما يتعدّر الاستشهاد عليه بالنّصّ الكامل، والرّجوع إلى دراساتهم الأصليّة في هذا المقام يُغني عن بتر شأنه يضرّ أكثر ممّا يفيد، وإذا كان لابدّ من الإحالة على دراساتٍ خاصّة تتضح فيها هذه البراعة، فلدينا دراسة الدكتور محمّد الدبل "النّظم القرآنيّ في سورة الرعد"، ودراسة الدكتور محمّد أبي موسى "دراسة تحليليّة لسورة الأحزاب"، ودراسة الدكتور محمد عبد الله دراز لسورة البقرة في كتابه "النّبأ العظيم" (٢)، ودراسة الدكتور محمد حجازي لسورة النساء في كتابه الوحدة الموضوعيّة (٣)، ودراسة الدكتور السيّد تقي الدين السيّد لسورة البقرة في الجزء الأوّل من كتابه "نظرات جديدة في القرآن" (٤)، ودراسة

- 
- ١ - الصالح، د. صبحي، مباحث في علوم القرآن: ص ١٦٢. قطب، سيد، التصوير الفني: ص ١٧٧.
  - ٢ - رأى أنّ بين أجزاء هذه الصورة وشائج وصلات قوية، فكل جزء يرتبط بما قبله وما بعده ارتباطاً وثيقاً. ولذا عرض السّورة عرضاً واحداً بيّناً خط سيرها إلى غايتها، ويبرز وحدة نظامها المعنوي في جملتها، ويظهر كيف وقعت كل حلقة موقعها من تلك السلسلة العظمى. يُنظر دراز، النّبأ العظيم: ص ١٦٣-٢١١. ويُنظر ما أوردناه حول هذه الدراسة في الفصل الثالث من هذا البحث.
  - ٣ - وضّح في هذه الدّراسة الهدف الذي تطلّعت إليه هذه السورة من أولها إلى آخرها، وهو استقرار الأمن للدولة مع وضع الأسس الثابتة والدعائم الصحيحة له، ومضى يبيّن تسلسل الآيات وترابطها لتحقيق هذا الهدف المقصود. يُنظر حجازي، د. محمد محمود، الوحدة الموضوعيّة في القرآن الكريم، ط/١، دار الكتب الحديثة، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م: ص ٤٢ حتى ص ٤٦.
  - ٤ - أكّد أنّ هناك تخطيطاً حقيقياً واضحاً ومحدداً للسورة القرآنيّة، يتكوّن من مقدمة وموضوع وخاتمة (تقابل المقدمة وتركز على أهم قضية في السورة)، ومضى يوضّح الترابط بين آياتها بشكلٍ مفصل. يُنظر السيّد، تقي الدين السيّد، نظرات في الأسلوب القرآني: ج/١١٠-١٧٥.

الدكتور تمام حسّان لمجموعة من السور في كتابه "البيان من روائع القرآن"<sup>(١)</sup>، ودراسة الدكتور فاضل السامرائي لسورتي (يس ولقمان) في كتابه على طريق التفسير البياني (الجزء الثاني)<sup>(٢)</sup> وغيرها. والحق أنّ هذه الدراسات وأمثالها تشهد بتمكّن الدارسين الصائب، وما ظفروا به من توفيق.

ومما لحظناه في تلك الدراسات، وتجدر الإشارة إليه في هذا المقام أنّ الدارسين لم يقفوا عند كلّ جملتين، ولا أشاروا إلى وجه الترتيب بين كلّ آيتين، بل كانت لهم وقفات عند كثير من الجمل والآيات المتتابعة؛ نظروا في معانيها، ووجه ترتيبها، وأبرزوا تناسبها وعلاقتها ببعضها ببعض.

ولفت الدارسون البيانيون الانتباه أيضاً إلى علاقة فواتح السور بخواتيمها، وحاولوا التقاط المناسبة بين المطلع والخاتمة. من ذلك ما أشار إليه الدكتور محمد أبو موسى في دراسته لسورة الأحزاب، بقوله: "إنّ مطلع السورة النهي عن طاعة الكافرين والمنافقين: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾"<sup>(٣)</sup>، وخاتمتها ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾"<sup>(٤)</sup>، وهذان هما الطرفان، وقد تحركت المعاني بينهما"<sup>(٥)</sup>.

ومنه ما أشار إليه الدكتور فاضل السامرائي من التناصب بين مفتتح سورة النساء وخاتمتها، إذ بدأت بخلق الإنسان وبثّ ذريته في الأرض: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾"<sup>(٦)</sup> وانتهت

١ - يُنظر نموذج من دراسته في الفصل الثالث من هذا البحث.

٢ - أبرز في دراسته مناسبة كلّ آية لما قبلها وما بعدها، مركزاً على اختيار الألفاظ، ومبرزاً تناسبها للتعبير عن المعاني. السامرائي، د. فاضل صالح، على طريق التفسير البياني، النشر العلمي، جامعة الشارقة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م. يُنظر على سبيل المثال ما أورده ج٢/١٤٠-١٤٤.

٣ - سورة الأحزاب: ١.

٤ - سورة الأحزاب: ٧٣.

٥ - أبو موسى، د. محمد، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب: ص٢٦.

٦ - سورة النساء: ١.



بهلاكه من دون عقب: ﴿إِنْ أَمْرٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾<sup>(١)</sup> وهي صورة فنيّة عظيمة لبدء الحياة ونهايتها، كما ابتدأت بإيتاء الأموال للنشء الجديد من اليتامى من أنصبتهم من المواريث وهم يستقبلون الحياة: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> واختتمت بتقسيم تركات من ودّع الحياة: ﴿وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>. وهذا من أعجب التّناسب وأبدعه.

ومضى السامرائي يشير إلى التّناسب بين مفتاح كثير من السور وخواتهما، وانتهى إلى القول: "إنّ التّناسب بين مفتاح السور وخواتهما ليس شيئاً عارضاً ولا موافقة عابرة، بل هو سمة بارزة من سمات هذا الكتاب الكريم، وأمر مقصود في هذا الكلام الرفيع"<sup>(٤)</sup>.

وهكذا، يتبيّن لنا مما سبق، أنّ دراسة التّرابط بين الآيات دراسة قيّمة لأنّها تنظر إلى النصّ القرآنيّ (السّورة) برمتّه، وترى مدى ارتباط بعضه ببعض، وتؤكد أنّ كلّ نصّ في القرآن محكم البناء، متلاحم الأجزاء، أخذ بعضه بأعناق بعض، وبهذا نعرف عن كلّ آية أمكّلة لما سبقها أم مستقلة، وما وجه مناسبتها لما قبلها إن جاءت على سبيل الاستئناف. لكن ما قدّمه الدّارسون المُحدثون في هذا المجال ليس كافياً، وهو في حاجة إلى أن يُكشف ويبيّن، وتُحلّل المعاني الدّاخلية في الآيات، وتُشرح علاقاتها ببعضها ببعض على نحو أكثر تدبراً، وأوسع تأملاً. إذ إن التعمّق في هذه الدّراسة يتطلّب دراسة حركة المعنى في السّورة ومراقبة نموّه وامتداده، وذهابه، وارتداده، وهذا باب من أخصّ أبواب البلاغة وأغمضها، وهو من وجوه بلاغة القرآن غير المدروسة كما ينبغي<sup>(٥)</sup>.

١ - سورة النساء: ١٧٦.

٢ - سورة النساء: ٢.

٣ - سورة النساء: ١٧٦.

٤ - السامرائي، د. فاضل، التّعبير القرآني: ص ٢٥٣.

٥ - ينظر ما كتبه أبو موسى، د. محمد، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب: ص ٢٥-٢٦.

## – التكرار:

لا تخلو أساليب الخطاب في اللغة العربية من ظاهرة التكرار. إلبا أن التكرار في الأساليب والألفاظ، بوصفه ضرباً من ضروب البيان، ظاهرة تفرّد القرآن بها، إذ "سلك بها طريقاً غير مألوف عند العرب، ونحا بها مناحي متعدّدة جاءت على غير مقاييس اللغة، وحملت في سياقاتها نبضات تثير كوامن النفس، وتلمس حبات القلوب، وتلك معجزة أسلوبية استقلّ القرآن بها"<sup>(١)</sup>.

فالتكرار فنٌّ من الفنون البلاغية التي ازدهرت دراستها في ظلّ الدارسة القرآنية، إذ "ذكره الطّاعنون في كتاب الله فكان لزاماً على من تصدّى للردّ عليهم أن يدرس هذا الأسلوب ، وأن يبيّن أسرارَه، وأن يشيرَ إلى نظيره في كلام العرب"<sup>(٢)</sup>. يقول ابن الأثير: "بالجملة فاعلم أنه ليس في القرآن مكرّر لا فائدة في تكريره؛ فإن رأيت شيئاً منه تكرر من حيث الظّاهر فأنعم نظرك فيه؛ فانظر إلى سوابقه ولو احقه، لتتكشف لك الفائدة منه"<sup>(٣)</sup>.

وتأتي ظاهرة التكرار في القرآن الكريم على نوعين:

الأول: تكرار بعض الألفاظ أو الجمل.

والثاني: تكرار بعض المعاني كالأقاصيص والأخبار.

وقد توقّف الدّارسون عند كثيرٍ من صور التكرار من النوع الأوّل ليظهروا أثره البيانيّ في مواقعه المختلفة، إذ أشاروا إلى أنّ هذا النوع يأتي للتأكيد، وينطوي بعد ذلك على نكتٍ بلاغيةٍ أخرى كالتّهويل، والإنذار، والتّجسيم، والتّصوير، وغير ذلك. وكانت المعاني التي لحظوها مستمدّة من صلتها المباشرة بنفس السّامع أو المتكلم.

١ – عبد الغفار، د. السيد أحمد، في الدّراسات القرآنية (الجانب التاريخي – الجانب الأسلوبى – الجانب البلاغى)، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩-٢٠٠٠م: ص ١٦٧.

٢ – أبو موسى، د. محمد، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ص ١٦٤ ويُنظر حتى ص ١٦٨. ويُنظر ما أوردناه من دراسات القدماء لهذا الأسلوب في الفصل الأوّل من هذا البحث.

٣ – ابن الأثير، المثل السائر: ج ٢/١٦٠.

من ذلك على سبيل تعليل الدكتور السيّد عبد الغفار لتكرار لفظ (يا قوم) في آيتين متتاليتين في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَأْقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ\*يَأْقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾<sup>(١)</sup>، وهو نداءً كرّره مؤمن آل فرعون نصحاء لهم بعد تلك المراوغة التي لقيها من فرعون، ودعا قومه إلى الإيمان بالله الواحد الأحد، يقول: "جاء التكرار في الآيتين مؤدّيًا غرضًا يظهر فيه زيادة التنبيه لهم، وإيقاظهم من سنة الغفلة، كما أنّ تكرار اللفظ (يا قوم) يوحي بحبه لهم وأنهم قومه وعشيرته، وهم فيما هم فيه من الضلال، وهو يعلم وجه خلاصهم وأنّ نصيحته لهم واجبةً عليه، إذ يحزن لحالهم هذا، ويتلطف بهم، وإنّ سرورهم سروره، وغمهم غمه، ويأتي التكرار أيضًا بصورة التأكيد لهم بالنزول على نصيحته<sup>(٢)</sup>. ويتابع موضحًا الأثر النفسي لهذا التكرار: "نستشعر من خلال هذا التكرار تلك الصرخة العالية المدويّة، وهذه الدعوة الملحة، لأنّ يعود القوم إلى سبيل الرشد والهداية، وإنه لواجب يتحتم على المنادي إذا أشفق على قومه من طائفة العذاب عندما يتمادون في غيهم، وينصرفون عن جادة الحق، وهو موقفٌ بلغ من الإشادة به أن سُميت السورة التي جاءت بها تلك الآيات (وهي سورة غافر) سُميت أيضًا (سورة المؤمن) شعاراً لهذا الموقف النقي الذي قام به"<sup>(٣)</sup>. فلو لم يأت التكرار لما ظهرت في الأسلوب كلّ هذه المعاني، ولما وضحت هذه الصورة الكاملة التي تناسب الموقف.

وتوقّف الدارسون عند تكرار العبارة على نحو متتابع، وفي سلسلة طويلة تتنظم السورة كلّها، كتكرار الجملة المنذرة ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ في سورة المرسلات، وتكرار قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾ في سورة الرحمن، ويبنوا أنّ في هذا التكرار المتعدّد، لتلك الآية في سورة الرحمن، والذي يربو على ثلاثين مرّة، "لفتنا إلى نعم الله التي سخرها للبشريّة كلّها، فكلّما ذكر الله نعمة من نعمه، جاءت الآية المكرّرة تقرّرها وتذكر

١ - سورة غافر: ٣٨-٣٩.

٢ - عبد الغفار، د. السيد أحمد، في الدراسات القرآنية: ص ١٧١. ويُنظر ابن الأثير، المثل السائر: ج ٢/١٦٨. إذ أشار إلى أنّ التكرار في هذا الموضع "أبلغ من الإيجاز، وأشدّ وقعًا من الاختصار".

٣ - عبد الغفار، د. السيد أحمد، في الدراسات القرآنية: ص ١٧٢.

بالاعتراف بها<sup>(١)</sup>. وفي ذلك يقول الدكتور أحمد بدوي: "إنَّ هذا السؤال المتكرّر يثير في نفس سامعيه اليقين بأنّه ليس من الصّواب نكران نِعَم تَكَرَّرت وآلاء توالّت"<sup>(٢)</sup>.

فالتكرار إذن أفاد معنىً زائداً عن المعاني التي تحملها الألفاظ؛ إذ يفهم منه تعدّد النّعَم وتأكيدّها، حتّى لا يغفل عنها كثيرٌ من الناس، كما أنّه لم يحدث اضطراباً في الأسلوب أو ثقلاً على السّمع، كما يظهر ذلك في الأساليب العاديّة.

ومن هذا القبيل أيضاً ما أشار إليه الدّارسون من تكرار آية أو آيتين في كلّ قصةٍ من قصص الأنبياء عليهم السّلام مع أقوامهم. من ذلك على سبيل المثال ما جاء في سورة الشعراء، حيث تختم كلّ قصةٍ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾\* وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ\*<sup>(٣)</sup>. توقّف الدّارسون عند هذا اللون من التّكرار، وبيّنوا فائدته، ودوره في تأكيد المعنى، وتثبيت المكرّر في النفس<sup>(٤)</sup>.

أمّا صور التّكرار من النّوع الثّاني، وهو تكرار المعنى، فقد أرجعه الدّارسون إلى غرضين مهمّين؛ الغرض الأوّل، إنهاء حقائق الدّين ومعاني الوعد والوعيد إلى النفوس بالطريقة التي تألّفها وهي تكرار هذه الحقائق في صور وأشكال مختلفة من التّعبير والأسلوب، وفي بيان هذه الحكمة يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾<sup>(٥)</sup>.

والغرض الثّاني، إخراج المعنى الواحد في قوالب مختلفة من الألفاظ والعبارات، وبأساليب مختلفة تفصيلاً وإجمالاً، حتّى يتجلّى إعجازه ويستبين قصور الطّاقة البشريّة عن

١ - عبد الغفار، د. السيد أحمد، في الدراسات القرآنيّة: ص ١٧١. ويُنظر ما كتبه د. شوقي ضيف، حول هذه الآية وتكرارها في كتابه سورة الرحمن وسور قصار.

٢ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١٥٣.

٣ - سورة الشعراء: ٨-٩. وقد تَكَرَّرت هاتان الآيتان ثمانين مرّات في تلك السّورة.

٤ - ينظر بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١٣٥-١٥٤. ويُنظر ما أورده أبو موسى، د. محمد، البلاغة القرآنيّة في تفسير الزمخشري: ص ٤٥٠-٤٥١.

٥ - سورة طه: ١١٣. والتّصريف: إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى، خشيةً تناسي الأول لطول العهد به. يُنظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ج ١٠/٣.

تقليده<sup>(١)</sup>. وفي هذا الصدد يقول الرافي: "وهنا معنى دقيق في التّحدّي، ما نظنّ العرب إلّا قد بلغوا منه عجباً، وهو التّكرار الذي يجيء في بعض آيات القرآن، فتختلف في طرق الأداء، وأصل المعنى واحد في العبارات المختلفة"<sup>(٢)</sup>.

ومن أبرز صور هذا النوع هذا من التّكرار، تكرار القصص القرآنيّ. وقد بيّن الدّارسون أنّ هذا التّكرار للقصص القرآنيّ في السّور المختلفة يضيف دائماً شيئاً جديداً في كلّ سورة بأسلوب مختلف، فهو "تكرار" لا يعيد نفس الشيء، بل هو تكراراً يطرح جديداً"<sup>(٣)</sup>.

يقول الدكتور البوطي: "إنّ تكرارَ القصة أكثر من مرّة في القرآن، ليس هو التّكرار بمعناه المعروف، بل الذي يحدث هو أنّ القرآن يتناول من القصة الواحدة في كلّ مرّة جانباً معيّناً فيها، وهو الجانب الذي تستدعيه المناسبة، فتلبس القصة في كلّ مرة من الأسلوب والإخراج التّصويريّ ما يناسب المعنى الذي سيقت بصدده". ويورد مثلاً لهذا ما تكرّر من قصص الأنبياء في سورتي هود والقمر، ثمّ يقول: "تلاحظ من اختلاف الأسلوب والعرض وجرس الألفاظ ما يخيّل إليك أنّك أمام قصص وأخبار لم تكن تعلم بها، ثمّ إنّك تجد فيها من المعاني والعظات ما لم تكن قد تتبّهت إليه في المرّة الأولى"<sup>(٤)</sup>.

ولتأكيد هذا الأمر، قارن الدّارسون بين طرائق عرض القصّة الواحدة في مواضعها المختلفة، ليستنبطوا الفروق الدّقيقة بين المواضع المتكرّرة للقصّة الواحدة. من ذلك على سبيل المثال ما جاء في دراسات الدكتور فاضل السامرائي الذي قارن بين

١ - يُنظر البوطي، د. محمد سعيد رمضان، من روائع القرآن: ص ١٤١-١٤٢. ويُنظر شيخون، د. محمود السيد، الإعجاز في نظم القرآن: ص ٧٣-٧٥.

٢ - الرافي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص ٢٠٠ ويُنظر ما بعدها.

٣ - أبو زيد، د. نصر حامد، مفهوم النص: ص ١٨٥.

٤ - البوطي، د. محمد سعيد رمضان، من روائع القرآن: ص ٢٣٣، ويُنظر كلامه على قصة سيدنا نوح، في سور (هود-القمر-نوح): ص ١٤٢. ويُنظر الكلام على هذه القصة أيضاً في المبارك، محمد، دراسة أدبية لنصوص من القرآن: ص ٩١-٩٥. ويُنظر الحكمة من تكرار القصص القرآنيّ: قطان، مناع، مباحث في علوم القرآن: ص ٣٠٨.

طرائق عرض قصة آدم عليه السلام في سور (البقرة- الأعراف- ص - الحجر)<sup>(١)</sup>، كما قارن أيضاً بين طرائق عرض قصة موسى عليه السلام في سور (البقرة- الأعراف- الشعراء)<sup>(٢)</sup>، مبيّناً أنّ القرآن لا يذكر القصة على صورة واحدة، بل نراه يذكر في موضع ما يطوي ذكره في موضع آخر، ويفصل في موضع ما يوجزه في موضع آخر، ويقدم في موضع ما يؤخره في موضع آخر، بل نراه أحياناً يغيّر في التعبيرات ونظم الكلام تغييراً لا يخلّ بالمعنى، كلّ ذلك يفعله بحسب ما يقتضيه السياق وما يتطلبه المقام وذلك في حشدٍ فنيٍّ عظيم.

وفي هذا الصدد، لفت الدارسون الانتباه إلى أنّ هذه الحلقات القصصية المعروضة ليست من قبيل التكرار، بل هي طريقةً فنيّةً لعرض الفكرة والتأثير في المتلقّي، ولو أنّ هذه الحلقات جمعت من السياقات المختلفة، لكوّنت قصة متكاملة بأحداثها وشخصياتها وحوارها، ضمن نظام العلاقات التعبيرية والتصويرية والفكرية في النصّ القرآني<sup>(٣)</sup>.

وأشار الدارسون في سياق حديثهم عن تكرار قصص الأنبياء، إلى أنّ قصة يوسف عليه السلام هي القصة الوحيدة التي ذُكرت متتابعةً متسلسلةً تامّةً في سورة واحدة سمّيت باسمه، والسّرّ في عدم تكرارها يكمن كما بيّنه الدارسون- في أنّ قصة يوسف ليست بارزةً في ميدان الدلالة على التوحيد، أو على نصره الله لأنبيائه على أعدائه، كما في القصص الأخرى، بل أغلبها حصل له قبل النبوة وأكثرها مواقف ماديّة بحتة ليس فيها تعدّد ألوان ومواقف، إضافةً إلى أنّها أحداثٌ عاديةٌ تقع في جميع الأوساط وليس فيها خوارق ومعجزات، وليس فيها تصوير لحالات نفسيةٍ لنبيٍّ من الأنبياء، وكان فيها دور

١ - السامرائي، د. فاضل، التعبير القرآني: ص ٢٨٥-٣١٠. ويُنظر ما أوردناه من كلامه حول الفرق بين قصة إبراهيم في سورة الحجر وبين قصته في سورة الذاريات في الفصل الثالث من هذا البحث.  
٢ - السامرائي، د. فاضل، التعبير القرآني: ص ٣١٠-٣٢٤. ويُنظر تفريقه بين قصة موسى في سورة النمل، وقصته في سورة القصص، في كتابه لمسات بيانية: ص ٩٠-١١٣.  
٣ - الراغب، د. عبد السلام، وظيفة الصورة الفنية في القرآن: ص ٧٢.

المرأة التي ظهرت بطبيعتها وأنوثتها الطاغية، فليس من الخير تكرار ما يثير الغرائز، على أن أغلب موافقها كان من إخوة يوسف وهو من بيت إبراهيم وإسحاق<sup>(١)</sup>.

ولم تقتصر دراسة العلماء لتكرار المعنى في القرآن، على ما جاء في القصص القرآني، بل عمّوا نظرتهم إلى التكرار في القرآن كظاهرة عامّة، فتكلّموا على تكرار بعض المعاني القرآنيّة، كالتكرار في مقام الوعظ والنصيحة، وفي مقام دفع الشبهة، وفي مقام الوعد والوعيد، وفي مواقف الكف والنهي، وغيرها. ومن هذا القبيل أيضاً، تكرار بعض صفات الله، كتكرار ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾. إذ كرّر القرآن هذه الصفات ونحوها، في المناسبات المختلفة للتقرير، ولتأكيد معاني هذه الصفات وترسيخها في النفس. وقد قيل: "الكلامُ إذا تكرر تقرر".

وقد بيّن الدارسون أن هذا التكرار للمعاني يرجع إلى أن القرآن له أهداف وأغراض؛ وهو لتحقيق هذه الأغراض، وللوصول إلى تلك الأهداف لا بدّ له أن يطرق الموضوع الواحدة عدّة مرّات؛ مرّة بالشّدّة وأخرى باللين، وتارة بالتّصريح وأخرى بالتّلميح، مرّة بضرب الأمثال وأخرى بتأييد المقال<sup>(٢)</sup>. وقد يرجع إلى أنّه، لكون القرآن خطاباً للناس كلّهم، أنّ في الناس من لا يكفيه الموجز من القول والخلاصة في الحديث، بل يحتاج إلى أن ينصت للأمر مفصّلاً مطنّباً، وأن يعاد أكثر من مرّة. "فاقتضى الأمر أن تتصرف المعاني القرآنيّة في طرائق مختلفة من التّعبير والبيان"<sup>(٣)</sup>.

١ - حجازي، د. محمد، الوحدة الموضوعية في القرآن: ص ٣٢٤.

٢ - المصدر السابق: ص ٣٩.

٣ - البوطي، د. محمد سعيد رمضان، من روائع القرآن: ص ١٤٣. وتجدر الإشارة إلى أنّ الكثيرين من الدّارسين (القدماء والمحدثين) اهتموا بهذه الحكمة في التّكرار القرآني أكثر من غيرها نذكر منهم الجاحظ، والباقلاني، والرافعي. يُنظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ج ١٢/٣.

فهذا التكرار إذاً، بأساليبه الفنيّة المتوّعة، لإبراز الحقائق الدنيّة واستيفائها، ولتحقيق الغرض الدنيّ والتأثير النفسيّ.

وعلى هذا النحو مضى الدارسون في بيان أنّ التكرار، الذي يجعله البلاغيّون من أقسام الإطناب، هو من بدائع نظم القرآن الكريم، فهو "سمة بلاغيّة عالية، ومعياريّ بيانيّ راق"<sup>(١)</sup>. وله فوائد وأغراض كثيرة، سواء منه ما يتعلق بالمعنى أم ما يتعلّق بالشكل.

فالتكرار في القرآن لم يكن من ضروب الفضول أو الزيادة، بل جاء لزيادة المعنى أو تأكيده أو لحكمة قصد إليها.

---

١ - حمدي "أبو علي"، د. محمد بركات، الآية التفسيرية وموقعها من البيان القرآني: ص ١٧.



## – الفواصل القرآنية:

الفاصلة لغةً هي ما يفصل بين شيئين، كما أنها إحدى علامات التّرقيم في الكتابة إذ توضع هذه العلامة بين الجُمَل التي يترّكب منها كلامٌ تامٌّ الفائدة، وبين الكلمات المفردة المتصلة بكلمات أخرى تجعلها شبيهةً بالجملة في طولها<sup>(١)</sup>.

أمّا الفاصلة اصطلاحاً، فهي الكلمة التي تُختم بها الآية من القرآن، ولعلّها مأخوذة من قوله تعالى: ﴿كَتَابٌ فَصَّلْتَ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وربما سُمّيت بذلك لأنّها بها يتمُّ بيان المعنى، ويزداد وضوحه جلاء وقوة، إذ التّفصيل فيه توضيح وجلاء وبيان، قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

وهي من حيث الشكل الظاهري كفاية الشعر، وقرينة السّجع، وقد تحرّج الأعلام القدماء من مسّ القرآن باصطلاح (السّجع)، لأصله اللغوي في صوت الحَمَام، ولعيوبه الكثيرة التي لمسوها عند الخطباء المُتقَرِّرين، وبعض المُؤلّفين في العصر العباسي، وانزاحت هذه الصّورة من أذهانهم مع تقدّم الزمن، لذلك رأينا السّماحة في قبول مصطلح السّجع، على أنّ سجع القرآن سجعٌ محمود لا تكلف فيه<sup>(٤)</sup>.

فمشكلة التّسمية إذن تكمن في رغبتهم في تنزيه القرآن، وإلى هذا توصّل السيوطي فقال: "وأظنُّ أنّ الذي دعاهم إلى تسمية كلِّ ما في القرآن فواصل، وإلى عدم تسمية ما تماثلت حروفه سجعاً، هو رغبتهم في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المرّوي عن الكهنة وغيرهم، وهذا غرضٌ في التّسمية قريبٌ"<sup>(٥)</sup>.

١ – مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط: ج ٢ / ٦٩٨.

٢ – سورة فُصِّلَتْ: ٣.

٣ – سورة فُصِّلَتْ: من الآية ٤٤.

٤ – ياسوف، د. أحمد زكريا، دراسات فنية في القرآن الكريم: ص ٤٦٦. ويُنظر كتابه جماليات المفردة القرآنية: ص ٣١١.

٥ – السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: ج ٢ / ٩٤٥.

إنَّ الحديثَ عن الفاصلة قديمٌ قديمٌ قدَّمَ دراساتٍ إعجاز القرآن، إذ أخذت قضيةُ الفواصل موضعها من عناية الأجيال الأولى من دارسي البيان القرآني، كالفرّاء، والرّماني، والباقلاني، وغيرهم. ورجَّح أكثرهم أنَّ الفاصلة القرآنيّة تابعةٌ للمعاني، وذهب قلةٌ منهم إلى أنَّ النظمَ القرآنيَّ يراعيها قصدًا إلى الجرس الصوّتيّ والمشاكلّة اللفظيّة.

وقد تدبّر الدّارسون المحدثون أسرارَ التعبير في هذه الظّاهرة الأسلوبيّة من البيان المعجز، ولفَتوا الانتباهَ إلى ما إذا كان البيانُ الأعلى يتعلّق في فاصلةٍ منها لمجرد رعاية شكليةٍ للرونق اللفظيِّ، أو أنَّ فواصله تأتي لمقتضياتٍ معنويّة، مع نسق الإيقاع بهذه الفواصل، وائتلاف الجرس لألفاظها التي اقتضتها المعاني.

وذهب أكثرهم إلى أنها مرتبطةٌ أشدَّ الارتباط بالمعنى، فأحمد بدوي يقول: "الفاصلة في القرآن مستقرّة في قرارها، مطمئنّة في موضعها، يتعلّق معناها بمعنى الآية كلّها، تعلّقًا تامًّا، بحيث لو طُرحت لاختلَّ المعنى واضطرب الفهم، فهي تؤدي في مكانها جزءًا من معنى الآية، ينقص ويختلُّ بنقصانها"<sup>(١)</sup>، وراح يورد الشواهد القرآنيّة يرصد فيها تمكّن الفاصلة الدالّ على تماسك الآية. من ذلك بيانه لمناسبة الفاصلة لمعنى الآية في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾<sup>(٢)</sup>، يقول: "وصفوه بالحلم أي العقل، الذي لا يتناسب في زعمهم مع دعوته إيّاهم إلى ترك عبادة ما كان آباؤهم يعبدون، ووصفوه بالرشد الذي يتنافى في زعمهم كذلك، مع دعوته إيّاهم إلى ترك تصرفهم في أموالهم، كما كانوا يتصرفون"<sup>(٣)</sup>. فهو يرى أنَّ هاتين الصّفتين مناسبتان للمعنى تمام المناسبة، ومرتبّتان بالمعنى الكلّي الذي سبقهما، إضافة إلى ترنيمهما الموسيقيّ.

ولكن، ربّما احتاج الأمر إلى إمعانٍ وتدبّرٍ، لمعرفة سرّ اختتام الآية بهذا الوصف الوارد في الفاصلة، وقد يبدو أن ختمها بسواه أولى. من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ

١ - بدوي، أحمد، من بلاغة القرآن: ص ٧٥.

٢ - سورة هود: ٨٧.

٣ - بدوي، أحمد، من بلاغة القرآن: ص ٨٠.

فَأِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ<sup>(١)</sup>، فقد يبدو بادئ ذي بدء أن قوله: ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾، يحتم أن تكون الفاصلة (الغفور الرحيم)، إلا أن تأملًا هادئًا يهدي إلى أنه "لا يغفر لمن استحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد، يردُّ عليه حكمه، فهو عزيزٌ غالبٌ، وحكيمٌ يضع الشيء في موضعه، وقد يخفى وجه الحكمة على الناس فيما يفعل، فيتوهم أنه خارج عن الحكمة، وليس كذلك، فكان الوصف بالحكيم احترامًا حسنًا، أي وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب، فلا اعتراض لأحد عليك في ذلك، والحكمة فيما فعلته"<sup>(٢)</sup>.

وأشار بدوي أيضًا إلى أن الفاصلتين قد تختلفان في موضعين، والمُتحدِّثُ عنه واحدٌ فيهما، ذلك كقوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَمَا تَأْتِكُمْ مِنْ كُلِّ مَآ سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى في سورة النحل: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، وإن تعدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>(٥)</sup>. وبين سرًّا هذا الاختلاف قائلاً: "إنَّ القرآن راعى مرَّةً موقف الإنسان من نعم الله، فهو ظلومٌ كفَّارٌ، وراعى أخرى مقابلة الله سبحانه نكران الجميل والظلم والكفر بالنعم، بالغفران والرحمة، وكان ختام الآية الأولى بما ختمت به، لأنها كانت في معرض صلة الإنسان بالله، وكانت الثانية في معرض الحديث عن الله، فناسب ختم الآية بذكر صفاته"<sup>(٥)</sup>. فهو يرى أن الفاصلة لها قيمتها في إتمام المعنى، وأنها مرتبطة بآياتها تمام الارتباط.

وتأمَّلت الدكتورة عائشة عبد الرَّحمن السَّرَّ البياني في الفواصل القرآنيَّة في مجموعة من الآيات، وبيَّنت أنه لم يقصد من إثارة نسق على آخر، أو العدول عن لفظٍ إلى غيره المشاكلة اللفظيَّة بين رؤوس الآيات، بل روعي المقتضى المعنوي مع نسق الإيقاع بهذه الفواصل. وكانت تحاول في هذه الأمثلة الرَّدَّ على مَنْ وَهَمَ أَنَّ القصدَ من الفواصل

١ - سورة المائدة: ١١٨.

٢ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ٧٧-٧٨.

٣ - سورة إبراهيم: ٣٤.

٤ - سورة النحل: ١٧-١٨.

٥ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ٨٤.

المشاكل اللغوية بين رؤوس الآيات<sup>(١)</sup>، والمعيار الذي اتكأت عليه في تحليلها هو الاستخدام الصحيح للغة، والأسلوب الخاص للبيان القرآني من خلال اطراد صيغة ما. تقول -على سبيل المثال- في الآية الكريمة ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾<sup>(٢)</sup>: "لم يعدل فيها عن الكريم إلى الأكرم لمجرد رعاية الفاصلة، ولا قصد بها المفاضلة بين أكرم وكريم، على ما تأولته المفسرون، فالغاية من صيغة أفعل هي الإطلاق غير المحدود"، وهذا ما تراه أيضاً في اسم الأعلى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾<sup>(٣)</sup>، تقول: "والقصد المضي بالعلو إلى نهايته القسوى بغير حدود ولا قيود"<sup>(٤)</sup>.

وتنظر في موضع آخر، في صيغة الفاصلة، وتبحث عن نظائرها محافظة على أسلوبها الاستقرائي، فنقول في الآية ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾<sup>(٥)</sup>: "واستعمال العسرى كاستعمال اليسرى ليس ملحوظاً فيه المصدرية كالعسر واليسر، بل الملحوظ فيها بصيغة فعلى أقصى اليسر، وأشد العسر، أو هما اليسر الذي لا يسر مثله، والعسر الذي ما بعده عسر، ونظيرهما في القرآن الكريم من غير المادة: "البطشة الكبرى والنار الكبرى"<sup>(٦)</sup>. فهي لا تسهب في بسط الجوانب الفنية، بل تكتفي بذكر التمكّن اللغوي، لأجل تبين المقدرة التصويرية من خلال الفروق بين صيغة وأخرى.

١- ممن ذهبوا إلى أنّ الغاية الموسيقية هي التي تتحكم في صيغة الفاصلة: الفراء، والرّازي، و النيسابوري، في بعض تحليلاتهم، كتعليقهم حذف كاف الخطاب للتغيم في قوله تعالى في سورة الضحى/٣: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾، في حين توسمت الدكتورة عائشة التهذيب في هذا الحذف، ولم تحتم إلى عادة الاستعمال اللغوي تقول: "إنّ حذف الكاف من (وَمَا قَلَى) مع دلالة السياق عليها، تقتضيه حساسية بالغة الدقة واللفظ، هي تحاشي خطابه تعالى رسوله، في موقف الإناس، بصريح القول: وما فلاك، لما في القلى من حسّ الطرد والإبعاد وشدة البغض". الإعجاز البياني للقرآن: ص ٢٥٠. ويُنظر تحليلها لإيثار الأفتدة على القلوب في قوله تعالى: ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ [الهمزة]، في الفصل الثالث.

٢ - سورة العلق: ٣.

٣ - سورة الأعلى: ١.

٤ - عبد الرحمن، د. عائشة، الإعجاز البياني للقرآن: ص ٢٥٢-٢٥٣.

٥ - سورة الليل: ٧.

٦ - عبد الرحمن، د. عائشة، التفسير البياني: ج ٢/١١١.

وأكد الدكتور فاضل السامرائي أنَّ الفاصلة القرآنيَّة تنسجم موسيقياً مع الآيات التي قبلها وبعدها، ولكنَّ المعنى والسياق أيضاً يقتضيان هذه الفاصلة. وبطريقته المعتادة راح يوضِّح سبب إيثار الفاصلة القرآنيَّة في موضعها من خلال المقارنة بين الآيات القرآنيَّة المتشابهة، وتعليل سبب الاختلاف في الفواصل. من ذلك على سبيل المثال، توضيحه لسرِّ الاختلاف في قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، يقول: "وسرُّ هذا الاختلاف أنَّ الآية الأولى فيمن صدَّوا عن سبيل الله وصدَّوا غيرهم وضوَّع لهم العذاب، والآية الثانية فيمن صدَّ هو ولم يصدَّ غيره، فكان الأولون أخسرَ من الآخرين فجيء لهم باسم التفضيل<sup>(٣)</sup>. ويضاف إلى ذلك أنها وردت في سياق يدلُّ على المفاضلة، فقد ورد قبلها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾<sup>(٤)</sup> فناسبت المفاضلة التي في (أظلم) المفاضلة التي في (الأخسرون)<sup>(٥)</sup>.

فقد سعى الدارسون إلى إثبات تمكَّن الفاصلة وجمالها، وبيَّنوا علاقتها بتركيب الآية التي خُتِمَتْ بها. لكنهم، في الأغلب، ينظرون إليها على أنها لفظةٌ مفردة، ويتتبعون استعمالها في القرآن الكريم كلِّه، ولذلك مرَّت بنا فواصل كثيرة في فقرات سابقة. يقول الدكتور حفي محمد شرف: "ومن دقَّة اختيار ألفاظ القرآن، والتَّمييز بين معانيها ما نجده في التفرقة في الاستعمال بين لفظ (يعلمون) و(يشعرون)، وقد كثر دورانهما في القرآن، فنجد أنه في الأمور التي يُرجَع إلى العقل وحده في الفصل فيها يستعمل كلمة (يعلمون)، لأنها صاحبة الحقِّ في التعبير عنها، وأمَّا الأمور التي يكون للحواس مدخلاً في شأنها

١ - سورة هود: ٢٢، وينظر الآيات ١٩-٢٢.

٢ - سورة النحل: ١٠٩. وينظر الآيات ١٠٧-١٠٩.

٣ - السامرائي، د. فاضل صالح، التَّعبير القرآني: ص ٢٣٠، وينظر المزيد من الأمثلة، المصدر نفسه: من ص ٢٢٠ حتى ص ٢٣٢.

٤ - سورة هود: ١٧.

٥ - يُنظر بتوسع القيسي، د. عودة الله، سرِّ الإعجاز في تنوُّع الصبغ: ص ١٥٢.

فيستعمل كلمة (يشعرون)<sup>(١)</sup>. ولا شك أن التتبع الدقيق والتفسير القويم يوصلنا إلى نتيجة تطابق ما ذكره الدكتور شرف، إذ إن الدارس في العصر الحديث ينظر إلى القرآن كله ولا يقتصر على الآية التي يدرسها ويصل بنا إلى النظام القرآني كله، وهذه النظرة لا نجدتها عند الدارسين القدماء الذين قصرُوا دراستهم للفواصل على الآيات اللواتي عرضوا لها، ولم يحاولوا الوصول إلى قاعدة عامّة لاستخدام الفواصل.

فالدّارسون المُحدثون أبرزوا تمكّن الفاصلة كلّ حسب أسلوبه، وقدموا المضمون على الشكل في دراستها، بيدّ أنهم لا ينفون قصْدَ القرآن إلى التّرنيم بالفواصل، يقول الدكتور تمام حسان: "الفاصلة قيمة صوتيّة ذات وظيفة مهمة تُراعى في كثيرٍ من آيات القرآن، وربما أدّت رعايتها إلى تقديم عنصر أو تأخيرهِ من عناصر الجملة"<sup>(٢)</sup>. وأورد بعض الآيات القرآنيّة اشتملت على ألفاظ بعينها، اختلفت رتبها في إحداها عنها في الأخرى "رعاية للفاصلة"<sup>(٣)</sup>، وأشار كذلك إلى أنّ الفاصلة رُوّعت حتّى في التّفصيل المشتمل على طباق. و وجد هذه المُراعاة للفاصلة على سبيل المثال في قوله تعالى: ﴿فَفَرِّقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِّقًا تَقْتُلُونَ﴾<sup>(٤)</sup> بدلًا من "ففریقًا كذّبتم وفریقًا قتلتم"، وكذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾<sup>(٥)</sup> بدلًا من "أمّ كذّبت"، وذلك يشهد في رأيه على أنّ الفاصلة قيمة صوتيّة ذات وظيفة معيّنة في القرآن الكريم، وهذه الوظيفة جماليّة تستحقّ الرعاية ولو تعارضت رعايتها مع بعض أنماط التّراكيب النّحويّة<sup>(٦)</sup>.

ولابدّ لنا من الإشارة إلى أنّ كلام الدكتور تمام حسان على "رعاية الفاصلة" قد جاء بعد كلامه على علاقة الفاصلة بتركيب الآية التي ختمت بها، إذ بيّن أنّ للفاصلة

١ - شرف، د.حفني، الإعجاز البياني بين النظرية والتطبيق: ص ٢٢٤. ويُنظر بدوي، د. أحمد، من

بلاغة القرآن: ص ٨١-٨٢. ويُنظر ياسوف، د. أحمد، جماليات المفردة القرآنية: ص ٣٢١.

٢ - حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن: ج ١/١٩٨.

٣ - ينظر ما أوردناه من أمثلة في فقرة التّقديم والتّأخير.

٤ - سورة البقرة: ٨٧.

٥ - سورة النمل: ٢٧.

٦ - حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن: ج ١/١٩٩.

بتركيب الآية التي ختمت بها إحدى علاقيتين؛ "فقد تكون الفاصلة جزءاً من تركيب الآية مكملاً لبنيتها فلا يتصور تمام معنى الآية إلّا به" وقد "تأتي الفاصلة بعد تمام المعنى فتكون تذييلاً للآية، كالتعليق أو التعقيب على محتواها"<sup>(١)</sup>.

وقد حاول الدارسون<sup>(٢)</sup> أيضاً أن يستخرجوا نظاماً للفواصل القرآنية، تسير عليه من خلال ارتباطها بالمعنى المراد، ومراعاتها للنغمة الموسيقية في السورة، نذكر منهم سيّد قطب الذي أضاف إلى الفاصلة القرآنية مصطلح (القافية)، وقصد بها اعتماد الفاصلة على حرف معين، لزيادة التّغنييم أو الإيقاع الموسيقي في الفاصلة، وتابع الفاصلة في سورة مريم، فرأى أنّ الفاصلة في السرد القصصي الوارد في تلك السورة واحدة، وهي (خفياً - شقيّاً - شرقياً - سوياً - تقيّاً - نبياً - حياً - شقيّاً)<sup>(٣)</sup>. وحين انتهى السرد القصصي تغيرت الفاصلة القرآنية، والحرف المعتمدة عليه فأصبحت بحرف النون أو بحرف الميم وقبلهما مد طويل، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾<sup>(٤)</sup>. وكأنّ هذه الآيات، كما يقول سيّد قطب، تصدر حكماً بعد نهاية القصة، ولهجة الحكم تقتضي إيقاعاً موسيقياً آخر غير الإيقاع الموسيقي الاستعراضي في القصة الذي كان كلّه انسياب، واسترسال، وبعد الانتهاء من إصدار الحكم على القصة، عاد إلى النظام الأول في الفاصلة نفسها، والحرف المعتمدة عليه، لأنه عاد إلى السرد القصصي من جديد. يقول تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾<sup>(٥)</sup>.

١ - حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن: يُنظر ج ١/١٩٦-١٩٧.

٢ - نذكر منهم الدكتور محمد الدبل في دراسته للنظم القرآني في سورة الرعد، إذ كشف عن طبيعة الفواصل في تلك السورة، وعن التلاؤم في أجراسها ومعانيها، مبيّناً أنّ الفواصل كانت أبرز مظاهر الائتلاف والتلاؤم، ومسجلاً بعض الظواهر التي استوقفته كباحث متأمل. يُنظر كتابه: ص ٩٧-٩٩.

٣ - سورة مريم الآيات من ٢ حتى ٣٢ .

٤ - سورة مريم: ٣٤.

٥ - سورة مريم: ٤١.

والحق أن هذه الملحوظات على الرغم من قيمتها فهي تبقى ذوقية، لا تعتمد على رؤية منهجية في تحليل الظاهرة لأننا نلاحظ أن الآيات ظلت على نظام الفاصلة نفسها في موضوع آخر كقوله تعالى: ﴿إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾<sup>(١)</sup>.

وقد أدرك سيد قطب صعوبة ما يسير عليه في الاستنباط، فاعترف بأن ما وصل إليه، لا يفسر إلا بعض المواضع التي ورد فيها تنويع الفواصل، وبعضها الآخر ظل مجهولاً لم يدركه يقول: "وقد تبين لنا في بعض المواضع سرّ هذا التغيّر، وخفي علينا السرّ في مواضع أخرى، فلم نرد أن نتحمل له لنثبت أنه ظاهرة عامة كالتصوير والتخييل والتجسيم والإيقاع"<sup>(٢)</sup>.

ننتهي ممّا سبق إلى أن الدارسين المحدثين أبرزوا تمكّن الفاصلة كل بحسب أسلوبه؛ فمنهم من نظر إلى سياق الآية وربط الفاصلة بها، ومنهم من اعتمد المعيار اللغوي، ودقّة الاستعمال والفروق، ومنهم من نظر إليها على أنها كلمات مفردة وأثبت تمكّنها في النظام القرآني كلّها. ولم ينكروا مراعاة الفواصل القرآنية للجانب الموسيقي، إذ رأوا "أنّ هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن ما هي إلا صورة تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي منفتحة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقاً عجيباً يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب"<sup>(٣)</sup>.

فالفاصلة في القرآن، لها دورها الإيقاعي في نهاية كل آية، ولكن دورها ليس إيقاعياً فنياً فحسب، بل هي مناسبة للمعنى، تزيد في وضوحه وجلائه، وتقويه من خلال إيقاعها الموسيقي الخاص، وبذلك تؤدي دورها في التصوير، كما أدته في التعبير.

١ - سورة مريم: ٥٨.

٢ - قطب، سيد، التصوير الفني: ص ٩١.

٣ - الرفاعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن: ص ٢٢٧.



## - البحث في الصور الفنية:

جليُّ أن التراكيب ليست على درجةٍ واحدة في وضوح دلالتها على المعنى الواحد المراد التعبير عنه، إذ إن بعضها أوضح من بعض، وذلك تبعاً لطريقة التعبير عن المعنى المراد. ومعلومٌ أنَّ طريقة التصوير هي "العمودُ الفقري ومركز الصدارة في الفنِّ القوليِّ وأهمُّ مكوناته لا كلها، فإذا غادرها الدارس أخطأ خطأً جسيماً"<sup>(١)</sup>. وقد قرَّر دارسو البيان القرآنيُّ أنَّ الطريقة التصويرية هي قاعدة الأسلوب القرآنيِّ الأساسية، وأداته المفضَّلة للتعبير عن المعاني والأفكار سواء أكانت معاني ذهنية مجردة أم قصصاً غابرة، أم مشاهد ليوم القيامة وغيرها من المجالات<sup>(٢)</sup>.

وإنَّ بحثَ هذه الخاصة في أسلوب القرآن الكريم قديمٌ حديث؛ إذ دُرست هذه الخاصة دراسةً مفصَّلة، وكانت موضعَ اهتمام المشتغلين بدراسة القرآن. ولا شكَّ أنَّها كانت أوفر حظاً من الدراسة الخاصة بجمال النظم، وبلاغة الصوغ، وذلك لأنَّ دراسة الفنون البلاغية تتأثر تأثراً واضحاً بروح الدارس وذوقه، لأنَّها ليست دراسة علمية خالصة، أي ليست تحريراً للقواعد وضبطاً لها فحسب، بل للطبع فيها نصيبٌ كبير، لذلك يدرك المتأنيُّ فرقاً كبيراً بين دراسة التشبيه في الكتب المختلفة وإن ذكر الجميع أنَّ التشبيه ينقسم إلى مفرد ومركب، وحسيٍّ وعقليٍّ، وتشبيه في الشكل، وفي اللون، إلى آخر هذه التفريعات العلمية<sup>(٣)</sup>.

وإنَّ دراسة المُحدثين للتصوير في القرآن الكريم لم تقتصر على دراسة أنواع الصور البيانية حسب تسمية البلاغيين (التشبيه- الاستعارة- الكناية)، بل حفلت بفنون تتجاوز هذه الأنواع القديمة، إذ بحث الدارسون في الأنواع البلاغية القديمة، وأضافوا إليها

١ - اليافي، د. نعيم، أوهاج الحداثة، دراسة في القصيدة العربية الحديثة، ط/١، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٣م: يُنظر ص ٢٢٦.

٢ - ينظر قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن: ص ٣٤.

٣ - أبو موسى، د. محمد، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: يُنظر ص ٤٧٣.

المُعطيات النقدية الحديثة الوافدة في سبيل الدراسة البيانية الوافية التي يستحقها النصّ المقدّس.

فبحثُ الدارسين المُحدثين في الصُّور الفنيّة القرآنيّة اتّسع ليشملَ "كلّ وسيلة من وسائل التعبير تثير المخيلة، وتستدعي الصورة إلى الفكر، وتلمس المشاعر والوجدان والقلب، ذلك أنّ "الصورة الفنيّة القرآنيّة قابعة في المجاز والحقيقة والتّركيب البنائي"<sup>(١)</sup>؛ فالحروف في القرآن تصوّر، والكلمة تصوّر، والجُملة، وفنون البلاغة كذلك تصوّر، وهناك من وراء ذلك أدوات وأدوات؛ فهناك "تصوير باللون وتصوير بالحركة وتصوير بالإيقاع، وكثيراً ما يشترك الوصف، والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات، و موسيقا السياق، في إبراز صورة من الصُّور تتملأها العين والأذن، والحسّ والخيال، والفكر والوجدان"<sup>(٢)</sup>، فأفاق التصوير الفنيّ القرآنيّ واسعة متنوّعة.

وبناء على هذا، يمكن أن نصنّف التّصوير الفنيّ في القرآن على نوعين؛ كليّ وجزئيّ<sup>(٣)</sup>. الكليّ، ونقصد به التّصوير الذي ينشأ من اختيار ألفاظ توحى بموقف حسّيّ، وله عناصر ثلاثة (الحركة - الصوت - اللون)، أمّا الجزئيّ، فنقصد به التّصوير المعتمد على الوسائل البلاغيّة (التّشبيه - الاستعارة - الكناية).

ولعلّ النوع الأوّل من الصور، يندرج تحت ما سمّاه النّقاد "صورة حقيقيّة"، وهي صورٌ لا تعتمد الخيال في تكوينها، بل تثير الخيال من خلال تعدّد الإيحاءات وتوقّع المتلقّي، فهي تحتوي على اللغة الوصفية المباشرة ولكنها تخضّل بالمؤثرات الجماليّة الثّرة، وتتطلق في تكوينها من أنّ الكلمة صورةٌ لما في الذّهن، فلاشك أنّ قراءة أية عبارة تستدعي تصوّراً حسّيّاً. يقول الدكتور غنيمي هلال: "من وسائل التّصوير والإثارة ما لا يدخل في الوجوه البلاغيّة التي ذكرها بحال"<sup>(٤)</sup>. ويقول في موضع آخر: "إنّ الصُّورة لا

١ - ياسوف، د. أحمد زكريا، الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف، ط/٢، دار المكتبي، دمشق، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م: ص ١٣٦. وللتوسع يُنظر ما قبلها.

٢ - قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن: ص ٣٥.

٣ - هذا التّقسيم اعتمده السيّد تقي الدين السيّد في كتابه نظرات في الأسلوب القرآني: يُنظر ج ١٢٩/٢.

٤ - هلال، د. غنيمي النقد الأدبي الحديث، ط/٢، دار العودة ودار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣م: ٢٥٠.

تلتزم ضرورة أن تكون الألفاظُ أو العباراتُ مجازيّةً، فقد تكون العباراتُ حقيقيّةً الاستعمال، وتكون مع ذلك دقيقةً التّصوير دالّةً على خيالٍ خصب<sup>(١)</sup>.

ونجد الكلام على هذا النوع من الصّور، بصورةٍ مفصّلة، عند سيّد قطب الذي احتكم في دراساته القرآنيّة إلى مفهوم الصورة -المشهد- ولم يكتفِ بالمجاز وحده معياراً للتصوير الفنّي، ويكثر هذا النوع من الصور في القصص القرآنيّ، وفي رسم المشاهد الأخرويّة من لحظة القيامة وما يتبعها من نعيم وعقاب. فالصورُ الحقيقيّة كثيرةٌ في القرآن الكريم، ولو كان التّعبير بالحقيقة أقلّ جمالاً من التّعبير المجازيّ فضلّ القرآن التّعبير بالمجاز في جميع المواقف والأحوال، في تشريعه وتعليمه كما في ترغيبه وترهيبه ولسار على نمطٍ واحدٍ من التّخييل<sup>(٢)</sup>، إلّا أنّ للصور الحقيقيّة جمالها ودورها في توصيل المعنى، وإحداث التأثير في نفس المتلقّي. ولذلك، اهتمّ الدّارسون بها وبحثوا في أنواعها وبيّنوا وظيفتها التعبيريّة والتصويريّة الفنيّة.

فحوّل التّصوير بالحركة<sup>(٣)</sup>، بيّن الدّارسون أنّ أغلب الصور الفنيّة في القرآن الكريم فيها حركة ظاهرة أو مضمرة، وأنّه وردت في القرآن الحركات على أنواعها؛ من حيث الرّشاقة والنّقل، والسّهولة والقوّة والسّرعة، والحركة البطيئة، والحركة الحسيّة الظّاهرة. وكانت غاية الدّارسين من دراستها والبحث في أنواعها، بيان مناسبتها للموقف تمام المناسبة، وسيطرتها وتملّكها للفكرة، وخاصّة في الصور التي تبرز فيها الحركة

١ - المصدر السابق: ص ٤٥٧. ويُنظر دهمان، د. أحمد علي، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني "منهجاً وتطبيقاً"، ط/١، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٦م: ج ٢/٦٢٦. ويُنظر اليافي، د. نعيم، مقدمة لدراسة الصورة الفنية: ط/١، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٢م: ص ٧١.

٢ - حسين، د. عبد القادر، القرآن والصورة البيانية: يُنظر ص ١٣٨.

٣ - دُرست الصور الحركية تحت عنوان "أنواع التّشبيه" لدى البلاغيين القدامى، وكانت نظرة عبد القاهر الجرجاني تفصيلية عميقة، لا تكتفي بذكر العنوان والشاهد، بل تنبّه إلى جمال الحركة، يقول: "إنّ مما يزداد به التّشبيه دقّةً وسحرًا، أن يجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركات. والهيئة المقصودة في التّشبيه على وجهين، أحدهما أن تقترن بغيرها من الأوصاف كالشّكل واللون ونحوهما. والثاني أن تُجرّد هيئة الحركة حتى لا يُراد غيرها". الجرجاني، أسرار البلاغة: ص ١٨٠.

بروزاً واضحاً. من ذلك على سبيل المثال، بيان الدارسين للصورة الحركية القوية، حركة "الدَّعْ"، المصوّرة عذاب الكافرين الأليم الشديد في جهنم. يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يُدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾<sup>(١)</sup>. "والدَّعُ: سوقٌ بقسوةٍ وقهرٍ ونهرٍ وغلظةٍ، وفسره ابن الأثير في النهاية (بالطرد والدفع)"<sup>(٢)</sup>، وهو من الألفاظ المصوّرة بجرسها لمعناها، يكاد سامعها يحسُّ بالدفع في ظهور المكذّبين، إذ يوحي بصورة "المدفوع في النار يصدر صوتاً قريباً من جرس العين الساكنة، لذلك فإنّ الصّورة اختارت في تشكيلها اللغويّ هذا الحرف بالذات، لتكون الصورة المرعبة توحى بهيئة مخصوصة، وهي الدَّفْع في الظهور رغم إرادتهم، كما تجسّم حالتهم النفسية وما هم عليه من خوف وفزع"<sup>(٣)</sup>، فهذه الصورة الحركية بما أثارت في المخيلة من هول ورعب تؤدّي وظيفة تحذيرية، إذ تنفّر من المعاصي والأعمال الطالحة الموجبة للعقوبة بنار جهنم<sup>(٤)</sup>.

وحول إسهام الصوت في التّصوير الفنّي<sup>(٥)</sup>، يقول الدكتور صبحي الصّالح: "تكاد تستقلّ اللفظة بجرسها ونغمها، بتصوير لوحة كاملة يكون فيها اللون زاهياً أو شاحباً، والظّل شفيفاً أو كثيفاً"<sup>(٦)</sup>. ومضى يورد الكثير من الأمثلة على ذلك؛ نذكر منها قوله لافتاً الانتباه إلى الأثر النفسّي لتصوير المفردات بأصواتها: "حين تسمع همس السّين المكرّرة

١ - سورة الطور: ١٣.

٢ - عبد الرحمن، د. عائشة، الإعجاز البياني: ٤٣٢-٤٣٣.

٣ - الراغب، د. عبد السلام، وظيفة الصورة الفنية في القرآن: ص ٥٢.

٤ - يُنظر الكثير من الأمثلة القرآنية على الصور الحركية المُجسّدة لعذاب النار، في بحثنا للماجستير، قراءة جمالية في آيات النار (مخطوط)، بإشراف الأستاذ الدكتور نور الدّين عتر.

٥ - يُطلق النّقد الحديث على هذه الظّاهرة مصطلح الأونوماتوبيا (onomatopoeia) أي تجسيد الصوت للمعنى، فيكون الشّكل ذاته دالاً على مضمونه مصوّراً جوانب المعنى بصوته. وهذه السمة الفنية في العربية، بلغت حدّاً معجزاً في القرآن الكريم. يُنظر وهبة مجدي والمهندس كامل، معجم مصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط/٢، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان، ١٩٨٤م: ص ٣٤٠. وللتوسع حول هذه الظاهرة الفنية يُنظر ياسوف، دراسات فنية في القرآن: ص ٣٧١ وما بعدها. ويُنظر له أيضاً جماليات المفردة القرآنية: ص ٢٢٢ وما بعدها.

٦ - الصّالح، د. صبحي، مباحث في علوم القرآن: ص ٣٣٤.

تكاد تَسْتَشْفُ نُعومة ظلّها، مثلما تستريح إلى خَفّةِ وَقَعِها في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَنَسِ\* الْجَوَارِ الْكُنَسِ\* وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ\* وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾<sup>(١)</sup>. على حين تقع الرّهبة في صدرك وأنت تسمع لاهثًا مكروبًا صوت الدّال المنذرة المتوعّدة مسبوقًا بالياء المُشْبَعَة المديدة في لَفْظَة "تَحِيد" بدلًا من "تَحْرِف" أو "تَبْعُد" في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾<sup>(٣)</sup>، إذ رسمت كلمة (لَيُبَطِّئَنَّ) صورة التَّبَاطُؤِ بجرسها دون الاعتماد على الأنواع البلاغية القديمة، فهي لفظة حقيقية، ولكنها ترسم صورة من إيقاعها الموسيقي، وتعثّر اللسان في نطق حروفها حتّى كأنه يشدها شدًا، وهذا الجرس الموسيقي التَّقِيل للكلّمة يتناسق مع تصوير الحركة النَّفْسِيَّة المُصاحبة لحركة التَّنَاقُل والتَّعَثْر لهؤلاء المقصودين بالتَّصْوِير<sup>(٤)</sup>. فلجرس اللفظة، وموسيقاها الداخليّة، الناشئة من تأليف أصوات حروفها وحركاتها، وتوافق هذا الإيقاع الدّاخليّ مع دلالة اللفظ وقعه على النفس وإثارة الانفعال المناسب المعبر عن المعنى.

واللون أيضاً يسهم في رسم الصورة الفنّية، وقد اعتمد التّعبير القرآنيّ عليه لما له من أثر في النَّفْس الإنسانيّة. فاللون في الآخرة مثلاً يأتي علامةً بارزة على الأعمال، تشهيراً بأصحابها على رؤوس الأشهاد، ولتبيين المصير من خلال لون الوجه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَانذِقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، ففي هذه الصورة اللونية تعارض بين لونين؛ (الأبيض) وهو سمة المؤمنين، و(الأسود) وهو سمة من يكفر بعد الإيمان، وإن "التباين اللونيّ في هذه الآية يقدّم لوحةً رائعةً ذات تضاد بين مشهدين، وقد احتاج هذا التباين إلى تفصيلات

١ - سورة التكوير: ١٥-١٨.

٢ - سورة ق: ١٩.

٣ - سورة النساء ٧٢.

٤ - الراغب، د. عبد السلام، وظيفة الصورة الفنية في القرآن: ص ٤١. ويُنظر قطب، سيد، التصوير الفني: ص ٧٨. ويُنظر ما أورده من أمثلة في دراسة الدكتور تمام حسان في الفصل الثالث.

٥ - سورة آل عمران: ١٠٦.

تعضده، وتمكّنه من القلب، وانتباه المتلقّي، لذلك جاءت عبارات تفصيليّة لتُكمل جوانب الصورة، وتبيّن سبب اسوداد الوجوه وابيضاضها، ألا وهو الكفر والإيمان، وهذا التفصيل يزيد في العذاب والنّعيم، وفي التّحقير والتّكريم<sup>(١)</sup>. فالصورة هنا قدّمت مشهّدًا حسّيًا، ولكنّه منبعث عن تأثرٍ نفسيّ، ألقى ظلّه على هذه الوجوه فابيضت، وعلى تلك الوجوه فاسودّت<sup>(٢)</sup>. فللون علاقته الوثيقة بالفكرة، وقد جاء معبرًا عن المصير بلوحةٍ فنيّة رائعة.

أمّا النوع الثاني من الصّور فهو الصور البيانيّة، وقد توجهت عناية الدارسين إليها بصورة كبيرة في التّفاسير الشاملة، وخاصّة في تفسير الميداني، وتفسير الصّابوني، وتفسير دروزة؛ إذ خصّصوا فقرة في نهاية دراسة كلّ سورة لبحث الصور البيانيّة وتعداد ما جاء منها في تلك السّورة. ومن الدّراسات التي تناولت هذا النوع من الصّور، دراسة الدكتور عبد القادر حسين في كتابه "القرآن والصورة البيانيّة"، الذي قصر الصورة فيه على الأبحاث البلاغيّة القديمة، إضافة إلى غيره من الدّراسات التي بحثت هذا النوع من الصّور في سياق دراستها البيانيّة للقرآن. والصّور البيانيّة هي:

- **الصورة التّشبيهيّة: التّشبيه،** هو "الدّلالة على مشاركة أمرٍ لأمْرٍ في معنى"<sup>(٣)</sup>، وفي الصورة التّشبيهيّة "تعامل مع الواقع المحسوس بأبعاده، ومع الجوانب التّجريديّة الفكريّة، ومع أعماق الإحساس النفسيّ الدّاخلية"<sup>(٤)</sup>.

وقد انطلق الدّارسون المُحدثون في دراستهم لها، من أنّ "الصّورة التّشبيهيّة في القرآن الكريم تجمع بين الحسيّة والنّفسية ولا تقتصر على العناية بالظواهر الحسيّة،

١ - ياسوف، د. أحمد زكريا، الصورة الفنية في الحديث النبوي: ص ٦٠٤ ويُنظر ما بعدها.

٢ - قطب، سيد، مشاهد القيامة: ص ٢٣٧.

٣ - القزويني، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبدیع)، راجعه وصححه الشيخ بهيج غزاوي، ط/١، دار إحياء العلوم، بيروت-لبنان، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م: ص ٢٠٣.

٤ - الداية، د. فايز، جماليات الأسلوب "الصورة الفنية في الأدب العربي، ط/٢، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ١٤١١هـ-١٩٩٠م: ص ٧٢.

والعلاقات العقلية والقواعد الصارمة التي انتهت إليها البلاغة القديمة<sup>(١)</sup>. لذلك لم يبحثوا في التطابق الشكلي بين المشبه والمُشَبَّه به، بل تجاوزوه إلى التناسب النفسي والربط بين الشكل والمضمون، وكان حديثهم عنها منصباً على بيان أثر التشبيه في تصوير المعاني وتشخصيها، وقيمة فعلها في نفس متلقيها. وبهذا امتازت دراسة المُحدثين من دراسة القدماء الذين انصبَّ اهتمامهم على المُشابهة بين الطرفين والتطابق الخارجي بينهما دون البحث عن القيمة النفسية للأشياء، كما يقول الدكتور جابر عصفور<sup>(٢)</sup>.

ونورد مثلاً من دراسة المُحدثين لنلمح كيف وضحوا التناسب الظاهري والتناسب النفسي معاً في الصور التشبيهية القرآنية. يقول تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾<sup>(٣)</sup>، أشار الدارسون في تناولهم لهذه الصورة إلى أوجه التناسب بين المُشَبَّه والمُشَبَّه به، ومنها: "أنَّ العرجون القديم لا يُلتفت إليه، كذلك القمر في آخر الشهر. وأنَّ كلاً من القمر والعرجون القديم كانا محطَّ الاهتمام والأنظار في الماضي؛ القمر لضياؤه، والعرجون لثمره. وأنَّ النهاية لكل منهما الأفول والزوال بعد رحلة من العطاء والتعلُّق بهما"<sup>(٤)</sup>. فالدارسون لفتوا الانتباه إلى وجه الشبه، فبيَّنوا أنَّ صورة القمر تثير في النفس المشاعر نفسها التي يثيرها العرجون القديم، من حيث النمو والتحوُّل، ثمَّ الزوال والعدم، وأضاف الدارسون إلى ما تقدَّم الدلالة الدينية التي تُلقِي بها هذه الصورة في مخيلة القارئ، وهي أنَّ "صورة الإنسان في هذه الحياة تُشبه هذه الصورة الحسية"<sup>(٥)</sup> إذ إنَّ نهاية الإنسان الزوال والفناء بعد رحلة الحياة والعطاء.

١ - بدوي، من بلاغة القرآن: يُنظر ص ١٨٧-١٨٩. والصالح، د. صبحي، مباحث في علوم القرآن:

يُنظر ص ٣٢١-٣٢٢. والراغب، د. عبد السلام، وظيفة الصورة الفنية في القرآن: ينظر ص ٥٩-٦٠.

٢ - عصفور، د. جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط/٣، الناشر المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ١٩٩٢م: ص ١٩٣.

٣ - سورة يس: ٣٩.

٤ - الراغب، د. عبد السلام، وظيفة الصورة الفنية: ص ٦٤. وبدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن:

ص ١٩٢. ويُنظر شيخون، د. محمود السيد، الإعجاز في نظم القرآن: ص ٩٧.

٥ - الراغب، وظيفة الصورة الفنية: ص ٦٤.

ولحظ الدارسون أن "إيضاح القرآن للأُمور المعنويّة بالصور المحسوسة كان يكثر فيه الاعتماد على الصُّور المرئيّة"<sup>(١)</sup>. من ذلك تمثيله وهن ما اعتمد عليه المشركون من عبادتهم غير الله وهنّا لن يفيدهم فائدة ما، رغم ما يبذلون من جهدٍ يظنّونه مثمرًا وهو لا يجدي، بالعنكبوت ذلك الحيوان الذي يُتعب نفسه في البناء، ويبذل جهده في التّظيم، وهو لا يبني سوى أو هن البيوت وأضعفها، فقرن تلك الصُّورة المحسوسة إلى الأمر المعنويّ، ممّا أسهم في جعله أكثر وضوحًا وتأثيرًا<sup>(٢)</sup>، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وليس في القرآن سوى هذين اللونين من التّشبيه؛ تشبيه المحسوس بالمحسوس، وتشبيه المعقول بالمحسوس، وقد ألمّ الدارسون بخصائص التّشبيه القرآنيّ وأحصوا عناصره المستمدّة من عالم الإنسان والنبات والحيوان والجماد<sup>(٤)</sup>، وركّزوا على ألفاظه الدّقيقة المصورة الموحية، وأكّدوا تطلّب المعنى له.

فالتّشبيه القرآنيّ ليس عنصرًا إضافيًا في الجملة، بل هو جزءٌ أساسيٌّ لا يتمّ المعنى بدونه، وإذا سقط من الجملة انهار المعنى من أساسه، فهو يُعطي الفكرة صورة واضحة مؤثّرة. من ذلك مثلاً، إسهام التّشبيه في قوله تعالى: ﴿يَجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، في إدراك شدة الفزع والرّهبة التي ألمّت

١ - هذا التّركيز على المرئيّ لفت انتباه النّقاد على العموم، يقول الدكتور عصام قصبجي رحمه الله: "أجمع النّقاد أو كادوا على أنّ التّشبيه ينبغي أن يتعلّق بالمرئيّ". يُنظر كتابه نظرية المحاكاة في النّقاد العربيّ القديم، ط/١، دار القلم العربيّ، حلب، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م: ص ٩٧.

٢ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١٩٣-١٩٤.

٣ - سورة العنكبوت: ٤١.

٤ - يُنظر بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١٩٦-١٩٧. شيخ أمين، د. بكرى، التّعبير الفنيّ في القرآن: ص ١٩٨-١٩٩. وأبو زهرة، محمد، المعجزة الكبرى: ص ٢٣٢ وما بعد. والسيد، السيد تقي

الدين، نظرات في الأسلوب القرآنيّ: ص ١٢٩. وحسين، عبد القادر، القرآن والصورة البيانية: يُنظر

الكثير من الأمثلة على الصورة التّشبيهية في القرآن: ص ٤٤-٥٦.

٥ - سورة الأنفال: ٦.



بهؤلاء الذي دُعوا إلى الجهاد، فلم يدفعهم إيمانهم إليه في رضا وتسليم، بل ملاً الخوفُ نفوسهم من أن يكون الموتُ مصيرهم<sup>(١)</sup>. فالتشبيه لم يُقصد لذاته بل أتى ضرورةً في الجملة تطلبه المعنى ليصبح قوياً واضحاً.

- الصورة الاستعارية: والاستعارة كالتشبيه، تعتمد أيضاً على المُشابهة، ولكن المُشابهة فيها لا تقوم على ثنائية ملحوظة كما في التشبيه، بل تعتمد على التفاعل القوي بين طرفي التشبيه إلى درجة الصّهر في مركّب جديد، "نعيش فيه تلاقياً بين سياقين ودلالتين"<sup>(٢)</sup>، وهما سياق الكلمة المُستعارة والسياق الأساسي، فالصورة الاستعارية دلالةٌ جديدة، أو خرقٌ لنمط اللغة العرفية عبّر عنه القدماء بالمجاز، وينطوي اليوم تحت ما يُسمّى مفهوم الانزياح بمصطلحاته المتعددة<sup>(٣)</sup>.

وقد أدرك الأسلاف هذه الطّاقة في التعبير المجازي الاستعاري، وبيّنوا جمال التقريب بين الأطراف المُتباعدة، إلّا أنهم لم يدركوا ما في الاستعارة من تداخلٍ وتفاعلٍ وصهرٍ، وإعادة تشكيلٍ للمعنى<sup>(٤)</sup>. فتناول أكثر القدماء للصورة الاستعارية، كان يقوم على مفهوم "النقل" وثنائية المنقول منه والمنقول إليه، ولم ينظر إلى طرفي الاستعارة على أساس التفاعل بينهما.

أمّا تناول المحدثين لها فكان يركّز على التفاعل بين طرفي الاستعارة، والتفاعل مع السياق الواردة فيه، لتحقيق التناسب الشكلي والنّفسي في الصورة، مغفلاً تقرير نوع الاستعارة، وإجراءها، وإيراد ما ورد من نوعها في القرآن<sup>(٥)</sup>.

١ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١٩٨.

٢ - الداية، د. فايز، جماليات الأسلوب: ص ١٢٠. ويُنظر تعريف القرويني للاستعارة، الإيضاح: ص ٢٩٠.

٣ - يُنظر بتوسع ويس، د. أحمد محمد، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية: ص ١١١-١٢٠. ويُنظر مطلوب، د. أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ص ٨٢-٨٧.

٤ - عصفور، د. جابر، الصور الفنية في التراث النقدي والبلاغي: يُنظر ص ٢٢٥-٢٤٠.

٥ - نجد مثل هذا التقرير والإجراء وإيراد صور الاستعارات من النوع الواحد في كتب بعض الدارسين مثل: الإلتقان للسيوطي والبرهان للزركشي ومناهل العرفان للزرقاني، وذلك لأنها كتب غير مختصة بالدرس البياني، بل هي كتب في علوم القرآن.

من ذلك على سبيل المثال، تناول الدارسين لسرّ اختيار الكلمة المُستعارة (يموج) في قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾<sup>(١)</sup>، إذ بينوا أنّ هذه الكلمة (يموج) لا تقف عند حدّ استعارتها لمعنى "الاضطراب" بل إنّها تصوّر للخيال هذا المعنى الحاشد من الناس احتشادًا لا تدرك العين مداه، حتى صار هذا الحشد الزاخر كبحر، ترى العين منه ما تراه في البحر الزاخر من حركة وتموج واضطراب، ولا تأتي كلمة (يموج) إلّا موحية بهذا المعنى، ودالة عليه<sup>(٢)</sup>.

ومنه أيضًا، بيان الدكتور الراغب لما أوجت به الاستعارة في (مزق) من تفريق حسيّ ماديّ مع بقاء المعاناة النفسية بعد التمزيق والتفريق في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾<sup>(٣)</sup>، يقول: "التمزيق هنا يوحي بانتراع القوم من الجسم الحيّ للجماعة، وشدة معاناتهم النفسية بهذا التمزيق، لأنّ روابط القربى والمودة قائمة وممتدة ولكن التمزيق هو الذي شقّ هذه الروابط، وفرّقها مع بقاء الروابط النفسية، وذلك للإيحاء بتعذيبهم نفسيًا بهذا التمزيق والتفريق"<sup>(٤)</sup>. وقد نستطيع أن نلاحظ أنّ الدارسين يركّزون على اللفظ المُستعار، مؤكّدين أنّ الألفاظ المُستعارة ألفاظٌ موحية، تجعل القارئ يحسّ بالمعنى أكمل إحساس وأوفاه، وتجعل الأمر المعنويّ ملموسًا محسّسًا.

وقد كثر في القرآن أخذ الكلمات الموضوعية للأمور المحسوسة، ليدلّ بها على معقول معنويّ، يصير به كأنه ملموس مرئيّ، فضلًا عن إيحاءات الكلمة إلى النفس. من ذلك على سبيل المثال، قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، فالحقّ هنا يُعرض في صورةٍ ماديّة مجسّمة، يقذف به فوق

١ - سورة الكهف: ٩٩.

٢ - يُنظر بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ٢١٨. وشيخ أمين، د. بكرى، التعبير الفني في القرآن: ص ٢٠٣.

٣ - سورة سبأ: ١٩. والمقصود بمزقناهم: فرقناهم.

٤ - الراغب، د. عبد السلام، وظيفة الصورة الفنية في القرآن: ص ٦٩. ويُنظر بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ٢١٩. وشيخ أمين، د. بكرى، التعبير الفني في القرآن: ص ٢٠٣.

٥ - سورة الأنبياء: ١٨.

الباطل، فيعلوه فيزيلاه، وبالمقابل فإنَّ الباطل قد جسّم في صورة ماديّة محسوسة ولكنّها صورة هشّة هزيلة ضعيفة، سرعان ما تتهاوى أمام ضربات الحقّ في لحظة المواجهة<sup>(١)</sup>. وقد يهبُ القرآن في صورهِ الاستعاريّة، الحيّاة والانفعالاتِ الإنسانيّة للجماد، زيادة في تصوير المعنى وتمثيله للنفس. من ذلك على سبيل المثال، قوله تعالى: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾<sup>(٢)</sup>، إذ أضفت الصّورة على جهنم صفة الأدميين ومنحتها الشعور والانفعال ممّا دفعها للغضب حتّى كاد صدرها ينفجر حقداً على الكافرين ومقتاً لوجوههم السّود، "فليس في الصورة استعارة معقول لمحسوس فقط، بل استعيرت لجهنم شخصيّة آدميّة لها انفعالات وجدانيّة وخلجات عاطفيّة، فهي تشهق شهيق الباكيين، وهي تغضب وتثور، وهي ذات نفس حادّة الشعور"<sup>(٣)</sup>.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ الدّارسين المُحدثين فرّقوا في كلامهم على هذا النّوع من الاستعارة، الذي يبيث الرّوح في الجماد، والذي ذكره القدماء تحت "التّشبيه أو الاستعارة المكنية"، بين التّجسيم والتّشخيص<sup>(٤)</sup>، مبرزين جماليّة إضفاء المشاعر على الكائنات الجامدة، وكاشفين عن الدّلائل النّفسيّة الكامنة فيه.

- 
- ١ - الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن: ص ٦٩. ويُنظر بدوي، من بلاغة القرآن: ص ٢١٩. وشيخ أمين، التّعبير الفني في القرآن: ص ٢٠٣. والصالح، مباحث في علوم القرآن: ص ٣٢٥.
- ٢ - سورة الملك: ٧-٨.
- ٣ - الصالح، مباحث في علوم القرآن: ص ٣٢٥. ويُنظر قطب، سيد، مشاهد القيامة: ص ٢٠٨. عبد التّواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم: ص ٦٢. و يُنظر جاسم، يونس، الوصف في القرآن الكريم، ط/١، دار المكتبي، دمشق، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م: ص ٥٦. وللاطلاع على تحليل القدماء لها، يُنظر الرّماني، النكت في إعجاز القرآن: ص ٨٠. والرّضي، الشّريف، تلخيص البيان في مجازات القرآن، تح: محمد عبد الغني حسن، ط/١، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م: ص ٣٣٩.
- ٤ - التّجسيم: مشتق من جسم، وهو يعني إعطاء الفكرة جسمًا. والتّشخيص: مشتق من فعل (شَخَص) الذي يدلُّ على الوضوح والظهور، و(الشّخص) التي تختصُّ بالإنسان. وهو يعني إبراز الجماد أو المجرّد من الحياة من خلال الصورة بشكل كائن متميز بالشعور والحركة والحياة. يُنظر عبد النور، جبور، المعجم الأدبي، ط/١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م: ج ١/٥٩ و ج ١/٦٧. وللتوسع حول دراسة المُحدثين لهما مع الكثير من الأمثلة، يُرجع لقطب، سيد، التّصوير الفني في القرآن. و ياسوف، جماليّات المفردة القرآنيّة. وله أيضًا دراسات فنية في القرآن. والصالح، مباحث في علوم القرآن: ٣٢٢-٣٢٧.

وعلى هذا النحو مضى الدارسون يستشعرون جماليات التصوير الاستعاري في القرآن الكريم، مبتعدين عن جفاف القاعدة البلاغية الذي قد يُفقد، في بعض الأحيان، المشهد المرسوم قيمته التصويرية الفنية.

- الصورة الكنائية: الكناية هي كل لفظ دلّ على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصفٍ جامع بين الحقيقة والمجاز<sup>(١)</sup>. وعرفها الجرجاني بقوله: "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردّفه، فيومئُ إليه ويجعله دليلاً عليه"<sup>(٢)</sup>.

فالكناية طريقة من طرائق البلاغة، ومن الصور التي لا يصل إليها إلا من لطف طبعه، وصفت قريحته، ولها من أسباب البلاغة في ميدان التصوير الأدبي ما يجعلها دائماً الإشراق واضحة المعالم<sup>(٣)</sup>. والسرُّ في بلاغتها أنها في صور كثيرة تعطي الحقيقة مصحوبةً بدليلها، والقضية وفي طيها برهانها<sup>(٤)</sup>، إضافةً إلى وظيفتها المهمة في توجيه السلوك الإنساني، وفي إغناء اللغة عن طريق التوسّع في المعاني والتفنن في الألفاظ<sup>(٥)</sup>.

وتقوم الكناية في القرآن الكريم بدورٍ بلاغيٍّ وأسلوبِيٍّ، وتؤدي نصيبها كاملاً في أداء المعاني، وتصويرها، خير أداء وتصوير؛ فهي حيناً راسمة مصورة موحية، وحيناً مؤدبة مهذبة، تتجنب ما تنفر الأذن من سماعه، وحيناً موجزة تنقل المعنى وافياً في لفظ قليل ولا تستطيع الحقيقة أن تؤدي المعنى كما أدته الكناية في المواضع التي وردت فيها الكناية القرآنية<sup>(٦)</sup>.

١ - ابن الأثير، المثل السائر: ج٢/١٩٣.

٢ - الجرجاني، دلائل الإعجاز: ص٦٦. ومما تجدر الإشارة إليه أن دراسة عبد القاهر للكناية هي الصورة التي تناقلتها كتب المتأخرين.

٣ - عبد التواب، د. صلاح، الصورة الأدبية في القرآن الكريم: ص٦٧.

٤ - الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة: ص٢١١.

٥ - عربية، د. هيفاء، الكناية في البلاغة العربية "النظرية والتطبيق"، بحث ماجستير، جامعة حلب، ١٩٩١م: ص٢٠٩.

٦ - أحمد بدوي د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص٢٢٦. ويُنظر دُوب، د. رابح، البلاغة عند المفسرين: ص٣٣٥. ويُنظر عبد التواب، د. صلاح، الصورة الأدبية في القرآن الكريم: ص٦٩.

وإنَّ بحثَ الدَّارسين المُحدثين للصُّور الكنائيَّة قريبٌ من بحثِ الدَّارسين القدماء لها، الذين برعوا في تفرُّيع هذا النوع من التَّصوير، وتبويبه، وتوفير الشَّواهد عليه، وفهموه من روح التَّركيب في كلِّ نصٍّ على حدة. إذ "وجد جمهرة البلاغيِّين أنَّ صور الكناية تتضمَّن أشكالاً جماليَّة في التَّعبير عن الفكرة خلف اللفظ الظَّاهر، وأنَّ هذه الأشكال الجماليَّة بمنزلة دليل ومرشد ومنبِّه على الفكرة المقصودة، لأنَّها في الأساس جزء منه"<sup>(١)</sup>. وقد يتيسَّر لأحد الدَّارسين المُحدثين ذوقٌ خاصٌّ يُضيفه إلى المفهومات القديمة، ولكنَّ ذلك لم يبتعد كثيراً عن ملحوظات القدماء وتوجيهاتهم.

وقد كثرت هذه الصُّورة البلاغيَّة (الكنائيَّة) في القرآن في التَّعبير عن النَّدم، والحسرة، والكره، والأهوال، والعطاء، والشَّح، والإمساك، والجماع، والعفة، ونحو ذلك من المعاني المذكورة في القرآن. من ذلك على سبيل المثال، الكناية المصوِّرة المعبِّرة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾<sup>(٢)</sup>، فالتَّعبير عن البخل باليد المغلولة إلى العنق، "فيه تصوير محسوس لهذه الصِّفة المذمومة في صورةٍ قويَّة بغیضة منفرَّة، فهذه اليد التي غلَّت إلى العنق لا تستطيع أن تمتد، والقرآن بذلك يرسم صورة البخل الذي لا يستطيع يده أن تمتد بانفلاق ولا عطية، كما أنَّ التَّعبير ببسِّطها كلَّ البسط يصور لك صورة هذا المبذِّر الذي لا يُبقي من ماله على شيء، كهذا الذي يبسط يده، فلا يبقى بها شيء، وهكذا استطاعت الكناية أن تنقل المعنى قوياً مؤثراً"<sup>(٣)</sup>.

ومن الكناية المعبِّرة عن الهول، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ \* يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾<sup>(٤)</sup>، "فالصُّورة الكنائيَّة هنا تعبِّر عن ذهول النَّاس، وفزعهم من مشهد زلزال السَّاعة بحيث يبلغ الذُّهول مداه في

١ - ياسوف، د. أحمد، الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف: ص ٢٤٥.

٢ - سورة الإسراء: ٢٩.

٣ - بدوي، من بلاغة القرآن: ص ٢٢٦. ويُنظر عبد التَّواب، د. صلاح، الصورة الأدبية: ص ٦٩.

٤ - سورة الحج: ١-٢.

فقد السيطرة على النفس والإدراك من هول المشهد وعنف الزلزلة، والتعبير بالمرضع والحامل يمثل منتهى الذُهل وفقد السيطرة على الأعصاب"<sup>(١)</sup>.

ومن الكناية المهذبة، التي عني المحدثون بتجلية جماليتها عناية خاصة، قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾<sup>(٢)</sup>، فالعلان (هَمَّتْ) و (هَمَّ) "يختزان بهدف التهذيب والأدب كل تفاصيل الحادثة في تلك السورة التي تعدُّ منهجًا أخلاقيًا، ودرَسًا في الصبر على البلاء والإغراء"<sup>(٣)</sup>.

وعلى هذا النحو مضى الدارسون المحدثون ببرزون في دراساتهم دور الكناية القرآنية كأداة تصويرية رائعة، وُظفت في غايات دينية سامية، مؤكدين أن المعاني التي استقرت خلف حسيّة الكناية لم تكن غامضة إلى درجة الإلغاز، بل هي معانٍ واضحة جاءت بمثابة البرهان المادي للحقائق النفسية، وبهذا تكاملت الغاية الجمالية والغاية الدينية في التصوير الكنائي في القرآن الكريم.

وقد نستطيع أن نخلص مما تقدّم، إلى أن دراسات الدارسين المحدثين، سواء التي عرضت لما حفلت به الألفاظ القرآنية من ظلال وصور أم التي تناولت الصور البيانية، تحاول الكشف عن الدور الفعال للصور الفنية في القرآن الكريم في التعبير عن المعاني والأفكار، إذ أكدت هذه الدراسات أن الصور الفنية في القرآن ليست مجرد شكل زخرفي أو قالب مادي أجوف، بل هي شكلٌ خاصٌ حافل بالدلالة والإيحاء، سواء أكانت مُستمدة من الحقيقة أم من المجاز. فالصور الفنية في القرآن الكريم ركنٌ تعبيرِيٌّ من صلب المعنى، نظر كلُّ دارسٍ إليها حسب قدراته الفنية وثقافته، مبرزًا فاعليتها الفنية، وتناسقها مع الجو النفسي أو الشعوري العام الواردة فيه.

١ - الراغب، د. عبد السلام، وظيفة الصورة الفنية في القرآن: ص ٧٨.

٢ - سورة يوسف: ٢٤.

٣ - ياسوف، د. أحمد زكريا، جماليات المفردة القرآنية: ص ٢٥٦ ويُنظر كتابه دراسات فنية: ص ٤٤٧.

## - البحث في ألوان البديع:

**البديع:** عِلْمٌ يُعْرَفُ فِيهِ وَجُوهٌ تَحْسِينُ الْكَلَامِ، بَعْدَ رِعَايَةِ الْمَطَابَقَةِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ، وَوُضُوحِ الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَعْنَى الْمُرَادِ<sup>(١)</sup>. فَهُوَ يَدْرُسُ جَمَالِيَّاتِ الْأَدَاءِ أَوْ الصِّيَاغَةَ، أَوْ وَجُوهَ تَحْسِينِ الْكَلَامِ.

والمُحَسَّنَاتِ البَدِيعِيَّةِ عَلَى قَسْمَيْنِ: الْمُحَسَّنَاتِ اللَّفْظِيَّةِ، وَالْمُحَسَّنَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ. وَيَعَدُّ الْبَلَاغِيُّونَ أَنْوَاعًا كَثِيرَةً لِكُلِّ قَسْمٍ مِنْهَا، كَالْمَشَاكِلَةِ وَالطَّبَاقِ، وَالْجِنَاسِ، وَالْمَزَاوِجَةِ، وَالتَّقْسِيمِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمُحَسَّنَاتِ اللَّفْظِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ الَّتِي عَرَضَ لَهَا الْعُلَمَاءُ مِنْ أَلْوَانِ الْبَدِيعِ فِي الْقُرْآنِ<sup>(٢)</sup>.

وَالْوَاقِعَ أَنَّ اسْتِخْدَامَ هَذِهِ الْمُحَسَّنَاتِ بِخَاصَّةِ اللَّفْظِيَّةِ مِنْهَا، يَحَدِّدُهُ مَطْلَبُ تَوْصِيلِ الْفِكْرَةِ وَبَيَانِ الْمَعْنَى وَجَاذِبِيَّةِ الصُّورَةِ الْكَلَامِيَّةِ. وَقَدْ حَدَّدَ عَبْدُ الْقَاهِرِ الْجَرَجَانِيُّ الْكَيْفِيَّةَ الْمُثَلِّيَ لِاسْتِثْمَارِ هَذِهِ الْجَمَالِيَّاتِ وَتَحْقِيقِ الْغَايَةِ الْمَنْشُودَةِ مِنْهَا قَائِلًا: "الْعَمْرِي، لَنْ تَجِدَ أَيَّمَنَ طَائِرًا، وَأَحْسَنَ أَوْلَا، وَآخِرًا، وَأَهْدَى إِلَى الْإِحْسَانِ وَأَجْلَبَ لِلِاسْتِحْسَانِ، مَنْ أَنْ تُرْسِلَ الْمَعَانِيَّ عَلَى سَجِيَّتِهَا، وَتَدْعَهَا تَطْلُبُ لِأَنْفُسِهَا الْأَلْفَاظَ، فَإِنَّهَا إِذَا تُرِكَتْ وَمَا تُرِيدُ لَمْ تَكْتَسِ إِلَّا مَا يَلِيقُ بِهَا، وَلَمْ تَلْبَسْ مِنَ الْمَعَارِضِ إِلَّا مَا يَزِينُهَا"<sup>(٣)</sup>.

وَبِنَاءً عَلَى هَذَا، فَإِنَّ الْبَحْثَ فِي أَلْوَانِ الْبَدِيعِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَنُونِ الْبَيَانِ مِنَ الدَّرَاسَةِ وَالتَّحْلِيلِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مَبَاحِثَ الْبَدِيعِ مُتَفَرِّقَةٌ، إِذْ إِنَّ كُلَّ لَوْنٍ مِنْ أَلْوَانِهِ

١ - العاكوب. د. عيسى، المفصل في علوم البلاغة: ص ٥٥٥. ويُنظر الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة: ص ٢١٥-٢١٦.

٢ - نود أن نشير إلى أن الدكتور جابر فياض قرّر خلوّ القرآن الكريم من أحد ألوان البديع (التورية) خلوًّا تامًّا، مؤكّدًا أنه مهما كان للتورية من أهميّة فليس للقرآن الكريم بها حاجة. للتوسع يُرجع لكتابه فياض، د. جابر، التورية وخلوّ القرآن الكريم منها، ط/١، دار المنارة، جدة، السعودية، ١٩٨٥م-١٤٠٥هـ.

٣ - الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة: ص ١٤.

مستقلٌ عن صاحبه، فدراسةُ الجنس غير مرتبطة بدراسة الطَّباق، ودراسةُ المشاكلة غير مرتبطة بدراسة السَّجع، وهكذا، فليس فنٌّ منها مبنياً على فنٍّ، وليس فنٌّ قسيمياً لفنٍّ.

ولم يكن تناولُ الدَّارسين المُحدثين للبديع في القرآن، على أنه يجيء في المرتبة الثالثة بعد استيفاء علمي المعاني والبيان حقَّهما، بل نظروا إليه في نظمه الخاصّ من الأسلوب القرآنيّ دفعة واحدة، وأنَّ المُحسن يجيء في مكانه ليقوم بنصبيه من أداء المعنى أوّلاً، أمّا ما فيه من جمالٍ لفظيٍّ، أو حليةٍ شكليةٍ فإن ذلك يجيء من أن تلك العبارة أو هذه اللفظة بالذات، يتطلَّبها المعنى، ويتحمَّه المجيء بها دون غيرها من العبارات والألفاظ<sup>(١)</sup>. فتركيز الدَّارسين في تأملهم لألوان البديع كان منصباً على المعنى أكثر من الوقوف طويلاً أمام الناحية الجمالية أو البديعية للفظة.

من ذلك على سبيل المثال تأملهم للجناس التَّام في قوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾\*يَقْلَبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴿<sup>(٢)</sup>، يقول الدكتور بدوي: نجد كلمة (الأبصار) الأولى مستقرة في مكانها فهي جمع بصر، ويُراد به نور العين الذي يميّز بين الأشياء، وكلمة (الأبصار) الثانية جمع بصر بمعنى العين، ولكن كلمة الأبصار هنا أدلّ على المعنى المراد من كلمة العيون، لأنها تدلُّ على ما مُنحتَه العين من وظيفة الإبصار، وهي التي بها العظة والاعتبار<sup>(٣)</sup>. فكلّ كلمة في جملة الجنس حلت محلّها، بحيث لا تُعني كلمة أخرى في هذا الموضع غناءها.

ومنه أيضاً إيثار كلمة (النَّبأ) في قوله تعالى: ﴿وَجِئْنَاكَ مِنْ سَبَائِ بْنِ يَاقِينِ﴾<sup>(٤)</sup>، "لما فيها من معنى القوة، لأنّ هذه المادّة تدلُّ على الارتفاع والنتوء والبروز والظهور، فناسب

١ - ينظر بدوي، من بلاغة القرآن: ص ١٨١. و دوب، د. رابح، البلاغة عند المفسرين: ص ٤١٣.

٢ - سورة النور: ٤٣-٤٤.

٣ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١٨١-١٨٢.

٤ - سورة النمل: ٢٢.



مجيئها هنا، ووصف النبأ تأكيداً لقوته باليقين<sup>(١)</sup>. فأداء المعنى كاملاً، تطلب إيراد هذه الكلمة، حتى إذا وردت رأينا هذا التناسق اللفظي.

وعن المشاكلة<sup>(٢)</sup>، التي يمثل لها البلاغيون بقوله تعالى: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلَهَا﴾<sup>(٣)</sup>، ويشيرون إلى أنّ الجزاء على السيئة في الحقيقة ليس بسيئة، والأصل جزاء سيئة عقوبة مثلها، يقول الدكتور أحمد بدوي: "ولكنني أرى أنّ القرآن أجلّ من أن يُسمي الشيء بغير اسمه لمجرد وقوعه في صحبته، بل أرى هذا التعبير يحمل معنى، وجيء به ليوحي إلى القارئ بما لا يستطيع أن يوحي به ولا أن يدلّ عليه ما قاله إنه الأصل المعدول عنه، فتسمية جزاء السيئة سيئة، لأنّ العمل في نفسه سوء، وهو يوحي بأنّ مقابلة الشرّ بالشرّ وإن كانت مباحة، سيئة يجدر بالإنسان الكامل أن يترفع عنها، وكأنّه بذلك يشير إلى أنّ العفو أفضل وأولى"<sup>(٤)</sup>. فالدكتور بدوي، يعلّل المشاكلة بما يناسب المعاني القرآنيّة والأخلاق الدنيّة، ولم يكتف بما جاء في تعريفات البلاغيين.

ولعلّ أكثر ما عرض له الدارسون من ألوان البديع "المقابلة"<sup>(٥)</sup>، وهي ممّا يرتبط بالطباق، ولحظوا أنّها تكثّر في صور النعيم والعذاب أو الثواب والعقاب، ولسيّد قطب وقفات كثيرة عندها لأنّها عنده "طريقة من طرق التصوير، وطريقة من طرق التلحين"<sup>(٦)</sup>. من ذلك على سبيل المثال وقفته عند التّقابل بين النّعيم والعذاب في سورة الغاشية:

١ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١٨٣.

٢ - المشاكلة: أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته. العاكوب، د. عيسى، المفصل في علوم البلاغة: ص ٥٦٨. ويُنظر الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة: ص ٢٢٦.

٣ - سورة الشورى: ٤٠.

٤ - بدوي، د. أحمد، من بلاغة القرآن: ص ١٨٣-١٨٤.

٥ - المقابلة: أن يُؤتى بمعنيين متوافقين أو عدّة معانٍ متوافقة، ثم يُؤتى بمقابلات لها على ترتيبها. العاكوب، د. عيسى، المفصل في علوم البلاغة: ص ٥٦٢. ويُنظر الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة: ص ٢٢١.

٦ - قطب، سيد، التصوير الفني: ص ٨٢.

إذ يقول تعالى في وصف العذاب: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ\*وَجُودَ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةً\*عَامِلَةً نَاصِيَةً\*تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً\*تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ\*لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ\*لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾<sup>(١)</sup>.

ويقول في وصف النعيم: ﴿وَجُودَ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةً\*لِسَعْيِهَا رَاضِيَةً\*فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ\*لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَآغِيَةً\*فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ\*فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ\*وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ\*وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

فهنا "تقابل" كامل في جو النعيم وجو العذاب، وفي كل جزئية من الجزئيات، ولهذا قيمته الخاصة، و"هو لون" من ألوان التناسق في العرض"<sup>(٣)</sup> أسهم في استنارة الخيال لاستحضار صورة العذاب الحسي ومقابلتها بصورة النعيم المادي لبيان المفارقة بين مصير الكافر ومصير المؤمن، إضافة إلى إسهامه في تنسيق الصورة المرسومة بالألفاظ على نحو دقيق.

وخصّص الدكتور عبد السلام الراغب فقرة في كتابه وظيفة الصورة الفنية في القرآن للصور المتقابلة ورأى أنها تشكل ظاهرةً فنيةً في السياق القرآني، وأن هذا اللون من الصور يهدف إلى تحريك الذهن وتنشيط الخيال. من ذلك على سبيل المثال، قوله حول التقابل في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾<sup>(٤)</sup>: "فصورة البث والانتشار تقابلها صورة الجمع، تعرضان في سرعة خاطفة، حتى يستحضر الذهن هاتين الصورتين في سياق واحد، وآية واحدة، فيظل الحشر والجمع ملازمًا لصورة بث الخلق وانتشارهم"<sup>(٥)</sup>، رغم المسافة البعيدة بين الصورتين.

١ - سورة العاشية: ١-٧.

٢ - سورة العاشية: ٨-١٦.

٣ - قطب، سيد، مشاهد القيامة في القرآن: ص ١٨٦. ويُنظر له أيضًا التصوير الفني: ص ٨٣.

٤ - سورة الشورى: ٢٩.

٥ - الراغب، د. عبد السلام، وظيفة الصورة الفنية في القرآن: ص ٨٩.

فدراسة المُحدثين لهذه اللون من ألوان البديع ليست دراسةً معقّدة، بل هي نظراتٌ تُرسل في أعطاف الأساليب مبيّنة أوصافها في غير عناء، وقد يكون هذا راجعاً إلى ما قيل عن البديع: "إنَّ فنونه كأنّها تولد مكتملةً، فليست في حاجة إلى مراحل تاريخيّة وظروف ثقافيّة لتؤثر في نموّها وازدهارها كما هو الحال في مسائل النّظم والبيان"<sup>(١)</sup>.

وهكذا تبيّن لنا بما قدّمناه من نماذج على دراسات المُحدثين لألوان البديع في القرآن<sup>(٢)</sup>، أنّ الدارسين أشاروا في دراساتهم إلى روعة الأداء، وجمال الشكل في العبارة القرآنيّة، موضحين أنّ ما نشعر به من جمال لفظيٍّ حيناً ومعنويٍّ حيناً آخر؛ لم يأت إلّا من أنّ اللفظة القرآنيّة قد استدعاها المعنى ولم يكن ثمة لفظة أخرى تُغني عنها، فلما استقرت في مكانها زاد بها الكلام إشراقاً، والمعنى وضوحاً وجلالاً وقوة تأثير. وبهذا يكون علم البديع "حسناً ذاتياً وجزءاً مهماً من أجزاء الصورة البلاغيّة"<sup>(٣)</sup>، يتوافر فيه التّوصيل والتّأثير.

١ - أبو موسى، د. محمد، البلاغة القرآنية: يُنظر ص ٢٣١.

٢ - للاطلاع على ألوان البديع الواردة في القرآن يُرجع إلى المصري، ابن أبي الإصبع (عبد العظيم بن عبد الواحد)، تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن. ويُنظر الصابوني، محمد علي، صفوة التّفاسير: إذ أورد عقب تفسيره لكلّ سورة الألوان البديعية الواردة فيها. ويُنظر السيوطي، الإنّقان: ج ٢/ ٨٩٨-٩٣٩.

٣ - حمدي "أبو علي"، د. محمد بركات، كيف نقرأ تراثنا البلاغي: ص ٢٨.

## موازنة وتقييم

انطلاقاً من أنّ المعرفة لا يمكن أن تقوم على أساس صحيح، دون أن تؤسس على ما انتهى إليه الباحثون السّابقون، وما توصّلوا إليه في بحوثهم ودراساتهم، ومن حيث انتهوا تبدأ الإضافة، ويأتي الاستدراك والكشف والإبانة عن الجوانب التي أُغفلت، أو التي لم تعرف حقّ الوفاء. نقف في هذه الفقرة لنوازن بين جهودِ دارسي البيانِ القرآنيِّ قديماً وحديثاً؛ لنبرز مناحي التقارب ومناحي الاختلاف في التناولِ البيانيِّ القرآنيِّ عند الدّارسين القدماء والمُحدثين، ولنبيّن مجالي التّكرار والإعادة في تناول المُحدثين، ونُظهر مواطن الجِدَّة والأصالة ومناحي الإبداع والإضافة في تناولهم، مما يسمح بتحديد آفاق التّقليد والتّجديد في الدّرس البيانيِّ الحديث للقرآن الكريم، وإظهار قدرات الدّرسين على الكشف والإضافة، وبيان قابليّة النصِّ القرآنيِّ نفسه لفتح آفاق جديدة للتّناول البيانيِّ، بحسب المتأمّل أنّها موجودة بالقوّة في هذا المتن، ولا تحتاج إلّا إلى قلوب نُزعت عنها أفعالها، وأعين تُبصر، وأذان تسمع. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾<sup>(٢)</sup>.

فغابتنا فيما سيأتي إبرازُ التّواصل والافتراق بين الدّرس البيانيِّ القرآنيِّ القديم والدّرس البيانيِّ القرآنيِّ الحديث، والإشارة إلى عدم توقّف الدّرس البيانيِّ القرآنيِّ الحديث عند حدود الدّرس البيانيِّ القرآنيِّ القديم، برغم تأثر الدارسين المُحدثين بالدّارسين القدماء وإفادتهم الكثير من جهودهم.

ومن أجل هذا سنعرض للنقاط الآتية:

- تحرّر الدّراسات البيانيّة الحديثة من المباحث البلاغيّة.
- إدراك الدّارسين المُحدثين للخصائص العامّة في النصِّ القرآنيِّ.
- الدّرس البيانيِّ القرآنيِّ بين إجمال القدماء، وإسهاب المُحدثين.

١ - سورة القمر: ١٧.

٢ - سورة محمد: ٢٤.

- النَّقْصِيَّ وَالْإِحْصَاءَ فِي الدَّرْسِ الْبَيَانِيِّ الْقُرْآنِيِّ الْحَدِيثِ.  
ونختم بفقرة نوّكد فيها انفتاح النصّ القرآنيّ على آفاق جديدة في الدرس دائماً.

### - تحرّرات الدّراسات البيانية الحديثة من المباحث البلاغية:

إنّ أبرز ما سجّلناه على دراسات المُحدثين، التّحرّرات من المباحث البلاغية والانطلاق من لغة النصّ القرآنيّ نفسه، تلك المباحث التي غلبت على دراسات القدماء، فأفسدت إدراكهم للجمال الكليّ المنسّق، وانصرفوا عنه إلى التّقسيم والتّبويب<sup>(١)</sup>. إذ انطلق الدّارسون القدماء في دراساتهم من تحرير القاعدة البلاغية، وتقسيمها، وتفريعها، وما يندرج تحتها ثمّ تطبيقها على النّماذج التي تتفق مع القواعد الجزئية والعقلية، وبذلك أهملت كثير من الصّور الرّائعة، لأنّها لا تخضع لتلك القواعد ومقاييسها. فإذا ألقينا نظرة على دراسات القدماء، فإنّنا سنقع على أبواب مختلفة توحى عناوينها بالكثير مما ينطق به مفهومنا للدرس البيانيّ، ولكنّنا حين نمضي في قراءتها لا نستطيع أن نتملّى فيها جمال القرآن، بل نكوّن فكرة عن ولوع علمائنا الأقدمين بالتّفريع والتّبويب واستنباط القواعد البلاغية الكثيرة من الشّواهد القليلة<sup>(٢)</sup>. فأكثر الدّارسين القدماء كان همّهم أن يقسموا البلاغة على أقسام، ثمّ يورد الدارس التعريف وبعض الآيات، ليقرّر أنّ في القرآن هذا النوع من أنواع البلاغة.

فحول التشبيه - على سبيل المثال - في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> يذكر الدّارسون القدماء أنّ فيه عشر جمل، وقع التّركيب من مجموعها، بحيث لو سقط منها شيء اختلّ التشبيه؛ إذ المقصود تشبيه حال الدنيا في سرعة تفضيها، وانقراض نعيمها، واعتزاز الناس بها، بحال

١ - قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن: يُنظر ص ٢٧-٢٨.

٢ - الصالح، د. صبحي، مباحث في علوم القرآن: ص ٣٢١.

٣ - سورة يونس: ٢٤.

ماءٍ نزل من السماء، وأنبت أنواع العُشب، وزين بزخرفها وجه الأرض، كالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة، حتى إذا طمع أهلها فيها وظنوا أنها مسلمة من الجوائح أتاها بأس الله فجأة، فكأنها لم تكن بالأمس"<sup>(١)</sup>.

والواقع أن ما ذكره الدارسون القدماء في تناولهم لتلك الآية يدل على "إصابتهم في استخلاص وجه الشبه، ونقسيم التركيب القرآني إلى عشر جمل، أمّا موضع الجمال الحقيقي في هذا المشهد، مشهد الحياة القصيرة التي توشك أن تزول، فلم يتتبعوه في تنسيق الجمل العشر، والصور التي تطويها كل جملة منها في أوقات يتفاوت عرضها الخيالي طولاً وقصرًا، لأنّ هذا التفاوت في العرض الخيالي تبعًا لمرحل المشهد المصور لم يكن جزءًا من التشبيه المركب.

أمّا الدارسون المحدثون فقد أشاروا إلى المراحل التي أبطأ فيها التصوير وتمهل، أو التي اندفع فيها وأسرع، حتى تمّ لهذا المشهد القرآني من الإعجاز بالألفاظ الجامدة ما لا يتم من الإبداع بالريشة والألوان"<sup>(٢)</sup>. أي إنّ الدارسين المحدثين لا يهتمون بذكر الأنواع البلاغية التي تشتمل عليها الآيات القرآنية، بل ينطلقون من الآيات القرآنية ويتتبعون خواصّها التركيبية والفنية من غير الولوج في التسميات والتفريعات البلاغية.

والواقع أنّ القواعد التي وضعها الدارسون القدماء ضرورية ولكنها غير كافية؛ ضرورة لتحقيق الانسجام والتناسق بين عناصر الشكل الأدبي، وغير كافية لأنها لا بدّ أن ترتبط بالشعور الذي يمنحها الحيوية والقوة.

١ - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: ج ٢/٧٧٥-٧٧٦. وقد اعتمدنا على كتاب السيوطي في إيراد ما ذكره القدماء حول هذه الآية، لأنّ السيوطي يصهر فيه جمع المباحث القرآنية البيانية التي جمعها من عدد لا يُستهان به من المصنفات القديمة. ويُنظر الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن: ص ١٥٥. والحوائح: جمع حائجة، وهي ما ينزل بالمال من مصائب، كالجدب والمرض والحريق وغيره.

٢ - الصالح، د. صبحي، مباحث في علوم القرآن: ص ٣٢٣-٣٢٤.

وفي هذا الصدد يشير النقاد إلى التفاوت بين "الصورة القرآنية" وأدواق البلاغيين القدماء، الذين ظلوا في إطار الصورة الحسية الجزئية، ولم يرتقوا في قواعدهم إلى آفاق الصورة القرآنية التي تجمع بين الحسية والنفسيّة، والجزئية والكلية. وسبب ذلك كما يرى الدكتور عصام قصبجي - رحمه الله - يرجع إلى أنّ "صلة النقاد بتقاليد الشعر الجاهلي كانت أعمق من صلتهم بالتصوير القرآني"<sup>(١)</sup>.

وقد نجد اختلافاً قليلاً عند بعض الدارسين القدماء، نذكر منهم الرّماني، في فهمه للتشبيه مثلاً، إذ نراه يربط التشبيه ببقية أجزاء الكلام، ويركّز على وجه الشبه في تحليله للشواهد القرآنية، ويدرك الدلالة النفسية للتشبيه أحياناً. ففي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً﴾<sup>(٢)</sup>، يعلّق الرّماني على التشبيه بقوله: "ولو قيل يحسبه الرائي ماءً ثمّ يظهر أنّه خلاف ما قدّر لكان بليغاً، وأبلغ منه لفظ القرآن، لأنّ الظمان أشدّ حرصاً عليه، وتعلّق قلب به"<sup>(٣)</sup>. ولعلّ هذا الاختلاف في فهم الرّماني، وتمييزه عن غيره من الدارسين القدماء يرجع لكثرة اعتماده على القرآن الكريم في الاستشهاد لما يعرض له من الألوان البلاغية.

ونذكر أيضاً الجرجاني، الذي توسّع في شرح التشبيه وأرجع إعجاب المتلقّي به إلى الجمع بين المتباعدات فيه، لأنّها تحدث في نفسه الدهشة والاستغراب والإعجاز. يقول: "إذا استقرت التشبيهات وجدت التّباعد بين الشئيين كلما كان أشدّ، كانت إلى النفوس أعجب، وكانت النفوس لها أطرب، وكان مكانها إلى أن تُحدّث الأريحية أقرب"<sup>(٤)</sup>.

ولكنّ إعجاب المتلقّي بالتشبيه لا يرجع إلى الجمع بين المتباعدات فقط كما ذهب الجرجاني، بل يرجع إلى شعوره بالمعرفة الجديدة التي تزيده خبرةً، وفهماً لحقائق الأشياء أيضاً<sup>(٥)</sup>.

١ - قصبجي، د. عصام، نظرية المحاكاة في النقد العربي القديم: ص ١٠٠.

٢ - سورة النور: ٣٩.

٣ - الرّماني، النكت في إعجاز القرآن: ص ٧٥.

٤ - الجرجاني، عبد الفاهر، أسرار البلاغة: ص ١٣٠.

٥ - الراغب، د. عبد السلام، وظيفة الصورة الفنية في القرآن: ص ٦٢.

فالانطلاق من القواعد البلاغية وجعلها المعيار الوحيد في الدرس البياني يحصر عناية الدارس بالمناحي الشكلية، ويفوت عليه فرصة إدراك القيمة النفسية والمناحي التأثيرية. ولهذا تحرر الدارسون المحدثون، في درسه البياني من القواعد البلاغية، إذ أخذوا من البلاغة المقاييس المعيارية التي تعلمنا الحكم على الأعمال الأدبية من جهة، وتعلمنا أساليب التعبير الجميل من جهة أخرى، ولم ينطلقوا منها بل استفادوا منها في الدرس والتحليل وتركوا النص يعطي ما عنده. وهم، وإن انطلقوا في بعض الأحيان من البلاغة القديمة، فإنهم لم يتوقفوا عند حدودها، لأن الدراسات البلاغية والنقدية في تقدم مستمر في الكشف عن خصائص فنّ القول، والأسلوب التصويري المؤثر كما أنهم جمعوا بين التناسق الشكلي والتناسق النفسي ولم يفصلوا بين الشكل والمضمون وذلك لأنهم سعوا إلى الكشف، في أغلب الأحيان، عن دور القرآن في قيادة الحياة الإنسانية.

فقد فهم الدارسون المحدثون البلاغة القديمة، واستفادوا منها دون أن تكون منطلقهم الأساسي في الدرس والتناول، بل كان انطلاقهم من لغة النصّ القرآني نفسه، إذ لم ينقيدوا في دراساتهم بالقواعد البلاغية، ولم يبحثوا في أقسامها والعلاقات فيما بينها، لأنّ الانشغال بها يضيع على الدارس "جمال المناحي الفنية القرآنية"<sup>(١)</sup>، ولهذا تمعنوا ما تثيره الألفاظ والعبارات القرآنية من أمورٍ قد تدعو إلى التساؤل، من خلال بحثهم للكلمات القرآنية وخصائصها، والجمل القرآنية وما فيها من بدائع التركيب وأسرار النظم، وإجرائهم موازناتٍ دقيقة بين الألفاظ والعبارات تنبئ عن دقّتهم في تقدير الألفاظ وتحديد المعاني وفق ما يتطلبه السياق، ومن خلال بحثهم أيضاً في خصائص الأسلوب القرآني، وما حواه من صور فنية سواء حين عدل التعبير عن المؤلف إلى تعبيرٍ تصويريٍّ أم حين أوحى اللفظ بتلك الصور، وبذلك تكشفت لهم آفاق جديدة في الدرس البياني لم يُتاح للدارسين القدماء أن يصلوا إليها.

وثمة أمر آخر نودّ أن نشير إليه، وهو أنّ الدارسين القدماء كان همهم أن يمثّلوا لما جاء في القرآن بالأساليب العربية؛ فالكثير من دراساتهم لم تكن تبحث في إعجاز

١ - الصالح، د. صبحي، مباحث في علوم القرآن: ص ٣٢٦.



القرآن البياني بقدر ما كانت تنظر إلى طرق العرب في فنّ القول، وتقرن بينها وبين ما جاء في القرآن<sup>(١)</sup>. بل إن بعض دراسات القدماء يمكن أن تُعدّ مرجعاً أدبياً، لما نجده فيها من قصائد مطوّلة للجاهليين وغيرهم، إلى جانب تعليقاتهم الفنيّة، وهم يسردون هذه المطوّلات الشعريّة، لأجل توثيق فنّ قرآنيّ بما ورد عن العرب<sup>(٢)</sup>. من ذلك مثلاً، دراسة الباقلائي كان يجنح -في أكثر الأحيان- إلى نقد القصائد، والموازنة بين شاعرين، حتى إذا أورد الآيات القرآنيّة أوردتها من غير تعليق قائلاً: "فكر في هذه الكلمات من القرآن، كلّ واحدةٍ منها كالنجم في علوّه ونوره، وكالياقوت يتلألأ بين شُدُوره"<sup>(٣)</sup>، فهو يكتفي بعبارات المديح والإطراء، من غير أن يقدم تقييماً أو موازنة كما في تناوله لنصوص الشعر.

في حين أنّ الدارسين المُحدّثين لم يعمدوا إلى التمثيل لما جاء في القرآن بالأساليب العربيّة، إلّا في القليل النادر. إذ إنهم، وإنّ تعرضوا للمقارنة بين القرآن والشعر فإنهم كانوا أكثر وعياً، فلم يكثرُوا من المقارنات، ولم يذكروا الشواهد الشعريّة إلّا للتدليل على جمال القول في بعض المواضع.

### – إدراك الدّارسين المُحدّثين للخصائص العامّة في النّصّ القرآنيّ:

توقّفت الدّراسات البيانيّة القرآنيّة القديمة، رغم أنّ الدّارسين القدماء قدّموا جهداً كبيراً في وضع القواعد التي استنار بها الدّارسون المُحدّثون في درسهام البيانيّ القرآنيّ واستعانوا بها على إدراك الخصائص العامّة في النّصّ القرآنيّ، عند الجزئيات. فجهودهم وقفت عند حدود عقليّة النّقد العربي القديم تلك العقليّة الجزئيّة التي تتناول كلّ نصّ على

١ - يُنظر ما أوردناه في الفصل الأول حول هذا الأمر.

٢ - يُنظر بتوسع ياسوف، د. أحمد، دراسات فنية في القرآن: ص ١٠٦-١٠٧.

٣ - إعجاز القرآن، الباقلائي: ص ١٩٢ ويُنظر ص ٢٤٥.

حدة، فتحلّه وتُبرز الجمال الفنّي فيه إلى الحدّ الذي تستطيع دون أن تتجاوز هذا إلى إدراك الخصائص العامّة في العمل الفنّي كلّهُ<sup>(١)</sup>.

يقول الدكتور البيومي مشيراً إلى تأثر دراسي البيان القرآنيّ القديماً بالنظرة النقديّة الجزئيّة التي كانت سائدة في عصرهم: "كانت النظرة الجزئيّة لدى النقاد من العرب حاجزة دون الشمول العامّ للأثر الأدبيّ، فهم يهتمّون بالبيت تحليلاً وتفسيراً دون نظرٍ إلى موضعه من القصيدة كما يقفون عند جملةٍ من الرسالة أو الخطبة باحثين عن مطاوبها البلاغيّة دون اهتمامٍ في الغالب الأكثر بالموضوع العامّ ومكان هذه الجملة منه، وكذلك امتدّ هذا النظر الجزئيّ إلى أكثر من يتعاطون التفسير البيانيّ، فأخذوا يُمعنون النظر في دراسة التراكيب القرآنيّة إمعاناً بلغ النّهاية وجاوز الغاية في منحاها، وظهرت لهم في هذه النّاحية دلائل ذوق ناقد يلمح الخوافي المستترّة مكشوفة سافرة، ويُدرك أقصى اللطائف البعيدة بحساسيّة شفافة ممتعة"<sup>(٢)</sup>.

والواقع أنّ وقوف الدّارسين القديماً عند خصائص النّصوص المفردة، وعدم تجاوزها إلى الخصائص العامّة أدّى إلى إغفالهم، في كثيرٍ من الأحيان، دور السّياق في الدّرس البيانيّ القرآنيّ، إذ درسوا الظّاهرة البيانيّة وخصائصها معزولة عن الصّورة العامّة للنّص، فغالباً ما وقفوا عند النّصّ الواحد فاقتطعوه اقتطاعاً من الوحدة القرآنيّة، ودرسوه وحده دراسةً تحليليّة جزئيّة ذهب بمعالم جمالها خلفهم الذي لا ينتهي حول مشكلة اللفظ والمعنى، فكانت النزعة الكلاميّة تُفسد عليهم تذوّقهم للنّصوص، وإدراكهم مواطن البلاغة والإعجاز<sup>(٣)</sup>.

والحق أنّ هذه الدّراسات الجزئيّة مفيدة لفهم الظّاهرة البيانيّة، لكنّ الاقتصار عليها، وحصر الجهود فيها، وجعلها معياراً للجمال، يضرّ بالفهم الكلّي للنّصّ القرآنيّ،

١ - قطب، سيد، التّصوير الفنّي: ص ٣٢.

٢ - البيومي، د. محمد رجب، خطوات التفسير البياني: ص ٢٦٩-٢٧٠.

٣ - الصالح، د. صبحي، مباحث في علوم القرآن: يُنظر ص ٣١٣.

ويُضعف من إدراك فكرته التي جاءت الظاهرة البيانية -موضوع الدراسة- تعبر عنها في لُحمة متماسكة ونسيج فنيّ موحد<sup>(١)</sup>.

وهكذا اقتصرت دراسات القدماء في الغالب على الآيات التي عرضوا لها، ولم يحاولوا الوصول إلى قاعدةٍ عامّةٍ، وليس معنى هذا أننا نقلل من جهود الدارسين القدماء، فجهودهم في هذا الميدان كبيرةٌ، بل نريدُ أن نوضّح أنّ الدارسين المُحدثين تابعوا الخطّ الذي سلكه الدارسون القدماء، وتداركوا التّقصير الذي وقعوا فيه.

وقد وجدنا هذا الاستيفاء للخصائص العامّة عند الدارسين المُحدثين الذين بحثوا في الظواهر البيانية على أنّها صور كئيّة فنيّة، متولّدة من تفاعل عناصرها، وتلاحم الشّكل بالمضمون، والفكر بالشّعور، والغرض الفنّيّ بالغرض الدّينيّ، وهذا ما جعلها تكتسب هذه الخصوصية المتميّزة في التعبير والتّصوير والتّأثير الدّينيّ. إذ إنّ أكثر دراسات المُحدثين ربطت الظاهرة البيانية بالنّسق الواردة فيه، ونظرت إليها من خلال السّياق العامّ، الذي بدت فيه لبنةٌ من لبناته تؤدّي وظيفتها ضمن البناء العامّ أو الصّورة الكليّة.

نذكر على سبيل المثال دراسات الدكتور فاضل السامرائي التي كان قوامها ربط الظاهرة البيانية بسياقها، لبيان كيف جاءت مناسبةً له تمام المناسبة، بل إنّ الدارسين المُحدثين وسّعوا نظرهم لتتناول جميع الآيات القرآنيّة التي وردت فيها الظاهرة المدروسة، محاولين الوصول إلى النّظام القرآنيّ كلّهُ، وذلك من خلال المنهج الاستقرائيّ الإحصائيّ الذي انطلقت منه الكثير من دراساتهم.

وهكذا بدت الظاهرة البيانية في أكثر دراسات المُحدثين بجمالها الكامل لأنّها استعرضت مع السّياق الواردة فيه، وربّطت به، ونظرت إليها من خلال نسقها القرآنيّ العامّ.

### - الدّرس البيانيّ القرآنيّ بين إجمال القدماء وإسهاب المُحدثين:

وممّا لمسناه من فروق بين دراسات القدماء ودراسات المُحدثين "إجمال القدماء وإسهاب المُحدثين"، فالدارسون القدماء في أكثر دراساتهم البيانية، كانوا يعبرون عن

١ - للتوسع حول يرجع إلى الراغب، د. عبد السلام، وظيفة الصورة الفنية في القرآن: ص ٥٧-٦٣

إحساسهم بالإعجاز، ولكنهم لم يستطيعوا -غالبًا- تحليله وتعليقه، وكانوا "يسجلون إعجابًا غامضَ الأسباب؛ إذ إنهم، وإن أفاضوا وفصلوا القول، يعودون عفوًا إلى شيءٍ من الإجمال والتعميم، ويلقون بعباراتٍ عامّة، ولعلّ منشأ هذا تقدّم العاطفة الدنيّة على النظر الفني"<sup>(١)</sup>.

فالباقلائي، على سبيل المثال، في كتابه "إعجاز القرآن" اعتمد غالبًا -في دراسته للمناحي البيانيّة الإعجازيّة- على الألفاظ العامّة وعبارات الإطراء؛ فمثلاً يقول عن الآيات من سورة يس: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ\* وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ\* وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾<sup>(٢)</sup>: "ثمّ تأمل قوله تعالى: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسَلَخُ...﴾ هل تجد كلّ لفظة، وهل تعلم كلّ كلمة، تستقلّ بالاشتمال على نهاية البديع، وتتضمّن شرط القول البليغ؟ فإذا كانت الآية تنتظم من البديع، وتتألّف من البلاغات، فكيف لا تفوت حدّ المعهود، ولا تجوز شأوَ المألوف؟ وكيف لا تحوز قصبَ السبق، ولا تتعالى على كلام الخلق؟"<sup>(٣)</sup>.

فقول الباقلائي، هو من ناحية، تعبيرٌ عن إعجابه بالقرآن وإحساسه بإعجازه لا تحليلٌ وتوضيحٌ للإعجاز نفسه في هذه الآيات، ومن ناحيةٍ أخرى، وصفٌ عامٌ يصلح لهذا النصّ القرآنيّ كما يصلح لأيّ نصّ آخر في القرآن، وهذا دليلٌ على إجمال القدماء في درّسهم البيانيّ وعلى عمومية دراساتهم التي لم تكن قد مالت في أغلب الأحيان إلى التخصيص الذي يبرز جانب الجمال القائم بهذا النصّ دون غيره من النصوص.

وقد تنبّه الدكتور عبد الكريم الخطيب إلى هذا التّقصير، وكذلك الدكتورة عائشة عبد الرحمن، التي أشارت إلى أننا في دراسة الباقلائي للإعجاز البيانيّ كثيرًا ما نكون

١ - ياسوف، د. أحمد زكريا، دراسات فنيّة في القرآن: ص ٩٦.

٢ - سورة يس: ٣٧-٣٩.

٣ - الباقلائي، إعجاز القرآن: ص ١٨٨-١٨٩.

إزاء عبارات مطلقة مكرورة المعاني، مثل قوله: "خارج عن الوحشي" وقوله: "يسابق المغزى منه عبارات إلى النفس، وهو مع ذلك ممتنع المطلب عسير المتناول"<sup>(١)</sup>.

وهنا نتساءل اكنفى الباقلاني بإطلاق العبارات الموجزة العامة مع أنه شار في كتابه إلى وجود دقائق بلاغية لا يدركها إلا القارئ المدقق المعن النظر، يقول: "ألا ترى أن الإعجاز في بعض السور والآيات أظهر، وفي بعضها أغمض وأدق"<sup>(٢)</sup>. فينبغي إذن الابتعاد عن إطلاق العبارات المضمنة، و الميل إلى التخصيص، وتوضيح ما حواه كل نص قرآني -على حدة- من أسرار بيانية وشواهد إعجازية يتحدى بها. وقد يكون هذا الجرح إلى الإجمال سببه ما قاله الخطيب: "ما إن يقف المرء، تجاه القرآن حتى تأخذه الروعة منه، وتستبد بمشاعره هذه القوى الروحية السارية فيه، فإذا هو شاعر يتملى من هذا الجمال"<sup>(٣)</sup>.

أما الدارسون المحدثون، فقد ابتعدت دراساتهم في الغالب عن التعميم ومالت إلى التخصيص، إذ لم تكن بإطلاق عبارات الإطراء المضمنة، بل أسهبت في الجانب التطبيقي والتحليل وتعمقت في دراسة البلاغة القرآنية وسعت إلى إيضاح سر كل إحساس بالجمال أو الروعة، بالنظر إلى البناء الداخلي للنصوص القرآنية ومحاولة تذوق هذا البناء -قدر المستطاع- ثم التعبير عن هذا الذوق بتحليل النص تحليلاً منطقياً محدداً العلاقات الداخلية في ذلك البناء المتين.

فأكثر دراسات المحدثين لم تقدم رأياً انطباعياً بل كانت تقدم -في الغالب- رأياً علمياً، إذ كانت تحلل وتذكر العلل والأسباب سواء أكانت هذه العلل معنوية أم لفظية أم سياقية أم صوتية في بعض الأحيان.

وهذا لا ينفي سيطرة الإجمال على بعض دراسات المحدثين؛ فالرأفي على سبيل المثال، قد أخذته روعة الآيات القرآنية في كتابه "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية" فملاً

١ - عبد الرحمن، د. عائشة، الإعجاز البياني للقرآن: يُنظر ص ١٠٥-١٠٦.

٢ - الباقلاني، إعجاز القرآن: ص ٢٥٥.

٣ - الخطيب، د. عبد الكريم، إعجاز القرآن: ج ١/٣٤١.

الصّفحات لا يكاد يلمّ بشاهدٍ من آيةٍ قرآنيّة، أو أصلٍ واحدٍ مقرّرٍ من أصول البلاغة<sup>(١)</sup>. ونحن لا نأخذ عليه ذلك، إذ كانت له وقفات مدقّقة - كما أسلفنا - في كلمة واحدة، بل في حركةٍ من الكتاب الكريم، تؤكّد حرصه على توضيح وجه الإعجاز بشكلٍ علميٍ دقيقٍ في الآيات القرآنيّة التي عرض لها.

والحق أنّ الدارسين - القدماء والمُحدثين - انكبوا على دراسة القرآن وسعوا إلى التّدليل على مواطن إعجازه، ولكن منهم من قدّم المزيد من التفصيلات ومنهم من جنح إلى الإجمال. ونلتمس العذر لمن جنح إلى الإجمال أنّهم أحسّوا بالإعجاز، لكنهم ظلّوا يدورون حول إحساسهم بهذا الإعجاز، فعبّروا عن إحساسهم هذا لا عن الإعجاز.

### - التّقصي والإحصاء في الدّرس البيانيّ القرآنيّ الحديث:

أتّمت دراسات المُحدثين في الغالب، كما تبيّن لنا، بطابع المنهج الاستقرائيّ الإحصائيّ، الذي يتقصّى ما ورد حول الظّاهرة البيانيّة - موضوع الدّراسة - ويحصي ما جاء منها في القرآن الكريم للوصول إلى دلالتها، وعرض الظّاهرة البيانيّة على كلّ نظائرها في القرآن الكريم، وتدبّر سياقها الخاصّ في الآية أو السّورة، ثمّ سياقها العامّ في المصحف كلّ التماساً لسرها البيانيّ، وبهذا يقدم الدّارس الفروق الدّقيقة في بنيات النّظم القرآن بمتابعةٍ دقيقةٍ واستقصاءٍ شامل<sup>(٢)</sup>.

وقد استطاع الدّارسون المُحدثون، باتّباعهم لهذا المنهج الاستقرائيّ الإحصائيّ، أن يقدّموا رؤيةً جديدةً على رؤية القدامى، الذين غابت عنهم في بعض الأحيان هذه الفروق لعدم تدقيقهم بين محتويات كلّ سياق على حدة. من ذلك على سبيل المثال، استخلاص الزمخشري مفهومًا دينيًّا من صيغ الفعل في الآية الكريمة: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا

١ - العقاد، عباس محمود، ساعات بين الكتب: ص ٢٧-٢٨. ويُنظر الرافي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن: ص ١٩٤-٢٠٦. وغيرها.

٢ - وجدنا هذا المنهج على نحوٍ خاصّ في دراسات الدكتورة عائشة عبد الرحمن، والدكتور حسن طبل، والدكتور فاضل السامرائي، وغيرهم.

اِكْتَسَبَتْ ﴿١﴾، يقول: "فإن قلت: لم خصَّ الخير بالكسب، والشر بالاكْتَسَاب؟ قلت: في الاكْتَسَابِ اعْتِمَالٌ، فلما كان الشرُّ مما تشتهيهِ النَّفْسُ، وهي منجذبةٌ إليه وأمارةٌ به، كانت في تحصيله أعمل وأجدّ، فجعلت لذلك مكتسبةً فيه، ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال" (٢).

ولكن هذا المفهوم الذي استخلصه الزمخشري، ليس مطردًا في كلِّ القرآن الكريم، إذ ذُكر الكسب في مضمارة الشرِّ، من ذلك ما جاء في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٣).

وقد انتبه إلى ذلك الدارسون المحدثون، إذ تتبَّعوا مواضع الصِّيغَتَيْنِ، وبيَّنوا أنَّ (اكتسب) في القرآن لا نجدها قد جاءت بمعنى كسب الحسنات أبدأً، أي أنَّ القرآن لم يعبر عن كسب الطَّاعة إلَّا بصيغة (فعل). أمَّا في المعصية فقد عبَّرَ بـ (فعل) و (افتعل) ليشمل كلَّ معصية سواء ما كان باعتمالٍ وتكلفٍ واجتهادٍ ومبالغةٍ، أو ما كان بلا مبالاةٍ ولا تكلفٍ فيها (٤).

والحقُّ أنَّ الفروقَ بين الصِّيغَةِ القرآنيَّةِ لا يمكن أن تخفى على الدَّارس القديم، إلَّا أنَّ غيابَ الاستقراء والإحصاء في دراسات القدماء أدَّى إلى عدم تلمُّس ما في الصِّيغِ من مواعمةٍ لتمام الفكرة على نحوٍ أكثر دقَّةً وشمولاً. من ذلك على سبيل المثال، ما لحظه الدَّارسون من إفادة الكلمة القرآنيَّةِ لمعنى مقابل لمعناها في حال استعمالها بصيغة الجمع؛ فهذا الأمر أشار إليه الدَّارسون القدماء إلَّا أنَّهم لم يقدموا سبراً للبعد الدلالي، ولم يحصوا كل ما ورد منه في القرآن (٥).

١ - سورة البقرة: ٢٨٦.

٢ - الزمخشري، الكشاف: ج ١/٣٨٤.

٣ - سورة النساء: ١١١.

٤ - يُنظر بتوسع هنداوي، د. عبد الحميد، الإعجاز الصرفي في القرآن: ص ١٣٠-١٣٣.

٥ - ينظر ما أورده في فقرة الأفراد والتنثية والجمع، حول معنى (الريح) في حالة الأفراد، ومعناها في حالة الجمع، وقد ذكرنا أنَّ الجاحظ تنبَّه إلى هذا الفارق الدلالي إلَّا أنَّه لم يفصل القول فيه، على حين جاءت دراسة المحدثين أكثر دقة و أوسع تفصيلاً.

ويمكن القول: إنَّ ما جاء في كتب الدرس البيانيِّ القرآنيِّ القديم هو تَخْيِرٌ لا استقصاء، فالدارس القديم كان يتخَيَّر ولا يستقصي، يَقِفُ عند بعض الآيات يحلِّلها ويبيِّن ما فيها من مناحي إعجازيَّة، دون أن يقف عند ناحية بعينها مستقصياً ما جاء حولها في القرآن كلّه.

وإنَّ ما جاء في كتب الدرس البيانيِّ القرآنيِّ الحديث هو -في الغالب- استقصاء، إذ إنَّ الدارسين المحدثين في الغالب عمدوا إلى الاستقصاء إمَّا عن طريق محاولة استيفاء المناحي الإعجازيَّة في سورة كاملة دون لجوءٍ إلى التخيَّر، وإمَّا بتخيَّر بعض المناحي الإعجازيَّة ولكن باستقراء ما جاء حولها في القرآن كلّه وإيضاح معانيها ودلالاتها في ضوء هذا الاستقراء. وبذلك جاءت دراساتهم أكثر دقَّة وشمولاً.

وعلى هذا النحو مضى أكثر الدارسين المحدثين، لم يحاولوا التخلِّي عن جهود الدارسين القدماء، أو نقضها، أو التقليل من شأنها، بل قصدوا إلى إضافة الجديد إليها، أو السير خطوة أخرى في مسيرة الكمال، وهذا يؤكِّد أنَّ أي خطوة للبناء المتطور يجب أن تقوم على أساس قديم متين، إذ إنَّ "جهود الباحثين في الجوانب الإنسانيَّة يكمل بعضها البعض الآخر، على خلاف ما يجري في العلوم التجريبيَّة التي يكثر فيها هدم الجديد للقديم، وتقويضه والانصراف عنه"<sup>(١)</sup>.

حاولنا فيما سبق أنْ نقدّم نبذةً بسيطةً نقيّم فيها دراسات المحدثين، موازين بين مناهجهم ومناهج القدماء في الدرس البيانيِّ، ولم تكن غايتنا بالطبع أن نبخس أحداً منهما حقّه، إذ الدارسون في كلتا المرحلتين عكفوا على دراسة القرآن الكريم، وقدموا تحليلات بيانيَّة قيّمة، فالدارسون القدماء، دافعوا بدارساتهم البيانيَّة عن القرآن دفاعاً قوياً صادقاً، وما وجدناه من مأخذ لم يكن مقصوداً، إذ كانوا شديدي الغيرة عليه أدباء وفلاسفة ومتكلمين ولغويين، ولا بدَّ أن نلتمس لهم العذر فيما سجلناه عليهم من مأخذ.

١ - الخفاجي، د. محمد علي رزق، رؤية فنية لنص قرآني: ص ٤.



والدّارسون المُحدثون، استعانوا بإشارات الدّارسين القدماء وتحليلاتهم، ونهلوا من النّقد والفنون المعاصرة ما عدّ مفاتيح لفهم النّصوص القرآنيّة وبلاغتها، إذ إن تقدّم الدّراسات النّقدية والفنيّة يُعدّ مفتاحًا لدرسٍ بيانيّ جديد في إعجاز القرآن واحتواء شكله الفنيّ لمضمونه الدّينيّ. وبذلك أضافوا وأبدعوا، واستكفوا أدقّ أسرار التّعبير القرآنيّ، مرتقين بالدّرس البيانيّ من أفق المصطلحات البلاغيّة الضيق إلى أفق التأمّل الذوقيّ المؤثّر في الوجدان، ومن الدّرس الجزئيّ إلى الدّرس الكليّ القائم على التّقصيّ والإحصاء.

وبعد، فإننا نودّ أن نشير إلى:

### – انفتاح النّصّ القرآنيّ على آفاقٍ جديدةٍ دائماً:

يتأكّد لنا من خلال ما طالعناه من دراسات بيانيّة قديمة، وما نعاصره من دراسات بيانيّة حديثة تُقدّم ملامح جديدة في إعجاز القرآن البيانيّ، أنّ النّصّ القرآنيّ ليس معجزاً وفق مقياسٍ معيّن أو ذوقٍ معيّن، بل هو مفتوحٌ دائماً على آفاقٍ جديدةٍ في الدّرس والتّناول يحسب المتأمّل أنّها موجودة بالقوّة في هذا النّصّ المُحكّم المتين، ولا تحتاج إلّا إلى قلوب نُزعت عنها أفعالها، وأعين تُبصر، وآذان تُسمع. وهذا من دلّائل إعجازه، إذ إنّه ما يزال معجزاً منذ نزوله إلى أن يرث الله الأرض ومنّ عليها، ولكن في كلّ مرحلة زمنيّة يُستنبط منه قيمٌ أدبيّة وجماليّة وفقاً لما يُستحسن في ذلك العصر من أنماط الكتابة الرفيعة والخواص الأسلوبية القيّمة. وهذا هو سرُّ الإعجاز مع كثرة الباحثين في لفظه ومعناه، وفي آياته وسوره، سيبقى مفتوحاً للنظر، لمن يأتي بعدنا، وسيجد فيه الدّارسون في المستقبل ملامح إعجازيّة وأسراراً بيانيّة لم تخطر لنا على بال. قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال سهل بن عبد الله كما ورد في البرهان: " لو أُعطي العبد بكلّ حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما

١ - سورة الإسراء: ٨٥.

٢ - سورة لقمان: ٢٧.

أودعه الله في آية من كتابه، لأنه كلام الله، وكلامه صفته، وكما أنه ليس لله نهاية، فكذلك لا نهاية لفهم كلامه، وإنما يفهم كلُّ بمقدار ما يفتح الله عليه..<sup>(١)</sup>.

فهذا الكتاب العزيز "لا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، و لا تَتَقَضِي عَجَائِبُهُ"<sup>(٢)</sup>، وكلَّ جيلٍ يقول فيه كلمةً ليست الأولى وليست الأخيرة، بل إنَّ ظاهرة التَّجَدُّد التي لم يزل القرآن معها حيًّا متجدِّدًا يفوق طاقة الدارسين ولا يزال كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومنَّ عليها ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾<sup>(٣)</sup>، من أجلَّ خصائص الإبداع في النظم القرآني. وعليه فإنَّ ما قدَّمه الدارسون على سعة علمهم واطِّلاعهم وكثرة دراساتهم، ليس تجلية لكلِّ ما في القرآن من مناحي إعجازية وأسرار بيانية، بل هو ملامح ودلائل، تدلُّ على أنَّ هذا القرآن كلامٌ فنيٌّ مقصود، وُضِعَ وضعًا دقيقًا ونُسجَ نسجًا مُحكمًا فريدًا، لا يشابهه كلام ولا يرقى إليه حديث. قال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

١ - الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ج ١/٩.

٢ - جزء من حديث طويل أخرجه الترمذي في سننه، رواه علي بن أبي طالب ؓ مرفوعًا عن رسول الله ﷺ. يُنظر نصّه كاملاً في الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ، سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، حَقَّقَ أصوله وخرَّج أحاديثه الشيخ خليل مأمون شيحة، ط/١، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م: باب ما جاء في فضل القرآن، حديث رقم (٢٩٠٦)، ص ١١٢١.

٣ - سورة يونس: ٦٤.

٤ - سورة الطور: ٣٤.

## الخاتمة

تناولَ بحثنا الدرسَ البيانيَّ للقرآن الكريم في العصر الحديث، وهو زمنٌ ليس بالقصير كثرَ فيه التَّأليفُ في هذا الجانب البيانيِّ من القرآن الكريم، وتَّسمَ بالإبداع والتَّجديد، بعد زمنٍ قلَّ فيه التَّأليفُ في هذا الجانب، وتوقَّفَ عن الإبداع.

وقد عرضَ البحثُ للأصول البعيدة للدرس البيانيِّ للقرآن الكريم، وتوقَّفَ عند أبرز الدَّارسين القدماء، ورأى أنَّ الدرسَ البيانيَّ الحديث امتدادٌ للدرس البيانيِّ القديم، لكنَّه لم يتوقَّفَ عند حدوده، برغم تأثر الدَّارسين المُحدثين بالدَّارسين القدماء وإفادتهم الكثير من جهودهم.

وحاولَ البحثُ أن يعرفَ مؤلِّفات الدرس البيانيِّ في العصر الحديث، مصنِّفاً إيَّاهَا حسب نوع المؤلِّف، وانتهى إلى أنَّ التَّأليفَ في الحقل البيانيِّ يزيد يوماً بعد يومٍ حتى ليكاد يربو على ألوانِ الدرس القرآنيِّ الأخرى قاطبةً، إضافةً إلى تطوُّر الدرس البيانيِّ الحديث ابتداءً من تسجيل ما اهتدي إليه من فنون بلاغيَّة وبيانيَّة في القرآن الكريم في تضاعيف المُصنِّفات إلى دراساتٍ علميَّة مننظمة ابتعدت في الأغلب عن التَّعميم ومالت إلى التَّخصيص.

كما انتقى البحثُ، لكثرة الدَّارسين وتنوع الدِّراسات، أبرزَ الدَّارسين البيانيين في العصر الحديث، معرفاً مناهجهم ومبيِّناً جهودهم في إضاءة الجوانب اللغويَّة والبلاغيَّة والفنيَّة والكشف من خلالها عن النواحي الإعجازيَّة في القرآن الكريم.

وسعى البحثُ إلى ضبطَ المجالات التي اجتهد الدَّارسون في إبرازها وتجليتها تدليلاً على الإعجاز البيانيِّ وإبرازاً للخصائص الجماليَّة والقيم البلاغيَّة التي احتواها كتابُ ربِّ العالمين، فأرجعها إلى ثلاثة مجالاتٍ أساسيَّة: المفردة القرآنيَّة، والجملة القرآنيَّة (الآية)، والجمال القرآنيَّة (الأسلوب)، انطلاقاً من أنَّ جمالَ الشيء أكثرُ ما يظهر في البنية التكوينيَّة له.

ثمَّ قارن البحثُ بين جهودِ دارسي البيانِ القرآنيِّ القُدماءِ والمُحدثين، مبرزاً نواحي التَّقاربِ والاختلافِ في التَّنالِ البيانيِّ عند الدَّارسين قديماً وحديثاً، ومبيِّناً مواطنَ الجِدَّةِ والإضافةِ في تناولِ الدَّارسين المُحدثين.

وقد خُصَّصَ البحثُ إلى النَّتائجِ الآتية:

- أنَّ الدَّارسين القُدماءَ أسَّسوا لدراسةِ البيانِ القرآنيِّ، بما استخرجوه من القرآنِ الكريمِ من فنونِ بلاغيَّةٍ وبيانيَّةٍ، كانت الغايةُ من البحثِ فيها، أولَ الأمرِ، ردَّ ما أثاره أعداءُ الإسلامِ من شُبُهاتٍ ومطاعنَ حاولوا بها التَّقليلَ من شأنِ القرآنِ وبلاغتِهِ. كما أنَّ الدَّارسين القُدماءَ لم يقتصرُوا على دراسةِ الإعجازِ البيانيِّ عن طريقِ البلاغةِ وحدها، بل أدخلوا في أحيانٍ كثيرةٍ دراساتٍ كلاميَّةٍ وحُججاً منطقيَّةً لإثباتِ الإعجازِ والرَّدِّ على منكريه.

- أنَّ الدَّرْسَ البيانيِّ القرآنيِّ الحديثَ لا يختلفُ في مبادئه الأساسيّةِ (وفي جانبِ دراسةِ الجانبِ التَّركيبيِّ) عمَّا قدَّمه الدَّارسون القُدماءَ عموماً، من حيثِ العنايةُ بالكشفِ عن الجوانبِ البلاغيَّةِ والتَّأثيريَّةِ في النَّصِّ القرآنيِّ، إلَّا أنَّ الدَّرْسَ البيانيِّ القرآنيِّ الحديثَ تطوَّرَ إلى دراساتٍ علميَّةٍ منظمَّةٍ ابتعدت في الأغلبِ عن أسلوبِ التَّعميمِ، إذ اتَّجهت أنظارُ الدَّارسين المُحدثين نحو جزئياتِ النَّصِّ القرآنيِّ وعناصرِ الجمالِ فيه ضمن إطارِ الوحدةِ الموضوعيَّةِ أو وحدةِ السُّورةِ القرآنيَّةِ، لتبيانِ نواحيِ القُوَّةِ والجمالِ، والتَّعريفِ بأسرارِ الإعجازِ. فالدراساتُ البيانيَّةُ الحديثةُ حقَّقتِ الوضوحَ والتَّأثيرَ، وعرضت بإسهابٍ وتفصيلٍ للظواهرِ البيانيَّةِ المدروسةِ، على نحوٍ لم نجده في الدَّراساتِ البيانيَّةِ القديمةِ التي غلبَ على أكثرها أسلوبُ الإجمالِ.

- أنَّ الدَّارسين المُحدثين، في الأعمِّ الأغلبِ، تتبَّعوا خواصَّ تراكيبِ الكلامِ في النَّصِّ القرآنيِّ، من غيرِ ولوجٍ في تسمياتٍ وتفريعاتٍ أُولِعَ بها البلاغيون، كما هي الحالُ في كتبِ الدَّرْسِ البيانيِّ القديمِ؛ وذلك لأنَّ غايةَ الدَّارسين كشفُ الأسرارِ الإعجازيَّةِ وإيضاحها، فلم تكن القواعدُ البلاغيَّةُ والمباحثُ البيانيَّةُ منطلقهم في الدَّرْسِ والتَّنالِ.

- توجّه عناية كل واحد من الدّارسين المُحدثين، حسب منهجه وطريقته في التّناول البيانيّ، إلى جانب معيّن من جوانب الدّرس البيانيّ القرآنيّ، والإفاضة في نواحي الإعجاز وأساره المتعلّقة بهذا الجانب؛ فسيدّ قطب اعتنى بالتّصوير الفنّيّ القرآنيّ، ومصطفى صادق الرافعيّ اهتمّ بموسيقا القرآن والحسّ الروحيّ الذي تبعثه، والدكتور حسن طبل تركّزت عنايته على ظاهرة الالتفات في القرآن الكريم، والدكتور فاضل السامرائيّ عني بإجراء الموازنات بين ما لحظه في التّعبير القرآنيّ من تشابه واختلافٍ في كثيرٍ من المواضع، وغيرهم.. وعلى هذا النحو تنوّعت أنماط الدّرس البيانيّ القرآنيّ الحديث، وكان لكلّ منها دوره في إغناء الدّرس البيانيّ القرآنيّ؛ إذ الغاية من الدّرس البيانيّ، حسب أيّ منهجٍ وتبعاً لعناية الدّارس بأيّ جانب، سبر أغوار النّصّ القرآنيّ والبحث عن مكامن الجمال فيه، للتّبصير بمواضع الفنّ والجمال، والتّدليل على أسرار الإعجاز في التّعبير القرآنيّ التي لا تنتهي بل تتسع وتتجدّد ما تجددت الحياة.

- أنّ مباحث علم المعاني هي الغالبية على الدّرس البيانيّ القرآنيّ الحديث، وذلك لأنّ علم المعاني هو العلم الذي يرشد إلى ما تحمله النّصوص الأدبيّة من دقيق المعاني وخفيّ الإيحاءات، وذلك بدراسة هذه النّصوص وتقليب دلالته على وجوه مختلفة وتوضيح ما يعطيه النّص؛ من خلال تأمل الفروق بين الاسمية والفعلية، وتدبّر أحوال المُسند والمُسند إليه، من تقديم وتأخير، وذكرٍ وحذفٍ، وإيثارٍ معرفة على أخرى، أو صيغةٍ من صيغ الفعل على غيرها، إلى ما سوى ذلك من أسرار الجمال في نظم الجملة العربيّة. وقد رأينا اهتمام الدّارسين المُحدثين بالبنية اللغويّة للكلمات القرآنيّة، (متنقلين بين صيغ متعدّدة)، وسعيهم إلى التماس ما يكتنف صيغة الكلمة القرآنيّة من مخزونٍ نفسيّ، وأثرٍ وجدانيّ، وموافقةٍ للمعنى، ودقةٍ تصويرٍ؛ ليكشفوا ما حواه التّركيب الدّاخليّ للكلمات القرآنيّة من جمالٍ فنّيّ وأسرارٍ إعجازيّة.

- أنّ للسّياق أثراً بارزاً في الدّرس البيانيّ القرآنيّ، إذ يؤثّر في تحديد المعنى المراد، وفي تبدّل المعنى من آية قرآنيّة إلى أخرى. وقد استطاع الدّارسون المُحدثون أن يربطوا الكلمة بسياق الآية، فبيّنوا حاجة المقام أو المدلول إليها، وبيّنوا استحقاقها المكان الذي ترد فيه وتفرّدها به.

- أن الدارسين البيانيين المحدثين، في درّسهم لمظاهر العدول في البنية الشكّية للنصّ القرآنيّ، أسهموا في الكشف عمّا حواه التّركيبُ القرآنيّ من جمالٍ فنّيّ وأسرارٍ إعجازيّة؛ إذ أوضحوا في درّسهم للتّقديم والتّأخير ما يحتاج إلى تدبّرٍ لإدراك سرّ ترتيبه على هذا النحو، وبيّنوا، في درّسهم للحذف وتتبعهم لمواطنه ومقارنتهم بين مواطن الحذف والذّكر في النصّ القرآنيّ، ما ينطوي عليه من لطائف بيانيّة وشواهد إعجازيّة يُتحدّى بها. كما قدّموا في درّسهم لأسلوب الالتفات تحليلًا فنيًّا لنماذجه، يكشف عمّا يزر به من قيمٍ وأسرارٍ غير مكتفين ببيان أنّ أسلوب الالتفات في القرآن الكريم هو من الأساليب التّعبيّريّة التي سلكها الإبداع العربيّ قبل القرآن كما فعل أكثر الدّارسين القداماء، الذين أوردوا كثيرًا من صور الالتفات، لا من أجل تحليلها والوقوف على دورها التّعبيّري والتّأثيري في السيّاقات التي وردت فيها، بل إمّا من أجل التّمثيل بها لذلك الأسلوب، وإمّا من أجل الدّفاع عنها بوصفها من (مشكل القرآن) أو (متشابه القرآن).

- اهتمام الدّارسين المحدثين بمباحث علم البيان، التّشبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز، وإن كان هذا الاهتمام أقلّ من الاهتمام بمباحث علم المعاني (عمومًا) في الدّرس البيانيّ القرآنيّ الحديث؛ وذلك لأنّ علم البيان موضوعه التّصوير، الذي يهبُ الفكرة وضوحًا وقوةً فيزيد في تأثيرها في نفس المخاطب، أو القارئ، بالالتجاء إلى الخيال المصوّر، مع الإشارة إلى كثرة عناية الدّارسين المحدثين بالصّورة الحقيقية. والأمر كذلك فيما يتصل بعلم البديع الذي يتناول المحسّنات المعنويّة حينًا، واللفظيّة حينًا آخر، إذ له دوره في الكشف عن جمال اللفظ وقوة تأثيره ووضوح المعنى.

- أن تطوير الدّرس البيانيّ القرآنيّ يكون بالانطلاق من النصّ القرآنيّ واكتشاف الأسرار الإعجازيّة الجديدة بتجاوز الأمثلة المكرورة والنماذج القرآنيّة المدروسة التي تداولتها كتب المحدثين مُستقيّةً إيّاها من كتب إعجاز القرآن القديمة، بحيث تُدرس النصوص القرآنيّة في ضوء البلاغة والنقد دراسةً تستجلي أسرار القرآن الإعجازيّة الباهرة، وتؤكد سموّ البيان القرآنيّ و مكانته البلاغيّة والفنّيّة المرموقة في المادّة الأدبيّة العربيّة. ففي القرآن الكريم جوانبٌ غنيّةٌ للدّرس البيانيّ، ولاسيّما ما يخصّ الجانب الدّلالي، أو الصّورة الفنّيّة والاستعمالات المجازيّة، أو الجوانب الصّوتية والإيقاعيّة، ممّا

لم يتسع البحث لإبرازه، ولا يزال المجال مفتوحاً أمام الدارسين لإبرازه والكشف عنه. وقد قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

---

<sup>١</sup> - سورة الإسراء: ٨٥.

<sup>٢</sup> - سورة لقمان: ٢٧.

## فهرس الآيات القرآنية

الآية	الصفحة
<b>١ - الفاتحة</b>	
٥ - ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.....	٢٦٨
٤-٥ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.....	٢٨٢
٥-٦ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.....	٢٥١
<b>٢ - البقرة</b>	
٢ - ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.....	٢٢٢
٥ - ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾.....	٢٣٠
٦ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾.....	٢٩٢
٧ - ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾.....	٢٣٨
٨ - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾.....	١١٣
١٨ - ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ﴾.....	٢٦٦
٢٠ - ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾.....	٢٦٨
٢٥ - ﴿أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾.....	٣٣
٢٨ - ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَانًا فَأَحْيَاكُمْ﴾.....	٥٥
٣٢ - ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾.....	٢٥٢
٣٥ - ﴿وَكُلًّا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾.....	١٨٠
٣٦ - ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾.....	١٨٠
٤٨ - ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾.....	٢٥٧
٤٩ - ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾.....	١٧٤
٥٠ - ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ﴾.....	١٧٤
٦٠ - ﴿فَأَنفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾.....	٢٠٥



- ٢٣٣ ..... ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ ..... ٦١-  
 ٢٣١ ..... ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ ..... ٧٩-  
 ١٢٦ ..... ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ ..... ٨١-  
 ٢١٣، ٣١٠ ..... ﴿أَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ﴾ ..... ٨٧-  
 ٢٥٩ ..... ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ ..... ٨٨-  
 ١٢٥ ..... ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ ..... ٩٣-  
 ٧٨، ٢٣١ ..... ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ ..... ٩٦-  
 ١٩٧ ..... ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ ..... ١٠٤-  
 ٢٠٤ ..... ﴿وَمَنْ يَتَّبِدْ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ ..... ١٠٨-  
 ٢٥٨ ..... ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ ..... ١٢٣-  
 ٢١٤ ..... ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ ..... ١٣٢-  
 ١٣٥، ٢٥٥ ..... ﴿فَسَيَكْفِيكُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ..... ١٣٧-  
 ٢٠٣ ..... ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ..... ١٥٤-  
 ٢٥١ ..... ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ..... ١٧٢-  
 ٢٠٥ ..... ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ ..... ١٧٦-  
 ٦٤ ..... ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ ..... ١٧٩-  
 ١٤٤ ..... ﴿تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ ..... ١٨٨-  
 ٢٩١ ..... ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ﴾ ..... ١٨٩-  
 ٩٥ ..... ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ ..... ٢١٠-  
 ١٥٦ ..... ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ..... ٢١٢-  
 ٢٥٣ ..... ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ ..... ٢٥٥-  
 ٢٣٨ ..... ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ ..... ٢٥٧-  
 ٣٤٣ ..... ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ ..... ٢٨٦-

- ٢٥٢ ..... ٤-٣ ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلِ هُدَىٰ لِلنَّاسِ﴾
- ٥٥ ..... ٢٠- ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾
- ٢١١ ..... ٢٦-٢٧ ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾
- ٢١١ ..... ٢٧- ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾
- ٢٢٧ ..... ٩١- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾
- ١٨٨ ..... ٩٦-٩٧ ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾
- ٣١٧ ..... ١٠٦- ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾
- ٢٣٣، ٢٣٤ ..... ١١٢- ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾
- ١٧٧ ..... ١٣٤- ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾
- ٩٥ ..... ١٣٨- ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾
- ٢١٩ ..... ١٥٤- ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نِعَاسًا﴾
- ١٣٦ ..... ١٥٩- ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ﴾

#### ٤ - النساء

- ٢٩٦ ..... ١- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾
- ٢٩٧ ..... ٢- ﴿وَعَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾
- ٢٥٣ ..... ٣- ﴿فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾
- ٥٩ ..... ١٠- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾
- ٢١٥ ..... ١١- ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾
- ٣٥ ..... ١٢- ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾
- ٢٤٠ ..... ١٣-١٤ ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ﴾
- ٣٣، ١٤٤ ..... ٢٩- ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾
- ٢٦٠ ..... ٤١- ﴿وَوَجِبْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾
- ٢٠٣ ..... ٤٣- ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾
- ٢٦٠ ..... ٤٦- ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

- ١٢٨ ..... ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا﴾ ٥٦-
- ٢٥٤ ..... ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ ٥٩-
- ٢١٩ ..... ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ٦٠-
- ١٢٧، ٣١٧ ..... ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُبْتَئِنَ﴾ ٧٢-
- ٤٣ ..... ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْءَانَ﴾ ٨٢-
- ٢١٩ ..... ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ ٨٣-
- ٣٤٣ ..... ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ ١١١-
- ٢٢٠ ..... ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ١١٦-
- ٢٢٧ ..... ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ١٢٢-
- ٢٥٢ ..... ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ...﴾ ١٦٤-١٦٣
- ٢٠٢ ..... ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ﴾ ١٦٩-١٦٨
- ٢٩٧ ..... ﴿إِنَّ امْرَأَتَهُ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ ١٧٦-

#### ٥ - المائدة

- ٢٥٦ ..... ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ ١٨-
- ٢٥٧ ..... ﴿مَنْ أَجَلٌ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ٣٢-
- ٢٥٧ ..... ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ٣٣-
- ٣٣، ٢٥٣، ٢٥٧ ..... ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ ٣٨-
- ٢٥٧ ..... ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ٤٠-
- ٥٩ ..... ﴿أَكَالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ ٤٢-
- ٢٢٢ ..... ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ ٤٨-
- ٢٠١ ..... ﴿ذَلِكَ كَفَّارَةٌ لَكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ ٨٩-
- ٥٥ ..... ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ ٩١-
- ٣٠٧ ..... ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ ١١٨-

## ٦ - الأعمام

- ٢٣- ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ﴾ ..... ٤٠
- ٢٥- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ..﴾ ..... ٢٨٧
- ٣٠- ﴿فَذَوْقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ..... ٥٢
- ٤٢- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبِاسَاءِ﴾ ..... ١٨٨
- ٩٥- ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ ..... ٢١٠، ٢١٧
- ١٥١- ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ﴾ ..... ٢١٤
- ١٥٣- ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ ..... ٢٣٨

## ٧ - الأعراف

- ٢٦- ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ ..... ٢٩٢
- ٥٣- ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ ..... ١٥
- ٥٧- ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ ..... ٢٣٦
- ٩٤- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا﴾ ..... ١٨٨
- ١٤٦- ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ ..... ٢٠٤
- ١٦٠- ﴿فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ ..... ٢٠٦
- ١٧٥-١٧٦ ﴿وَاتُّلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ﴾ ..... ٦٠

## ٨ - الأفعال

- ٥-٤ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا.. \*كَمَا أَخْرَجَكَ..﴾ ..... ٢٩٢
- ٦- ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ ..... ٣٢٠
- ٩- ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ ..... ١٩٦
- ١١- ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ﴾ ..... ٢١٩
- ٣١- ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ ..... ٦
- ٦١- ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ..... ٢٥٥

## ٩- التوبة

- ٢٢٠-٢٢ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ..... ٢٢٧
- ٢٥-٢٦ ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ ..... ٢٢٥
- ٣٤-٣٥ ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ ..... ١٢٩
- ٦٠- ﴿وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ..... ٢٠٣
- ١١٢- ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾ ..... ٢٦٥
- ١١٨- ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ ..... ١٢٥

## ١٠- يونس

- ١٢- ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ﴾ ..... ٢٣٢، ٢٩٤
- ٢٢-٢٣ ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ... \*﴾ ..... ٢٣٧، ٢٤٣، ٢٨١، ٢٨٢
- ٢٤- ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ ..... ٣٣٣
- ٣٥- ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾ ..... ١٦٤
- ٤٠- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَّا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ ..... ٢٨٧
- ٤٢-٤٣ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ ..... ٢٨٦
- ٥٠-٥١ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا﴾ ..... ١٥٧، ٢٧١
- ٦٤- ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ ..... ٣٤٦

## ١١- هود

- ١٧- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ..... ٣٠٩
- ٢٢- ﴿لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسِرُونَ﴾ ..... ٣٠٩
- ٤٤- ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ﴾ ..... ٢٠٤، ٢٣١، ٧٧
- ٥٤- ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ..... ٢٨٤
- ٧٧- ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾ ..... ٢٧٦

- ٢٧٦ ..... ﴿وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ ..... ٧٨-  
 ٣٠٦ ..... ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَانِكَ تَأْمُرُكَ﴾ ..... ٨٧-

### ١٢- يوسف

- ٤١ ..... ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ..... ٢-  
 ٥٢ ..... ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ ..... ٤-  
 ١٤٩ ..... ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ﴾ ..... ٥-  
 ٦٨ ..... ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ ..... ١٧-  
 ١٦٦ ..... ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ﴾ ..... ٢١-  
 ١٦٥، ١٦٦، ٢٢٨ ..... ﴿وَرَأَوْنَاهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ ..... ٢٣-  
 ٣٢٦ ..... ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ ..... ٢٤-  
 ١٦٦ ..... ﴿وَأَلْفَيْهَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾ ..... ٢٥-  
 ٢٦٥ ..... ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهٗ﴾ ..... ٣٥-  
 ١٥٠ ..... ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ ..... ٤٣-٤٤  
 ١٥٠، ٢٦٥ ..... ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ ..... ٤٤-  
 ٨٦ ..... ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ ..... ٥١-  
 ٢٢١ ..... ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ ..... ٥٣-  
 ٨٦ ..... ﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ ..... ٨٠-  
 ٢٧٧ ..... ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ﴾ ..... ٩٦-  
 ١٤٩ ..... ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ ..... ١٠٠-  
 ٢٠٣ ..... ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ ..... ١٠٨-

### ١٣- الرعد

- ٢٢٧ ..... ﴿المر تلك آيات الكتاب﴾ ..... ١-  
 ٢٢٧ ..... ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ\* الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ..... ٢٧-٢٨

- ٣١- ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ ..... ٦٤،٧٠  
 ٣٣- ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَانِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ ..... ٢٩١

#### ١٤- إبراهيم

- ٩- ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ ..... ٢٢٧  
 ٣٤- ﴿وَوَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ... إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ..... ٢١٨،٣٠٧

#### ١٥- الحجر

- ٩- ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ..... ٢٢٣  
 ٢٧- ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ ..... ٢٥٣  
 ٥٦-٥١ ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ\* إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ ..... ١٨٢  
 ٩٤- ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ..... ٦٦

#### ١٦- النحل

- ١- ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ ..... ٢١٣  
 ١٥- ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ ..... ٢٠٣  
 ١٧-١٨ ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ\*﴾ ..... ٣٠٧  
 ٤٤- ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ ..... ٣٢  
 ٤٧- ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ ..... ٣٥  
 ٨٥-٥٩ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ... \*يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ﴾ ..... ٢٤٤  
 ٧٨- ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ ..... ٢٣٨  
 ٨٩- ﴿وَجَبْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ﴾ ..... ٢٦٠  
 ١٠٩- ﴿جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾ ..... ٣٠٩  
 ١٢٧- ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ ..... ٢٧٢

## ١٧- الإسراء

- ٢٥٤ ..... ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ١-  
 ١٠١ ..... ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ﴾ ٩-  
 ١١٩ ..... ﴿إِنَّمَا يَبَلِّغُنَّ عَنْدَكَ الْكَبِيرَ﴾ ٢٣-  
 ٥١، ٣٢٥ ..... ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ ٢٩-  
 ٥٢ ..... ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ٣٦-  
 ٢٦٦ ..... ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا\* أَوْ خَلْقًا...﴾ ٥٠-٥١  
 ٢١٤ ..... ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ ٦٢-  
 ٢١٤ ..... ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ ٧٠-  
 ٣٥١، ٣٤٥ ..... ﴿وَمَا أوتيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٨٥-  
 ٧ ..... ﴿قُلْ لئنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾ ٨٨-

## ١٨- الكهف

- ٢٢٤ ..... ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كُذِّبُوا﴾ ٢٢-  
 ٥٢ ..... ﴿فَأَصْبَحَ يُغْلِبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ ٤٢-  
 ٢١٣ ..... ﴿وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ ٤٧-  
 ٢٧٣ ..... ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ ٩٧-  
 ٣٢٢ ..... ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ ٩٩-

## ١٩- مريم

- ٦٦ ..... ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ ٤-  
 ٢١٥ ..... ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ ٣١-  
 ٣١١ ..... ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ﴾ ٣٤-  
 ٣١١ ..... ﴿وَإِذْ كُرِّ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ ٤١-  
 ٣١٢ ..... ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ ٥٨-



- ١٧٨ ..... ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾ ..... ٨٢-٨١
- ٢٨٣ ..... ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا \* لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ ..... ٨٩-٨٨

## ٢٠ - طه

- ٢٨٦ ..... ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي \* يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ ..... ٢٨-٢٧
- ٢٨٥ ..... ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ ..... ٣٦-٣٧
- ٢٢٤ ..... ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ \* أَنْ اقْذِيبِي﴾ ..... ٣٩-٣٨
- ٢٠٨ ..... ﴿اقْذِيبِي فِي التَّابُوتِ فَاقْذِيبِي فِي الْيَمِّ﴾ ..... ٣٩-٣٨
- ٢٥٥ ..... ﴿إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ ..... ٤٥-٤٦
- ٢٥٥ ..... ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ ..... ٤٦-٤٧
- ٢٧٠ ..... ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى \* فَأْتِيَاهُ﴾ ..... ٤٦-٤٧
- ٢٨٥ ..... ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى﴾ ..... ٤٩-٤٨
- ٢٦٠ ..... ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى \* قُلْنَا لَا تَخَفْ﴾ ..... ٦٨-٦٧
- ٢٧٤ ..... ﴿فَلَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ ..... ٧١-٧٢
- ٢٠٣ ..... ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ ..... ٧٧-٧٨
- ٢٠٧ ..... ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ ..... ٧٧-٧٨
- ٢٢٩ ..... ﴿فَغَشَّيْهُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا غَشَّيْهُمْ﴾ ..... ٧٨-٧٩
- ٣٠٠ ..... ﴿وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ..... ١١٣-١١٤
- ١٧٩ ..... ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ ..... ١١٧-١١٨
- ١٧٩ ..... ﴿إِنَّ لَكَ أَلًا تَجُوعُ فِيهَا وَلَا تَعْرِى﴾ ..... ١١٨-١١٩
- ١٨٠ ..... ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوَاتِهِمَا﴾ ..... ١٢١-١٢٢

## ٢١ - الأنبياء

- ٣ ..... ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ ..... ٥-٦
- ٢٦٨ ..... ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُوَ لَاتَّخَذْنَا مِنْ لَدُنَّا﴾ ..... ١٧-١٨

- ١٨- ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ ..... ٣٢٢  
 ٣٠- ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ..... ٣٨  
 ٨١- ﴿وَالسَّلِيمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ ..... ٢٤٣  
 ٩١- ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ ..... ٢٥٤  
 ٩٢- ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ..... ١٤٣

### ٢٢- الحج

- ٢-١ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ..﴾ ..... ٣٢٥  
 ٢- ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ ..... ٢٤٢  
 ٥- ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ ..... ٢٣٥  
 ٨- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ..... ٢٢٨  
 ١١- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ ..... ١٢٤  
 ١٩-٢٢ ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ ..... ١٢٩  
 ٢٧- ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ ..... ٢٠٥  
 ٤٢-٤٤ ﴿وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ ..... ٢٧٧  
 ٦٠- ﴿لَعَفُوًّا غَفُورًا﴾ ..... ٢٥٩  
 ٦٣- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ ..... ١٧٦

### ٢٣- المؤمنون

- ٥٠- ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ ..... ٢٥٤  
 ٩٩- ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ ..... ٢٨٤

### ٢٤- النور

- ١٢- ﴿لَوْ لَّا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾ ..... ٢٢٤  
 ١٧- ﴿يُعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ..... ٢٢٥

- ٣١- ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾..... ٢٣٥
- ٣٩- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾..... ٣٣٥
- ٤٤-٤٣ ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ \* يَقْلَبُ اللَّهُ﴾..... ٣٢٨
- ٥٥- ﴿لَيْسْتَخْلِفْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾..... ١٣٥
- ٥٩-٥٨ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾..... ٢٣٦
- ٥٩- ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾..... ٢٣٥

### ٢٥- الفرقان

- ٥- ﴿وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾..... ٢٦٥
- ١٥- ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾..... ٤٣
- ٧٣- ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾..... ٢٥٤

### ٢٦- الشعراء

- ٧-٩ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا﴾..... ٨٢
- ٨-٩ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ \*﴾..... ٣٠٠
- ١٨- ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾..... ٢٧٨
- ١٨-١٩ ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾..... ٢٢٩
- ٣٢- ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾..... ٤٤
- ٦٩-٧٠ ﴿وَآتَىٰ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ \* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾..... ٢٧٨
- ٧٩- ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾..... ١٨٦
- ١٠٠-١٠١ ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ \* وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾..... ٢٤١
- ١٠٩- ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾..... ٢٧٨
- ٢٢١-٢٢٣ ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾..... ١٨٦
- ٢٢٤-٢٢٦ ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾..... ٥
- ٢٢٧- ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾..... ٦

## ٢٧- النمل

- ٢٢- ﴿وَجِئْتَكُمْ مِنْ سِبَاٍ بِنَبِيٍّ يَقِينٍ﴾ ..... ٣٢٨
- ٢٧- ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ..... ٣١٠
- ٦٠- ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ..... ٢٨٦
- ٧٠- ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ ..... ٢٧٢
- ٧٢- ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ ..... ١٩٦
- ٨٧- ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَمَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ ..... ١٨٤، ٢١٣

## ٢٨- القصص

- ٤- ﴿يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ ..... ٢٧٤
- ٧- ﴿فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ ..... ٢٠٨
- ٣١- ﴿وَأَنْ أَلْقَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ﴾ ..... ٤٤

## ٢٩- العنكبوت

- ٨- ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ ..... ٢١٤
- ١٠- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ ..... ٢٢٨
- ١٧- ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ ..... ٢٢٢
- ٢٨-٢٩ ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ \* أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ﴾ ..... ٢٧٦
- ٣٣- ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾ ..... ٢٧٦
- ٤١- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ ..... ٥٤، ٣٢٠
- ٦٤- ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ﴾ ..... ١٧٥

## ٣٠- الروم

- ٤٦- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ ..... ٢٣٧

## ٣١- لقمان

- ٢٢٨ ..... ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ ..... ٢٢٨  
 ٢٢٧ ..... ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ ..... ٢٢٧  
 ٣٥١، ١٩١، ٣٤٥ ..... ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ...﴾ ..... ٣٥١، ١٩١، ٣٤٥

## ٣٢- السجدة

- ١٢٦، ٢٢٣ ..... ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ﴾ ..... ١٢٦، ٢٢٣

## ٣٣- الأحزاب

- ٢٩٦ ..... ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ ..... ٢٩٦  
 ٢٧٥ ..... ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ ..... ٢٧٥  
 ٢٥٩ ..... ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ ..... ٢٥٩  
 ٢١٢، ٢٧٥ ..... ﴿يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ ..... ٢١٢، ٢٧٥  
 ٢٩٦ ..... ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ ..... ٢٩٦

## ٣٤- سبأ

- ٢١٨ ..... ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ ..... ٢١٨  
 ٣٢٢ ..... ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ ..... ٣٢٢  
 ٢٢٥ ..... ﴿وَإِذَا تَنَتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءآيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ ..... ٢٢٥  
 ٢٥٣ ..... ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾ ..... ٢٥٣  
 ٢٢٣ ..... ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزَعُوا فَلَا فُوتَ﴾ ..... ٢٢٣

## ٣٥- فاطر

- ٢٨١، ٢٨٢ ..... ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ ..... ٢٨١، ٢٨٢

- ٢٣ ..... ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ ٢٨-  
 ١٢٧ ..... ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ ٣٤-  
 ١٢٧ ..... ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ ٣٦-٣٧  
 ١٦٤ ..... ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾ ٣٧-  
 ٦٤ ..... ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ ٤٣-

## ٣٦- يس

- ١٥٢ ..... ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذُّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾ ١١-  
 ٢٨٣ ..... ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٢٢-  
 ٣٤٠ ..... ﴿وَأَيُّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ ٣٧-٣٩  
 ٣١٩ ..... ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ ٣٩-  
 ٥ ..... ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ ٦٩-٧٠

## ٣٧- الصافات

- ٢١٦ ..... ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ\* أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ ٤٠-٤٩  
 ٢١٥ ..... ﴿فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ ٤٧-  
 ٣٩ ..... ﴿فَإِنِّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ\* مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾ ١٦١-١٦٢

## ٣٨- ص

- ٤٠ ..... ﴿وَوَظَنَ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾ ٢٤-  
 ١٩٤، ٢٨٤، ٣٦٦ ..... ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾ ٢٩-

## ٣٩- الزمر

- ٢٦٨ ..... ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ﴾ ٤-  
 ٢٦٧ ..... ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٩-

- ٢١- ﴿ذَلِكَ لَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ..... ١٣٧  
 ٢٧-٢٨ ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ ..... ٣٦  
 ٦٦- ﴿بَلِ اللّٰهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ..... ٢٥١  
 ٦٨- ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ ..... ١٨٤  
 ٧٣- ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ ..... ٦٤

#### ٤٠ - غافر

- ٣- ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ ..... ٢٥٦  
 ٥-٦ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ﴾ ..... ٧٣  
 ٩-١٠ ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ ..... ٨٧  
 ٣٠- ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَأْقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ ..... ٢٢٦  
 ٣٨-٣٩ ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَأْقُومُ اتَّبِعُونِ﴾ ..... ٢٩٩

#### ٤١ - فصلت

- ٣- ﴿كِتَابٌ فَصَّلْتُ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ ..... ٣٠٥  
 ٣٠- ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ ..... ١٨٦  
 ٤٣- ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ ..... ٢٥٦  
 ٤٤- ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا...﴾ ..... ٣٠٥

#### ٤٢ - الشورى

- ١١- ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ..... ٢٥٤  
 ٢٩- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا﴾ ..... ٣٣٠  
 ٤٠- ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ ..... ٣٢٩

#### ٤٣ - الزخرف

٢٧١ ..... ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ﴾

#### ٤٤ - الدخان

٢٤٠ ..... ﴿٤٩-٣٤ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ \* طَعَامُ الْأَثِيمِ \*...﴾

٢٧ ..... ﴿٤٩ - ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾

٢٤١ ..... ﴿٥٥-٥١ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ \* فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ \*...﴾

#### ٤٥ - الجاثية

٢٦٥ ..... ﴿١٥ - مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾

#### ٤٦ - الأحقاف

٢٢٩ ..... ﴿١٧ - وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَفَّ لَكُمْ﴾

٢٠٢ ..... ﴿٣٠ - يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

#### ٤٧ - محمد

٢٨٧ ..... ﴿١٦ - وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا...﴾

٢٣٩ ..... ﴿٢٣ - أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾

١٩، ٢٨، ٣٣٢ ..... ﴿٢٤ - أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾

#### ٤٨ - الفتح

٢٢٤ ..... ﴿٩ - لَتَتَّوَمَّنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَزَّوْهُ﴾

١٨٨ ..... ﴿٢٤ - وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾

#### ٤٩ - الحجرات

٦٠ ..... ﴿١٢ - أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾



١٩٧ ..... ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ ..... ١٤-

### ٥٠- ق

٣١٧ ..... ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ ..... ١٩-

### ٥١- الذَّارِيَات

١٨٢ ..... ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ\*﴾ ..... ٢٤-٣٠

٢٣٦ ..... ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ\*﴾ ..... ٤١-٤٢

٢٥٣ ..... ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ..... ٥٦-

### ٥٢- الطُّور

٣١٦ ..... ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ ..... ١٣-

١٩٠،٣٤٦ ..... ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ ..... ٣٤-

### ٥٣- النَّجْم

١٣٦ ..... ﴿الْكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى\* تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ ..... ٢١-٢٢

٢٦٨ ..... ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى\* وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا\*﴾ ..... ٤٣-٤٨

### ٥٤- القمر

٧٨ ..... ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ ..... ١٢-

٣٣٢ ..... ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذَّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ ..... ١٧-

٢٣٦ ..... ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ ..... ١٩-٢٠

١٣٤ ..... ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ ..... ٣٦-

## ٥٥ - الرَّحْمَن

١٣- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾..... ٧١

## ٥٦ - الْوَاقِعَةُ

٥-٤ ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا \* وَبَسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾..... ٢١٧

١٠-٢٦ ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ \* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾..... ٢١٦

١٩- ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾..... ٦١، ٢١٥

٣٣- ﴿لَا مَقْطُوعَةَ وَلَا مَمْنُوعَةَ﴾..... ٦١

٥٢-٥١ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾..... ١٦٥

٦٣-٧٠ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ \* أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾..... ١٨٥

٧٦- ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾..... ٢٠١

## ٦٠ - الْمَمْتَحَنَةُ

٥- ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾..... ٤٠

## ٦١ - الصَّف

٥- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَأْتُونَنِي﴾..... ٢٧٨

٦- ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾..... ٢٧٨

## ٦٢ - الْجُمُعَةُ

٥- ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾..... ٥٤

## ٦٤ - الْمَنَافِقُونَ

٤- ﴿يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾..... ٦٤

## ٦٤- التَّغَابِن

٢٥٣ ..... ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا﴾

## ٦٥- الطَّلَاق

١٣٧ ..... ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾

## ٦٧- الملك

٣٢٣ ..... ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ\*﴾

٢١١ ..... ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَاتٍ﴾

## ٧٠- المعارج

٢٥٨ ..... ﴿يَبْصُرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي..\* وَصَاحِبِيهِ..﴾

## ٧٢- الجن

٢٠٢ ..... ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾

## ٧٤- المُدَنَّر

١٣٩ ..... ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾

٢٣٠ ..... ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ\* عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾

٣ ..... ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾

## ٧٥- القِيَامَةُ

٢٦٥ ..... ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ\* وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ\*﴾

## ٧٦- الإنسان

٢١٨ ..... ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.....

## ٧٧- المرسلات

٧١ ..... ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.....

## ٧٨- النبأ

٢١٧ ..... ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾.....

## ٨٠- عبس

٣٤ ..... ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾.....

٢٥٨ ..... ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنَ أَخِيهِ \* وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾.....

## ٨١- التكوير

٣١٧ ..... ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ \* الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾.....

٢٤٦ ..... ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾.....

## ٨٧- الأعلى

٣٠٨ ..... ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾.....

## ٨٨- الغاشية

٣٣٠ ..... ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ \* وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾.....

## ٨٩- الفجر

- ٢٠١ ..... ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حَجْرِ﴾
- ٢١٤ ..... ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ﴾
- ٢١٤ ..... ﴿كَلَّا بَلْ لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾

## ٩٠- البلد

- ١٥٢ ..... ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾

## ٩١- الشمس

- ٢٦٧ ..... ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾

## ٩٢- الليل

- ٣٠٨ ..... ﴿فَسَنِّيئِرُهُ لِلْيُسْرَى﴾

## ٩٣- الضحى

- ٢٦٩ ..... ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾
- ٢٦٠ ..... ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ\* وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾

## ٩٦- العلق

- ٣٠٨ ..... ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾

## ٩٧- القدر

- ١٨٦ ..... ﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾

## ٩٩- الزلزلة

٢١٧ ..... ١- ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا﴾

#### ١٠٠- العاديات

٢١٧ ..... ١٠-٩ ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ\*...﴾

#### ١٠١- القارعة

٢٦٦ ..... ١١-١٠ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ\* نَارٌ حَامِيَةٌ﴾

#### ١٠٢- التكاثر

١٠٣ ..... ٨-١ ﴿الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ\* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾

#### ١٠٤- الهمزة

٢٦٥ ..... ٦-٥ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ\* نَارُ اللَّهِ الْمَوْقِدَةُ﴾

١٥١ ..... ٧-٦ ﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْقِدَةُ\* الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْنِدَةِ﴾

١٥٢ ..... ٩-٨ ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوْصَدَةٌ\* فِي عَمَدٍ مُّمدَدَةٍ﴾

#### ١١٠- النصر

٣٨ ..... ١- ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾

#### ١١٢- الإخلاص

٢٢٦ ..... ١- ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

## فهرس الأحاديث الشريفة

الصفحة	الحديث
١٦	"إِنِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ".....
٢٩	"مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلَّمَ وَرَّثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ".....
٣٢	"مَا الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ".....
٣٣	"لَا وَصِيَّهَ لُوَارِثٍ".....
٣٣	"لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطَيِّبِ نَفْسٍ مِنْهُ".....
٣٤	"أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ <small>رضي الله عنه</small> سَأَلَ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾.....
٣٤	"أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَرَأَ عَلَى الْمَنْبَرِ ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾.....
٣٥	حَوْلَ مَعْنَى التَّخَوُّفِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾.....
٣٥	رَأَى أَبِي بَكْرٍ فِي الْكَلَالَةِ: "إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ فِي الْكَلَالَةِ رَأْيًا،.....
٣٧	قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ "الشَّعْرُ دِيْوَانُ الْعَرَبِ؛.....
٣٨	حَوْلَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾.....
٢٥٦	"إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي".....
٣٤٦	"لَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ".....

## فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير، ضياء الدين نصر بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط/١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٥هـ - ١٩٣٩م.
- الأسدآبادي، القاضي أبو الحسن عبد الجبار الهمداني:  
- تنزيه القرآن عن المطاعن، الناشر الشركة الشرقية للنشر والتوزيع، دار النهضة الحديثة، بيروت-لبنان، (د. ت).
- المغني في أبواب التوحيد والعدل، قوم نصّه أمين الخولي، ط/١، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.
- أسعد، د. توفيق، صيغة أفعال ودلالاتها في القرآن الكريم (دراسات أدبيّة)، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٠م.
- ابن أبي الإصبع المصري، عبد الواحد بن عبد العظيم:  
- بديع القرآن، تحقيق د. حفني محمد شرف، ط/١، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٧م.
- تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق د. حفني محمد شرف، ط/١، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، القاهرة، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.
- الأصبهاني، الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط/٥، الناشر دار الريان للتراث، القاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- الألويسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).



- أمين، أحمد، **ضحى الإسلام**، ط/٣، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧١هـ — ١٩٥٢م.
- الباقلائي، محمد بن الطيب، **إعجاز القرآن**، تحقيق السيّد أحمد صقر، ط/٣، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م.
- البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، مؤسسة الخدمات الطباعة، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- بدوي، د. أحمد، **من بلاغة القرآن**، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م.
- بركة، د. عبد الغني محمد سعد، **الإعجاز القرآني "وجوهه وأسرارته"**، ط/١، مطابع المختار الإسلامي، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- البوطي، د. محمد سعيد رمضان:
- من **روائع القرآن**، ط/٥، مكتبة الفارابي، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- منهج **تربوي فريد في القرآن**، ط/١، مكتبة الفارابي، دمشق-سورية، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- البيضاوي، القاضي ناصر الدين البيضاوي، **تفسير البيضاوي "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"**، المكتبة والمطبعة العثمانية المصرية، مصر، ١٣٠٥هـ.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، **السنن الصغير**، حققه وخرّج أحاديثه عبد السلام عبد الشافي وأحمد قباني، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- البيومي، د. محمد رجب، **خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم**، الشركة المصرية للطباعة والنشر، مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرَة، سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، حَقَّق أصوله وخرَّج أحاديثه الشيخ خليل مأمون شيحة، ط/١، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم:
  - الإيمان، تحقيق ومراجعة لجنة من العلماء بإشراف الناشر، المكتبة القيمة للطباعة والنشر، القاهرة، (د. ت).
  - مقدمة في أصول التفسير، تحقيق فواز أحمد زمرلي، ط/٢، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
  - الجاحظ، عمرو بن بحر:
    - البيان والتبيين، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).
    - رسائل الجاحظ، رسالة حجج النبوة، ضمن رسائل جمعها ونشرها السندوبي، ط/١، المطبعة الرّحمانية، مصر، ١٣٥٢هـ-١٩٣٣م.
    - الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط/١، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٦٣هـ-١٩٤٤م.
    - الجاسم، د. محمود حسن، تأويل النص القرآني وقضايا النحو، ط/١، دار الفكر، دمشق، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
    - جاسم، يونس، الوصف في القرآن الكريم، ط/١، دار المكتبي، دمشق، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
    - الجرجاني، عبد القاهر:
      - أسرار البلاغة، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر، ط/١، دار المدني، جدة، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

- دلائل الإعجاز، علّق عليه محمود محمد شاكر، ط/٣، مطبعة المدني، القاهرة وجدة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- الرسالة الشافية في الإعجاز، ملحق بـ "دلائل الإعجاز"، علّق عليه محمود محمد شاكر، ط/٣، مطبعة المدني، القاهرة وجدة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ابن الجزري، أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد، تقريب النّشر في القراءات العشر، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، ط/٢، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- الجندي، د. درويش، نظرية عبد القاهر في النّظم، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٠م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، الناشر دار الكتاب العربي، لبنان، ١٩٥٢م.
- الجندي، علي، فن التّشبيه، ط/١، مطبعة نهضة مصر، ١٩٥٢م.
- الجويني، د. مصطفى الصّاوي:
- مدارس البلاغة المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥م.
- مناهج في التّفسير، الناشر منشأة المعارف، الإسكندرية، (د. ت).
- المنظور الأدبي للنّص القرآني، دار المعرفة الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٦م.
- منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، ط/٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م.
- الجبوسي، د. محمد عبد الله، كشاف الدّراسات القرآنية في الرّسائل الجامعية، ط/١، دار الغوثاني، دمشق، سورية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، عني بتصحيحه وطبعه محمد شرف الدين يالنتقايا، ط/٤، جامعة استانبول، ١٣٦٠هـ - ١٩٤١م.
- الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، المستدرک على الصحيحين، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

- حجازي، د. محمد محمود، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، ط/١، دار الكتب الحديثة، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.
- حسان، د. تمام، البيان في روائع القرآن، ط/٢، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- الحسناوي، د. محمد، الفاصلة في القرآن، ط/١، دار الأصيل، حلب، ١٩٧٧م.
- حسين، د. عبد القادر:
- أضواء بلاغية على جزء الذاريات، دار المنار، القاهرة، ١٩٩١م.
- البلاغة القيمة لآيات القرآن الكريم "جزء عم"، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م.
- القرآن والصورة البيانية، ط/١، دار المنار، القاهرة، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
- حمدي أبو علي، د. محمد بركات:
- الآية التفسيرية وموقعها من البيان القرآني والبلاغة العربية، ط/١، دار وائل للنشر، عمان، ١٩٩٩م.
- دراسات في الإعجاز البياني، ط/١، دار وائل، عمان، ٢٠٠٠م.
- كيف نقرأ تراثنا البلاغي، ط/١، دار وائل للنشر، عمان، ١٩٩٩م.
- الحمصي، نعيم، فكرة إعجاز القرآن، ط/٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ-١٩٨٤م.
- حويش، د. عمر الملا، تطور دراسات إعجاز القرآن وأثرها في البلاغة العربية، ساعد على نشره جامعة بغداد، مطبعة الأمة، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.
- أبو حيان الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف، البحر المحيط، الناشر مطابع النصر الحديثة، الرياض-السعودية، (د. ت).

- الخطابي، حمد بن محمد، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق د. محمد زغلول سلام، و د. محمد خلف الله، دار المعارف، مصر، (د.ت).
- الخطيب البغدادي، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد، ط/١، مكتبة الخانجي، القاهرة، والمكتبة العربية بغداد، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٤٩هـ-١٩٣١م.
- الخطيب، عبد الكريم، إعجاز القرآن (الإعجاز في دراسات السابقين)، ط/٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
- الخفاجي، ابن سنان عبد الله بن محمد، سرّ الفصاحة، تعليق د. عبد المعتال الصعيدي، ط/١، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م.
- الخفاجي، د. محمد علي رزق، رؤية فنيّة لنصّ قرآنيّ "دراسة تحليليّة سيميائيّة جماليّة"، ط/٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، المكتبة التجارية، مطبعة مصطفى محمد، مصر، (د.ت).
- خليل، د. السيد أحمد، دراسات في القرآن، دار المعارف، مصر، ١٩٧٢م.
- الخوئي، السيد أبو القاسم الموسوي، البيان في تفسير القرآن، منشورات دار العلم للإمام السيد الخوئي، ط/٢، مطبعة العمال المركزية، بغداد، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
- الخولي، أمين:
- من هدي القرآن، ط/١، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٥٩م.
- مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، الجزء العاشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م.
- الخويسكي، د. زين كامل، في المجالات الدلاليّة في القرآن الكريم (صيغة افتعل)، ط/١، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩م.

- دائرة المعارف الإسلامية، أصدرها باللغة العربية أحمد الشننتاوي وإبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس، راجعها د. محمد مهدي علّام، دار المعرفة، بيروت-لبنان، (د.ت).
- الداية، د. فايز:
- جماليّات الأسلوب "الصورة الفنيّة في الأدب العربي"، ط/٢، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- جماليّات الأسلوب "علم المعاني (٢) دراسة تحليليّة للتركيب اللغوي"، ط/١، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، ١٩٨١-١٩٨٢م.
- الدبّل، د. محمد بن سعد، النّظم القرآني في سورة الرعد، عالم الكتب، دار النصر للطباعة، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- دراز، د. محمد عبد الله:
- مدخل إلى القرآن الكريم "عرض تحليلي وتاريخ مقارن"، ترجمة محمد علي عبد العظيم و د. السيّد محمد بدوي، ط/٢، دار القلم، الكويت، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
- النّبأ العظيم "نظرات جديدة في القرآن"، ط/٨، دار القلم، الكويت، ١٤١٦هـ-١٩٩٦.
- دروزة، محمد عزّة، التّفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨١هـ-١٩٦٢م.
- دهمان، د. أحمد علي، الصورة البلاغيّة عند عبد القاهر الجرجاني "منهجًا وتطبيقًا"، ط/١، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٦م.
- دوب، د. رابح، البلاغة عند المفسرين حتى القرن الرابع الهجري، ط/١، دار الفجر للنشر والتّوزيع، القاهرة، ١٩٩٧م.

- الدّينوري، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٢م.
- الذهبي، د. محمد حسين، التفسير والمفسرون، القاهرة، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.
- الرازي، الإمام فخر الدين، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق د. بكري شيخ أمين، ط/١، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ١٩٨٥م.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨١هـ-١٩٦١م.
- الراغب، د. عبد السلام:
- الدّراسة الأدبيّة النظرية والتطبيق "تصوص قرآنيّة"، ط/١، دار الرفاعي ودار القلم العربي، سوريا، حلب، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.
- وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، ط/١، فصّلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- الرّافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة، تحقيق محمد سعيد العريان، ط/٤، مطبعة الاستقامة، مصر، ١٣٥٩هـ-١٩٤٠م.
- ربابعة، د. موسى سامح، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ط/١، جامعة الكويت، دار الكندي، إربد-الأردن، ٢٠٠٣م.
- رضا، السيد محمد رشيد، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م.
- الرّضي، الشريف، تلخيص البيان في مجازات القرآن، تحقيق محمد عبد الغني حسن، ط/١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.
- الرّماني، علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق د. محمد زغلول سلام، و د. محمد خلف الله، دار المعارف، مصر، (د.ت).

- ابن الزبير الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل، تحقيق د. محمود كامل أحمد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥.
- الزحيلي، د. وهبة، التفسير الوجيز على هامش القرآن العظيم، ط/١، دار الفكر، دمشق-سورية، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- زرزور، د. عدنان، القرآن ونصوصه، ط/١، منشورات جامعة دمشق، مطبعة خالد بن الوليد، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت-لبنان، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/٢، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩١هـ-١٩٧٢م.
- زغلول، د. الشحات السيد، من مناهج التفسير، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦م.
- الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل، اعتنى به ورتب حواشيه محمد السعيد محمد، ط/١، المكتبة التوفيقية، مصر، (د.ت).
- أبو زهرة، د. محمد، المعجزة الكبرى، دار الفكر العربي، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.
- أبو زيد، د. نصر حامد، مفهوم النص (دراسة في علوم القرآن)، ط/٤، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت-لبنان و الدار البيضاء-المغرب، ١٩٩٨م.
- السامرائي، د. فاضل صالح:
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ط/٢، دار عمار للنشر، عمان: ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- التعبير القرآني، ط/٣، دار عمار للنشر، عمان: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.



- الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ط/١، دار الفكر، عمان، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- الجملة العربية والمعنى، ط/١، دار ابن حزم للطباعة، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- على طريق التفسير البياني، النشر العلمي جامعة الشارقة، الشارقة- الإمارات العربية المتحدة، الجزء الأول، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م. والجزء الثاني ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار للنشر، عمان، ١٩٩٨م.
- معاني النحو، ط/٢، دار الفكر، عمان، الأردن، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- سراج الدين، عبد الله، هدي القرآن إلى الحجة والبرهان، ط/١، مطبعة الأصيل، حلب، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- السكاكي، أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر، مفاتيح العلوم، ط/١، المطبعة الأدبية، مصر، ١٣١٧هـ.
- سلام، د. محمد زغلول، أثر القرآن في تطور النقد العربي، ط/٣، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م.
- سلطان، د. منير، الفصل والوصل في القرآن الكريم "دراسة أسلوبية"، ط/٢، الناشر منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٧م.
- سليمان، د. فتح الله، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، الدار الفنية للنشر والتوزيع، (د.ت).
- سيويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب "كتاب سيويه"، تحقيق عبد السلام هارون، ط/٤، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- السيد، د. السيد تقي الدين، نظرات في الأسلوب القرآني، هدية مجلة الأزهر المجانية لشهر ربيع الآخر ١٤٢٨هـ الجزء الأول. والجزء الثاني، جمادى الأولى ١٤٢٨هـ.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن:

- الإِتقان في علوم القرآن، تعليق د. مصطفى ديب البغا، ط/٤، دار ابن كثير، دمشق وبيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.
- لباب النقول في أسباب النزول، خرّج أحاديثه محمود بن الجميل، ط/١، مكتبة الصفا، القاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق محمد علي البجاوي، دار الفكر العربي.
- الشاطبي، أبو إسحق، الموافقات في أصول الشريعة الإسلامية، خرّج أحاديثه ونقد آراءه عبد الله دراز، المكتبة التجارية، مطبعة الرحمانية، مصر، (د.ت).
- الشايع، محمد بن عبد الرحمن بن صالح، الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، ط/١، مكتبة العبيدكان، الرياض، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م.
- شرف، د. حفني محمد، الإعجاز البياني بين النظرية و التطبيق، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٧٠ م.
- الشريف المرتضى، علي بن الحسين، أمالي المرتضى "غرر الفوائد ودرر القلائد"، تحقيق محمد أبو الفضل، ط/٢، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧ م.
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، الملل والنحل، تحقيق محمد سعيد الكيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧ م.
- الشوكاني، الإمام محمد بن علي، فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير)، حقّقه وخرّج أحاديثه سيد بن إبراهيم، ط/١، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م.
- شيخ أمين، د. بكري:
- البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم المعاني)، ط/١، دار العلم للملايين، بيروت، مطبعة العلوم، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م.
- التعبير الفني في القرآن الكريم، ط/١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٤ م.

- شيخون، د. محمود السيد، الإعجاز في نظم القرآن، ط/١، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- الصابوني، د. محمد علي، صفوة التفسير، ط/١، دار القلم العربي، حلب، ودار النمير، دمشق، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- الصالح، د. صبحي:
- دراسات في فقه اللغة، ط/١١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦م.
- مباحث في علوم القرآن، ط/١٥، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ١٩٨٣م.
- صبح، د. خلدون سعيد، التقديم والتأخير في القرآن الكريم "بلاغة وإبلاغ"، ط/١، دار الينابيع، دمشق، ٢٠٠٢م.
- الصغير، د. محمد حسين علي، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط/١، بيروت-لبنان، ١٤٠٣-١٩٨٣م.
- ضيف، د. شوقي:
- البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، مصر، ١٩٦٥م.
- سورة الرحمن وسور قصار "عرض ودراسة"، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م.
- طبانة، د. بدوي، البيان العربي، (دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية)، ط/١، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٣٧٥هـ-١٩٥٦م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م. والجزء التاسع والعشرون والثلاثون، ط/٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م.
- طبل، د. حسن، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- ابن عاشور، محمد الفاضل، التفسير ورجاله، ط/٢، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٧٢م.

- العاكوب، د. عيسى علي:
- جمالية المفردة القرآنية عند ضياء الدين بن الأثير (مقالة)، مجلة التراث العربي، سنة/١١، العدد/٤٤، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩١م.
- التفكير النقدي عند العرب، ط/٢، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، ودار الفكر، دمشق-سورية، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- المفصل في علوم البلاغة العربية (المعاني- البيان - البديع)، منشورات جامعة حلب، مطبعة المدينة، دمشق، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- عبد التواب، د. صلاح الدين، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ط/١، دار نوبار، القاهرة، ١٩٩٥م.
- عبد الجليل، د. محمد بدري، براعة الاستهلال في فواتح القصائد والسور، ط/٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.
- عبد الرحمن، د. عائشة "بنت الشاطئ"،
- الإعجاز البياني للقرآن، ط/١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م.
- التفسير البياني للقرآن الكريم، الجزء الأول، ط/٤، دار المعارف، مصر، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
- التفسير البياني للقرآن الكريم، الجزء الثاني، ط/١، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.
- عبد الغفار، د. السيد أحمد:
- التفسير ومناهجه والنص وتفسيره، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.
- في الدراسات القرآنية (الجانب التاريخي- الجانب الأسلوبي- الجانب البلاغي)، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩-٢٠٠٠م.

- النَّصَّ الْقُرْآنِيَّ بَيْنَ التَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ، ط/٢، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨م.
- عبد الكريم، د. بكري، الزمن في القرآن الكريم "دراسة دلالية للأفعال الواردة في القرآن"، ط/١، دار الفجر، القاهرة، ١٩٩٧م.
- عبد النور، جبور، المعجم الأدبي، ط/١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.
- عبده، الإمام محمد، تفسير جزء عمّ، ط/٣، مطابع الشعب، مصر، (د. ت).
- أبو عبيدة، معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تحقيق محمد فؤاد سزكين، ط/٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.
- عتر، د. نور الدين:
- علوم القرآن الكريم، ط/٦، مطبعة الصباح، دمشق، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.
- القرآن الكريم والدراسات الأدبية، منشورات جامعة دمشق، المطبعة الجديدة، دمشق، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.
- عتر، د. حسن ضياء الدين، المعجزة الخالدة، ط/٢، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م.
- عتيق، د. عبد العزيز:
- البيان العربي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.
- في البلاغة العربية (علم المعاني، البيان، البديع)، منشورات جامعة حلب، (د. ت).
- عربية، د. هيفاء، الكناية في البلاغة العربية "النظرية والتطبيق"، بحث ماجستير، جامعة حلب، ١٩٩١م.
- عرفة، د. عبد العزيز عبد المعطي:

- قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، ط/١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- من بلاغة النظم العربي "دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني"، ط/٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٤م.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل:
- الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل، ط/١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧١هـ-١٩٥٢م.
- الفروق في اللغة، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط/٥، دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- عصفور، د. جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط/٣، الناشر المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ١٩٩٢م.
- العقاد، عباس محمود، ساعات بين الكتب، ط/٢، بيروت-لبنان، ١٩٦٩م.
- العلوي، يحيى بن حمزة، الطراز (المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز)، مطبعة المقتطف، مصر، ١٩١٤م.
- العمادي، أبو السعود محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، (د.ت).
- العمري، د. أحمد جمال:
- المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني (نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري)، مطبعة المدني، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
- عياشي، د. منذر، مقالات في الأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق، ١٩٩٠م.

- عيد، د. رجاء، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، ط/٢، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د.ت).
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ط/١، دار القلم، بيروت-لبنان، (د.ت).
- أبو الفتوح، محمد حسين، أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، مكتبة لبنان-بيروت، ١٩٩٥م.
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، حَقَّق الجزء الأول والثاني أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ١٩٥٥م، وحَقَّق الجزء الثالث عبد الفتاح شلبي وراجعته علي النجدي ناصف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م.
- فياض، د. جابر، التورية وخلو القرآن الكريم منها، ط/١، دار المنارة، جدة، السعودية، ١٩٨٥م-١٤٠٥هـ.
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب:
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت-لبنان، (د.ت).
- القاموس المحيط، تحقيق عبد الخالق السيد عبد الخالق، ط/١، مكتبة الإيمان، المنصورة، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- الفيومي، محمد شكري أحمد، إعجاز البيان في القرآن "الاستفهام"، ط/١، دار القلم، دبي، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- قدور، د. أحمد محمد، المدخل إلى فقه اللغة العربية، منشورات جامعة حلب، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- القرطاجني، أبو الحسن حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، ط/٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م.

- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، اعتنى به وصححه هشام سمير البخاري، ط/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- الفزويني، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، راجعه وصححه الشيخ بهيج غزاوي، ط/١، دار إحياء العلوم، بيروت-لبنان، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- قصاب، د. وليد، التراث النقديّ والبلاغيّ للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري، دار الثقافة، الدوحة- قطر، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
- قصبجي، د. عصام، نظرية المحاكاة في النقد العربي القديم، ط/١، دار القلم العربي، حلب، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- القطن، مناع، مباحث في علوم القرآن، ط/٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- قطب، سيّد:
- التصوير الفنيّ في القرآن، ط/١١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤م.
- في ظلال القرآن، ط/٤، دار الشروق، القاهرة، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
- مشاهد القيامة في القرآن، ط/١٥، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- القلقيلي، د. محمد عادل، الإعجاز القرآنيّ "سور ألم"، ط/١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدّين عبد الحميد، ط/٣، مطبعة السّعادة، مصر، ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م.
- القيسي، د. عودة الله منيع، سرّ الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن الكريم، ط/١، دار البشير، عمان، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.



- ابن كثير، إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط/١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، ضبط نصّها أحمد شمس الدين، ط/٢، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- المبارك، محمد:
- دراسة أدبيّة لنصوص من القرآن، دار الفكر، دمشق، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م
- من منهل الأدب الخالد "دراسة تحليليّة أدبيّة لنصوص من القرآن"، ط/٢، دار الفكر، دمشق، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، أشرف على طبعه عبد السّلام هارون، مطبعة مصر، ١٣٨١هـ-١٩٦١م.
- المسدي، د. عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ط/٢، دار سعاد الصباح، ١٩٨٢م.
- مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، اعتنى به محمد بن عيادي بن عبد الحكيم، ط/١، مطابع دار البيان الحديثة، مكتبة الصّفا، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- مسلم، د. مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، ط/٣، دار القلم، دمشق، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- المطعني، د. عبد العظيم، المجاز في اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع "عرض وتحليل ونقد"، ط/٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- مطلوب، د. أحمد، معجم المصطلحات البلاغيّة وتطورها، ط/٢، الناشر مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٦م.
- معاز، إيمان، قراءة جماليّة في آيات النار، بحث ماجستير، جامعة حلب، ٢٠٠٧م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، نسّقه وعلّق عليه علي شيري، ط/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

- أبو موسى، د. محمد:
- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، ط/٢، دار التضامن، القاهرة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- خصائص التراكم دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ط/٣، الناشر مكتبة وهبة، القاهرة، (د. ت).
- دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، ط/٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، معارج التفكر ودقائق التدبر، ط/١، دار القلم، دمشق، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- النَّابلسي، د. محمد راتب، الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة، معهد جمعية الفتح الإسلامي، ٢٠٠٣م.
- ناصف، د. علي النجدي، مع القرآن الكريم في دراسة مستلهمة، ط/١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.
- نبهان، د. عبد الإله، بحوث في اللغة والنحو والبلاغة، ط/١، مطبعة اليمامة، حمص، سوريا، ١٩٩٥م.
- ابن النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست، المطبعة الرحمانية، مصر، (د. ت).
- النَّسائي، الإمام أحمد بن شعيب، سنن النَّسائي، اعتنى به أحمد مستو، ط/١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.
- النَّسفي، الإمام عبد الله بن أحمد بن محمود، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، (د. ت).
- النَّيسابوري، الإمام نظام الدين الحسن بن محمد، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، على هامش تفسير الطبري، ط/٢، دار المعرفة بيروت-لبنان، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

- الهاشمي، السيّد أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري، السيرة النبوية، حققها وضبطها مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التراث، بيروت-لبنان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- هلال، د. غنيمي، النّقد الأدبيّ الحديث، ط/٢، دار العودة ودار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣م.
- هنداوي، د. عبد الحميد أحمد يوسف، الإعجاز الصّرفيّ في القرآن الكريم (دراسة نظريّة تطبيقية: التّوظيف البلاغيّ لصيغة الكلمة)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- وهبة مجدي والمهندس كامل، معجم مصطلحات العربيّة في اللغة والأدب، ط/٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.
- ويس، د. أحمد محمّد، الانزياح من منظور الدّراسات الأسلوبية، ط/١، مجد للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ياسوف، د. أحمد زكريا:
- جماليّات المفردة القرآنيّة، ط/٢، دار المكتبي، دمشق ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- دراسات فنيّة في القرآن الكريم، ط/١، دار المكتبي، دمشق، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- الصورة الفنيّة في الحديث النبويّ الشريف، ط/٢، دار المكتبي، دمشق، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- اليافي، د. نعيم:
- أوهاج الحداثة "دراسة في القصيدة العربية الحديثة"، ط/١، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٣م.
- مقدمة لدراسة الصورة الفنيّة، ط/١، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٢م.
- يموت، د. غازي، علم أساليب البيان، ط/١، دار الأصالة، بيروت-لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

This document was created with Win2PDF available at <http://www.daneprairie.com>.  
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.